

مركز دراسات الدكتوراه: "اللغات والتراث والتهيئة المجالية"
تكوين الدكتوراه: التاريخ والتراث
محور: الدراسات الإسلامية
مختبر: حوار الحضارات ومقارنة الأديان

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية
في موضوع:
**القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية
المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية، دراسة
وصفية لبعض النماذج.**

اسم الأستاذ المشرف:
لخضر زحوط

إعداد الطالب الباحث:
أسعير البشير

تاريخ المناقشة: 2020/12/02

لجنة المناقشة:

الدكتور سيدي محمد زهير.....رئيسا
الدكتور محمد البنيادي.....عضوا
الدكتور عمر أجة.....عضوا
الدكتور لخضر زحوط..... مشرفا

السنة الجامعية: 2020 - 2021



مقدمة

الحمد لله الذي أخرجنا من العدم، وأكرمنا بالنعم، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وهدانا إلى الصراط الأقوم، وفضلنا على كثير من الأمم، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، سيد العرب والعجم، وعلى آله وصحبه ذوي المجد والكرم، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الحساب الأعظم.

وبعد،

فإن الدراسات المقارنة للعقائد والأديان من المجالات المعرفية التي حظيت بنصيب وافر من التأليف والتصنيف على يد نخبة من مشاهير الأعلام، سواء من الغربيين أو من علماء الإسلام، ولا حاجة للتذكير بالكم الهائل من المصنفات التي تزخر بها المكتبة الإسلامية في هذا الفن، فهي أوسع من أن أحصرها في هذا المقام، خاصة ما يتعلق بالموضوعات المشتركة بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

والموضوعات التي تناولها علم مقارنة الأديان كثيرة ومتشعبة، منها ما يتصل بعقائد الأديان السماوية والوضعية، ومنها ما يتصل بالعبادات والطقوس والشعائر، ومنها أيضًا ما يتعلق بالأخلاق والتشريعات، ولعل النصيب الأكبر من هذه الدراسات نالته عقائد الأديان السماوية سواء اليهودية أو المسيحية في مقابل الإسلام، خصوصًا القضايا الكبرى؛ كالألوهية والنبوة والمعاد.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وإذا كان من أبرز العوامل التي تُحفّز الباحث المسلم على خوض غمار الدراسة المقارنة للعقائد والأديان، أن الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية، فإن إثبات وتأكيد هذا القول؛ يستلزم بالضرورة الاطلاع على ما تضمنته الكتب المقدسة عند أتباع الأديان الأخرى التي سبقت الإسلام، ومعرفة ما فيها من خطأ وصواب أو ضعف وصحة، قصد تصحيح الخطأ وتأكيد الصواب، ومن ثم يستطيع الباحث الحسم في نتائج دراسته بعد تكوين صورة واضحة عن أوجه التقارب وأوجه التنافر بينهما.

التعريف بالموضوع وأهميته:

لما كان العصر الذي نعيش فيه اليوم، يعرف تنوع الأفكار البشرية، وتدافع التيارات والمذاهب الدينية، وسعي كل طرف لاحتكار الحق لنفسه مقابل إقصاء الطرف المخالف، كان لزماً علينا الاطلاع على ثقافة الآخر، ومعرفة طبيعة مرجعيته الدينية، واتجاهه الفكري، وهذا لا يتأتى إلا بعد دراسة معمقة لعقيدته التي تؤطر فكره، وتوجه سلوكه وطريقة تعامله مع الآخرين.

فالتعدد في الأفكار البشرية والمذاهب الدينية سُنّة إلهية كونية، ولا يمكن تغييرها بين عشية وضحاها، وإنما السبيل الأمثل هو تدير هذا التعدد الفكري والمذهبي، والتركيز على ما هو مشترك بين العقائد والملل، والبحث عن كل ما هو إيجابي داخل الأديان مما يخدم الإنسان والكون معاً، ونبذ كل ما هو سلبى سعيًا نحو تنزيل قيم التعايش والسلام والتعاون.

من هذا المنطلق، يأتي هذا العمل الذي بين أيدينا والموسوم بـ"القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية، دراسة وصفية لبعض النماذج"، والذي حاولت أن أسلك فيه هذا النهج، وأعني بذلك؛ الدراسة العلمية المقارنة للعقائد، ساعيًا

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
من خلاله إلى تسليط الضوء على بعض القضايا الإيمانية الكبرى التي كُتِرَ حولها الجدل،
والنقاش اللاهوتي قديماً وحديثاً، ونظراً لاتساع مجال العقائد، فقد ركزتُ في هذه الدراسة على
نماذج محددة لقضايا الألوهية والنبوات والسمعيات أو المعاد.

دوافع اختيار الموضوع:

لعل من أهم دوافع اختيار موضوع هذا البحث:

1- ما للعقيدة من أهمية وخطورة في تشكيل أفكار وآراء الناس؛ فهي المتحكمة في توجيه
سلوكهم وممارساتهم سلبية كانت أم إيجابية، وهي منبع التصورات عن الله، والكون، ووظيفة
المخلوق، والمصير الأبدي بعد الموت.

2- الرغبة في الكشف عن القضايا الإيمانية الخلافية بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب
العقيدة الإسلامية، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى وجود هذا التنافر العقدي بين الطرفين
المسيحي والإسلامي، لاسيما وأن الخطاب القرآني يرشدنا إلى وجود نقاط القرب بين المسيحيين
والمسلمين؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا
نُصَرِّفُ¹﴾.

¹ سورة المائدة: 84

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

3- تحديد المشتركات العقدية بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية، والعمل على استثمارها في بناء أرضية للحوار، والتفاهم من أجل حل المشاكل المتأصلة، وتصحيح الصور النمطية المتبادلة بين الطرفين.

4- تعميق المعرفة بالآخر المخالف عقديًا، ومن دون شك، فهذا المسعى لا يتحقق إلا من خلال الاطلاع على مصادره، ودراسة موضوعات العقيدة التي طالما تم التغاضي عن مناقشتها باسم القدسية المصطنعة.

أهداف البحث:

من بين الأهداف التي يروم هذا البحث تحقيقها:

أولاً: بيان الاختلافات الحاصلة بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية حول جملة من القضايا الإيمانية، وتوضيح بعض مظاهر الانحراف العقدي عند المدارس المسيحية.

ثانيًا: معرفة العوامل المتحكمة في هذا التحول الذي طرأ على المفاهيم الإيمانية الكبرى عند المدارس اللاهوتية المسيحية، وما تعرضت له من تحريف وتشويه.

ثالثًا: الإسهام في إعادة صياغة المفاهيم الإيمانية، وفق منظور علمي دقيق؛ خاصة إذا علمنا أن كل مفهوم له سياق محدد وُضِعَ له، وإذا ما بُتِرَ من سياقه وانحرف عنه، أفضى ذلك إلى نتائج عكسية على دلالاته ومقاصده.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
رابعاً: وضع قاعدة بيانات تشمل أهم القضايا الإيمانية المشتركة بين المدارس اللاهوتية
المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية، وكذا القضايا الخلافية بينهم، وتحديد دلالاتها ومعانيها؛
تسهيلاً على الباحثين والمهتمين بقضايا الحوار المسيحي الإسلامي.

خامساً: توثيق هذه المعطيات العقيدة من مصادرها الدينية عند المدارس اللاهوتية
المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية؛ تجنباً لسوء الفهم¹ والقراءة الخاطئة لما عند الآخر،
وقد أثبتت التجارب والوقائع أن الأحكام المسبقة عن الآخر، والصور النمطية هي من بين
المعيقات والعقبات التي تحول دون التلاقي والتفاهم بين المسيحيين والمسلمين.

الدراسات العلمية السابقة:

لا شك أن البحث العلمي هو عبارة عن تراكمات معرفية وضرورة بنائية؛ يُراعى فيها علاقة
اللاحق بالسابق، إذ من غير المعقول أن ينطلق الباحث في بناء بحثه من لا شيء، فلا مندوحة له
من الرجوع إلى ما أنجز من دراسات وأعمال سابقة في الموضوع الذي يبحث فيه، وفي هذا
الإطار، أقتصر على ذكر أهم هذه الأعمال العلمية التي لها صلة بموضوع هذا البحث والتي
استطعت-بفضل الله- من خلال الاطلاع على مضامينها؛ أن أتوسع في تحليل ومناقشة القضايا
المعروضة في هذه الدراسة.

¹ من أبرز مظاهر سوء الفهم، ما يردده كثير من المؤلفين المسيحيين من شبهات ومزاعم، منها أن النبي محمد صلى
الله عليه وسلم اقتبس بعض النصوص من الكتاب المقدس وضمها إلى القرآن الكريم، ويستدلون على ذلك؛ بتشابه
بعض القصص والموضوعات في القرآن الكريم مع ما هو موجود في الكتاب المقدس.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

ومن أهم هذه الأعمال العلمية التي لها صلة بموضوع هذا البحث:

1- رسالة دكتوراه بعنوان "أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي" للطالبة نعيمة إدريس، تحت إشراف: الدكتور إسماعيل زروخي، نوقشت بتاريخ: 3 يوليوز 2008 بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، وقد تطرقت الباحثة في هذه الدراسة إلى ما تعرضت له العقيدة المسيحية، وما تزال تتعرض له من عملية نقد صارمة، شملت نصوص الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، لكشف حقيقة هذا الكتاب، وهل يُعبر فعلا عن كلمة الرب؛ أي هل هو وحي إلهي؟ أم أن الأيدي البشرية تلاعبت به وحرّفته؟

2- رسالة دكتوراه بعنوان "حوار الأديان: نشأته وأصوله وتطوره" للباحث عبد الحليم أيت أمجوض، تحت إشراف: الدكتور أبو بكر العزاوي، نوقشت سنة 2010 في جامعة الحسن الثاني، المحمدية، المغرب، وقد تناول الباحث في هذه الدراسة، حركة الحوار بين أتباع الأديان، في نشأتها وأصولها اللاهوتية، وتطورها عبر الزمان والمكان، مُركّزاً بشكل أكبر على الحوار المسيحي الإسلامي باعتباره المهيمن على الساحة الدولية، كما تطرق الباحث إلى أنواع الحوار، وذكر منها: الحوار الواقعي والحوار العقدي أو اللاهوتي، وهي دراسة أفادتني في ما يتعلق بموضوعات الحوار المسيحي الإسلامي، وأهم معيقات هذا الحوار.

3- رسالة دكتوراه بعنوان "الشفاعة في الإسلام بين المثبتين والمنكرين" للباحث يوسف صلاح بكري محمد، تحت إشراف: الدكتور صالح محمد عثمان، نوقشت في موسم: 1427 هـ - 2007م، بكلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، وقد تطرق فيها الباحث لقضية الشفاعة في التصور الإسلامي، وعرض مختلف الآراء الإسلامية حولها سواء الذين

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
قالوا بإثباتها أو الذين أنكروها، وهي دراسة استفدت منها في ما يتعلق بقضية الشفاعة عند
المذاهب الإسلامية.

4-كتاب "التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام: دراسة تحليلية نقدية"
لمحمد الشاهد، وموضوع هذا الكتاب هو حوار غير مباشر بين بعض ممثلي الدين المسيحي من
كبار رجال الكنيسة وبعض ممثلي الديانات الأخرى كالإسلام والهندوسية والبوذية، والكتاب لا
يحتوي على حوار بمعنى توجيه الأسئلة لكل طرف والرد عليها، وإنما هو عبارة عن سلسلة
محاضرات ألقاها بعض المتخصصين في ندوة عُقدت سنة 1982م بجامعة توبنجن Tubingen
في ألمانيا وأشرف عليها البروفسور وأستاذ اللاهوت الكاثوليكي هانس كونج Hans Kung، كما
شارك فيها أحد أشهر المستشرقين في ألمانيا وهو البروفسور يوسف فان اس Josef van Ess،
وكان النقاش حول بعض الموضوعات الدينية المشتركة بين المسيحية والإسلام.

ولا شك أن هذه الرسالة العلمية التي بين أيدينا، قد ارتكزت على كثير من المعطيات
الواردة في الأعمال السابقة، غير أن الإضافة النوعية لهذا العمل؛ تمثلت في دراسة هذه
القضايا الإيمانية بشكل مفصل، وإبراز مواقف المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة
الإسلامية منها، كما أن الدراسات السابقة قد أغفلت قضايا أخرى لم تنل نصيبها من البحث؛
كالعصمة والشفاعة في الآخرة، فضلا على أن هذه الدراسة راعت ذلك الترابط العضوي بين
أقسام العقيدة الثلاثة (الألوهية والنبوات والسمعيات).

إشكالات البحث:

لا يجادل اثنان في أن الدعوة إلى عقيدة التوحيد كانت هي المقصد الأسمى الذي من أجله بعث الله تعالى الأنبياء والرسول؛ منذ آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كان المسيح عيسى عليه السلام أحد هؤلاء الرسل الكرام، فإنه لا يتصور لدى عاقل أن يشذ عن قاعدة التوحيد التي جاء بها من سبقه، ولهذا نجد أن المسيح عيسى عليه السلام كان صريحاً مع قومه حينما أكد لهم أنه لم يأت بدين جديد، وإنما كان مُكملاً لرسالة موسى عليه السلام، فقد قال لهم: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكْمِلَ فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نَقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ"¹، بمعنى أن أصل دين المسيح كان هو التوحيد الخالص، وأن عيسى لم يكن إلا بشراً رسولاً، جاء ليتمم ما بدأه الأنبياء والرسل قبله، لكن في المقابل، يحتار المرء وهو يقرأ في الكتاب المقدس لاسيما في العهد الجديد؛ مجموعة من النصوص التي تحمل في طياتها صفات إلهية أُلصقت بشخص المسيح عيسى عليه السلام، حتى صار أحد أقانيم الثالوث المسيحي، هذا فضلاً عن الاعتقاد في صلبه وقيامته، وجلوسه عن يمين الرب لمحاسبة الناس يوم القيامة، وغيرها من الاعتقادات التي لا تَمُتُ للوحي الإلهي الصحيح بصلة، وبذلك انحرف مسار المسيحية عن خط التوحيد، وانتهى بها الأمر إلى السقوط في أحوال الوثنية، وبعد كل هذا الذي حصل، كان من الطبيعي أن تتغير معالم الديانة المسيحية، وتصبح غريبة في أطوارها، حتى أن الناظر في العقائد المسيحية الحالية: يُخَيِّلُ إليه أنه أمام ديانة وضعية لا علاقة لها بالوحي السماوي.

¹إنجيل متى 17:5 - 18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وبما أن الإسلام كان هو خاتم الرسالات السماوية، كان من أبرز وظائفه؛ تصحيح
الانحرافات العقيدة في الرسالات السماوية السابقة، وإكمال النقص الحاصل فيها، وتصديق ما
صح منها، وعليه، فإن معرفة أوجه الصواب وأوجه الانحراف في العقائد المسيحية، لا يتحقق
إلا من خلال الدراسة المقارنة بينها وبين الإسلام.

لذلك، تأتي هذه الدراسة للإجابة عن الإشكالات الآتية:

1- ما هو اعتقاد المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية في قضايا
الألوهية والنبوات والسمعيات المعروضة في هذه الدراسة؟

2- ما هي أهم المشتركات الإيمانية بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة
الإسلامية؟

3- وما هي الاختلافات العقيدة الحاصلة بينها؟

4- ثم ما هي العوامل التي أدت إلى ظهور هذه الاختلافات العقيدة؟

المنهج المعتمد:

اقتضت طبيعة هذا البحث، اعتماد المنهج الوصفي، وهو منهج يقوم على وصف الموضوع
ودراسته من خلال منهجية علمية صحيحة، وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال
رقمية معبرة يمكن تفسيرها.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

خطة البحث:

اشتملت خطة هذا البحث على مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة، وقد أشرت في المقدمة إلى التعريف بالموضوع وبيان أهميته، ودوافع اختياره، وأهدافه، وأهم الأعمال العلمية السابقة، هذا فضلا عن تحديد أبرز إشكالاته والمنهج المعتمد في مقارنته.

وجاء تقسيم هذا البحث على الشكل الآتي:

مقدمة خصصتها لتحديد الإطار العام للموضوع، وفصلا تمهيدا عرّفت فيه المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية، واشتمل على مبحثين:

تضمّن المبحث الأول التعريف بالمدارس اللاهوتية المسيحية، واشتمل على ثلاثة مطالب، جعلت المطلب الأول للتعريف بالمدرسة الأرثوذكسية، وأدرجت تحته أربعة فروع: تناولت فيها نشأتها وتطورها، وأهم مصادرها وأدبياتها، ومناهجها، وبيان وظائفها وأهدافها.

وتضمّن المطلب الثاني التعريف بالمدرسة الكاثوليكية، والمطلب الثالث، التعريف بالمدرسة البروتستانتية، واعتمدت فيه التقسيم نفسه من حيث الفروع.

وخصصت المبحث الثاني للتعريف بالمذاهب العقيدة الإسلامية، واشتمل على ثلاثة مطالب:

جعلت المطلب الأول منها للتعريف بمذهب المعتزلة، وأدرجت تحته أربعة فروع: تطرقت فيها إلى نشأته وتطوره، ومصادره وأدبياته، وأصوله ومنهجه، وبيان وظائفه وأهدافه.

وجعلت المطلب الثاني للتعريف بالمذهب الأشعري، والمطلب الثالث للتعريف بالمذهب الماتريدي، واعتمدت فيه التقسيم نفسه من حيث الفروع.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

وقد خصصتُ الفصل الأول لدراسة القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية، واشتمل على ثلاثة مباحث:

جعلت المبحث الأول لدراسة وتحليل قضايا الألوهية عند المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية، واشتمل على ثلاثة مطالب رئيسة:

تناولت في المطلب الأول، قضايا الألوهية عند المدارس اللاهوتية المسيحية، وقسمته أيضًا إلى ثلاثة فروع:

ناقشت في الفرع الأول منه، قضية وجود الله تعالى ووحدانيته، وفي الفرع الثاني، قضية خلق الكون ومراحل نشأته وتطوره، وفي الفرع الثالث، قضية خلق الإنسان.

وتناولت في المطلب الثاني، قضايا الألوهية عند المذاهب العقدية الإسلامية، وقسمته أيضًا إلى ثلاثة فروع: ناقشت فيها القضايا الإيمانية نفسها؛ وهي: وجود الله تعالى ووحدانيته، وخلق الكون ومراحل نشأته وتطوره، وخلق الإنسان.

وركزت في المبحث الثاني على دراسة وتحليل قضايا النبوات عند المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية، واشتمل أيضًا على ثلاثة مطالب رئيسة:

تناولت في المطلب الأول، قضايا النبوات عند المدارس المسيحية، وقسمته إلى ثلاثة فروع:

ناقشت في الفرع الأول: قضية الوحي، وفي الفرع الثاني: قضية العصمة وفي الفرع الثالث: قضية المعجزات.

وتناولت في المطلب الثاني، القضايا نفسها عند المذاهب العقدية الإسلامية، وقسمته إلى ثلاثة فروع:

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية..... البشير أسعير
ناقشت في الفرع الأول، قضية الوحي، وفي الفرع الثاني، قضية العصمة، وفي الفرع
الثالث، قضية المعجزات.

وخصصت المبحث الثالث لدراسة وتحليل قضايا السمعيات عند المدارس اللاهوتية
المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية، وقسمته كذلك إلى ثلاثة مطالب رئيسة:
تناولت في المطلب الأول، قضايا السمعيات عند المدارس اللاهوتية المسيحية، وقسمته إلى
ثلاثة فروع:

ناقشت في الفرع الأول، قضية الحشر، وفي الفرع الثاني، قضية الحساب، وفي الفرع
الثالث، قضية الشفاعة.

وتناولت في المطلب الثاني، القضايا نفسها عند المذاهب العقدية الإسلامية، وقسمته
بدوره إلى ثلاثة فروع:

ناقشت في الفرع الأول، قضية الحشر، وفي الفرع الثاني، قضية الحساب، وفي الفرع
الثالث، قضية الشفاعة.

وانتقلت إلى الفصل الثاني من هذه الدراسة، وخصصته لعقد مقارنة للنماذج المدروسة
من القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية،
وقسمته إلى مبحثين رئيسين:

تناولت في المبحث الأول، أوجه الاتفاق بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية
الإسلامية، وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
شمل المطلب الأول، قسم الإلهيات، والمطلب الثاني، قسم النبوات، وأما المطلب الثالث فكان في
قسم السمعيات.

وتناولت في المبحث الثاني، أوجه الافتراق بينها، وقسمته بدوره إلى ثلاثة مطالب:

شمل المطلب الأول، قسم الإلهيات، والمطلب الثاني، قسم النبوات، وأما المطلب الثالث، فكان
كذلك في قسم السمعيات.

وذكرت في الخاتمة أهم الخلاصات والنتائج التي توصلت إليها.

وذيلت هذا البحث بفهارس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ونصوص الكتاب المقدس،
والأعلام والأماكن، والفرق والطوائف والمذاهب، وفهرس للموضوعات.

وأخيرًا، أحمد الله العلي القدير على توفيقه وفضله عليّ في إتمام هذا العمل، وإني أرجو أن
أكون قد وفّقت فيه، فما كان فيه من صواب، فذلك من فضل الله تعالى، وما كان فيه من
نقص وضعف، فهو من طبعي البشرية.

وأسأل الله سبحانه حسن القبول، والحمد لله رب العالمين.

فصل تمهيدي:

التعريف بالمدارس اللاهوتية المسيحية
والمذاهب العقدية الإسلامية

المبحث الأول: التعريف بالمدارس اللاهوتية المسيحية

المطلب الأول: المدرسة الأرثوذكسية

الفرع الأول: مفهومها ونشأتها وتطورها

الأرثوذكسية Orthodoxy كلمة يونانية الأصل؛ مركبة من لفظتين يونانيتين: "أرثوس": وهي صفة لما هو قويم وسليم، و"ذكسا": وهي اسم يدل على الرأي والمعتقد والفكر؛ فيكون معنى الكلمة اليونانية "أرثوذكسا": المعتقد القويم، أو الرأي القويم¹.

وفي سياق الحديث عن نشأة وتطور المدرسة الأرثوذكسية، لابد من الإشارة إلى مجموعة من الأحداث التي وقعت في التاريخ المسيحي والتي كان لها أثر سلبي على وحدة الكنيسة، إذ سرعان ما تعرضت الوحدة المسيحية إلى التصدع والانشقاق، وكانت أولى هذه المدارس التي انشقت عن الكنيسة الغربية، المدرسة الأرثوذكسية.

وظهرت هذه الكنيسة بعد مجمع القسطنطينية عام 879م الذي قرر أن الروح القدس انبثق من الأب، ورفض قرارات مجمع القسطنطينية الذي سبق انعقاده عام 869م والذي تقرر فيه أن الروح القدس ينبثق من الأب والابن، وقد أعقب ذلك أن انسلخت كنيسة القسطنطينية عن الكنيسة الأم².

¹ سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم: دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط2: آب 2005م، ص: 47

² عادل درويش، الكنيسة أسرارها وطقوسها، دار بلال ابن رباح، دار ابن حزم، القاهرة، ط1: 1433هـ - 2012م، صص: 155 – 156

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وثمة عوامل أخرى ساعدت على توسيع الهوة بين الطرفين، وساهمت في نشأة الاتجاه
الأرثوذكسي في المسيحية" لا تتعلق بالاعتقاد، ولكن تتعلق بالرياسة الكهنوتية، أهي لكنيسة
القسطنطينية أم لكنيسة روما؟¹ وتفصيل ذلك في مسألتين:

الأولى: لا يؤمن الأرثوذكس برئاسة بطرس الرسول Primacy of Peter على سائر الرسل،
وبالتالي: لا يؤمنون بأن لبابا روما رئاسة دينية مميزة وخاصة على كنائس العالم كلها باعتباره
خليفة بطرس الرسول.

الثانية: يرى الكاثوليك عصمة البابا في كل ما يقوله من إرشاد وتعليم ديني، في حين لا يرى
الأرثوذكس عصمته، ولا عصمة بطاركتهم، أو باباواتهم، بل الكل معرض لأن يخطئ حتى في
المسائل العقائدية².

والاختلافات الدينية بين الكاثوليك والأرثوذكس لا تتوقف عند هذا الحد، بل نجد لها
أبعادًا أخرى" فالكنيسة الشرقية الأرثوذكسية لم تعترف باستعمال الفطير بدل الخبز في
العشاء الرباني، وحرّمت دهن الخنزير على الرهبان، وحرّمت أكل الدم، وأكل المخنوق بينما
الكنيسة الغربية الكاثوليكية فإنها تُقر باستعمال الفطير بدل الخبز، وتبيح دهن الخنزير وأكل
المخنوق والدم³.

¹ محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3: 1381هـ - 1961م، ص: 148

² سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، م. س، ص ص: 66 - 67

³ محمد مختار المفتي، دراسات في الأديان والفرق وأبرز التيارات والحركات المعاصرة، أمواج للطباعة والنشر
والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1: 2012م، ص: 144

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وعلى العموم، فقد عرفت المدرسة الأرثوذكسية تطورات وتقلبات تاريخية عديدة، كما
واجهت تحديات كبرى، لكنها صمدت في وجهها، ولعل أبرزها الحروب الصليبية التي عرفها
المشرق، حيث بالرغم من أنها كانت موجهة نحو بلاد الإسلام، إلا أن المحققين والمؤرخين
يؤكدون على أن تلك الحملة العسكرية التي قادها باباوات روما كانت تستهدف احتواء
الأرثوذكس وضمهم إلى حظيرة الكنيسة الغربية¹.

الفرع الثاني: مكوناتها

حينما يطلق اسم المدرسة اللاهوتية الأرثوذكسية، فهذا يعني المدرسة المسيحية الشرقية
التي استقلت عن روما الكاثوليكية، وانفردت عنها بمجموعة من الأسس والخصائص سواء
الدينية أو الجغرافية والسياسية، والمدرسة الأرثوذكسية الحديثة تضم تحت لوائها مكونين
رئيسيين:

المكون الأول: الكنائس الشرقية غير الخلقيدونية (التي رفضت قرارات مجمع خلقيدونية
الذي انعقد في العام 451م) ، وتضم الكنيسة الأرمنية والكنيسة السريانية (كنيسة اليعاقبة)
في سورية والهند، والكنيسة القبطية في مصر وإثيوبيا وأريتيريا.

المكون الثاني: الكنائس الشرقية الخلقيدونية، وتضم الكنائس الأربع القديمة في
القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية والقدس، والكنائس الحديثة في روسيا ورومانيا وبلغاريا

¹ يُنظر: علي الرئيس، الحروب الصليبية من عهد قسطنطين إلى اليوم وجذورها الدينية، مكتبة النافذة، دار طبية، الجيزة
(مصر) ، ط1: 2008، ص ص: 138 - 139

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وصربيا وجورجيا، فضلا عن الكنائس في قبرص واليونان وألبانيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا
وأمریکا¹.

ومع كون كل هذه الكنائس تُحكّم ذاتيًا إلا أنها بأنحاء مختلفة وبدرجات متفاوتة متشاركة
مع بعضها الآخر، وأعضاؤها يرون أنفسهم ينتمون بشكل أساسي للكنيسة الشرقية، وينتمون
بنحو ثانوي فقط إلى انقساماتهم الخاصة ضمنها².

ولا يفوتني أن أشير في هذا الإطار إلى الكنيسة المارونية التي تُنسب إلى "يوحنا مارون" أحد
رهبان دير مارون في جبل لبنان، واشتهر يوحنا برأيه سنة 667م، وهو أن المسيح ذو طبيعتين،
ولكنه ذو إرادة أو مشيئة واحدة³، وهو مذهب بين المذهبيين المشهورين بين الكنائس⁴.

الفرع الثالث: مصادرها وأدبياتها

تعددت المصادر والأدبيات التي قامت على أساسها المدرسة الأرثوذكسية، وإلى جانب
الكتاب المقدس الذي يعتبر المصدر الأول في المعرفة الدينية عند المسيحيين، فهناك مصادر

¹ سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، م. س، ص: 48
² هوستن سميث، أديان العالم: دراسة روحية تحليلية ممتعة لأديان العالم الكبرى توضح فلسفة تعاليمها وجواهر
حكمتها، تعريب وتقديم: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب، ط3: 1428هـ - 2007م، ص: 445
³ يُنظر: جمال حسيني أبو فرحة، الكنيسة المارونية: الواقع والتاريخ، مركز الحضارة العربية، القاهرة، الطبعة
الأولى: 2004، ص: 24.
⁴ المقصود من ذلك، مذهب الكاثوليك القائل بأن للمسيح طبيعتين ومشيتين، ومذهب الأقباط الأرثوذكس القائل بأن له
طبيعة واحدة متحدة بعد التجسد أي اجتمع فيها اللاهوت والناسوت ومشيئة واحدة، وهو مذهب الأرمن أيضًا القائل بأن
للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. (عادل درويش، الكنيسة أسرارها وطقوسها، ص: 157 وما بعدها، ومحمد أحمد
الخطيب، مقارنة الأديان، ص ص: 375 وما بعدها).

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أخرى اعتمدتها هذه المدرسة، ومن ضمنها ما يسمى بالتسليم أو التقليد، وكتابات آباء الكنيسة،
والفلسفة الأفلاطونية التي تبنتها مدرسة الإسكندرية سابقًا، وسلطة المجامع الكنسية.

وبخصوص المصادر، لابد في البداية من الإشارة إلى أن المدرسة الأرثوذكسية الشرقية
أقرّت ببعض أسفار الترجمة السبعينية اليونانية التي تعتبر أقدم ترجمة لأسفار العهد القديم،
وهذه الترجمة السبعينية تزيد عن الأصل العبري بأسفار أخرى غير معترف بها عند البروتستانت
وتسمى الأسفار الخفية (أبوكريفا)¹ Apocrypha والأسفار التي زادت بها الترجمة السبعينية عن
الأصل العبري هي:

1- سفر طوبيا (Tobias)

2- سفر الحكمة (Wisdom)

3- سفر المكابيين الأول (Mchabees)

4- سفر المكابيين الثاني

5- سفر المكابيين الثالث

6- سفر المكابيين الرابع

7- سفر يهوديت (Judith)

¹ كلمة يونانية قديمة تعني "أشياء تم إخفاؤها" (يُنظر: أبوكريفا/ www.marefa.org)

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

8- سفر الكهنوت أو سفر الحكمة ويسمى إيكليزياسيتكس (Ecclesiasticys) لعيسى بن

سيراخ¹.

9- نشيد الأطفال الثلاثة.

10- سفر سوزان.

11- سفر بل والتنين.

12- أسفار ثلاثة منسوبة إلى عزرا.

13- بعض الزيادات في سفر دانيال².

ويمكن عرض مصادر المدرسة الأرثوذكسية كالآتي:

1- الكتاب المقدس:

يُعرَفُ الكتاب المقدس بأنه "مجموعة الكتب المقدسة لدى المسيحيين³، وهو مجموع الكتب التي أوحى بها الله، وتحتوي على إعلان الله عن نفسه وعن إرادته للجنس البشري وسائر

¹ اشتهر هذا السفر باسم صاحبه سيراخ.

² محمد عبد الله الشرقاوي، بحوث في مقارنة الأديان، دار الفكر العربي، القاهرة، 1423هـ-2002م،

ص ص: 125-126

³ الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، م. س، ص: 15

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الخليقة، وهو سجل حي وخلّاق لعمل الله في التاريخ من أجل خلاص العالم وفداء الجنس
البشري¹.

في هذا الكتاب تسعة وثلاثون سفرًا في العهد القديم، وسبعة وعشرون سفرًا في العهد
الجديد، قبلتها كلها الكنيسة المسيحية بأسرها، وحيًا من روح الله².

ويعتقد أتباع المدرسة الأرثوذكسية أن الكتاب المقدس في صورته الحالية مصدره هو
الوحي الإلهي، ويعتقدون أنه خال من الأخطاء والتناقضات في نصوصه، بل أكثر من ذلك لا
يوجد - حسب نظرهم- دستور غيره، ولذلك نجد أحدهم يقول: "إن أجزاء الكتاب المقدس
كمواد البناء المختلفة التي تُكوّن قصرًا واحدًا، وكالأعضاء والحواس المختلفة التي تُكوّن جسدًا
واحدًا، ووحدة الكتاب تدل على وحدة الكاتب وهو روح القدس"³.

وينقسم الكتاب المقدس إلى قسمين رئيسين، وهما العهد القديم والعهد الجديد:

العهد القديم:

تم استكمال العهد القديم ببطء على ما يزيد على ألف عام، واشترك في كتابته كثيرون
من الكُتّاب الموحى لهم والمحررين والكُتّاب وغيرهم، وفي البداية كانت قصص الخليقة وعصور
اليهودية المبكرة كانت تنتقل شفاهًا، وأخيرًا بعد أن تطورت الأبجدية العبرية، بدأ تسجيل هذه

¹ بسام بنورة، الكتاب المقدس: دراسة موجزة في معرفة وحي وعصمة الكتاب المقدس، منشورات نداء الرجاء،
شتوتغارت (ألمانيا)، ط1: 2003م، ص: 3

² حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، (د.ط) ، ص: 9

³ يسي منصور، عصمة الكتاب المقدس، مطبعة الإسكندرية، مصر، الطبعة الثانية: 1964، ص: 12

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
القصص كتابة وغيرها من القصص، وهذه الكتابات التي تصف تدخّل الله في التاريخ البشري،
رُوجعت وُجمعت وشيئًا فشيئًا أخذت شكلها الموجود بين أيدينا الآن¹.

يشمل كتاب العهد القديم الأسفار الخمسة أو ما يطلق عليه عند اليهود "التوراة"،
والأسفار التاريخية، وكتب الشعر والحكمة، ثم كتب النبوة أو ما يُعبّر عنه بأسفار الأنبياء.

وتجب الإشارة إلى أن المدرسة الأرثوذكسية تعتمد ترتيبًا خاصًا لأسفار العهد القديم،
وعددًا معينًا من الأسفار، يختلف عما هو معمول به عند اليهود وعند المدارس المسيحية
الأخرى كالكاثوليكية والبروتستانتية، مع وجود تقارب نسبي بينها وبين المدرسة الكاثوليكية، إلا
أن المدرسة الأرثوذكسية تزيد عن المدرسة الكاثوليكية بثلاثة أسفار وهي: سفر باروخ والمكابين
الأول والمكابين الثاني².

وتُصنّف هذه الأسفار كلها إلى ثلاثة أقسام وهي: قسم الكتب التاريخية وقسم كتب الشعر
والحكمة وقسم كتب النبوة، ويمكن عرضها على الشكل الآتي:

¹ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم، ترجمة: وليم وهبة، دار الثقافة،
القاهرة، الطبعة الأولى: 2008، ص: 10

² يُنظر: محمد عبد الله الشرقاوي، بحوث في مقارنة الأديان، م. س، ص: 129

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

الكتب التاريخية	كتب الشعر والحكمة	كتب النبوة
التكوين-الخروج- اللاويون- العدد-التثنية-يشوع-القضاة- راعوث-صمويل-الملوك-الأيام- عزرا-نحميا-طوبيا-يهوديت- أستير-المكابيين	أيوب-المزامير-الأمثال-الجامعة- نشيد الإنشاد-الحكمة-سيراخ	إشعيا-إرميا-مراثي إرميا-باروخ- حزقيال-دانيال-هوشع-يوئيل- عموس-عوبديا-يونا-ميخا- ناحوم-حبقوق-صفنيا-حجي- زكريا-ملاخي.

العهد الجديد:

وأسفار العهد الجديد التي تبلغ 27 سفرًا مرتبة في خمسة أقسام مثل العهد القديم، وهي:

1- الإنجيل بأقسامه أو أجزائه الأربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

2- التاريخ: ويشمل كتاب أعمال الرسل الذي يتحدث عن نشأة الكنيسة وانتشارها.

3- رسائل بولس الرسول: وعددها أربع عشرة رسالة.

4- الرسائل العامة: وعددها سبع رسائل.

5- سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي¹.

أ- الأنجيل الأربعة:

1- إنجيل متى:

يقول الكاتب المسيحي حبيب سعيد بخصوص هذا الإنجيل: "كُتبت بشارة متى في مدينة

أنطاكية هذه بيد زعيم من زعماء كنيستها، ولم يذكر لنا التاريخ اسم الكاتب الحقيقي، ولكننا

ندعوه "متى" وهو الاسم الذي عُرف به هذا الإنجيل، ولما كانت أنطاكية مدينة يونانية، كُتِبَ هذا

الإنجيل باللغة اليونانية، ولكنه في الوقت عينه، أكثر بشائر الإنجيل يهودية، وما من شك أن متى

هذا كان يهوديًا².

¹ بسام بنورة، الكتاب المقدس: دراسة موجزة في معرفة وحي وعصمة الكتاب المقدس، م. س، ص: 4

² حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، (د. ط - د. ت)، ص: 243

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وثمة آراء أخرى تقول إن هذا الإنجيل قد كُتب بالعبرية¹، وهناك من رأى أنه كُتب
بالآرامية، كما ذهب إلى ذلك الدكتور علي عبد الواحد وافي حيث أشار في كتابه إلى أن اللغة
الآرامية، كانت مستخدمة في المحادثة والكتابة في ذلك العصر في فلسطين².

ليس هناك اتفاق عام بالنسبة لمن كتب الإنجيل، وما هوزمن كتابته³ لكن هناك من اعتبر
أن متى "كاتب هذا الإنجيل كان يهودي المولد، وكان عشَّاراً⁴، إلى أن دعاه المسيح فترك" مكان
الجباية" لكي يتبعه⁵ ومن يرى أن صدور هذا الإنجيل كان بين سنة 80 و90م⁶ إلا أن النقاد لا
يؤكدون صحة نسبة هذا الإنجيل إلى متى⁷.

¹ يُنظر: وول ديورانت، قصة الحضارة، تقديم: محي الدين صابر، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر
والتوزيع، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (د.ط) ج11، ص: 208، وقال بذلك الشيخ محمد
أبو زهرة في كتابه: محاضرات في النصرانية، ص: 40

² علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة،
القاهرة، الطبعة الأولى: 1384هـ - 1964م، ص: 86

³ جون و. درين، يسوع والأنجيل الأربعة، ترجمة: نكلس نسيم سلامة، دار الثقافة، القاهرة، ط1: 1999، ص: 262
⁴ الذي يجمع الضرائب.

⁵ متى هنري، التفسير الكامل للكتاب المقدس: العهد الجديد، مطبوعات إيجاز، القاهرة، ط1: 2002، الجزء الأول،
ص: 9

⁶ حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، م. س، ص: 244

⁷ هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، جروس برس، طرابلس، لبنان، ط2: 1411هـ - 1991م،

ص: 272

2-إنجيل مرقس:

لا يذكر مرقس اسمه في إنجيله، أما العنوان والتقليد القديم فيقولان إن كاتب الإنجيل الثاني هو مرقس، لم يكن رسولا، ولكنه تبع بطرس الرسول¹ وكتب مرقس إنجيله على أساس ما علمه إيَّاه بطرس، ومع أن هذا قد يبدو مبالغة، فالأرجح أن مرقس استخدم بعضًا مما تعلمه من بطرس في كتابة إنجيله² ويتفق الناقدون الثقة بوجه عام على أسبقية إنجيل مرقس في الزمن على سائر الأناجيل، وفي تحديد تاريخه بين عامي 65 و70م³ ويرى بعض المؤرخين في المسيحية، أن مرقس كتب إنجيله لجماعة المسيحيين في روما، تعويضًا لهم عن صوت بطرس الذي غاب عنهم، خاصة إثر الأحداث العصيبة التي واجهوها من أباطرة الرومان⁴، وعلى الرغم من أن هذا الإنجيل كُتب في روما، إلا أنه كُتب باليونانية، مثل رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية؛ لأن اللغة اليونانية كانت أبرز لغة عالمية في ذلك الحين⁵.

¹ بولس الفغالي، المدخل إلى الكتاب المقدس، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط1: 1994م، ج4،

ص ص: 404 - 405

² ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم، م. س، ص: 72

³ وول ديورانت، قصة الحضارة، ج11، م. س، ص: 208

⁴ حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، م. س، ص ص: 246 - 247

⁵ متى هنري، التفسير الكامل للكتاب المقدس: العهد الجديد، م. س، ص: 301

3-إنجيل لوقا:

نَسَبَ شهود التقليد هذا الإنجيل وأعمال الرسل إلى لوقا الطبيب ورفيق القديس بولس¹ وهو يوناني من المسيحيين الأمميين (ليس من أصل يهودي)²، وطبقًا لما يقوله يوسابيوس، فقد جاء لوقا من أنطاكية في سورية³، وتشير الروايات إلى أن هذا الإنجيل قد كُتِبَ نحو عام 60م⁴ ويُرجَّح أنه كتبه باللغة اليونانية⁵، والإنجيل حسب نص القديس لوقا، وهو النص الذي يُعزى عادة إلى العقد الأخير من القرن الأول، يعلن أنه يرغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح، والتوفيق بينها، وأنه يهدف إلى هداية الكفرة لا اليهود⁶.

4-إنجيل يوحنا:

أثيرت العديد من التساؤلات حول هوية كاتب هذا الإنجيل، وأغلب الدراسات تشكك في نسبته ليوحنا الحواري، بالرغم من ورود إشارة عنه في الإنجيل نفسه بعبارة "التلميذ الذي كان يسوع يحبّه"⁷ وفي نحو 180م، حدّد الكاتب المسيحي إيريناوس بأنه الرسول يوحنا الذي

¹ بولس الفغالي، المدخل إلى الكتاب المقدس، ج4، م. س، ص: 438

² التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، تعريب ونشر: شركة ماستر ميديا، القاهرة، (د.ط)، ص: 2052

³ جون و. درين، يسوع والأنجيل الأربعة، ترجمة: نكلس نسيم سلامة، م. س، ص: 354

⁴ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 2052

⁵ يُنظر: حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، م. س، ص: 251

⁶ وول ديورانت، قصة الحضارة، ج11، م. س، ص: 209

⁷ إنجيل يوحنا 20: 21

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
عاش في أفسس إلى عصر تراجان (الذي أصبح إمبراطورًا لروما في 98م) ، وظلَّ يوحنا يعتبر
كاتب الإنجيل الرابع¹.

يقول متى المسكين: "حسب التقليد المبكر جدًا المُسلَّم للكنيسة، فإن القديس يوحنا²
الرسول كتب إنجيله تحت إلحاح شديد ومتواصل من رجال الكنيسة الذين كانوا يعيشون
ويعملون معه والذين سمعوا منه كل ما كان يعظ ويُعلِّم به بما كان ينقله عن فم الرب"³.

كُتِبَ إنجيل يوحنا حوالي 85 – 90م، بعد خراب أورشليم عام 70م وقبل نفي يوحنا إلى
جزيرة بطمس⁴، وقد حصل تضارب أيضًا حول اللغة التي كُتِبَ بها هذا الإنجيل، "وليس من
المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا ترجمة مباشرة من مستند آرامي، غير أن هذه الحقائق توحى
بالفعل أن التعليم في إنجيل يوحنا له نفس الخلفية الفلسطينية، مثل مادة الأناجيل المتشابهة،
والاستعمال الغريب لقواعد اللغة الآرامية في الكتابة اليونانية قد يُستشف منه أن اللغة
الآرامية كانت لغة الكاتب الأصلية"⁵.

¹ ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم، م. س، ص: 76

² هو يوحنا الرسول ابن زبدي، أخو يعقوب والمدعو "ابن الرعد" (التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص: 2164).

³ متى المسكين، المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا: دراسة وتحليل، دير القديس أنبا مقار، (د.ط)، ص: 52

* تقع جزيرة بطمس الصخرية على مسيرة خمسين ميلا من شواطئ آسيا الصغرى (تركيا الحديثة). (حبيب سعيد،
المدخل إلى الكتاب المقدس، ص: 368).

⁴ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 2164

⁵ جون و. درين، يسوع والأناجيل الأربعة، م. س، ص: 269

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وتميّز هذا الإنجيل عن بقية الأناجيل بتضمنه لإشارات كثيرة عن ألوهية المسيح، إذ يلاحظ
أن أناجيل كل من متى ومرقس ولوقا تحدثت عن "المسيح ابن الإنسان"، في حين يتحدث إنجيل
يوحنا عن "المسيح ابن الله".¹

ب- الرسائل والرؤيا:

1- رسالة أعمال الرسل:

يُنسب هذا السفر للوقا صاحب الإنجيل الثالث، ويعتبر هذا السفر همزة الوصل بين حياة
يسوع المسيح وحياة الكنيسة، أي بين الأناجيل والرسائل، وقد كُتِبَ بين عامي 63 و70م، وهو
خطاب وجّهه لوقا إلى شخص يُدعى ثاوفيلس²، قائلا: "الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن
جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويُعلِّم به".³

2- رسائل بولس:

تعتبر رسائل بولس من المكتوبات ذات التأثير الكبير في كتاب العهد الجديد، إذ تشغل
الحيز الأكبر منه، وهي تتضمن مجموعة من التعاليم التي يعتقد المسيحيون أن بولس تلقاها من
السيد المسيح، وهذه التعاليم تتوزع بين العقائد والعبادات والتشريعات والأخلاق التي تنظم
علاقة المؤمنين مع بعضهم البعض.

¹ يُنظر: متى هنري، التفسير الكامل للكتاب المقدس: العهد الجديد، م. س، ص: 561

² يُنظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 2262

³ سفر أعمال الرسل 1: 1

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

ولبولس رسائل عديدة¹ كتبها ووجَّهها إلى أهل البلاد المجاورة، وتفصيلها في الجدول الآتي

مع ذكر مضامينها وتاريخ تدوينها باختصار²:

اسم الرسالة	مضمونها	تاريخ تدوينها
رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية	كتبها لدحض آراء المتهودين الذين كانوا يُعلِّمون أن المؤمنين من الأمم يجب أن يطيعوا الناموس اليهودي (الشريعة) لكي يخلصوا، ودعوة المسيحيين للإيمان والحرية في المسيح.	يرجع تاريخها إلى حوالي عام 49م.
رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي	كتبها لتثبيت مؤمني تسالونيكي بعد أن تسرَّب إليهم الشك في مجيء المسيح، وعن بعثة الموتى.	ترجع إلى حوالي عام 51م.
رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكي.	بسبب ارتباك أفكار الكثيرين حول قضية مجيء المسيح ثانية.	ترجع إلى حوالي عام 51 أو 52م.

¹ ذكرتها مرتبة حسب تواريخ كتابتها.

² المعطيات التي يتضمنها هذا الجدول منقولة من كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس.

رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس	تحديد المشاكل الموجودة في كنيسة كورنثوس، وتقديم الحلول، وتعليم المؤمنين كيف يعيشون للمسيح في مجتمع فاسد.	ترجع إلى حوالي عام 55م.
رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس.	تأكيد بولس لخدمته والدفاع عن مركزه كرسول، وتقنيده ما كان ينادي به المعلمون الكذبة في كورنثوس.	ترجع إلى حوالي عام 55 - 57م.
رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية	تقديم بولس لنفسه للرومانيين وكذلك تقديم موجز لرسالته قبل أن يصل إلى روما.	ترجع إلى حوالي عام 57م.
رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي	دحض أخطاء في الكنيسة وإظهار أن المؤمنين لديهم كلما يحتاجون إليه المسيح.	ترجع إلى حوالي عام 60م.

رسالة بولس الرسول إلى أفسس	تقوية المؤمنين في أفسس في إيمانهم المسيحي بتوضيح طبيعة الكنيسة جسد المسيح وغرضها.	ترجع إلى حوالي عام 60م.
رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس	وصايا بولس لتلميذه وخليفته في أفسس تيموثاوس بعدم ترك القوم يُعلّمون تعليمًا آخر، ولا ينساقون خلف الخرافات كما يسميها بولس.	ترجع إلى حوالي عام 64م.
رسالة بولس الرسول إلى تيطس	يوجه فيها خطابه إلى تيطس بضرورة التحلي بالكلمة الصادقة، وتنظيم الكنائس وموافقة التعليم المسيحي، ويحذر من مخالفة ذلك.	ترجع إلى حوالي عام 64م.
رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس.	لما دخل بولس إلى السجن، طلب من قادة الكنيسة زيارته في سجنه، وإحضار مکتوباته.	ترجع إلى حوالي عام 66 أو 67م.
الرسالة إلى العبرانيين	بعد أن منع اليهود المتنصرين منهم من دخول الهيكل واضطهدوهم، وخوفًا من شكوك المسيحيين، كتب لهم بولس رسالة يثبت لهم أن العهد القديم كان رمزا للعهد الجديد وتكملة له، وأيضًا ليثبتهم على الإيمان.	ترجع إلى حوالي عام 70م.

3- رسالة يعقوب:

تحمل هذه الرسالة اسم "يعقوب" وقد كان بين الرسل ثلاثة بهذا الاسم: أحدهم يعقوب بن زبدي أخو يوحنا، وهذا قتله هيردوس انتيباس (أعمال الرسل 2: 12، فهو بلا شك ليس كاتب الرسالة، وآخر يعقوب ابن حلفى، وهو بين الأربعة الأخيرين في قائمة الرسل الإثني عشر (أعمال الرسل 13: 1)¹.

ويُرجح أن كاتب هذه الرسالة هو يعقوب، وهو قائد في كنيسة أورشليم، كما يُحتمل أنها كُتبت سنة 49م قبل انعقاد مجمع أورشليم سنة 50م، وتكشف هذه الرسالة الممارسات الفاسدة اللاأخلاقية، وتُعَلِّم السلوك المسيحي القويم، وقد كُتبت للمسيحيين من أصل يهودي في القرن الأول الميلادي، المقيمين في مجتمعات الأمم خارج فلسطين، كما كُتبت بصفة عامة لكل المسيحيين في كل مكان².

4- رسالة بطرس الأولى:

كُتبت رسالة بطرس الأولى لتشجيع المسيحيين الذين كانوا يواجهون اضطهادًا، ربما في أوائل الستينات من القرن الأول الميلادي عندما تزايد عدد المسيحيين وأصبح يُنظر إليهم على

¹ حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، م. س، ص: 357

² يُنظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 2672

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
أنهم مذهب راديكالي بدلا من فرع شرعي من الديانة اليهودية، ويمكن أيضًا أن تكون قد كُتبت
بعد ذلك، بعد أن اتهم نيرون المسيحيين بإحراق روما في 64م¹.

5- رسالة بطرس الثانية:

ارتاب بعضهم في قانونية هذه الرسالة في أول الأمر، ولعل هذا كان مرده إلى الإيجاز في
عباراتها وإلى الظروف التي أحاطت بأصلها²، وتتلخص مضامينها في تحذير المسيحيين من
المعلمين الدجالين، ودعوتهم إلى النمو في الإيمان وفي معرفة المسيح، وكان تاريخ كتابتها نحو
67م³.

6- رسائل يوحنا الثلاث:

تبدو رسائل يوحنا الثلاث القصيرة أنها تعكس زمنًا فيه حُرِمَ المؤمنون بالمسيح من اليهود
من العبادة مع سائر اليهود، وهو قرار أصدرته مجامع عديدة في أواخر القرن الأول، والرسالتان
الأولى والثانية تُرشد المسيحيين إلى كيفية الرد على الهجمات على طبيعتي الرب يسوع الإلهية
والبشرية، وتحذرهم من المعلمين الكذبة. والرسالة الثالثة تُدين أحد القادة في الكنيسة
لخروجه على الحق ومعارضة رعاية الحركة المسيحية⁴.

¹ ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم، م. س، ص: 78

² حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، م. س، ص: 364

³ يُنظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 2706

⁴ ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم، م. س، ص: 79

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

والرسالة الأولى بغير عنوان، ولم تُكتب لكنيسة معينة، لكنها كُتبت كرسالة رعوية للعديد من مجامع وكنائس الأمم، كما كُتبت أيضًا لجميع المؤمنين في كل مكان، ويُرجح أنها كُتبت بين عامي 85 و 90م¹، أما الثانية فأُرسلت إلى أخت نبيلة "كبرية المختارة وأولادها"، وكلمة "مختارة" قد تكون كنية عن الكنيسة في مكان ما، و"أولاد أختك المختارة"²، قد تكون كنية عن المسيحيين في المكان الذي كتب منه يوحنا³ وقد كُتبت في نفس وقت كتابة رسالة يوحنا الأولى تقريبًا، أي حوالي سنة 90م⁴، وأما الثالثة فكُتبت إلى شخص يُدعى "غايوس" كان صديقًا للكاتب⁵ وكان قد تلقى يوحنا أنباء بأن هذا الشخص صادق مخلص في إيمانه، فطلب من الله أن يزيده قوة جسدًا وروحًا⁶.

¹ يُنظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 2716

² رسالة يوحنا الرسول الثانية، العدد 13.

³ حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، م. س، ص: 367

⁴ يُنظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 2734

⁵ حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، م. س، ص: 367

⁶ المرجع نفسه، ص: 368.

7- رسالة يهوذا:

في هذه الرسالة المكونة من 25 آية، يقول الكاتب إنه: "يَهُودَا، عَبْدُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَخُو يَعْقُوبَ"¹، ويقول بعض العلماء إن يهوذا كان أخًا للمسيح²، وقد كُتبت هذه الرسالة إلى المسيحيين من أصل يهودي، وإلى كل المؤمنين في كل مكان، ويُعتقد أنها كُتبت نحو سنة 65م³، وكان الغرض منها هو تذكير الكنيسة بالحاجة إلى الحذر الدائم، لتظل قوية الإيمان، والدفاع عنها ضد الهرطقة⁴.

8- رؤيا يوحنا اللاهوتي:

يقول الكاتب المسيحي حبيب سعيد عن سفر الرؤيا: "وهذا الكتاب هو آخر سفر في كتابنا المقدس، رؤيا أعلنها الله لعبده وهو في تلك الجزيرة"⁵، وقد أراح الله الستار عن عينيه فرأى ما في السماء، وما يزعم أن يصنعه الله على الأرض في الأيام التالية وإلى انقضاء الدهر⁶.

ويكشف هذا السفر عن شخصية المسيح الكاملة، ويقدم تحذيرًا ورجاء للمؤمنين، وقد وجَّه يوحنا هذا السفر للكنائس السبع في آسيا، وإلى كل المؤمنين، ويرجع تاريخ كتابته إلى حوالي 95م¹

¹ رسالة يهوذا 1

² تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم، م. س، ص: 79

³ يُنظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 2742

⁴ يُنظر: المرجع نفسه، ص: 2742

⁵ يقصد جزيرة بطمس.

⁶ حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، م. س، ص: 369

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

-التسليم أو التقليد:

كلمة تسليم في اليونانية كما وردت في العهد الجديد "παράδοσις" وهي لا تؤدي المعنى المفهوم من الترجمة العربية "المحاكاة" أو التقليد، ولكنها تعني ما يُسلم باليد، وهي بالإنجليزية كما بالفرنسية "Tradition" وباللاتيني "Traditio" وهي في اللغة العبرية جاءت "kiblemin" بمعنى "قَبِلَ مِنْ"².

ومفهوم التسليم في اللاهوت الأرثوذكسي يمكن تشبيهه إلى حد ما بنقل الأخبار والروايات من شخص لآخر شفويًا، أي تسليم كل المعلومات وتفاصيل الأحداث التي وقعت في تاريخ الكنيسة المسيحية، وكما يحضر هذا المفهوم في الفكر الديني اليهودي، فكذلك الشأن بالنسبة للفكر الديني المسيحي، وذلك من خلال استعمالهم لكلمة أخرى تحمل نفس المعنى وهي "التقليد"، ولا يفهم منه المحاكاة والتبعية للآخر- كما أسلفت- ولا يعني أخذ كل ما هو قديم ومتجاوز، بل معناه يتعدى ذلك إلى معاني أخرى.

وفي الأصل اليوناني جاءت من الاشتقاق اللغوي عن الفعل اليوناني "παράδιδοναι" أي "يعهد بشيء إلى آخر"، أو ما يُسلم من واحد لآخر يدًا بيد³، ومن هنا يظهر أن التسليم أو التقليد لا يحملان إلا معنى واحدًا وهو العهد والوصية بالشيء، أو نقله للآخر بأمانة.

¹ يُنظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 2748

² جورج حبيب بباوي، المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، 2008، (د.ب.ط)، ص: 86

³ المرجع نفسه، ص: 87

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وقد ورد مصطلح "التسليم" في نصوص العهد الجديد بمعنى التعليم الذي يُسلم، ومن
تلك النصوص قوله: "فأمدحكم أيها الإخوة على أنكم تذكرونني في كل شيء وتحفظون التعاليم
كما سلمتها إليكم"¹.

وإننا نعثر في بعض المراجع المسيحية على أن التقليد يؤدي نفس معنى التسليم وهما
متداخلان إلى حد ما، إذ يمكن اعتبار التقليد على أنه تعليم منقول من الرسل أو آباء الكنيسة
إلى الجيل الذي يليهم، وأن التسليم قناة يمر منها التقليد، وهو ما عبّر عنه الأرثوذكس بقولهم:
"التقليد هو كل تعليم وصل إلينا عن طريق التسليم الرسولي والآبائي، عن الكلام الذي ترك لنا
كتابة في الكتاب المقدس، في موضوعات ربما لم تُذكر في الكتاب، ولكنها لا تتعارض معه في
شيء ما"².

إذن بهذا المصطلح نعني كل ما يخص محتوى إيمان وحياة المسيحية الأرثوذكسية، والذي
سُلم عن طريق "الإله المتأنس"³ المسيح إلى تلاميذه ورسله وبالتتابع نُقل بواسطتهم إلى الكنيسة
بتعاقب مستمر لا ينقطع للأساقفة خلفاء الرسل⁴.

وفيما يخص أقسام التقليد فهي أنواع ثلاثة:

1- تعليم الرب نفسه الذي وصل عن طريق التقليد.

¹ الرسالة إلى كورنثوس، 2: 11

² شنودة الثالث، في الحوار اللاهوتي: اللاهوت المقارن، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، القاهرة، ط2: أبريل
1992، الجزء الأول، ص: 50

³ قد تأسس، أي صار إنساناً، وتجسّد، بالإضافة إلى كونه منذ الأزل، إلهاً سرمدياً، تام اللاهوت والألوهية. (غسان سليم
سالم، محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والإسلام، ص: 236)

⁴ جورج عوض إبراهيم، تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة، الطبعة الأولى: أغسطس 2012م، ص: 24

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

2-التقليد الرسولي الذي هو تعليم الآباء الرسل، وقد وصل إلينا عن طريق التسليم جيل

يسلم جيلاً.

3-التقليد الكنسي الذي قرره مجامع الكنيسة المقدسة في قوانينها ونظمها أو ما وصل

إلينا عن طريق الآباء الكبار معلمي البيعة أو إبطال الإيمان¹.

إن التقليد الكنسي الذي لجأ إليه المفسرون في القرن الثاني، ليس هو مجرد بعض بنود

أساسية للإيمان ولكن هو الإطار الجامع لتعليم الرسل والذي يمثل الكتاب المقدس جزء منه².

كما أن للتقليد شروطاً لا بد من توفرها للحكم بصحته وهي:

1-أنه لا يعارض الكتاب المقدس³.

2-أن لا يكون غير متعارض مع التقاليد الكنسية الأخرى.

3-أن يكون مقبولا من الكنائس⁴.

¹ شنودة الثالث، في الحوار اللاهوتي: اللاهوت المقارن، ج1، م. س، ص ص: 61 - 62

² جورج عوض إبراهيم، تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة، م. س، ص: 53

³ الرسالة إلى غلاطية 1: 8

⁴ في الحوار اللاهوتي: اللاهوت المقارن، ج1، م. س، ص: 63

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

-مصادر أخرى:

أولاً: الفلسفة اليونانية

جاء في قاموس المورد تعريف "الفلسفة philosophy" بأنها حب الحكمة، وهي: البحث عن الحقيقة من طريق التفكير المنطقي لا الملاحظة الواقعية، وهي: العلم الذي ينتظم علوم المنطق والأخلاق والجمال وما وراء الطبيعة ونظرية المعرفة¹.

نستطيع أن نستشف من المعنى الأصلي للفظ "الفلسفة"، عناصر كثيرة من قصتها، فهذا المعنى كان عند اليونانيين "حب الحكمة"، ومن هنا كان الفيلسوف "مُحباً للحكمة"².

ولإعطاء تعريف أدق للمفهوم نقول: "إن الفلسفة تريد شرح الكون والطبيعة، وإنها دراسة المشكلات الأكثر عمومية، لأن المشكلات الأقل عمومية تدرسها العلوم، فالفلسفة إذن هي امتداد للعلوم بمعنى أنها تركز عليها وتتعلق بها"³.

وتُعَدُّ الفلسفة واحدة من أهم مصادر الفكر اللاهوتي، والتي كانت أفكارها ومدارسها المتعددة منتشرة قبل مبعث السيد المسيح وما بعده، ويعترف علماء المسيحية بتأثير هذه الأفكار على نمط التفكير المسيحي، حيث كان لهذه العقائد، والأفكار الصوفية الخفية أثرها في آراء

¹ منير البعلبكي، المورد: قاموس إنكليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون 1989،

ص: 681

² هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، مطبوعات مكتبة مصر، القاهرة، يناير 1969، (د.ط)،

ص: 29

³ جورج بوليتيزر، مبادئ أولية في الفلسفة، ترجمة: فهيمة شرف الدين، دار الفارابي، بيروت، ط 5: 2001، ص 22

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الرسولين بولس ويوحنا وكثير ممن هذا حدوهم من المسيحيين، وفي تشكيل الكثير من العقائد
المسيحية المخالفة لدعوة المسيح الحقيقية¹.

ثانيًا: كتابات آباء الكنيسة

آباء الكنيسة بالمعنى العام هم المعلمون الراسخون في العلم والإيمان، وهم بالمعنى
الخاص أعضاء المجامع المسكونية السبعة الذين بحثوا في بعض أمور العقيدة لمناسبات
خصوصية تتعلق ببداية معينة فنبدوا التعاليم الشاذة وأقروا الرأي القويم².

وفيما بعد أُطلق أيضًا لقب آباء الكنيسة بالمعنى الواسع على كُتّاب كنسيين قدامى،
بحيث يشمل اليوم "علم الآباء" تاريخ الأدب المسيحي القديم، والذين يكتبون هذا التاريخ لا
يستثنون كتابات الهرطقة التي لا بد أحيانًا من الاطلاع عليها لفهم تكوين العقيدة المسيحية
وتاريخ التقليد المسيحي فهما أفضل³.

وتُعَدُّ كتابات آباء الكنيسة من المصادر الأساسية التي خدمت المدرسة اللاهوتية
الأرثوذكسية، حيث نجد العديد من المؤلفات لرواد هذه المدرسة الذين أغنوا التراث المسيحي
الشرقي بأفكارهم، واجتهاداتهم من خلال التجارب التي مرُّوا منها في حياتهم الدينية.

¹ أنمار أحمد محمد، اللاهوت المسيحي نشأته، طبيعته، دار الزمان، دمشق، الطبعة الأولى: 2010م، ص: 127

² أسد رستم، آباء الكنيسة الرسوليون والمناضلون، منشورات النور، (د.ط)، ص: 4

³ تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، وضعه: المطران كيرلس سليم بستر، الأب حنا الفاخوري، الأب جوزيف
العبيسي البولسي، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، طبعة أولى: 2001، ص: 7

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وقد كانت لهؤلاء الآباء الأوائل إسهامات كبيرة في تطور الفكر الديني المسيحي، سواء في من
خلال تفاسيرهم للكتاب المقدس، أو في دفاعهم عن العقيدة الأرثوذكسية، ووقوفهم في وجه تيار
الوثنية، وأيضًا السجلات الدينية التي قاموا بها مع الاتجاه الغنوصي في المسيحية، دون إغفال
دورهم في تقويم الفكر المسيحي.

ثالثًا: قرارات المجامع الكنسية

1- تعريف المجمع:

المجمع من جَمَعَ الشيء عن تفرقه، والمجمع كالجمع: اسم لجماعة الناس، والمجمع اسم
للناس وللوضع الذي يجتمعون فيه¹ والمجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية رسم
الرسول نظامها في حياتهم، إذ عقدوا المجمع الأول في أورشليم سنة 51 ميلادية، برئاسة أسقفها
"يعقوب" الرسول للنظر في مسألة ختان الأمم، ومن ثم نسجت الكنيسة بعد ذلك على
منوالهم².

2- المجامع المسكونية عند الأرثوذكس:

انعقدت في القرون الأولى من تاريخ الكنيسة بعض المجامع المسكونية للبحث في القضايا
اللاهوتية وقد انحصرت هذه المجامع في ثلاثة وهي: مجمع نيقية سنة 325م، ومجمع
القسطنطينية سنة 381م، ومجمع أفسس الأول سنة 431م.

¹ ابن منظور، لسان العرب، المجلد 8، ص: 53، باب العين، فصل الجيم، مادة: جمع.

² زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، مكتبة المحبة، القاهرة، الجزء الأول، (د.ط)، ص: 170

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

والظاهر أن المدرسة الأرثوذكسية شأنها في ذلك شأن المدرسة الكاثوليكية، اعتمدت أيضًا في صياغة العقيدة والقوانين المنظمة للحياة الروحية على قرارات هذه المجامع، باعتبار أن لها سلطة تفوق سلطة الكنائس نفسها، وهذا واضح جدًا من خلال الاطلاع على ما جرى في تاريخ الكنيسة المسيحية الأولى من نقاشات حول المسائل العقائدية، وكذلك من خلال تدخل الإمبراطورية الرومانية في صياغة مجمل العقائد المسيحية الحالية، وإضفاء الشرعية عليها، وفرضها بالسلطة السياسية.

الفرع الرابع: مناهجها

حافظت المدرسة الأرثوذكسية على الإرث الذي خلفه آباء الكنيسة الشرقية، وبما أن مدرستي الإسكندرية وأنطاكية كانتا اللبنة الأولى للفكر اللاهوتي الأرثوذكسي، فإن ذلك يجعلنا نستحضر تلك المناهج التي استخدمها مفسرو الكتاب المقدس المنتمون لهاتين المدرستين، ومن بينها القراءة الحرفية، والتأويل الرمزي أو الباطني، وهما منهجان نقيضان تم اعتمادهما من قبل علماء اللاهوت سواء في مدرسة الإسكندرية أو مدرسة أنطاكية، إضافة إلى ذلك، تم استخدام الفلسفة كأداة في فهم النصوص الدينية، وفي هذا الصدد يقول جورج هارت George Hart: "إننا نعرف كيفية قيام آباء الكنيسة الأوائل، وخاصة القديس كليمنت السكندري وأوريجين، بفرض الفلسفة كشرط لا غنى عنه في تعميق الدراسات المسيحية، القديس كليمنت قد عظم أفلاطون، معلم كل الفلسفة، عندما قال: (من هو أفلاطون إلا موسى يتكلم اليونانية)¹".

¹ جورج هارت، المسيحية عقيدة الإيمان ومعرفة غنوصية تحيي، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1: 2011،

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ولعل أبرز من مثل تيار التأويل الرمزي فيلون الإسكندري، متأثرًا في ذلك بالفلسفة
اليونانية، حيث "كان يهود الإسكندرية يشرحون التوراة شرحًا رمزيًا، على غرار شرح
الفيثاغوريين والأفلاطونيين والرواقيين لقصص الميثولوجيا وعبادات الأسرار"¹.

ولتطبيق هذا المنهج، عمد هؤلاء الشُّراح إلى تأويل بعض النصوص التوراتية، "وكانوا
يؤولون الفصل الأول من سفر التكوين، مثلاً بأن الله خلق عقلاً خالصًا في عالم المثل هو
الإنسان المعقول، ثم صنع على مثال هذا العقل عقلاً أقرب إلى الأرض (هو آدم) ، وأعطاه
الحس (وهي حواء) معونة ضرورية له، فطاوع العقل الحس وانقاد للذة (الممثلة بالحياة التي
وسوست لحواء) فولدت النفس في ذاتها الكبرياء (وهو قابيل) وجميع الشرور، وانتفى منها الخير
(وهو هابيل) وماتت موتًا خلقيًا، وعبور البحر الأحمر يؤول بأنه رمز لخروج النفس من الحياة
الحسية"²، كما أن القديس بولس وهو القدوة في الفكر المسيحي ككل، طَبَّقَ هذا المنهج عندما
قال: "إن سارة هي الكنيسة بينما هاجرهي معبد اليهود"³.

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، طبعة جديدة، ص: 248

² المرجع نفسه، ص: 64

³ المسيحية عقيدة الإيمان ومعرفة غنوصية تحيي، م. س، ص: 63

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

الفرع الخامس: أهدافها ووظائفها

تأسست المدرسة اللاهوتية الأرثوذكسية لخدمة مجموعة من الأهداف من ضمنها:

-الحفاظ على العقيدة الأرثوذكسية التي تعتبر-حسب رواد هذه المدرسة- الأقرب إلى ما جاء عن السيد المسيح وآباء الكنيسة من تعاليم دينية.

-الدفاع عن العقائد التي أفرزتها المجامع المسيحية التي يعترف بها الأرثوذكس، ومن ذلك، قولهم "بأن الروح القدس منبثق من الأب فقط، وأن للمسيح طبيعتين؛ إلهية وإنسانية اتحدتا فيه بلا امتزاج ولا انفصال ومشينة واحدة"¹ عكس العقيدة الكاثوليكية التي ترى أن للمسيح طبيعتين ومشينتين لاهوتية وناسوتية²، وغيرها من المعتقدات التي سيأتي ذكرها لاحقاً.

-التصدي للمعتقدات المخالفة لنصوص الكتاب المقدس، مثل: عصمة البابا، والحبلى بالقديسة مريم من غير دنس³، وتحويل قانون الاعتراف إلى قصاص، وتعويض عادة التغطيس بالرش⁴، ومنح مسحة الميرون⁵ للراشدين فقط، واستبدال الخبز المختمر بالفطير، وتحريم

¹ عادل درويش، الكنيسة أسرارها وطقوسها، م. س، ص: 156

² سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، م. س، ص: 64

³ أي أنها ولدت بلا خطيئة أصلية، وهو خلاف قائم بين الكنيستين الغربية والشرقية، فالأولى ترى أنها ولدت مقدسة ومعصومة من الخطيئة، بينما ترى الثانية أنها وإن كانت أشرف مخلوق إلا أنها ولدت كسائر البشر وما يميزها عن غيرها هو نعمة الروح القدس التي طهرتها (ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج3، م. س، ص: 557) .

⁴ هذه العادة متبعة في التعميد عند المسيحيين الأرثوذكس.

⁵ زيت زيتون معطر بالبلسم (وهو خمر عنب صرف يضاف إليه 35 نوعاً من الطيوب)، يُطبخ ويكرس يوم خميس الأسرار، ويُستعمل عادة لتكريس الأشخاص أو الأشياء، ولاسيما لمنح سري المعمودية والميرون، وسر درجات الكهنوت في بعض الكنائس، وعند الطوائف الشرقية سر من أسرار الكنيسة. (قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، ص: 494) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الزواج على الإكليروس¹، وتأخير سمر مسحة المرضى لقرب الوفاة، وتعميد الجنين وهو في بطن
أمه، ونصب التماثيل في الكنائس عوضاً عن الأيقونات، وتحريم الطلاق على الإطلاق، وحصر
تقديس الميرون وممارسته في الأساقفة وحدهم، وعبادة القديسين، ومنع العامة من امتلاك
الكتب المقدسة. . . إلخ².

ولتنزيل هذه الأهداف، قامت المدرسة الأرثوذكسية القديمة بعقد عدة مجامع كنسية،
تمخضت عنها مجموعة من القرارات الحاسمة، وكانت بمثابة رد على ما تم إقراره من آراء
عقدية اعتمدتها الكنيسة الغربية الكاثوليكية، واعتبرتها الكنيسة الشرقية أحكاماً باطلة، وهذه
المجامع هي المعترف بها من قبل الكنيسة الأرثوذكسية، أشهرها: مجمع خلقيدونية عام 451م،
ومجمع القسطنطينية الرابع عام 869م³.

وبالجملة، يمكن القول إن المدرسة الأرثوذكسية سعت إلى الحفاظ على الطابع الشرقي
للعقيدة المسيحية، وإعادة العقيدة المسيحية إلى طريقها القويم، إذ رأت أن المدرسة
الكاثوليكية قد انحرفت كثيراً عن تعاليم الكتاب المقدس، وأهملت وصايا السيد المسيح.

¹ مصطلح يستخدم لوصف القيادات الدينية الرسمية (يُنظر: الإكليروس/ www.marefa.org)

² لمزيد من التفاصيل حول هذه القضايا العقيدة، يُنظر: ميخائيل مينا، علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية
الأرثوذكسية، ج3، الصفحات من 553 إلى 574.

³ يُراجع في هذا الإطار: محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، م.س، ص: 126 ومحمد أحمد الخطيب، مقارنة
الأديان، دار المسيرة، عمان، ط1: 1428 هـ - 2008م، ص: 297.

المطلب الثاني: المدرسة الكاثوليكية

الفرع الأول: نشأتها وتطورها

إن الحديث عن نشأة المدرسة الكاثوليكية¹ يقود حتماً إلى الحديث عن بداية ظهور الكنيسة الكاثوليكية الأم ككل، لأنه من الطبيعي أن تتشكل نواة المدرسة اللاهوتية داخل بنيان الكنيسة باعتبارها مركزاً للتعليم في البداية، وسلطة دينية تحسم في كل القرارات العقدية للمسيحيين بما في ذلك التعليم الديني، لذلك كان لا بد من تقديم لمحة بسيطة عن نشأة الكنيسة الكاثوليكية.

إن مفهوم "كنيسة"² لم يكن له وجود سابق في حياة المسيح³، وإنما هو مفهوم حديث تمت الإشارة إليه في إنجيل متى⁴. ومع نمو الجماعة المسيحية، أخذ هذا المفهوم يتطور شيئاً فشيئاً، إلى أن تجسدت هذه الفكرة على أرض الواقع في رومية، وكان ذلك على يد بولس الطرسوسي رسول الأميين، خلافاً للرأي الذي ينسب تأسيسها لبطرس المدعو "رسول

1 أصل كلمة كاثوليكي هو اللفظة اليونانية "Katholikos" كاثوليكوس"، وتعني العالمي Universal (سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص: 68) .

2 اسم سرياني معناه "مجمع" أما الكلمة اليونانية المستعملة في العهد الجديد "كليريا" فإنها تعني مجمع المواطنين في بلاد اليونان التي كانت الحكومة تدعوهم للتشريع أو لأمر أخرى. وقد استعمل الكُتّاب والملهمون الكلمة نفسها للدلالة على مجمع المؤمنين الذين يعترفون أن الرب يسوع المسيح هو رأسهم الأعلى الذين كانوا يجتمعون في أوقات منتظمة معينة أو كما تسمح الفرص للعبادة والصلاة (قاموس الكتاب المقدس، ص: 788) .

3 شارل جينيير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: الشيخ عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، ص: 130

4 جاءت الإشارة إلى هذا المفهوم في إنجيل متى 18: 18 بقوله: "أَلْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرَبِّطُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحْلُوتَنَّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ". وقد بُنيت على اعتراف بطرس بأن يسوع هو المسيح (جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج 1، ص: 44) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير الختان¹، حيث نجد أن غالبية الدراسات في تاريخ المسيحية تنسب تأسيس الكنيسة الكاثوليكية إلى بطرس الرسول، حتى أصبحت تُعرف باسمه أي "الكنيسة البطرسية"، وهذا ما يوجد في بعض الكتابات الحديثة التي تشير إلى أن وراثة سر المسيح مرَّ عبر بطرس الرسول، وهو في نظرهم ممثل الكنيسة الكاثوليكية، ومما جاء في هذا الصدد: "وتعتبر الكنيسة الكاثوليكية نفسها الوريث الشرعي الوحيد - عبر سلسلة أسقفية متواصلة تبدأ من بطرس الرسول تلميذ ووصي وخليفة السيد المسيح، وتستمر عبر خلفائه من الآباء (الباباوات) بلا انقطاع إلى يومنا هذا، - للتفويض والسلطان اللذين منحهما يسوع المسيح للرسول الإثني عشر²، ودليلهم في هذا ما جاء في نصوص العهد الجديد من إشارات³.

أما مفهوم "كاثوليكية"، فقد استخدمت هذه الكلمة لأول مرة من قِبَل القديس أغناطيوس الأنطاكي في رسالته إلى السِّميرانيين smyrnaeans سنة 110م، ثم استخدمها اللاهوتي الإغريقي كليمنت الإسكندراني (150م - 215م) الذي يعد أحد الآباء العظام اليونانيين للكنيسة الكاثوليكية⁴.

هذا باختصار ما يتعلق بتسمية "الكنيسة الكاثوليكية"، أما بالنسبة لمفهوم "المدرسة اللاهوتية"، فيمكن دراسته من جانبيين: الجانب الأول يتعلق بجذوره، ويتجلى ذلك، من خلال سيرة المسيح وأيضًا ما ورد في نصوص الكتاب المقدس.

¹ يُنظر: الأنبا يوانس، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، ط3: مايو 1987م، القاهرة، ص: 163 - 165 وما بعدهما بتصرف، وشارل جينيير، المسيحية نشأتها وتطورها، ص: 132 - 133 والكنيسة الجامعة الكاثوليكية، تأليف: أحد الكاثوليكين، طُبِعَ بأورشليم في دير الآباء الفرنسيين سنة 1888، ص: 64.

² سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، م. س، ص: 69

³ إنجيل لوقا 10: 1-20

⁴ الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، م. س، ص: 68

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وأما الجانب الثاني فيتعلق بتحول مفهوم "التعليم المسيحي" الذي تطور شيئاً فشيئاً
ليأخذ أخيراً طابع الفلسفة المدرسية أو ما يعبرون عنه بالإسكولائية، والتي ظهرت بشكل فعلي
تقريباً بداية من القرن الثاني عشر الميلادي وامتدت حتى القرن السابع عشر.

ففي ما يخص جذور هذا المفهوم، نجد أن المسيح عيسى-كما تروي الأناجيل- كان معلماً
يطوف في قرى الجليل، ويبشر ببشارة الملكوت¹ وكان يعلم بالأمثال² كما كان يذهب إلى المجمع
ليعلم³، هذا فضلاً عن الأقوال الماثورة عن السيد المسيح، من خلال دعوة تلاميذه للقيام
بمهمة التعليم والوعظ، "فلقد كانت وصية الرب لرسله قبيل صعوده، أن يذهبوا ويتلمذوا
جميع الأمم، ويعمّدوهم ويعلموهم أن يحفظوا جميع ما يوصي به⁴، وقبل أن يأمرهم بالذهاب
والتعليم، أعطاهم سلطاناً، هذا السلطان هو سلطان التعليم، ليس لكل إنسان أن يُعلّم، بل
للذين أعطى لهم⁵".

وبالعودة إلى تاريخ المسيحية، يُلاحظ أن التعليم الديني كان حاضراً بقوة آنذاك،
فالمسيحية المبكرة شهدت نشاطاً تعليمياً لاهوتياً تَمَثَّل في خروج تلاميذ ورسول المسيح للقيام
بمهمة التعليم والتبشير في البلاد المجاورة لفلسطين، مع ما كان يواجههم من تحديات متمثلة
في حملة الاضطهاد الرومانية.

¹ إنجيل متى 24: 4

² إنجيل متى 25: 4

³ إنجيل لوقا 6: 6

⁴ إنجيل متى 28: 18 - 20

⁵ الأنبا يوانس، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، م. س، ص: 244

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وأما الجانب الثاني فيرتبط بتطور مفهوم التعليم المسيحي، ليصل بعد ذلك إلى مرحلة الفلسفة المدرسية حيث اختلطت الفلسفة اليونانية بالعقيدة المسيحية، واعتبرت الفلسفة آنذاك خادمة للاهوت، فتشكلت على إثر ذلك عدة مدارس لاهوتية عُنت بالدفاع عن الدين المسيحي، وتعليم المسيحيين مبادئ العقيدة، منها على سبيل المثال مدرستا الإسكندرية وأنطاكية، ومدرسة يوستينوس في روما. كما تذكر الروايات التاريخية أن هناك مدرسة لاهوتية كان بولس يعلم فيها مبادئ المسيحية، "ولدينا إشارة عن ذلك أوردها القديس لوقا في سفر الأعمال، فقد ذكر أن القديس بولس في مدينة أفسس كان يُعَلِّمُ يومياً في مدرسة إنسان اسمه تيرانس¹، واستمر على ذلك مدة سنتين، ليس ما يمنع أن يكون القديس بولس قد جعل من هذه المدرسة مركزاً للتعليم إلى جانب التبشير والوعظ"².

وفي بحر التعاليم التي تحتوي عليها شهادة الإيمان، تحتل القرارات المتعلقة بالتعليم مكاناً خاصاً، فقد تظهر في حياة المؤمن الفرد أو في مسلك الجماعة وفهمها، أو في نطاق الكنيسة الإقليمية أو الجامعة أحوال شاذة وعوامل تهدد الإيمان³، ومن هنا كان على المعلمين أن يعرفوا الضوابط والتوجيهات التي سطرها آباء الكنيسة، وذلك للحفاظ على أسس الإيمان المسيحي، وهذا ما نجده منصوصاً عليه في تعاليم الكنيسة الكاثوليكية، ومن ضمن التوجيهات

¹ اسم لاتيني معناه "حاكم مطلق" أو "طاغية" أو "جبار"، وهو رجل من أفسس يرّجح أنه كان مُعلِّماً للفلسفة أو الخطابة أو ربما كاتباً يهودياً ويعلم القانون في مدرسته. (عن موقع: https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/03_T/T_108.html) (تاريخ الزيارة: 2019-07-19)

² المرجع نفسه، ص: 406

³ دنتسنغر وهونرمان، الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، ترجمة: المطران يوحنا منصور والأب حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط1: 2001م، ج1، ص: 9

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
في هذا الباب قولهم: "لا بد للتعليم الديني من أن يُقَدِّم بأمانة وبطريقة عضوية تعليم الكتاب
المقدس وتقليد الكنيسة الحي، والسلطة التعليمية الأصلية، وكذلك التراث الروحي الذي خلّفه
آباء الكنيسة وقديسوها وقديساتها، وذلك لكي يُتاح فهم أسس المسيحية فهمًا أفضل وإنعاش
الإيمان عند شعب الله، ولا بد لهذا التعليم من أن يأخذ بعين الاعتبار تصريحات العقيدة التي
أوحى بها الروح القدس إلى الكنيسة على مرّ الأيام"¹.

وبناء على ما سبق، يمكن القول إن التعليم اللاهوتي الكاثوليكي قطع أشواطًا طويلة،
بدءًا من فترة المسيح وتلاميذه، وانتشارهم في مختلف المناطق المجاورة للوعظ والتبشير، مرورًا
بالتحديات الكبرى التي واجهتها المسيحية خاصة حملة الاضطهاد الرومانية، ووصولًا إلى
العصور الوسطى مع ظهور الفلسفة المدرسية التي ساهمت في تفسير حقائق الإيمان المسيحي،
ومحاولة فك رموز نصوص الكتاب المقدس بشكل عقلائي.

¹ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، طباعة الكنيسة الكلدانية في بريطانيا، لندن 2012 ، الجزء الأول، ص: 10

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

الفرع الثاني: مصادرها وأدبياتها

تعتمد المدرسة اللاهوتية الكاثوليكية في مصادرها على الكتاب المقدس مع زيادة سبعة أسفار كاملة، وهذه الأسفار يعتبرها البروتستانت غير قانونية، ويمكن عرض الأسفار المقدسة عند الكاثوليك على الشكل الآتي:

1- أسفار العهد القديم:

سفر التكوين-سفر الخروج-سفر الأحبار-سفر العدد-سفر تثنية الاشتراع-سفر يشوع-سفر القضاة-سفر راعوت-الملوك (أربعة أسفار) -الأخبار (سفران) - 150 مزمورًا-سليمان (ثلاثة أسفار) -سفر الأمثال-سفر الجامعة-سفر نشيد الإنشاد-سفر الحكمة-سفر يشوع بن سيراخ.
ثم تسلسل الأنبياء: سفر إشعيا-سفر إرميا-سفر المراثي-سفر حزقيال-سفر دانيال-سفر هوشع-سفر عاموس-سفر ميخا-سفر يوثيل-سفر عوبديا-سفر يونا-سفر ناحوم-سفر حبقوق-سفر صفنيا-سفر حجاي-سفر زكريا-سفر ملاخي.
ثم تسلسل التواريخ: سفر أيوب-سفر طوبيا-عزرا (سفران) -سفر أستير-سفر يهوديت-المكابين (سفران)¹.

2- أسفار العهد الجديد:

إنجيل متى-إنجيل مرقس-إنجيل لوقا-إنجيل يوحنا-أعمال الرسل-رسائل بولس (14 رسالة) وهي على النحو التالي: واحدة إلى الرومانيين-إثنتان إلى الكورنثيين-واحدة إلى الأفسسيين-إثنتان إلى التسالونيكين-واحدة إلى الغلاطيين-واحدة إلى الفليبيين-واحدة إلى

¹دنتسغر وهونرمان، الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، م. س، ص: 62

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير الكولوسيين-اثنان إلى ثيموتاوس-واحدة إلى تيطس-واحدة إلى فيليمون-واحدة إلى العبرانيين- سفر واحد من رؤيا القديس يوحنا-سفر واحد من أعمال الرسل.

الرسائل القانونية السبع: رسالتان للرسول بطرس-رسالة للرسول يعقوب-رسالة للرسول يوحنا-رسالتان ليوحنا الآخر الكاهن-رسالة للرسول يهوذا الغيور¹.

كما تعتمد المدرسة الكاثوليكية على ما يسمى بالتقليد الرسولي، ويُقصد به الكلام الذي نقله الرسل عن السيد المسيح²، والكراسة الرسولية التي تنقسم بدورها إلى قسمين: شفويًا أي كل ما جاء على لسان الرسل مما نقلوه عن المسيح، وما تسلموه من كلام سمعوه عنه، ويدخل فيها أيضًا ما تلقنوه من إحياءات الروح القدس وكتابة، أي كل ما دَوَّنوه من بشارة الخلاص بإلهام الروح القدس أيضًا³.

وهناك مصادر أخرى لها أهمية كبرى عند الكاثوليك ومنها: قرارات المجامع وكتابات آباء الكنيسة.

¹ المرجع نفسه، ص: 62 – 63

² التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، م. س، ص: 18

³ المرجع نفسه، ص: 18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

3-قرارات المجامع عند الكاثوليك:

تعترف المدرسة الكاثوليكية بقرارات المجامع المسكونية¹ التي انعقدت للفصل في مجموعة من القضايا العقيدة، لكن وجبت الإشارة إلى أن الكاثوليك لا يعترفون بمجمع أفسس الثاني الذي قرر فيه بطريرك الإسكندرية وأتباعه أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيه اللاهوت والناسوت².

ومن بين أهم المجامع التي يعترف الكاثوليك بقرارتها:

-مجمع نيقية المنعقد في 19 حزيران (يونيو) سنة 325م، وقد تمت فيه صياغة قانون الإيمان النيقاوي³ وتبني عقيدة التثليث.

-مجمع القسطنطينية الأول(المجمع المسكوني الثاني) المنعقد سنة 381م، وقد تمت فيه صياغة قانون الإيمان القسطنطيني⁴ ويعتبر هذا المجمع امتدادًا لمجمع نيقية، وفيه تم تبني ألوهية الروح القدس.

¹ أي التي تضم مندوبي المسكونة (العالم المسيحي)، نسبة إلى الأرض المسكونة، وتسمى المجامع العامة الشاملة لكل الكنائس والطوائف والمذاهب (هامش كتاب: عصر المجامع، تأليف: كيرلس الأنطوني، ص: 23 ومحمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص: 287) .

² انعقد مجمع أفسس الثاني سنة 449م وتُطلق عليه الكنيسة الكاثوليكية مجمع اللصوص، لاعتراض الكاثوليك على مقرراته، وقد أعقبه انعقاد مجمع خلقيدونية سنة 451م الذي تقرر فيه أن للمسيح طبيعتين: إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية. (القس حنا الخصري، تاريخ الفكر المسيحي، ج3، ص ص: 231 – 233 ومحمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، م. س، ص: 168 وما بعدها) .

³ يُنظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، م. س، ص: 44

⁴ المرجع نفسه، ص ص: 57 - 58

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
-مجمع روما المنعقد سنة 382م، وجاء للرد على القائلين بأن الروح القدس منبثق من
الابن¹.

-مجمع أفسس المنعقد سنة 431م، "عُقد مجمع أفسس في شهر حزيران سنة 431م في
مدينة أفسس وترأسه القديس كيرلس، افتتحت الجلسة الأولى قبل وصول يوحنا رئيس أساقفة
أنطاكية ومجموع الأساقفة السوريين، ورشق المجتمعون نسطوريوس بالحرم، وأقروا أن مريم
الغذراء والدة الإله²".

-مجمع خلقيدونية سنة 451م، بدأ المجمع أعماله ليس في أول سبتمبر (أيلول) وهو التاريخ
الذي ظهر على الدعوة، بل في يوم 8 أكتوبر (تشرين الأول) سنة 451م في مدينة خلقيدونية³ بدلا
من نيقية، أما عدد الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع فقد فاق كل المجامع التي اجتمعت في
تاريخ المسيحية حتى ذلك الوقت، ولقد تضاربت الآراء حول عدد الأساقفة الذين اشتركوا في
هذا المجمع، على أن الأغلبية الساحقة من العلماء تعتقد أن عدد الآباء الذين حضروا مجمع
خلقيدونية يتراوح بين 550 و630 أسقفًا⁴ وجاء انعقاد هذا المجمع للرد على قرارات مجمع
أفسس الثاني المنعقد سنة 449م، والذي تقرر فيه أن السيد المسيح بعد تجسده أصبح له

¹ الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، ص: 58

² المطران ميشيل يتيم والأرشمندريت أغناطيوس ديك، تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية،
منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط4: 1999م، ص: 97

³ هي إحدى مدن آسيا الصغرى القديمة، بُنيت في نهاية الجبل السابع قبل الميلاد (حوالي عام 685 ق.م) على ساحل
بثينية تجاه الموضع الذي بُنيت فيه بعدئذ مدينة القسطنطينية (عصر المجامع، تأليف: كيرلس الأنطوني، ص: 327) .

⁴ القس حنا الخصري، تاريخ الفكر المسيحي، دار الثقافة، القاهرة، ط1: 1991م، ج3، ص: 251 - 252

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
طبيعة واحدة، بمعنى اتحاد اللاهوت مع الناسوت، وتم تبني عقيدة جديدة مضمونها أن السيد
المسيح بعد تجسده صار له طبيعتين ومشئتين¹.

-المجمع المسمى بالمجمع الثاني عشر، وقد عقد في روما في سنة 1215م، وفيه قرروا أن
الكنيسة الكاثوليكية تملك حق الغفران، تمنحه لمن تريد وتمنعه عمن تشاء، وأن الخبز والخمر
فيما يسمونه العشاء الرباني يتحولان إلى جسد ودم المسيح عليه السلام².

- مجمع روما بين عامي 1869م و1870م، ويُعرف عندهم بالمجمع العشرين أو المجمع
الفاتيكانى الأول، وفيه اتُخذ قرار إثبات العصمة للبابا أي أنه لا يمكن أن ينطق بخطأ أو تزل
قدمه في شيء من أمور الدين والأخلاق³.

-المجمع الفاتيكانى الثاني المنعقد بالفاتيكان في 11 أكتوبر ما بين 1962 و1965م، "صدر
عن المجمع الفاتيكانى هذا ست عشرة وثيقة كانت الغاية منها تجديد سائر مظاهر الإيمان
المسيحي وممارساته، ومن أهم تعاليم المجمع:

1-مكانة الكتاب المقدس المميزة في إيمان الكنيسة.

2-كهنوت جميع المسيحيين.

3-الالتزام بمتابعة العمل في سبيل الوحدة المسيحية.

¹ يُنظر: القمص زكريا بطرس، تاريخ انشقاق الكنائس، (د. ط) ، ص: 11

² محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، م. س، ص: 136 وعبد الرزاق بن عبد المجيد أأارو، مصادر
النصرانية دراسة ونقدًا، دار التوحيد للنشر، الرياض، ط1: 1428 هـ- 2007م، ج1، ص: 829

³مصادر النصرانية دراسة ونقدًا، م. س، ص: 829

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

4- الالتزام الفعال بالنضال من أجل العدالة والسلام وحقوق الإنسان.

5- إقامة شعائر العبادة باللغات المحلية.

6- خلاص الله لأتباع سائر الديانات¹.

هذه باختصار ما يتعلق بأهم المجامع التي حظيت باعتراف المدرسة الكاثوليكية، ولا شك أنها تعد من مصادرها الأساسية، خاصة أن هناك مجموعة من القضايا الإيمانية التي تتبناها هذه المدرسة ليس لها سند واضح في الكتاب المقدس سواء في العهد القديم أو العهد الجديد، وإنما هي مستمدة من قرارات هذه المجامع.

4- كتابات آباء الكنيسة:

وهي مجموع الكتابات التي كتبها تلاميذ الرسل (آباء الكنيسة)، وتكتسي أهمية كبرى من الجانب التاريخي، فهي كتابات قديمة تسجل تاريخ الكنيسة المسيحية، وتشمل:

- تعليم الرسل الإثني عشر: ويعرف في الأوساط العلمية باسم Didaché وهي كلمة يونانية تعني (التعليم)، واسم الكتاب بالكامل (تعليم الرب للأمم بواسطة الرسل الإثني عشر)، وإن كان من المقطوع به أن الرسل لم يكتبوه، لكنه من ناحية أخرى هو تجميع لتعليمهم².

ومن ضمن الرسائل التي خلفها الآباء الرسوليون:

¹ الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، نقله عن الإنكليزية: الأب كميل حشيمه اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط2: 1995م ص: 100

² الأنبا يوانس، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، م. س، ص: 402

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير رسالة كليمنضس الروماني¹ ورسائل أغناطيوس الأنطاكي² وهي سبع رسائل، ورسالة بوليكاربوس³ إلى أهل فيليبي، ورسالة برنابا، وكتاب الراعي لهرماس، ثم الرؤى والوصايا والأمثال⁴.

هذه إذن مصادر المدرسة اللاهوتية الكاثوليكية، وقد يضاف إليها بعض الكتابات المتأخرة كأعمال القديس توما الأكويني الموسومة بـ"الخلاصة اللاهوتية"، وأعمال القديس أوغسطين، ومن ذلك كتاب "مدينة الله"، وكتاب "الاعترافات" وغيرها من الأدبيات الكاثوليكية اللاحقة. ولا ريب أن هذه المصادر والأدبيات المشار إليها سابقاً، قد خضعت لمناهج مختلفة بهدف تحليل نصوصها، واستنباط العقائد والأحكام الدينية منها، فما طبيعة هذه المناهج التي اعتمدتها المدرسة اللاهوتية الكاثوليكية؟

الفرع الثالث: مناهجها

عند تتبع القراءات الكاثوليكية للكتاب المقدس، وما تمخض عنها من تفاسير وخلاصات لاهوتية، يظهر أنها خضعت لعدة مناهج، من بينها، المنهج الاستقرائي الذي يقوم على القراءة

¹ أسقف رومية وتوجد رسالتان إلى الكورنثيين باسمه مكتوبتان باليونانية، ويظن غالباً أن الواحدة منهما صحيحة والثانية زورها باسمه وكتب أيضاً القوانين الرسولية (يوحنا لورنس فان موسهيم، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة في ست كتب، ص: 34) .

² وُلد في سنة 35 ميلادي في أنطاكية، ويُحتمل أنه من أصل سوري يوناني، ويُقال إنه قِيلَ الإيمان على يد الرسل مباشرة في أثناء إقامة بعضهم في أنطاكية، ونُصّب أسقفًا لكنيسة أنطاكية سنة 69 أو 70 ميلادي، واتخذ لنفسه لقب (ثيوفوروس) يعني حامل الإله تيمناً وتبركاً. (علي الشيخ، لاهوت المسيح بين المسيحية والإسلام، ص: 130)

³ أسقف إزمير، استشهد في أواسط القرن الثاني والرسالة المكتوبة للفلبينيين المنسوبة له، فالبعض يحكمون بصحتها والبعض يقولون إنها مزورة (تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة في ست كتب، م. س، ص: 34) .

⁴ الأنبا يوانس، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، م. س، ص: 403 – 405

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الظاهرية للنصوص، ومنها المنهج الاستنباطي الذي يعتمد على استنباط المعاني من النصوص،
كما يغلب على القراءات الكاثوليكية للكتاب المقدس طابع الرمزية، لأن علماء ومفسري الكتاب
المقدس كانوا - أثناء عملية استنباط المعاني اللاهوتية- يعملون على تأويل النصوص وقراءتها
بشكل رمزي أو إيحائي، وهذا يتضح في قراءتهم للعديد من نصوص العهد القديم، ومحاولتهم
تفسيرها بصورة تتماشى مع عقائد العهد الجديد.

ويعتبر بولس الرسول صاحب هذا المنهج الذي تأثرت به المدرسة الكاثوليكية، حيث نجد
كتابات ملينة بالاتجاه الصوفي الرمزي، وكل رسائله التي كتبها إلى الأمم الأخرى كانت تحمل في
طياتها إشارات باطنية.

وهناك أداة أخرى وظفتها المدرسة اللاهوتية الكاثوليكية، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من
مناهجها، ويتعلق الأمر بالفلسفة اليونانية، حيث نجد أن القراءات الفلسفية لنصوص الكتاب
المقدس ظلت حاضرة بقوة في التعليم اللاهوتي الكاثوليكي، ولعل ظهور الحركة المدرسية أو ما
يُعرف بالسكولائية، كان له أثر كبير في استخدام الفلسفة لفهم مضامين الكتاب المقدس، فتم
مزج الفلسفة باللاهوت، وهكذا أصبحت القراءات الكاثوليكية للكتاب المقدس خاضعة لهذا
المنهج، فضلاً عن الكتابات المتأخرة خاصة مؤلفات القديسين توما الأكويني وأوغسطين، حيث
لا تكاد تخلو من المعاني الفلسفية.

الفرع الرابع: أهدافها ووظائفها

حينما يُطلق مفهوم المدرسة اللاهوتية، فإن ذلك لا يعني فصله عن الإطار الكبير الذي هو
الكنيسة الكاثوليكية، باعتبارها المركز الذي تنبثق منه التعاليم الدينية المسيحية.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وفي هذا الإطار، وبعد استقراء مجمل المصادر الكاثوليكية، يمكن القول إن المدرسة اللاهوتية الكاثوليكية سعت بالدرجة الأولى، إلى الحفاظ على الإرث المسيحي البطرسي¹، وتعليم المسيحيين مبادئ الكتاب المقدس والإيمان، تقول الوثائق الكاثوليكية "هدف هذا التعليم أن يُقدّم عرضاً ومُركباً لمضامين العقيدة الكاثوليكية الجوهرية والأساسية في مادتي الإيمان والأخلاق"²، وقد استأثرت تعاليم بولس بالأهمية الكبرى ضمن اللاهوت الكاثوليكي، حيث كانت رسائله بمثابة بوصلة توجه سير الجماعة المسيحية، وتضبط فكرهم وتصوراتهم عن الإله والكون وماهية العلاقة بينهما، ناهيك عن شرح أسرار الكنيسة السبعة التي تشمل: المعمودية أو التعميد، التثبيت، القربان المقدس، التوبة، المسحة الأخيرة، الكهنوت، الزواج.

وبعد أن أسست قواعدها على منطق أرسطو، توجهت المدرسة اللاهوتية الكاثوليكية نحو إضفاء طابع العقلانية على العقيدة المسيحية، وإظهار التوافق بين الفلسفة واللاهوت.

ويمكن إجمال وظائف المدرسة اللاهوتية الكاثوليكية في "مساعدة المؤمنين (المسيحيين) على التحلي بالفضائل، عن طريق الوعظ والعبادة، ومعرفة التعاليم المسيحية، وإرشاد المسيحيين إلى الله"³، كما تقوم المدرسة اللاهوتية كذلك، بمهمة الدفاع عن المعتقد الكاثوليكي ضد ما يسمونه الهرطقات (البدع)، والسعي إلى تثبيت العقيدة في قلوب الأتباع، وذلك من خلال شرح معاني الكتاب المقدس، وتفسيرها داخل إطار السلطة البابوية.

¹ نسبة إلى بطرس الذي تعتبره الكنيسة الكاثوليكية خليفة السيد المسيح، وممثله على الأرض.

² التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، م. س، ص: 4

³ سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، م. س، ص: 77

المطلب الثالث: المدرسة البروتستانتية

الفرع الأول: نشأتها وتطورها

عاشت أوروبا الغربية طيلة قرون من الزمن في ظل الهيمنة الكاثوليكية التي بسطت نفوذها على المشهد الديني في الغرب المسيحي، وقد تميزت تلك الحقبة بتجاوزات وانحرافات الباباوات وقساوسة الكنيسة الكاثوليكية، إضافة إلى تقييدهم للعقل، وحيلولتهم دون الحرية الفكرية والإبداع عند الإنسان الغربي، وقد تجلى ذلك في مناهضتهم لكل الأفكار والنظريات العلمية التي تخالف مزاج الكنيسة، ناهيك عن الابتزاز المالي الذي مارسوه على أتباعهم من خلال فرض صكوك الغفران، وغيرها من مظاهر الشطط والانحراف الأخلاقي.

لقد كان لهذه الانتهاكات الصارخة للكاتوليك رد فعل قوي، تمثل في ظهور ثورة مضادة في ألمانيا تزعمها المصلح الألماني مارتن لوثر¹ Martin Luther (1483 – 1546) ، وذلك في القرن السادس عشر الميلادي، وأعقب ذلك ظهور مصلحين آخرين أمثال: أولريخ زوينجلي² Huldreich Zwingli (1484- 1531) ، وجون كالفن¹ John calvin (1509 – 1564) ،

¹مصلح ديني ألماني ومؤسس البروتستانتية، ولد في آيسلين في 10 تشرين الثاني 1483، ومات في هذه المدينة نفسها في 18 شباط 1546 وقد حصل لوثر على قسط وافر من التعليم العالي، فإلى جانب دراسته للقانون، درس البلاغة والفلسفة واللاهوت والموسيقى، وحصل على درجة الدكتوراه في العلوم اللاهوتية من جامعة وتنبيرغ بألمانيا عام 1512، وكانت معرفته في الكتاب المقدس واسعة، وله مؤلفات لاهوتية وتفسيرات قيّمة عديدة. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص: 587 ومارتن لوثر، أصول التعليم المسيحي، ص: 5) .

² مصلح بروتستانت سويسري، وُلد في 1 كانون الثاني 1484 في فلهاوز، وقُتل في 11 تشرين الأول 1531 في معركة كابل. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص: 343) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير وغيرهم، وقد أطلق على هذه الحركة اسم "البروتستانت The protestants" وتعني المحتجين أي المعارضين على مظاهر الفساد في الكنيسة الكاثوليكية، ولعل من أبرز صور هذا الفساد "استبداد باباوات الكاثوليك بالسلطة الدينية، واحتكارهم لفهم وتفسير الكتاب المقدس، وتوزيع صكوك الغفران، ومحاكمة العلماء والمفكرين الأحرار، واستغلال سذاجة الشعب بالخوارق الكاذبة عن القديسين... إلخ"².

غير أن هناك من يرى بأن الحركة البروتستانتية سبقتها حركات إصلاح أخرى، وذلك منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وأوائل القرن السادس عشر الميلادي، إلا أنها لم تحظ بالشهرة التي حظيت بها حركة الإصلاح البروتستانتي³.

ولم تلبث أن انتشرت فكرة الإصلاح الديني للبروتستانت في معظم أرجاء أوروبا الغربية، حيث انطلقت من ألمانيا، وانتقلت إلى سويسرا وفرنسا ثم إيطاليا، وهكذا توسعت حركة الإصلاح البروتستانتية لتشمل مختلف البلدان الأوروبية، كما أن المدرسة البروتستانتية الأم انبثقت منها عدة مدارس جديدة، وهذه المدارس اتخذت أسماء خاصة بها، فنجد المدرسة

¹ مصلح فرنسي (1509-1564م)، نشر في فرنسا وسويسرا مذهباً حمل اسمه، أنشأ في جنيف حكومة ثيوقراطية، له كتاب "الأسس المسيحية" جعل منه أكبر لاهوتي عرفه الإصلاح. (قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، ص: 414).

² إنعام بنت محمد عقيل، طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها: دراسة مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، جدة، الطبعة الأولى: 1435هـ - 2013م، ص: 65 - 66

³ المرجع نفسه، ص: 56 وما بعدها

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
المسيحية¹Presbyterianism وتسمى كذلك المصلحة، والمدرسة التطهيرية²Puritanism،
والمدرسة المعمدانية³Baptism، والمدرسة المنهجية⁴Methodism.

وعموماً، بعد البحث عن دوافع نشأة وتطور المدرسة البروتستانتية، نجد على أنها لا تخرج
عن إطار رد الفعل تجاه أشكال الفساد والانحراف الديني عند الكاثوليك، فالبروتستانت جاءوا
بمشروع للإصلاح الديني، هذا المشروع الذي تميز بالتححرر والتجديد في العقيدة المسيحية،
ومحاولة إحداث تغيير جذري في السلطة الدينية.

ولمعرفة ملامح المشروع البروتستانت، لابد من إلقاء نظرة موجزة على أهم المصادر
والأدبيات التي اعتمدت عليها المدرسة اللاهوتية البروتستانتية، خاصة أن الأفكار التي جاء بها
مارتن لوثر Martin Luther والتي اتجهت نحو إصلاح العقيدة المسيحية، ونقد ممارسات رجال
الدين الكاثوليك، لم تخرج عن هذا الإطار.

¹ صفة لمسمى بروتستانت منظم بحسب النظام المشيخي وتدل هذه الصفة أيضاً على البروتستانتية الكلفانية في عدد من
البلدان، في اسكتلنده مثلاً، حيث الكنيسة مشيخية. (قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، ص: 470 – 471).

² كانت جماعة "الكاثريين" ومعناها الأطهار إحدى أقدم الفرق الداعية إلى تطهير الكنيسة في القرن الثاني عشر،
وكانوا يُعرفون بـ "الألبيجينيين" Albigeness وهي اسم المنطقة الفرنسية التي كانوا يعيشون فيها (جون لوريير،
تاريخ الكنيسة، ج4، ص: 42).

³ جماعة لا تقبل للمعمودية إلا البالغين الذين لهم خبرة شخصية في الحياة المسيحية، انفصلت عن كنيسة إنكلترا في
مطلع القرن السابع عشر. (قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، ص: 474).

⁴ أسسها جون ويسلي John Wesley وأخيه شارلز Charles وكلمة ميثوديست Methodist معناها المنهجيين،
نظراً للتدقيق الشديد والصارم في النظام الذي التزم به كلا من الأخوين وخاصة في دراسة الكتاب المقدس. (ماهر عبد
الله يونان، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ص: 197).

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

الفرع الثاني: مصادرها وأدبياتها

تعتمد المدرسة البروتستانتية في استنباط الأحكام الاعتقادية والسلوكية على الكتاب المقدس بشكل أساسي، ولا تعترف بما سوى ذلك من الأسفار التي تعتمد عليها المدرستان الكاثوليكية والأرثوذكسية، ومعنى هذا أن الكتاب المقدس له سلطة عليا عند البروتستانت، وهو في نظرهم المصدر الوحيد الذي تنبثق منه مبادئ الإيمان المسيحي.

ويبلغ مجموع الأسفار التي يؤمن البروتستانت بصحتها حوالي ستة وستين (66) سفرًا: تسعة وثلاثين (39) في العهد القديم وسبعة وعشرين (27) في العهد الجديد.

وهذه الأسفار يمكن تقسيمها إلى قسمين: أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد.

1-أسفار العهد القديم:

وتقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

1-الأسفار التاريخية وهي: سفر التكوين – سفر الخروج – سفر اللاويين - سفر العدد- سفر التثنية- سفر يشوع – سفر القضاة – سفر راعوث- صموئيل الأول – صموئيل الثاني-الملوك الأول-الملوك الثاني-أخبار الأيام الأول-أخبار الأيام الثاني-سفر عزرا-سفر نحميا-سفر أستير.

2-الأسفار الشعرية وهي: سفر أيوب-سفر المزامير-سفر الأمثال-سفر الجامعة- سفر نشيد

الإنشاد.

3-الأسفار النبوية وتشمل:

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أ- أسفار الأنبياء الكبار وهي: سفر إشعياء- سفر إرميا -مراثي إرميا-سفر حزقيال-سفر
دانيال.

ب- أسفار الأنبياء الصغار وهي: سفر هوشع-سفر يوثيم - سفر عاموس-سفر عوبديا-سفر
يونان-سفر ميخا-سفر ناحوم-سفر حبقوق-سفر صفنيا-سفر حجي-سفر زكريا-سفر ملاخي.

2-أسفار العهد الجديد:

1-الأسفار التاريخية: وتضم الأناجيل الأربعة: إنجيل متى-إنجيل مرقس-إنجيل لوقا-إنجيل
يوحنا-أعمال الرسل.

2-الرسائل: الرسالة إلى أهل رومية-الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس-الرسالة الثانية إلى
أهل كورنثوس-الرسالة إلى أهل غلاطية-الرسالة إلى أهل أفسس-الرسالة إلى أهل فيلي-
الرسالة إلى أهل كولوسي-الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي-الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي-
الرسالة الأولى إلى تيموثاوس-الرسالة الثانية إلى تيموثاوس-الرسالة إلى تيطس-الرسالة إلى
فيلمون-الرسالة إلى العبرانيين-رسالة يعقوب-رسالة بطرس الأولى-رسالة بطرس الثانية-رسالة
يوحنا الأولى-رسالة يوحنا الثانية-رسالة يوحنا الثالثة-رسالة يهوذا، بالإضافة إلى سفر نبوي
واحد وهو رؤيا يوحنا¹.

¹ يُنظر: كتاب أصول التعليم المسيحي "الكتاخي سمس الصغير" لمارتن لوثر، ترجمة ونشر: المركز اللوثيري للخدمات
الدينية في الشرق الأوسط، بيروت، (د.ط)، ص: 176 – 177

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

3-قوانين الإيمان والاعترافات:

بالإضافة إلى المصادر السابقة التي يقدسها جميع البروتستانت، "تتعرف المدرسة اللوثرية¹ بثلاثة قوانين إيمان، وستة اعترافات تعلن إيمانها بموجها، وهذه القوانين الإيمانية هي: قانون إيمان الرسل- قانون الإيمان النيقاوي²- قانون الإيمان الإثناسي³."

أما بالنسبة للاعترافات، فتشمل ما يلي:

اعتراف أوغسبرغ⁴-الدفاع عن اعتراف أوغسبرغ*-بنود إيمان مجمع سمالكالد- الكتاخيسمس الصغير* لمارتن لوثر-الكتاخيسمس الكبير لمارتن لوثر-صيغة الكونكورد أو كتاب الكونكورد⁵.

والملاحظ من خلال مصادر المدرسة البروتستانتية، أن الكتاب المقدس له الأهمية القصوى، بحيث لا توجد مصادر أخرى بجانب الكتاب المقدس ما عدا القوانين والاعترافات،

¹نسبة للمصلح الألماني مارتن لوثر، وتعتبر من بين المدارس الأولى التي تزعمت حركة الإصلاح الديني للبروتستانت "تأسست الكنيسة اللوثرية في أوائل القرن السادس عشر على التعاليم والمعتقدات التي نادى بها مارتن لوثر رائد الإصلاح البروتستانتية." (سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص: 176).

² القانون الذي تمت صياغته في مجمع نيقية سنة 325م.

³ نسبة إلى القديس أثناسيوس الذي يعتبر من كبار آباء الكنيسة.

⁴ يُنظر: سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، م. س، ص: 160

*في يناير سنة 1530 دعا الإمبراطور شارل الخامس الريدستاج (البرلمان) لعقد جلسة في مدينة أوجسبرج على أمل حل الخلافات بين البروتستانت والكاثوليك، استعدادًا لذلك جهز لوثر وميلانكتون وزملاؤهما قائمة انتقادات للكاثوليك. (جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج4، ص: 182).

*عنوان كتاب عن العقيدة المسيحية ألفه المصلح الألماني مارتن لوثر.

⁵ مارتن لوثر، أصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير"، م. س، ص: 178

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
بخلاف المدرستين الكاثوليكية والأرثوذكسية اللتين اعتمدتا على العديد من المصادر من بينها
التقليد وقرارات المجامع.

ولأهمية الكتاب المقدس عند البروتستانت، عمل المصلح مارتن لوثر على ترجمته من اللغة
اللاتينية التي كانت حكرًا على نخبة المفكرين والفلاسفة إلى اللغة الألمانية لغة عامة الشعب،
حتى يصل إلى يد كل مسيحي مؤمن¹، وقد أدّت حركة الإصلاح إلى قيام كثير من مترجمي الكتاب
المقدس العظام، ومن أهم هذه الترجمات ترجمة لوثر الألمانية، وترجمة الملك جيمس
الإنجليزية².

الفرع الثالث: مصادرها وأدبياتها

تميز منهج المدرسة البروتستانتية بالتقيد الحرفي بالكتاب المقدس، والانضباط الكلي
لتعاليمه في كل شأن من شؤون الحياة الدينية، فالمصلح الألماني مارتن لوثر Martin Luther
دعا أول ما دعا إليه إلى الاعتماد على الإنجيل ودراسته، إلى درجة أنه ثار بقوة ضد ممارسات

¹ المصدر نفسه، ص: 7

* هي ترجمة للكتاب المقدس باللغة الإنجليزية أنجزت بأمر من الملك جيمس (1566 – 1625) وهو ملك اسكتلندي،
وكان حاكمًا على إنجلترا، وهذه الترجمة جاءت بعد طلب من طائفة البيورتان البروتستانتية، فجمع الملك لهذا العمل
نخبة من علماء الكتاب المقدس وعلماء اللغات لإنجاز ترجمة دقيقة. (م. ميلر وروبرت ف. هوبر، تاريخ الكتاب
المقدس منذ التكوين حتى اليوم، ص: 178) .

² ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين حتى اليوم، ترجمة: وليم وهبة، دار الثقافة،
القاهرة، الطبعة الأولى: 2008، ص: 152

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الكنيسة الكاثوليكية، واحتكار البابا لسلطة تفسير الكتاب المقدس، ومن كثرة اعتماد
البروتستانت على الإنجيل، سُميت كنيستهم بالكنيسة الإنجيلية¹.

غير أن الحال لم يبق كما كان عليه، فبموجب بعض المبادئ التي أعلنها مارتن لوتر، ومن
بينها مقولته الشهيرة: "ليس رجال الدين وحدهم الذين لهم حق تفسير الكتاب المقدس، فالله
الذي جعل حملاً يويخ نبياً، يستطيع أن يتكلم على فم إنسان لكي يويخ البابا"²، تشجّع العامة
على قراءة وتفسير النصوص الدينية، دون أن ننسى إقرار مارتن لوتر لمبدأ حرية الاعتقاد، وكان
لهذين العاملين دور كبير في ظهور مجموعة من التفسيرات المختلفة للكتاب المقدس، أنتجت
فيما بعد انشقاقات داخل صفوف الحركة البروتستانتية، وأصبحت هناك الكثير من الطوائف
المحسوبة على المدرسة البروتستانتية أي ما لا يقل عن اثني عشر كنيسة من الكنائس
البروتستانتية (الانجليكانية، النظام الكنسي، المنهجية، مذهب الكنيسة المشيخية أو المصلحة،
واللوثرية والتطهيرية والكنائس المعمدانية... الخ)³.

وتبعاً لذلك، أصبحت المدرسة البروتستانتية اليوم منقسمة إلى مذاهب وتيارات شتى،
فتعددت المدارس داخل المدرسة الواحدة، ولكل مدرسة أفكارها الخاصة، ومناهجها التي تميزها

¹ أي أنها لا تخضع إلا لحكم الكتاب المقدس، ويُقيد بأحكامه رجل الدين أمام رجل الشعب، وجميعهم مسئول أمام ذلك
الكتاب، وليس لرئيس الكنيسة خلافة تجعل كلامه مقدساً، مساوياً لأحكام الكتاب المقدس في الرتبة والاعتبار (محمد
أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، م. س، ص: 168) .

² ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، وتقديم ومراجعة: القس جرجس صبحي، المركز
المصري للطباعة، 2001، (د. ط) ، ص: 160

³ يُنظر في هذا الإطار: إنعام بنت محمد عقيل، طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها: دراسة مقارنة، م. س، ص:
177 وما بعدها، وص: 195 وما بعدها، وجون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج5، ص: 66 وما بعدها، وزكريا بطرس،
تاريخ انشقاق الكنائس، ص: 16 وما بعدها، وسعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم،
ص: 176 وما بعدها.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
عن المدارس الأخرى، وفي هذا السياق يقول أحد القساوسة الإنجلييين: "إننا اليوم نرى
الكنائس الإنجيلية¹ كثيرة الفروع والشيع، يختلف بعضها عن البعض في تفاصيل العقيدة،
وتتنوع أساليب عبادتها، فمنها ما هو قريب من أسلوب العبادة التقليدية كالكنائس الأسقفية
واللوثرية، ومنها من قد تحرر تمامًا من شكيلات العبادة كاجتماعات الإخوة، ومنها من اتخذ
طريقًا وسطًا بين هذه وتلك، كالمشيخيين والميثودست والمعمدانين²."

الفرع الرابع: أهدافها ووظائفها

لعل من أبرز الأهداف التي جاءت المدرسة البروتستانتية لتحقيقها:

1- سمو سلطان الكتاب المقدس وحق كل مؤمن في قراءته وتفسيره، لهذا نجد جون
ويكلف³ John Wyclif أحد كبار المصلحين في المدرسة البروتستانتية يقول: "لا شيء يجب
الإيمان به ما لم يكن مؤسسًا على هذا الكتاب، ولا يجب إضافة شيء إلى تعليمه، هذا الكتاب
هو الحق الكامل الذي يجب أن يدرسه كل مسيحي⁴."

¹ يقصد بها الكنائس البروتستانتية وتسمى الإنجيلية لاعتمادها على كلمة الإنجيل بالدرجة الأولى، والإنجيل يطلق على
الكتاب المقدس الذي يتبعه البروتستانت.

² فايز فارس، أضواء على الإصلاح الإنجيلي، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، (د.ط.)، ص: 44

³ لاهوتي ومصلح ديني إنكليزي، وُلد في وايليف قريبًا من رشموند بين 1320 و1330م، من أسرة من صغار
النبل من يوركشاير، ومات في 31 كانون الأول 1384 في لاثروث، درس في أوكسفورد نحو عام 1344،
وأظهر موهبة كبيرة في الرياضيات والفلسفة، ووقَّف نفسه على نحو بالغ الخصوصية على اللاهوت والقانون الكنسي
والقانون المدني الإنكليزي، ترأس كلية باليول في جامعة أوكسفورد (1361)، ودَرَس فيها الفلسفة، وكذلك اللاهوت
(ابتداء من 1372). (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص: 732).

⁴ جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى: 1981م، ج4، ص: 53

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

2- الخلاص بالإيمان وحده، ويسمى أيضًا التبرير بالإيمان، ويستدل البروتستانت على ذلك بمقولة الرسول بولس: "فَإِنْ كَانَ بِالنِّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالْأَعْمَالِ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ النِّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَةً. وَإِنْ كَانَ بِالْأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدُ نِعْمَةً، وَإِلَّا فَالْعَمَلُ لَا يَكُونُ بَعْدُ عَمَلًا"¹.

وهذا يعني أن المدرسة البروتستانتية ترى أن الأعمال ليست هي سبيل الخلاص للفرد المسيحي، بل الإيمان هو الركيزة الأساسية في الخلاص، وقد كان سبب إقرار المصلح البروتستانتي مارتن لوثر لهذا المبدأ، هو ما رآه من انحرافات واضحة عند باباوات الكنيسة الكاثوليكية، وابتكارهم لما يسمى بصكوك الغفران، التي كانوا يبيعونها للناس مقابل محو خطاياهم، وكان رجال الكنيسة في البداية يفرضون على العامة بعض التكاليف الدينية من صلاة وصوم وصدقات وتوبة. وغيرها، من أجل العفو عن خطاياهم مهما بلغت، ثم عوضوها بصكوك الغفران بعد أن رأوا نفاد خزانة أموال الكنيسة².

3- إلغاء نظام الكهنوت الذي شرعته الكنيسة الكاثوليكية "وربما كان هذا المبدأ هو الفكرة الأساسية في الإصلاح الإنجيلي، والذي تدور حوله كثير من المبادئ الأخرى، حسبما يرى كثيرون، فالإصلاح الإنجيلي ألغى فكرة الكهنوت الخاص والمتميز، والذي بموجبه يقام نظام خاص أو طبقة خاصة من الناس، يتوسطون في العبادة بين الله والناس كما كان الحال في النظام اليهودي؛ وأعلن أن جميع المؤمنين بإمكانهم أن يتصلوا بالله رأسًا دون وسيط"³.

¹ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 6: 11

² يُنظر: عمر الإسكندري وسليم حسن، تاريخ أوروبا الحديث وآثار حضارتها، مطبعة المعارف، مصر، الطبعة الأولى: 1341هـ - 1922م، ص: 50، وجون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج4، ص: 38

³ فايز فارس، أضواء على الإصلاح الإنجيلي، م. س، ص: 54

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

4-إلغاء عصمة البابا، إذ اعتبرت الحركة البروتستانتية العصمة البابوية أحد أكبر الانحرافات التي عرفت الكنيسة في أوروبا، ورأت أنها تشكل عقبة أمام التحرر الديني¹.

ولم تقتصر أهداف المدرسة البروتستانتية على الجانب الديني والعقدي فحسب، بل امتدت لتشمل الجوانب السياسية الاقتصادية والاجتماعية أيضاً"فالبعض هدفه التحرر من القمع، والبعض هدفه المادة مثل بعض الأمراء ومصلحتهم من القضاء على سلطان الكنيسة وجبايتها ذلك الحين، والبعض هدفه إنساني، مثل الذين دعموا الحركة من مذهب الإنسانية، وهكذا لم يكن جميعهم هدفهم تصحيح المعتقد أو الدين"².

ولتحقيق هذه الأهداف العامة، قام المصلح مارتين لوثر بثورة كبرى، ارتكزت في بداية الأمر على توعية الشعب المسيحي بخطورة ممارسات باباوات الكنيسة الكاثوليكية، وانحرافاتهم الأخلاقية، وآثارها السلبية على المجتمعات الأوروبية ككل، حيث أعلن التمرد على أوامر الكنيسة التي رأى أنها غير ملزمة له، ولعامة المسيحيين الأحرار، فقام برفع التحدي في وجه البابا، وانتقاد ظاهرة صكوك الغفران، وعلى إثر ذلك، "علّق لوثر وثيقة الاعتراضات الخمسة والتسعين Ninety Five Theses على باب كنيسة القلعة في وتنبرج، وفي تلك الاعتراضات أدان لوثر سوء استخدام نظام صكوك الغفران بل وتحدى الناس ليأتوا لمناقشة الأمر كله"³، كما صرّح أن "صكوك الغفران تقف في طريق التوبة الداخلية الصادقة كما أنها تؤدي إلى الخمول،

¹ يُنظر: جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج4، م. س، ص: 65 – 66

² إنعام بنت محمد عقيل، طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها: دراسة مقارنة، م. س، ص: 72

³ إيرل كيرنز، المسيحية عبر العصور: تاريخ الكنيسة المسيحية، م. س، ص: 335

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وكان يقول: إن الصكوك البابوية لا تمحو الذنب ولا تحقق المصالحة مع الله، المسيحي لا يمكن
أن يشتري السلام مع الله، فقط القلب المنسحق والمنكسري يسترد العلاقة الصحيحة¹.

وعند التمعن في شخصية مارتين لوثر، نجد أنه كان يمتلك المقومات التي تؤهله لخوض
تجربة الإصلاح الكنسي، "لم يكن لوثر كاتبًا وعالمًا يجلس في برج عاجي مرتفع يضع النظريات
ويكتب الكتب، ويذيع دراساته في العقيدة واللاهوت؛ لكنه كان محاضرًا يلتقي بالطلاب
ويتجاوب معهم، ويلقي عليهم دراساته، ويتحسس أثر فكره في الغير؛ كما كان كاهنًا يتجاوب مع
الأحداث، ويسترشد بكلمة الله في إصدار مكنونات فكره، واتجاهات رأيه فيما يرى ويسمع من
أحداث تجري حوله²".

لذلك، يمكن التأكيد على أن حركة الإصلاح البروتستانتي انبثقت من أفكار لوثر المدروسة
سلفًا، وقد ساعده في ذلك زمرة من المصلحين الآخرين أمثال: ويكلف وكالفن وهوس وغيرهم،
وكل هذه النخبة الواعية، كان لديها وعي كبير بحجم التحديات المحيطة بها، لاسيما تعنت
باباوات الكنيسة الكاثوليكية، ومحاولتهم تشويه حركة الإصلاح، ووضع العراقيل في طريقها، إلا
أن هذه الحركة استمرت في منحنى تصاعدي نحو التغيير، واتخذت كل الوسائل الكفيلة لنشر
الوعي في أوساط المجتمع المسيحي، وكانت نتيجة ذلك، تحرير العقل الأوروبي من خرافة
البابوية، وتسليطها الذي دام قرونًا طويلة.

¹ ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، م. س، ص: 159

² فايز فارس، أضواء على الإصلاح الإنجيلي، م. س، ص: 24 - 25

المبحث الثاني: التعريف بالمذاهب العقيدة الإسلامية

المطلب الأول: مذهب المعتزلة

الفرع الأول: نشأته وتطوره

يعتبر مذهب المعتزلة أو الاعتزال كما يُعبر عنه البعض من المذاهب الكلامية البارزة في تاريخ الإسلام، وقد كان لهذا المذهب الكلامي دور كبير في إثارة الجدل حول مجموعة من القضايا ذات الصلة بالعقيدة الإسلامية، وتميز أصحاب هذا المذهب بمميزات عدة جعلتهم يختلفون عن غيرهم من المذاهب في رؤيتهم للقضايا الإيمانية، سواء تميزهم في الأصول والمنطلقات أو ما يتعلق بالمنهج الذي سلكوه في تفسير قضايا العقيدة الإسلامية.

وقبل الحديث عن نشأة وتطور هذا المذهب، لا بد أولاً من تحديد معنى لفظ "المعتزلة"، وبيان سبب إطلاق هذا المفهوم عليهم، على اعتبار أن هناك روايات متعددة حول سبب تسميتهم بهذا الاسم.

يرى بعض المؤرخين كالطبري، وأبي الفداء¹ والدينوري أن كلمة (معتزلة) كانت تُطلق على أولئك الذين لم يدخلوا في النزاع بين علي ومعاوية، أو علي ومن حضر حرب الجمل، ولم يحضر الحروب الأخرى، كعبد الله بن الزبير، كما نلاحظ أيضاً أن أبا الفداء كان يطلق هذه اللفظة تارة على أولئك الذين لم يبايعوا علياً فيقول: "وسُمِّي هؤلاء معتزلة لاعتزالهم بيعة علي"، وتارة أخرى يطلقها على بعض المحبين لعلي، المتعصبين له كأبي الدرداء، وأبي أمامة الباهلي لاعتزالهما حرب

¹ المقصود به هو إسماعيل بن كثير الدمشقي صاحب كتاب: البداية والنهاية.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
صفين، ومن تم صارت كلمة معتزلة وصفا لازما لبعض الصحابة، كسعد بن أبي وقاص، وعبد
الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، وأبي أمامة
الباهلي، وأبي الدرداء والأحنف بن قيس... وغيرهم¹.

والظاهر من هذا الرأي أن دافع إطلاق تسمية المعتزلة يحمل صبغة سياسية، وهو ما
يوجد في هذا التعليل أيضًا الذي يقول: "ومن الواضح أن كلمة معتزلة أستخدمت في هذا
العصر المبكر لتُعبر عن اتجاه لبعض الناس الذين اعتزلوا أطراف القتال، مُعبرين عن موقف
سياسي يتسم بالحياد، وكفؤا عن المشاركة في شئون المجتمع، وما يجري فيه من أحداث"².

ويشير المالطي في تعريفه للمعتزلة: "هم أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتمييز والنظر
والاستنباط، والحجج على من خالفهم وأنواع الكلام، والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل،
والمنصفون في مناظرة الخصوم، وهم عشرون فرقة يجتمعون على أصل واحد لا يفارقونه،
وعليه يتولون وبه يتعادون، وإنما اختلفوا في الفروع"³.

وبخصوص نشأة المعتزلة وإطلاق هذا الاسم عليهم، فقد اختلف الدارسون والباحثون في
نشأة المذاهب الكلامية، وأغلب الدراسات في هذا الباب، تذكر عوامل متباينة لظهور هذا
الاسم، منها ما هو ديني ومنها ما هو سياسي، وسنقتصر منها على ثلاث روايات تاريخية:

¹ محمد صالح محمد السيد، المدخل إلى علم الكلام، دار قباء، القاهرة، 2001م، (د.ط)، ص: 223

² المرجع نفسه، ص: 224

³ محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، علم الكلام ومدارسه مع تحليل لأهم قضاياها الفلسفية، م. س، ص: 32

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
الرواية الأولى ترى أن "المعتزلة نسبة إلى الاعتزال أي الاجتناب، والجماعة المعروفة بهذه
العقيدة إنما سُموا بهذا الاسم لأن أبا عثمان عمرو بن عبيد أحدث ما أحدث من البدع واعتزل
مجلس الحسن البصري وجماعة معه فسُموا معتزلة، وإلى مثل هذا الرأي يذهب المقرئ¹."

والرواية الثانية وهي الأشهر فتقول: "دخل رجل على الحسن البصري وقال: يا إمام الدين:
لقد ظهر في زماننا جماعة يُكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم
وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل
العمل على مذهبيهم ليس ركنًا من الإيمان، لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر
طاعة وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن
يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافر مطلقًا بل هو
في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واصل واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات
المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل،
فسمي هو وأصحابه معتزلة²."

وثمة رواية ثالثة تقرر أن الذي سمّاهم بذلك قتادة بن دعامة السدوسي (المتوفى سنة
117-118هـ) وهو أبو خطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري الأكمه³، كان تابعيًا وعالمًا
كبيرًا، وكان يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد، فدخل مسجد البصرة، فإذا بعمرو بن

1 السمعاني، الأنساب، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الفاروق الحديثة
للطباعة والنشر، شبرا، مصر، ط1: 1397هـ-1977م، ص: 35
2 الشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الأول، م. س، ص: 42
3 الأعمى الذي لا يبصر.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
عبيد ونفر معه، فأَمَّهم وهو يظن أنها حلقة الحسن البصري، فلما عرف أنها ليست له قال: إنما
هؤلاء المعتزلة، ثم قام عنهم، فمذ يومئذ سُموا المعتزلة¹.

ومعظم الدراسات التاريخية ترجح الرواية الثانية، وهي الأشهر في سبب تسميتهم بالمعتزلة،
وأيضًا في نشأة الفكر الاعتزالي، بيد أن هناك من يرى أن سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم،
وظروف نشأتها ترجع إلى عوامل سياسية أكثر منها دينية.

الفرع الثاني: مصادره وأدبياته

على الرغم من تأثر المعتزلة بالفلسفة اليونانية، وتسليحهم بالمنطق، واعتمادهم على
العقل المجرد في إدراك حقائق الأشياء، وكل ذلك يعتبر من مصادر الثقافات الوافدة على بلاد
المسلمين، إلا أن هناك من الباحثين والمفكرين المسلمين من اعتبر أن مذهب المعتزلة لم يتأثر
كثيرًا بالمصادر الأجنبية، بل إن مصادرها لا تتعدى حدود القرآن والسنة.

ومن الظلم للمعتزلة أن يُتهموا بأنهم تأثروا في مذهبهم بمصادر خارجية، مسيحية أو
غيرها²، وفي هذا الصدد يقول الدكتور علي سامي النشار: "إنهم لم يستمدوا أفكارهم إلا من
نظرهم نظرًا داخليًا في القرآن والسنة، وفي أفعال الملوك (أي خلفاء بني أمية) ، وما نتج عنهما
من عقيدة جبرية انتشرت في البصرة، وعاون على نشرها مجبرة الشام بتأييد الأمويين"³، ويقول
الشيخ محمد أبو زهرة بخصوص رأيه في طريقة الاستدلال عند المعتزلة: "أن لهم شذوذ في

1 أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب
العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1405 هـ - 1985 م، المجلد الثاني، ص: 144

2 محمد سليم العوا، المدارس الفكرية الإسلامية من الخوارج إلى الإخوان المسلمين، م. س، ص: 243

3 علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة، (د.ت)، ج 1،

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
الفكر، وشذوذ في الفعل، وذلك يحدث كثيراً ممن يُطلق لعقله العنان، ولو في ظلال
النصوص¹.

وبعد إيراد هذين الرأيين اللذين استبعدا إمكانية اعتماد مذهب المعتزلة على مصادر
خارجية، والقول بالتزامه بالمصادر الإسلامية، يمكن عرض أهم مصادر هذا المذهب التي - من
خلال استقراء تراثه الكلامي - يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: يشمل القرآن الكريم والسنة النبوية، باعتبارهما مصدرين أساسيين عند
جميع الفرق الإسلامية، غير أن اعتماد المعتزلة على القرآن الكريم والسنة النبوية اعتراف بعض
الاضطراب، وتميز موقفهم من العمل بهذين المصدرين بنوع من الانتقاء تارة، وتأويل النصوص
الشرعية تارة أخرى بما يتماشى مع توجههم العقدي.

أيضاً يتصل بهذا موقفهم من آيات الوعد والوعيد، ويتصل به موقفهم من العموم
والخصوص أو المطلق والمقيد، والمطلق أو العام هو ما دل على شائع جنسه ومعناه الشمول،
والمقيد أو الخاص بخلافه ويُطلق على ما أخرج من شيعاء ومعناه الأفراد².

وبالنسبة للأحاديث النبوية فلم يقبل المعتزلة إلا المتواتر والمشهور من الأخبار، وذكر أبو
الهديل أن المتواتر حجة أما المشهور وخبر الواحد فلا يفيدان العلم³ وأورد البغدادي على أن
النظام رفض المتواتر مع قوله بأن من أخبار الأحاد ما يوجب العلم الضروري¹.

¹ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، م. س، ص: 150

² عبد القاهر البغدادي، أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401 هـ - 1981 م، (د.ط)، ص ص: 218 -
219

³ علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، م. س، ص: 38

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
وأما العمل بالإجماع عند المعتزلة، فيمكن القول إن موقفهم شهد تغيراً ملحوظاً، تراوح
بين الرفض في البداية، وبين القبول بعد ذلك، بناء على آراء ومواقف أئمة الاعتزال.

فلقد ردَّ النَّظَّامُ حجة الإجماع، وقال بجواز أن تجتمع الأمة في كل عصر وفي جميع
العصور على الخطأ من جهة الرأي والاستدلال² لكن يبدو أن هناك تغيراً وقع في موقف المعتزلة
بخصوص العمل بالإجماع، فقد ذكر القاضي عبد الجبار أن أنواع الأدلة أربعة: العقل والكتاب
والسنة والإجماع³.

وكما سبق الذكر، فإن المعتزلة تميزوا عن كثير من المذاهب الإسلامية بالإغراق في التأويل،
وقد تجلّى ذلك في طريقة تفسير النصوص الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة، فالمعتزلة
يسلكون الاتجاه العقلي في تأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، خاصة ما يتعلق بالقضايا
الإيمانية، وهنا أشير أن المعتزلة يرجحون العقل على النقل عند التعارض، ولذلك نجدهم
خالفوا جمهور المسلمين في فهم كثير من النصوص الشرعية التي تضمنت مسائل قطعية مجمع
عليها عند الجمهور.

وقد ذكر الإمام عبد القاهر البغدادي أمثلة متعددة في هذا الباب، وشنَّ على المعتزلة -
الذين كان يسميهم (القدرية)- انتقاصهم من قدر بعض الصحابة رضي الله عنهم، وردهم
لمجموعة من الأحاديث النبوية التي لم تستوعبها عقولهم، بسبب ترجيحهم للعقل على النقل.

1 عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، م. س، ص: 142

2 المصدر نفسه، ص: 143

3 القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 88

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
وقال في شأنهم: "أما القدرية: فكيف يكونون موافقين للصحابة، وقد طعن زعيمهم النَّظَّام
في أكثر الصحابة، وأسقط عدالة ابن مسعود ونسبه إلى الضلال من أجل روايته عن النبي صلى
الله عليه وسلم: "إن السعيد من سَعِدَ في بطن أمه، والشقي من شَقِيَ في بطن أمه"¹، وروايته
انشقاق القمر، وما ذاك منه إلا لإنكاره معجزات النبي عليه السلام، وطعن في فتاوى عمر رضي
الله عنه من أجل أنه حدَّ في الخمر ثمانين، ونفى نصر بن الحجاج إلى البصرة حين خاف فتنة
نساء المدينة به"². وغيرها من الروايات التي ردها المعتزلة، وطعنوا في أصحابها.

ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار العقل مصدرًا من مصادر مذهب المعتزلة، فالعقل مقدم
عندهم على النقل، وكثير من القضايا الإيمانية رجَّح فيها المعتزلة الرأي عن طريق استخدام
العقل المجرد، وهم متأثرون في هذا الشأن بفلاسفة الإغريق الذين قدسوا العقل، وأطلقوا له
العنان في الخوض في مسائل الغيبيات.

وأما القسم الثاني، فيشمل أدبيات مذهب الاعتزال أي كل ما تركه علماء المعتزلة من تراث
في المباحث العقدية، وهنا يمكن الإشارة إلى ما كتبه كبار أعلام المعتزلة، ويمكن الاقتصار في
هذا المقام على ذكر أشهر الأعلام فقط، ومن ضمنهم: واصل بن عطاء (ت131هـ) وقد اعتُبر
مؤسس مدرسة الاعتزال، وينتمي إلى الطبقة الرابعة من رجال المعتزلة، وله مؤلفات منها:

¹ أخرجه الطبراني في الأوسط، رقمه: 2631 بصيغته المذكورة في المتن، ونجد لهذا الحديث صيغة أخرى في رواية
الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حيث ورد في سنن ابن ماجه قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا إنما
الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وُعط بغيره"، وهذا تخريجه: كتاب السنة، باب اجتتاب البدع والجدل، رقمه:
46.

² عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، م. س، ص: 275

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
كتاب "الألف مسألة في الرد على المانوية"، كتاب "أصناف المرجئة"، كتاب "التوبة"، كتاب
"المنزلة بين المنزلتين"، كتاب "خطبته التي أخرج منها "الراء"، كتاب "معاني القرآن"، كتاب
"الخطب في التوحيد والعدل"، كتاب "ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد" (كان الأخير يعتبر
الفاسق منافقاً كرأي الحسن البصري ثم رجع عن ذلك)، كتاب "السبيل إلى معرفة الحق"،
كتاب "الدعوة"، كتاب "أهل العلم والجهل"¹.

وأبو الحسين الخياط (ت290هـ) وينتمي إلى الطبقة الرابعة، وصفه ابن المرتضى بأنه كان
حاذقاً في معرفة مذاهب المتكلمين، ولكن كتابه "الانتصار" و"الرد على ابن الرواندي الملحد"
شهادة أدل وأصدق على ذلك، فضلاً عن أنه ليس الكتاب الوحيد الذي ألفه للرد على ابن
الرواندي الذي أساء إلى فكر المعتزلة إساءة بالغة، إذ أصبح مرجع كتاب الأشاعرة فيما كتبوه
عن المعتزلة² وله كتاب "نقض نعت الحكمة" وكتاب "الرد على من قال بالأسباب" وكتاب "لسان
الميزان"³.

وما تركه أبو علي الجبائي (ت 303هـ) من مؤلفات، وهو شيخ المعتزلة الذي ينتمي إلى
الطبقة الثامنة من طبقات رجال مدرسة الاعتزال، وقد كتب في علم الكلام: كتاب "الأصول"،
كتاب "الأسماء والصفات"، كتاب "النفي والإثبات"، كتاب "التعديل والتجوير"، كتاب
"اللفظ"، كتاب "التولد"، كتاب "الرؤية"⁴.

1 أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، ج1، ص: 183

2 المرجع نفسه، ج1، ص: 270-271

3 سهيل قاشا، المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي الحر، م. س، ص: 326

4 أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ج1، م. س، ص: 291

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
ولأبي علي الجبائي ردود على كتب ابن الرواندي فنقض له كتبه: الدامغ الذي نفى فيه
الملحد كون القرآن معجزة، والتاج، والزمرد، قضيب الذهب، وعبث الحكمة، والإمامة،
والكتاب الأخير قد ألّفه ابن الرواندي لينصرف فيه الشيعة¹.

وما كتبه القاضي عبد الجبار (ت415هـ) الذي ينتمي إلى الطبقة الحادية عشر من رجال
المعتزلة، قال الحاكم: "ويقال إن له أربعمئة ألف ورقة مما صُفِّف في كل فن، ومصنفاته أنواع،
منها في علم الكلام:

كتاب "الدواعي والصوارف"، كتاب "الخلاف والوفاق"، كتاب "الخاطر"، كتاب "الاعتماد"،
كتاب "المنع والتمانع"، كتاب "ما يجوز فيه التزايد وما لا يجوز"، إلى غير ذلك مما يكثر تعداده²
إضافة إلى أشهر ما كتبه في هذا الباب من ذلك:

المغني، الفعل والفاعل، كتاب المبسوط، كتاب المحيط، كتاب الحكمة والحكيم، شرح
الأصول الخمسة³.

وتعتبر هذه المؤلفات وغيرها، منابع للفكر المعتزلي، وإليها يرجع الباحثون في معرفة طبيعة
أفكار وآراء هذه المذهب العقدي قديمًا وحديثًا.

¹ المرجع نفسه، ج1، ص: 291

² عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، م. س، ص: 385

³ المرجع نفسه، ص: 385

الفرع الثالث: أصوله ومنهجه

1-أصوله:

والأصول التي هم عليها خمسة أصول هي "العدل والتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أنهم يعدلون إلى ما هم به يجزون ويطالبون أي أنهم يفسرون العمل والتوحيد والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومما يتعلق بها تفسيراً يتفق مع مذهبهم: إذ أن ظاهر أصولهم في هذه المسألة يتفق مع أصول أهل الصلاة من أهل السنة والجماعة"¹.

وهذه الأصول الخمسة لا يُعدُّ معتزلياً من لا يعتقد بها كلها، إذ عليها مدار الفكر الاعتزالي برمته، وعلى الرغم من أن هذه الأصول الخمسة تحمل مسميات توحى بأن أصحابها يشتركون مع عامة المسلمين في الاعتقاد بها، إلا أن الذي يتأمل في مضمونها سيجد اختلافاً كثيراً، وبوناً شاسعاً في دلالاتها ومقاصدها.

ويمكن إيراد هذه الأصول على الترتيب الآتي:

-التوحيد:

وهو أهم الأصول التي ميزتهم وأبرز خصائص مذهبهم، وتوحيد الله دعامة الإسلام والإيمان، وهو القاسم المشترك بين المسلمين عموماً، لا فرق في ذلك بين فريق وآخر، غير أن المعتزلة رتبوا على هذه الدعامة العامة فهوماً وأحكاماً انفردوا بها عن جمهور المسلمين، وهي:

¹ محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، علم الكلام ومدارسه مع تحليل لأهم قضايا الفلسفة، م. س، ص ص: 32- 33

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أولاً: نفي صفات المعاني عن الله تعالى، وهي صفات السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة
والكلام والحياة، ولكنهم نسبوا إلى الله تعالى آثار هذه الصفات من كونه سميعاً بصيراً عليماً .
الخ، أي فهو جل جلاله يعلم دون أن تتحقق له صفة اسمها العلم، ويقدر دون إسناد صفة
إليه اسمها القدرة¹.

ثانياً: نفي إمكان رؤية الله تعالى يوم القيامة، قالوا لأنها تستلزم صفة الجسمية وكونوته
في جهة، ضرورة أن المرئي بالعين إنما يُرى بعد انحصاره بين خطي زاوية النظر، وهما ينافيان –
على حد فهمهم- مقتضيات توحيد الله عز وجل، إذ من معاني توحيد نفي المماثل والمثابه له².
ثالثاً: زعمهم أن كلام الله تعالى مخلوق، وأنه ليس إلا هذا الذي يخلقه الله على الشفاه
عند قراءة القرآن، فليس له ما يسميه جماهير المسلمين الكلام النفسي الذي هو عز وجل به
أمروناه ومُخبر، والذي يدل عليه ألفاظ القرآن المتلوة³.

-العدل:

والعدل هو الأصل الثاني الذي اعتمدته المعتزلة، غير أنهم أضفوا عليه معاني ودلالات نتج
عنها مجموعة من التصورات العقيدية المجانبة للصواب، والفهوم التي تنأى عن عقيدة
التوحيد الصحيحة التي أجمع عليها جمهور المسلمين.

¹ محمد سعيد رمضان البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، ص: 72

² المرجع نفسه ، ص: 73

³ محمد سعيد رمضان البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، م. س، ص: 75

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وعلى مذهب أهل الاعتزال، العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على
وجه الصواب والمصلحة¹، وهذا يعني أن تكون جميع الأفعال الصادرة عن الله والمتعلقة
بالإنسان المكلف بمقتضى الحكمة وعلى وجه المصلحة، ولكن العدل بالمفهوم المعتزلي لا يكفي
التعريف لبيان، إنه يتضمن معظم مذهبهم الكلامي وينطوي على عدة نظريات².

هناك صلة بين التوحيد والعدل، لقد نزه المعتزلة الله في أصل التوحيد عن صفات
المخلوقين، كذلك نزهوه في أصل العدل عن الظلم، فالله في أصل التوحيد منفرد بذاتيته التي
لا يشبهها أحد، وهو في أصل العدل منفرد بخيرته فلا يصدر عنه الشر، لقد أراد المعتزلة في
أصل التوحيد تنقية تصورنا عن الله من كل تشبيه، وأرادوا في أصل العدل استبعاد كل
التصورات التي تتنافى مع عدله، إذ يتمسكون في ثبات وإصرار بفكرة الله المعنى بالعالم³.

وقضية العدل عند المعتزلة ارتبطت أشد الارتباط بقضية خلق أفعال العباد التي أثارت
جدلا طويلا بين الفرق الكلامية، وأدت إلى انقسام الآراء حولها، فظهر من يقول بالاختيار ومن
يقول بالجبر، وهي جدلية انبثقت من الفلسفات القديمة وغيرها من الملل الأخرى.

-الوعد والوعيد:

الوعد هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل، أما الوعيد
فهو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل⁴ وأصل الوعد

1 الشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الأول، ص: 37

2 أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ج1، م. س، ص: 142

3 المرجع نفسه، ج1، ص: 141

4 القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 223

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والوعيد متفرع عن أصل العدل، إذ تقتضي العدالة الإلهية أن تثيب الأخيار وأن تعاقب
الأشرار¹ ومقتضى ذلك أن الوعد والوعيد أمران نافذان، فوعد الله بالثواب ووعيده بالعقاب،
وعده بقبول توبة التائب أمور نافذة لأبد من الإيمان بها، وبذلك لا يكون العفو بغير توبة، كما
أن فاعل الخير لأبد من أن ينال جزاءه من الثواب، والمعتزلة في ذلك يردون على المرجئة الذين
يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، إذ لو صح ذلك لكان وعيد
الله تعالى في مقام اللغو².

وخلاصة ما يقولونه في أصلهم هذا أن كلا من وعد الله ووعيده نازل لا محالة، فوعده
بالثواب واقع، ووعيده بالعقاب واقع أيضًا، ووعد بقبول التوبة النصوح واقع أيضًا، ويترتب
على قولهم هذا أن الله لا يغفر الكبائر إلا بالتوبة، إذ إنه صادق في وعده ووعيده لا مبدل
لكلماته³.

-المنزلة بين المنزلتين:

ويعد هذا الأصل علامة فارقة في اعتقاد المعتزلة خلافًا للمذاهب العقيدة الأخرى، فالمنزلة
بين المنزلتين هي خلاصة جواب واصل بن عطاء في مسألة مرتكب الكبيرة، حينما دخل رجل إلى
مجلس الحسن البصري يعرض عليه أقوال الناس في هذه المسألة، بين قائل بأنه كافر، وقائل
بأنه مؤمن، فكان جواب واصل بأنه لا مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين.

1 أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ج1، م. س، ص: 157

2 مصطفى الشكعة، مطالعات إسلامية في العقيدة والفكر، م. س، ص: 225

3 المسعودي، مروج الذهب، المجلد: 3، ص: 222

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
يقول القاضي عبد الجبار بياناً لهذا الأصل: "ومعنى قولنا: إنه كلام في الأسماء والأحكام،
هو أنه كلام في أن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين، لا يكون اسمه اسم
الكافر، ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا
حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث، وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة
بين المنزلتين، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاوزها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر
ولا منزلة المؤمن، بل له منزلة بينهما"¹.

-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وإنما اختلفوا في هذا الأصل عن بقية المسلمين، بقولهم: إن النهوض بهذا الأصل واجب
على جميع المؤمنين وليس خاصاً بفئة منهم دون أخرى، ولعلمهم إنما ذهبوا إلى هذا المذهب لما
رأوا في عصرهم من مظاهر الزندقة والدس في دين الله عز وجل، ولذا تجدهم يتصدون للذود
عن الحق أمام الزنادقة الذين انتشروا انتشاراً مريعاً في أوائل عصر العباسيين².

يقول القاضي عبد الجبار عن هذا الأصل: "وجملة ما نقوله في هذا الموضع، أنه لا خلاف بين
الأمة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا ما يحكى عن شذمة من الإمامية لا يقع بهم
وبكلامهم إعتداد، والذي يدل على ذلك بعد الإجماع قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾³ الآية، وقوله تعالى حاكياً عن

¹ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 697

² محمد سعيد رمضان البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، م. س، ص: 88

³ سورة آل عمران: 110

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير لقمان: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ¹﴾، ومما يدل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليس لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل²"، والغرض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن لا يضيع المعروف ولا يقع المنكر، فمتى حصل هذا الغرض بالأمر السهل لا يجوز العدول عنه إلى الأمر الصعب، وهذا مقرر في العقول، وإلى هذا أشار تعالى بقوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا بِأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا³﴾، ﴿بَلْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا آلَتَيْ تَبَغَّىٰ حَتَّىٰ تَهْجَعَا إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ⁴﴾ الآية، فبدأ أولاً بإصلاح ذات البين، ثم بالمقاتلة إن لم يرتفع الغرض إلا بها حسب ما ذكرناه⁵.

وقد أجمعت المعتزلة إلا أبو بكر الأصم على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ المقصود أن لا يضيع معروف ولا يقع منكر، وهو فرض كفاية-إذا قام به بعض المكلفين سقط عن الآخرين- لأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف معروفاً والمنكر منكراً، وعلم كيف يرتب الأمر

¹ سورة لقمان: 16

² هذا الحديث لم أعثر عليه إلا في كتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" للحافظ ابن أبي الدنيا، ص: 78 تحت رقم (34) بهذه الصيغة: حدثنا عبد الله بن شبيب أبو سعيد المدني قال: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثني الحسن بن علي بن حسن بن حسن عن أبيه عن جده قال: كان يقال: "لا يحل لعين مؤمنة ترى الله يعصى فتطرف حتى تغيره".

³ سورة الحجرات: 9

⁴ السورة نفسها والآية نفسها

⁵ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 741

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
في إقامته وكيف يباشره، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف أو أمر بمنكر، وقد يغلظ في موضع
اللين أو يلين في موضع المغلظة، وينكر على من لا يزيده الإنكار عليه إلا تماديًا¹.

2-منهجه:

تغلبت على المعتزلة النزعة العقلية، فكان نصيب اعتمادهم على صحيح المنقول من جراء
ذلك ضئيلاً جداً، بل كانوا يرون أن مقياس الحق قبول العقول له، فكل ما قبله العقل فهو
الحق الذي يجب المصير إليه والتمسك به، وكل ما لم يقبله العقل فهو الباطل الذي يتحتم
رفضه².

إن اختلاط رواد المعتزلة بأصحاب الحضارات القديمة كفارس والعراق، وأصحاب الملل
والأديان الأخرى كاليهود والنصارى، إضافة إلى آراء فلاسفة اليونان، جعلهم يتأثرون كثيراً
بأفكارهم، ويقتبسون منهم طرق البحث في العقائد، ولذلك نجد أن المعتزلة أطلقوا العنان
للعقل وجعلوه حاكماً على النص، بل الأكثر من ذلك، نجدهم يرجحون العقل على النقل في
كثير من النصوص الشرعية خاصة تلك التي لها صلة بمجال العقيدة.

كانوا يعتمدون- في الاستدلال لإثبات العقائد- على القضايا العقلية إلا فيما لا يعرف إلا
بالعقل، وكانت ثقتهم بالعقل، لا يحدها إلا احترامهم لأوامر الشرع، فكل مسألة من مسائلهم
يعرضونها على العقل، فما قبله أقروه وما لم يقبله رفضوه³.

1 أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، الجزء الأول، م. س، ص: 166 وقد ورد ذلك في كتاب: الكشف
للمخشري، تفسير آية "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر".

2 محمد سعيد رمضان البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، م. س، ص: 91

3 محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، م. س، ص: 123

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
ولعل اعتماد المعتزلة على المنهج الاستدلالي، وتعظيم دور العقل، وجعله حاكمًا لا
محكومًا، كل ذلك أدى بهم إلى إنكار ما هو معلوم ومقرر لدى جمهور المسلمين من أمور العقيدة
الصحيحة، ورد خبر الآحاد بحجة أنه لا يفيد اليقين.

وكان من جراء ذلك إنكار المعتزلة لكثير من العقائد الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم، كعذاب القبر والإيمان بالحوض والصراط والميزان والشفاعة ورؤية الله في الآخرة¹.

ولقد عكف أئمتهم على دراسة الفلسفة اليونانية، وأوغلوا في ذلك بدون رفق، وكان في
مقدمتهم أبو الهذيل العلاف، من رجال الطبقة الثانية في الاعتزال، فلقد اشتغل بقراءة
الفلسفة اليونانية وتأثر بها أيما تأثر من حيث يشعر أو لا يشعر، وكان من أبرز علماء المعتزلة
ومناظرهم، ومنهم إبراهيم النظام الذي درس منطق أرسطو ليرد عليه، ولكنه وقع في برائنه قبل
أن يتمكن من نقضه أو الرد عليه، فتخطفته ترهات الفلاسفة الملحدين من براهمة وثنوية
وغيرهما، ثم صاغ من ذلك كله في غمرة انحرافه في ذلك الضياع أوهاما أغنى بها مذهبه
الاعتزالي، حول الطفرة والجزء الذي لا يتجزأ أو تداخل الأجسام في حيز واحد².

الفرع الرابع: أهدافه ووظائفه

دخل الإسلام طوائف كثيرة من المجوس واليهود والنصارى وغير هؤلاء وأولئك، ورءوسهم
ممتلئة بكل ما في هذه الأديان من تعاليم جرت في نفوسهم مجرى الدم، ومنهم من كان يظهر
الإسلام ويبطن غيره، إما خوفًا ورهبة، أو رجاء نفع دنيوي، وإما بقصد الفساد والإفساد،

¹ عدنان محمد أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: رجب
1424هـ، ص: 361

² محمد سعيد رمضان البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، م. س، ص: 93

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وتضليل المسلمين، وقد أخذ ذلك الفريق ينشر بين المسلمين ما يشككهم في عقائدهم، وظهر
ثمار غرسهم في فرق هادمة للإسلام تحمل اسمه ظاهراً وهي معاول هدمه في الحقيقة، فظهرت
"المجسمة" و"الرافضة" التي تقول بحلول الإله في جسم بعض الأئمة، و"الزنادقة"، وقد
تصدى للدفاع عن الإسلام أمام هؤلاء فرقة درست المعقول وفهمت المنقول، فكانت المعتزلة،
تجردوا للدفاع عن الدين، وما كانت الأصول الخمسة التي تضافروا على تأييدها، وتآزروا على
نصرها إلا وليدة المناقشات الحادة التي كانت تقوم بينهم وبين مخالفهم. والتوحيد الذي
اعتقدوه على الشكل الذي أسلفنا كان للرد على المشبهة والمجسمة، والعدل كان للرد على
الجهمية، والوعد كان للرد على المرجئة، والمنزلة بين المنزلتين ردوا بها على المرجئة والخوارج¹.

ولعل الأسباب التي دفعت المعتزلة إلى دراسة الفلسفة تتلخص في أمرين:

أحدهما: أنهم وجدوا فيها ما يرضي نهمهم العقلي وشغفهم الفكري، وجعلوا فيه مرآة
عقلياً جعلهم يلحنون بالحجة في قوة.

وثانيهما: أن الفلاسفة وغيرهم لما هاجموا بعض المبادئ الإسلامية، تصدى هؤلاء للرد
عليهم، واستخدموا بعض طرقهم في النظر والجدل، وتعلموا كثيراً منها ليستطيعوا أن ينالوا
الفوز عليهم، فكانوا بحق فلاسفة المسلمين².

إن المنهج الذي رسمه أئمة المعتزلة لمذهبهم، كان بسبب الظروف المحيطة بهم في تلك
الفترة، حيث عاشوا إلى جوار حضارات قديمة، وتأثروا بأفكار وفلسفات مادية ترى في العقل
حاكماً وفيصلاً في قبول الحق، وكان أيضاً نابعاً من الحاجة إلى أداة فعالة لإفحام وإقناع
الفرق والتيارات الفلسفية التي واجهت الإسلام.

¹ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، م. س، ص: 124 - 125

² المرجع نفسه، ص: 124

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وقد قدم المعتزلة للحضارة الإسلامية أعمالاً كبرى، خاصة على المستويين الفكري والمنهجي،
منها:

-أنهم أسهموا بشكل فاعل في نقل التراث والثقافة اليونانية في جانبها الفلسفي والعقلي
إلى الحضارة الإسلامية، وذلك من خلال اطلاعهم على تلك الثقافة، وتمثلهم لمعطياتها العقلية
والفلسفية¹.

-وكان لهم الفضل الأكبر في الجمع بين الدين والفلسفة، بينما كان معارضوهم يرون في
النزعة الفلسفية نوعاً من الزندقة والإلحاد والخروج عن قواعد الدين².

-وبفضل تسلّح المعتزلة بسلّاح الفلسفة، والمنطق، وعلم الكلام، وأساليب الجدل
والمناظرة فإنهم قد أدّوا دوراً كبيراً وبارزاً في الدفاع عن العقيدة الإسلامية إزاء المعتقدات
والديانات الأخرى السماوية منها كالمسيحية واليهودية، والمشرقة والإلحادية كالمجوسية،
والثنوية، والمانوية، وقد تمثل هذا الدور إما في مناقشة وإبطال حجج أصحاب تلك المعتقدات
والديانات أو في دعوة غير المسلمين الطالبين للحقيقة إلى الإيمان بالعقيدة الإسلامية³.

-وأخيراً، فقد أرسى المعتزلة دعائم حركة عقلية واسعة كان لها أكبر الأثر في صياغة
الحضارة الإسلامية؛ نظراً إلى أن مذهبهم كان يقوم في الأساس على احترام العقل وتمجيده،

¹ شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط 12، دار المعارف، القاهرة (د. ت)، ص: 39

² فالج الربيعي، أثر المعتزلة على الأدب العربي، مقال منشور في مجلة "رسالة التقريب"، العددان: 19 – 20، سنة 1419هـ، ص: 3

³ ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، تحقيق: سوسنة ديفلد – فلزر، بيروت، (د. ط) 1380هـ - 1961م، ص: 44-

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والتعويل عليه في استنباط واستنتاج الكثير من الأحكام الشرعية من جهة، وأساليب التفكير
السليم من جهة أخرى¹.

ونجح المعتزلة بصدد صلة الله بالإنسان في أن يربطوا الدين بمضامين أخلاقية، ولكنهم
أخفقوا حين أخضعوا الأحكام الإلهية للتقييم الأخلاقي، لقد التمسوا تعليل كل فعل إلهي،
وفاتهم أن هناك أحكاماً توقيفية².

لقد ترك مذهب المعتزلة بصمات واضحة على الفكر الإسلامي، وهذا ما تحدث عنه بعض
المفكرين المعاصرين، يقول عرفان عبد الحميد في كتابه "دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية"
تحت عنوان: أهمية المعتزلة في الفكر الإسلامي: "المعتزلة أول مدرسة كلامية ظهرت في الإسلام،
وكان لها دور كبير في تطوير الفكر الديني والفلسفي فيه، فهي التي أوجدت الأصول العقلية
للعقيدة الإسلامية، وجعلت للنزعة العقلية في الفكر الإسلامي مكانة مرموقة، ورفعت من شأن
العقل وأحكامه وقدرته على الوصول إلى الحقيقة"³.

وخلاصة القول، فالمعتزلة مثَّلت مدرسة عقلية متميزة في مجال الفكر الإسلامي، أسهمت
في تطور الفكر الكلامي بشكل عام، خاصة إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، واحتكاكها بالحضارة
الإغريقية، إضافة إلى إسهامها في الدفاع عن العقيدة الإسلامية بعد تعرضها لهجمات الفرق
المنحرفة، وعلى الخصوص أصحاب الديانات الأخرى، والزنادقة الذين حاولوا إدخال بعض
الأفكار الحلولية والوثنية إلى الفكر الإسلامي.

¹ فالج الربيعي، أثر المعتزلة على الأدب العربي، م. س، ص: 4

² أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ج1، م. س، ص: 352

³ عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد، الطبعة الأولى: 1387 هـ -

1967م، ص: 125

المطلب الثاني: المذهب الأشعري

الفرع الأول: نشأته وتطوره

يمثل ظهور المذهب الأشعري نقطة تحول هامة في الفكر الإسلامي بعامة، وعلم الكلام خاصة، فمن جهة، أصبحت أغلبية أهل السنة – وهم بدورهم يمثلون أغلبية المسلمين- تدين بهذا المذهب الكلامي، ومن جهة أخرى، أصبح علم الكلام معترفًا به كعلم من علوم الدين، بعد أن كان المحدثون وأئمة الفقه (أي الذين كانوا يمثلون تيار أهل السنة التقليدي "العام") يُكرهون، بل يحرّمون الخوض في هذا العلم، ويُنفّرون الناس من الاقتراب منه¹.

وقد ظهر هذا المذهب في القرن الرابع الهجري على إثر انقلاب مفاجئ في معتقد مؤسسه الإمام أبي الحسن على بن إسماعيل الأشعري (270-330هـ) من الاعتزال – الذي كان قد استمر عليه عشرين عامًا- إلى مذهبه الجديد، انقلابًا توافق بخصوصية عنيفة للمعتزلة، وقد تزامن هذا التحول مع بداية أفول عصر المعتزلة بنحوٍ، مثل انقلاب روح العصر على ذاته، ومن ثم، اكتسب تحول الأشعري أهمية خاصة أثارت الباحثين في فكره ومذهبه، قدامى ومحدثين².

وحدث انقلاب الإمام أبي الحسن الأشعري على المعتزلة، بعد أن مكث مدة زمنية طويلة في بيته يوازن بين الأدلة، وينظر في ما تشعب به من أفكار سابقة، فخرج بنتيجة حاسمة ضمنها في خطبته الشهيرة على المنبر يوم الجمعة بالمسجد الجامع بالبصرة قائلا فيها:

¹ سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات: النشأة، التاريخ، العقيدة، التوزيع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثالثة: تشرين الثاني 2005، ص: 123

² المرجع نفسه، ص: 123

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

"أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعالها، وأنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم، معاشر الناس، إنما تغيبت عنكم هذه المرة لأنني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته كتي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما انخلعت من ثوبي هذا"، وانخلع من ثوب كان عليه، ودفع للناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين¹.

وبالعودة إلى الروايات التاريخية في نشأة الأشاعرة، نجد أن سببها هو النتيجة التي آلت إليها تلك المناظرة التي جرت بين الإمام أبي الحسن الأشعري وأستاذه أبي علي الجبائي حول مسألة "وجوب فعل الصلاح والأصلح على الله"، مما دفع الإمام أبي الحسن الأشعري إلى إعادة النظر في أفكار المعتزلة التي كان قد تلقاها من شيخه أبي علي الجبائي.

سأل الأشعري أستاذه الجبائي، ما قولك في ثلاثة: مؤمن وكافر وصبي؟ فقال الجبائي: المؤمن من أهل الدرجات، والكافر من أهل الدرجات، والصبي من أصحاب النجاة، فقال الأشعري: فإن أراد الصبي أن يرقى إلى أهل الدرجات، هل يمكن؟ قال الجبائي: لا، لأنه يقال له: إن المؤمن قد نال هذه الدرجة بالطاعة، وليس لك مثلها، قال الأشعري: فإن قال: التقصير ليس مني، فلو أحييتني كنت عملت من الطاعات كعمل المؤمن، قال الجبائي: يقول له الله: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت، ولعوقبت، فراعيت مصلحتك وأمتك قبل أن تنتهي إلى سن

¹ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط.)، ج2، ص: 446

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
التكليف، قال الأشعري: فلو قال الكافر: يا رب، علمت حاله كما علمت حالي، فهلا راعيت
مصلحتي مثله، فأمتني صغيراً؟ فانقطع الجبائي¹.

فهذه المناظرة كانت نتائجها حاسمة في قرار الإمام أبي الحسن الأشعري الانفصال عن
المعتزلة، وتأسيس مذهب يدافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، فكانت بذلك بداية التحول
في تاريخ الفكر الكلامي، غير أن هناك آراء أخرى تعتبر أن نشأة المذهب الأشعري إنما هي تكملة
لمذهب كلامي سابق وهو مذهب عبد الله بن سعيد بن كلاب² السلفي الذي اعتبره المؤرخون
أقدم بكثير من مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري.

فقد أجمع المؤرخون والباحثون على أنه قد تأسست مدرسة سنية قبل إنشاء المدرسة
الأشعرية بعد انفصال شيخها الأول الإمام أبو الحسن الأشعري عن مذهب المعتزلة الذي كان
عليه، وأن هذا الشيخ الأول للأشعرية قد تابع مذهب هذه المدرسة السلفية الكلامية³.

ويؤكد ذلك أحد الباحثين المعاصرين بقوله: "وجاء الأشاعرة فتصدوا لآراء المعتزلة ومالوا
إلى آراء السلف، وتسלحوا بأساليب علم الكلام والتزموا منهجه فأكملوا بذلك بناء هذا العلم

¹ ابن السبكي، طبقات الشافعية، ج2، ص: 250 – 251، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، م. س، ص: 398

² عبد الله بن سعيد بن كلاب المتوفى بعد عام 240هـ، كان إمام أهل السنة في عصره وإليه مرجعها، وكَوَّن ابن
كلاب مدرسة فكرية في العالم الإسلامي بقيت زمنًا تجالِد عن مذهب أهل السنة والجماعة حتى اندمجت في مدرسة
إمام الهدى أبي الحسن الأشعري المتوفى 324هـ، وكان أبرز رجالها أبو العباس والحاتر المحاسبي (نشأة الفكر
الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، ج1، ص: 265 – 278)

³ محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، علم الكلام ومدارسه مع تحليل لأهم قضايا الفلسفية، م. س، ص: 113

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير والارتقاء بمباحثه، وكان ابن كلاب قد وضع الأصول السلفية، فجاء الأشعري في نفس الطريق فلم تكن الكلابية سوى سلفية مبكرة كما يقول الأشعري¹.

ومهما يكن فالمذهب الأشعري له خصوصيته، ومنهجه الفريد في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، فالظروف التي جاء فيها الإمام أبو الحسن الأشعري تميزت بالغلو في استخدام المنهج العقلي للبرهنة على قضايا إيمانية من صميم عالم الغيب، في حين كان هناك تيار آخر التزم بالنص (أهل السنة)، وبين هذا وذاك، حاول الأشعري التزام منهج الوسطية في مناقشة القضايا الإيمانية.

ولعل الأشعري قد أدرك مدى ما يحيط بالعقيدة الإسلامية من أخطار نظرًا لغلو المعتزلة في التأويل، والتعطيل للصفات أو محاولة تغليب جانب العقل على النقل، لذلك أزمع الدفاع عن عقيدة أهل السنة والسلف الصالح لكي يحفظ على المسلمين إيمانهم الظاهري بالعقيدة، دون تأويل عقلي أو غيره².

الفرع الثاني: مصادره وأدبياته

يعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع من المصادر الأساسية التي اعتمدها المذهب الأشعري في مرجعيته الفكرية، وجعل منها معيارًا يقيس به آراءه وتصوراته العقدية، غير أن ما يمكن ملاحظته بخصوص الاعتماد على هذه المصادر الثلاثة، هو تميز المذهب الأشعري عن بقية المذاهب العقدية الأخرى في التعامل مع النصوص، وقدرة أصحابه على التوفيق بينها جميعًا، دون رد شيء منها، أو انتقاء ما يخدم مذهبا كما فعلت المعتزلة.

¹ محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، م. س، ص: 128

² محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، علم الكلام ومدارسه مع تحليل لأهم قضايا الفلسفية، م. س، ص: 78

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

وبالنسبة للأشاعرة فلقد أخذوا بالقرآن واعتمدوا عليه أيضاً، وبالنسبة للموقف من العام والخاص فلقد قال الأشعري بأن عموم الوعيد يتناول كل فرد من أفراد العموم كأنه نص عليه باسمه الخاص، إلا أن الله تعالى يخلف في الوعيد، والخلف في الوعيد كرم، ويقول أيضاً بعدم حمل آيات الوعيد على العموم، فقد يذكر العام ويراد به الخاص، فقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ¹﴾ أنه أراد بعض الجن والإنس وهم العابدون لله منهم، لأن الله تعالى قال في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ²﴾ والقرآن لا يتناقض، فوجب أن يكون الله تعالى خلق لجهنم كثيراً وأنه خلق بعضهم للعبادة³.

وبالنسبة للأحاديث فلقد ذكر الباقلاني صدق الخبر المتواتر وأنه يوجب العلم والعمل، وأن خبر الأحاد يوجب العمل ولا يوجب العلم⁴.

وبالنسبة للإجماع فلقد عدّه الأشاعرة حجة شرعية يجب العمل به على كل مسلم⁵، وعلاوة على ذلك، فقد ترك كبار أئمة المدرسة الأشعرية مؤلفات ومصنفات كثيرة، كانت مرجعاً أساسياً في الفكر الأشعري، وفي هذا الإطار أورد بعض أشهر الكتب التي عدّت عمدة في التراث العقدي عند الأشاعرة.

¹ سورة الذاريات: 56

² سورة الأعراف: 179

³ علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، م. س، ص: 38 – 39

⁴ الباقلاني، التمهيد، المكتبة الشرقية، بيروت، 1957، (د.ط)، ص: 382 – 386

⁵ يُنظر: محمد بن الحسن بن فورك، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة، تحقيق وضبط: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1: 1425 هـ - 2005 م، ص: 202 وما بعدها

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

فأما الإمام أبو الحسن الأشعري، فأشهر ما كتبه هو رسالته الصغيرة "الإبانة عن أصول الديانة"¹ التي هي أول ما ألفه بعد تركه الاعتزال، والبعض يرى أنها آخر ما ألفه² وبغض النظر عن الجدل حول الفترة الزمنية التي كتب فيه رسالته السالفة الذكر، هل في بداية تركه الاعتزال أم بعد ذلك، فالذي يعنينا هنا هو أن هذه الرسالة عكس فيها الإمام أبو الحسن الأشعري أصول معتقده، ومنهجه الذي سار عليه.

ولعل من بين أشهر الكتب التي تركها الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله أيضًا، "اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع" و"استحسان الخوض في علم الكلام" و"مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين".

وله "الفصول" في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة، كالفلاسفة والطبائعين والدهريين وأهل التشبيه والقائلين بقدوم الدهر على اختلاف مقالاتهم وأنواع مذاهبهم، ثم ردَّ فيه على البراهمة واليهود والنصارى والمجوس، وهو كتاب كبير يشتمل على اثني عشر كتابًا³.

وهناك كتب أخرى كثيرة للإمام أبي الحسن الأشعري، لكن لا يتسع المجال لذكرها كلها، وإنما اقتصرنا على ذكر أشهر مؤلفاته في باب العقائد وعلم الكلام.

¹ طبع هذا الكتاب الصغير الحجم في حيدرآباد سنة 1321هـ، ثم في القاهرة سنة 1348، وترجمه إلى الإنكليزية كلين Klein سنة 1940 وعده جولد تسهر رسالة مهمة ومن الوثائق الأساسية في تاريخ العقائد الإسلامية، وأفاد منه مرارًا في كتابه "محاضرات في الإسلام"، وقرر أنه يمثل العرض النهائي لمذهب الأشعري. (عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، ص: 515 - 516)

² سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، م. س، ص: 132

³ عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، م. س، ص: 505

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدية الإسلامية البشير أسعير
ويأتي بعد الأشعري في الأهمية القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي (338هـ -
403هـ) ، وقد كان لكتبه الكثيرة في نصرة وتدعيم الفكر الأشعري أثر كبير في انتشار هذا المذهب
بين المالكية، ومن أشهر كتبه "الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به"، وكتاب
التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة"، وعُرف أيضًا باسم
كتاب "تمهيد الدلائل"، وكتاب "إعجاز القرآن"، وكتاب "الانتصار لنقل القرآن"، وكتاب "البيان عن
الفرق بين المعجزات والكرامات".

ومن بعده الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادي (ت429هـ)، وأشهر كتبه "أصول الدين"،
ويُعرف أيضًا باسم "التبصرة البغدادية"، ثم كتاب "الفرق بين الفرق"، وكتاب "الأسماء
والصفات".

ثم من بعده إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت478هـ) ، وألف كتب لعل أشهرها
كتاب "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد"، وكتاب "لمع الأدلة في قواعد أهل السنة
والجماعة"، و"الشامل في أصول الدين"، و"غياث الأمم في التياث الظُّلم" وغيرها¹.

ويأتي بعدهم أئمة أشاعرة لهم وزن في علم الكلام، ومن أشهرهم "الإمام الغزالي حجة
الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الشافعي (ت505هـ) ، وكان متكلمًا بارعًا وأصوليًا
نحريًا وفقهيًا، علاوة على طول بابه في التصوف، والرد على الفلاسفة، ومن هنا أخذ اسم
حجة الإسلام، وقد كتب كثيرًا في موضوع العقائد، ونالت كتبه شهرة وتداولًا كثيرًا، ومن أشهرها
كتاب "الاقتصاد في الاعتقاد"، و"الأربعين في أصول الدين"، وكتاب "قواعد العقائد"، وقد أدرجه
ضمن كتابه الشهير في التصوف "إحياء علوم الدين"، كما له في الرد على الإسماعيلية

¹سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، م. س، ص: 133

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
كتاب "فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية"، وله في الرد على الفلاسفة كتاب "تهافت
الفلاسفة"، وله في الرد على المسارعين في تكفير المخالفين في المذهب والفرقة كتاب "فيصل
الفرقة بين الإسلام والزندقة"، وله "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"¹.

ومهم أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت548هـ) صاحب كتابي "نهاية الإقدام
في علم الكلام" و"الملل والنحل"، ويلحق به ابن عساكر الدمشقي (ت571هـ) صاحب الكتاب
المشهور "تبيين كذب المفتري فيما نُسب أبي الحسن الأشعري"، وغيرهم من الأعلام الكبار في
تاريخ المذهب الأشعري.

الفرع الثالث: أصوله ومنهجه

1-أصوله:

يرتكز المذهب الأشعري على أصول واضحة ومحددة يتبلور من خلالها منهجه الكلامي،
ومن هذه الأصول:

الأصل الأول: إعطاء الأولوية للنص المنزل قرآنًا كان أم سنة.

الأصل الثاني: تفسير القرآن بالقرآن.

الأصل الثالث: تفسير القرآن بالحديث.

الأصل الرابع: الأخذ بالإجماع.

الأصل الخامس: أن القرآن العزيز على ظاهره، وليس لنا أن نزله عن ظاهره إلا بحجة.

الأصل السادس: أن الله تعالى إنما خاطب العرب بلغتها.

¹ المرجع نفسه، ص ص: 133- 134

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

الأصل السابع: مراعاة مناسبة النزول.

الأصل الثامن: الخصوص والعموم¹.

فالمذهب الأشعري يعتمد على الكتاب والسنة أولاً، ويعتمد على المأثور بشكل كبير، يقول الإمام الأشعري: "قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون"².

وبهذا يظهر أن المذهب الأشعري لم يحد عن الأصول الكبرى التي قام عليها السلف، وهذه الأصول هي الكتاب والسنة وما أُثِر عن الصحابة الكرام، والتابعين والفقهاء والمحدثين.

2-منهجه:

إن موضوع المنهج الذي اعتمده المذهب الأشعري، قد كُتِب فيه الشيء الكثير، واختلفت حوله الرؤى عند كثير من خصوم الإمام أبي الحسن الأشعري، خاصة من الذين لم تستوعب عقولهم هذا المنهج العقدي، وكذا السر الذي جعله يعتمد هذا الطريق في الاستدلال.

إلا أنه حين يدرس المرء ما كتبه الإمام أبو الحسن الأشعري، سواء في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" أو في كتابه "الإبانة عن أصول الديانة"، يكتشف أن المنهج الذي سلكه ليس بالشيء الجديد، ولا بالفكر الخارج عن جوهر القرآن والسنة النبوية، فحقيقة ما قام به الإمام أبو الحسن الأشعري، لا يعدو أن يكون تكملة لجهود السلف في الحفاظ على

¹ ينظر: مقدمة كتاب الإبانة، تحقيق: الدكتورة فوقيه حسين، ص ص: 111-132

² الإبانة عن أصول الديانة، م. س، ص: 20

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
العقيدة الإسلامية، ولذلك فاستخدام الأشعري للمنهج الاستدلالي الذي يعتمد على العقل في
البرهنة على الحقائق الإيمانية، هو مستمد من آيات القرآن التي تدعو المؤمنين إلى إعمال العقل
والفكر قصد الوصول إلى الحق، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاجْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ءَايَاتٍ لِلْأُولَى الْأَلْبَبِ﴾¹، لكن وفق ما جاء به الكتاب والسنة من
قواعد دون الخروج عنها، ولعل مزاجية الإمام أبو الحسن الأشعري بين النقل والعقل، إنما يدل
على الوسطية والاعتدال التي تميز بها منهجه.

سلك الأشعري في الاستدلال على العقائد مسلك النقل أولاً والعقل ثانياً، فهو يثبت ما جاء
في القرآن الكريم والحديث الشريف من أوصاف الله تعالى ورسله واليوم الآخر والملائكة
والحساب والعقاب والثواب، ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية يستدل بها على صدق
ما جاء في القرآن والسنة عقلاً، بعد أن وجب التصديق بها كما هي.

وينبني منهج المذهب الأشعري على عاملين رئيسين:

الأول: أن إعطاء قيمة مطلقة للعقل لا يؤدي إلى نصره الدين، إنه استبدال العقل
بالعقيدة، وكيف تكون معتقداتنا عن الله إذا كان العقل هو المرجع عند التعارض على النقل؟
الثاني: أنه لا بد من الإيمان أن في الدين أحكاماً توقيفية، ذلك مبدأ جوهري في الاعتقاد،
ولا يكون بدونه إيمان، وماذا عسى أن يكون الدين إذا استباح الإنسان لعقله أن يخوض في كل
فعل أو أمر إلهي، إن ذلك يتنافى تماماً مع مفهوم الإيمان وما يقتضيه من تصديق وتسليم².

¹ سورة آل عمران: 190

² سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، م. س، ص: 127

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

ومن خلال النص الطويل¹ الذي ورد في كتابه "الإبانة عن أصول الديانة"، يَن الإمام أبو الحسن الأشعري أصول ومنهج مذهبه العقدي، ويمكن إيجاز أبرز ملامح منهجه فيما يلي:

أ-الأخذ بكل ما جاء به الكتاب، وبكل ما جاءت به السنة، لا فرق في ذلك بين سنة متواترة وأحاد مادامت ثابتة صحيحة.

ب-الأخذ بظواهر النصوص في الآيات الموهمة للتشبيه، مع تنزيه الله تعالى عن الشبيه والنظير، فهو يعتقد أن لله وجهًا لا كوجه العبيد وأن لله يدا لا تشبه يد المخلوقات.

ج-إثبات جميع الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه، مع اليقين بأنها ليست كصفات المخلوقات وإن اتفقت التسمية أحيانًا.

د-إن الإنسان لا يخلق شيئًا، ولكنه يقدر على الكسب أي يملك اختيارًا وإرادة، وعلى هذا الكسب يدور التكليف.

هـ-كل ما وعد الله به واقع ونافذ، ومن جملة وعده تأميله الفاسقين والعاصين بالعفو والمغفرة يوم القيامة إذا شاء ذلك، ومن جملة وعده أن ينكشف لمن شاء من عباده يوم القيامة فيروونه رؤية صحيحة لا يُضارُون فيها².

ونجد الإمام الأشعري قد حاول فهم النص على ضوء العقل، لكنه لم يُضَحِّ به إرضاء لمقتضيات العقل، فهو لم يعرض عن العقل والبراهين العقلية كلية، واستخدم العقل في فهم النص¹.

¹ الإبانة عن أصول الديانة، م. س، ص ص: 8-12

² محمد سعيد رمضان البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، م. س، ص: 114

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
فالعقل على هذا عند الأشعري خادم لنص القرآن وصحيح السنة، وليس حاكمًا عليه، بل
إنه يرى أن العقل يفقد وظيفته عن طريق تحميله ما ليس من شأنه أن يحمله، علمًا أن
نصوص القرآن والسنة لا تتضمن من المعاني إلا ما يتفق مع موازين العقل، سواء ظهر لنا ذلك
أم لم يظهر².

أما موقف متأخري الأشاعرة كالجويني والرازي وغيرهما، فقد ابتعدوا عن منهج الأشعري،
ولم يقفوا عند الأخذ بما جاء به الكتاب والسنة دون تأويل، واقتربوا من مذهب المعتزلة،
فتأولوا النصوص الواردة في صفات الله تعالى على وجوه تليق بذاته، وبما ينبغي له من التنزه
عن مشابهة الحوادث³.

وانطلاقًا مما سبق، تتحدد معالم المنهج الأشعري في اعتماده الوسطية بين المعتزلة الذين
غالوا في استخدام العقل، وجعلوه حاكمًا على النص، وبين السلف وأهل الحديث الذين
تمسكوا بحرفية النص، فكان منهج المذهب الأشعري جامعًا بين العقل والنقل معًا، فتارة يلجأ
المتكلمون الأشاعرة إلى العقل، وتارة أخرى يرجعون إلى النقل، مع ترجيح النقل على العقل عند
التعارض.

هذا باختصار منهج الإمام الأشعري بغض النظر عما سلكه المتأخرون من الأشاعرة في
الميل إلى التأويل، والمبالغة في البراهين العقلية، والبعد عن الوسطية التي اعتمدها مؤسس

¹ علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، م. س، ص: 35

² عبد الكريم تتان، الأشاعرة من أهل السنة والجماعة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 1434هـ-2013م،
ص ص: 110-111

³ علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، م. س، ص: 36

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
المذهب التي تعني عدم التفريط في النص الشرعي، وتعني أيضًا عدم الإفراط في إعمال العقل
دون ضوابط.

الفرع الرابع: أهدافه ووظائفه

تجلت أهداف ظهور المذهب الأشعري في إرجاع العقيدة الإسلامية إلى مسارها الصحيح،
بعدما شوهت معالمها الفرق التي جنحت نحو الاستخدام المفرط للعقل، وتأثرت في مناقشتها
لقضايا الغيب بالفلسفة اليونانية، ومن هذه الفرق "المعتزلة" و"الجهمية" و"القدرية"، ولعل
مجيء الإمام أبي الحسن الأشعري كان بمثابة ضربة موجعة لمذهب المعتزلة الذي اعتبر جامعا
لآراء الفرق الأخرى، إذ لوحظ ضعف حججهم، وتراجع تأثير أفكارهم المتصلة بالعقيدة.
فلما ضعف شأنهم كان لابد أن يكون بين علماء السنة من يتولى ذلك العمل الكبير
الخطير، لأنه تلميذ المعتزلة، وعرف بلاءهم في هذا الأمر، ولأنه صار إمام السنة المعروف في ذلك
العصر، بعد أن زالت دولة المعتزلة¹.

وقد صرح أبو الحسن الأشعري في أكثر من مرة أن هدفه هو إحياء آراء الإمام أحمد، وأوضح في
كتبه أنه متمسك بطريق السلف، ولذلك نجده يقول: "جملة ما عليه أهل الحديث والسنة
الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئاً، وأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لا إله غيره، لم يتخذ
صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب
فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله سبحانه على عرشه، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى

¹ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، م. س، ص: 159

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

أَلْعَرْشِ إِسْتَوَى¹ ﴿ وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿لَمَّا خَلَفْتُ بِيَدَيَّ²﴾ وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ³﴾ وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجَرَّعَ بِأَعْيُنِنَا⁴﴾ وأن له وجهًا كما قال:

﴿وَيَبْفِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ⁵﴾ وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت

المعتزلة والخوارج، وأقروا أن الله سبحانه علمًا كما قال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ⁶﴾ وأثبتوا لله السمع

والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة، وأثبتوا لله القوة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ

اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً⁷﴾، ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في

الوقف واللفظ، من قال باللفظ أو بالوقف فهم مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق

ولا يقال غير مخلوق ولم يخلق شيئًا إلا وقد قال له كن فيكون. . . إلخ⁸

إلا أنه في كل الأحوال يمكن القول إن ظهور المذهب الأشعري جاء تعبيرًا عن ثورة عقيدة

قام بها الإمام أبو الحسن الأشعري ضد مذهب الاعتزال، هذا المذهب الذي غالى في تقديس

العقل إلى أبعد الحدود، فكانت النتيجة أن وصل أعلام المعتزلة إلى النفق المسدود، وسقطوا في

1 سورة طه: 4

2 سورة ص: 74

3 سورة المائدة: 66

4 سورة القمر: 14

5 سورة الرحمن: 25

6 سورة النساء: 165

7 سورة فصلت: 14

8 أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عني بتصحيحه: هلموت ريتز، ط3: 1400 هـ -

1980م، ج1، ص ص: 290 - 292

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
مجموعة من الأخطاء والانحرافات العقيدة، مما دفع الإمام أبي الحسن الأشعري إلى الخروج
عنهم، وتأسيس مذهبه العقدي الذي كان بديلاً محافظاً على الخط الذي سار عليه السلف
وأهل الحديث.

ومن خلال التمعن في كتابات أئمة وأعلام المذهب الأشعري، يتبين أنهم خاضوا سجلات
فكرية كثيرة، وبذلوا جهوداً كبيرة في التصدي للأفكار الدخيلة على عقيدة الإسلام، كما ناظروا
أصحاب الفرق التي ابتعدت عن خط أهل السنة والجماعة، فالإمام أبو الحسن الأشعري رحمه
الله له مواقف مشهودة في حماية العقيدة الصحيحة، خصوصاً مناظراته مع أعلام مدرسة
المعتزلة، فكانت ردوده على أفكارهم سديدة ومفحمة، وقد كشف الأخطاء العقيدة وسوء
التأويلات التي سقط فيها بعض المتكلمين الذين مالوا إلى الاتجاه الفلسفي والعقلي بشكل كبير،
وبرهن على انحرافاتهم بالأدلة الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة، وكان يلجأ في بعض
الأحيان إلى الاستدلال العقلي من أجل دحض حجج الخصوم لاسيما وأنهم كانوا يميلون إلى
استخدام المنطق والمنهج العقلاني أكثر، وبالتالي يمكن القول إن المذهب الأشعري قام
بإسهامات كبرى في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، والذود عنها ضد هجمات الفرق
الأخرى.

وقد تزامن نشاط المذهب الأشعري مع بزوغ نجم مذهب آخر في بلاد ما وراء النهر، ويتعلق
الأمر بالمذهب الماتريدي الذي أسسه أبو منصور الماتريدي، فما هي ظروف نشأة هذا المذهب؟
وما هي الإضافات التي قدمها في مجال العقيدة وعلم الكلام؟

المطلب الثالث: المذهب الماتريدي

الفرع الأول: نشأته وتطوره

الماتريدية هي إحدى الفرق الإسلامية التي ظهرت في بلدة ماتريد التابعة لمدينة سمرقند في بلاد ما وراء النهر أوائل القرن الرابع الهجري¹ تُنسب المدرسة الماتريدية إلى أبي منصور الماتريدي² وتسمت باسمه، وهو المؤسس للاتجاه الكلامي في المذهب الحنفي³، وإن كان تاريخ وفاة الإمام الماتريدي معروفاً لدى الباحثين رغم بعض الاختلاف بين المؤرخين حوله، إلا أن تاريخ مولده بقي مجهولاً⁴، ولا توجد معلومات كثيرة في هذا الباب "من هذا لا نملك إلا أن نقرر بأن مولد الماتريدي بالضرورة كان قبل وفاة أستاذه محمد بن مقاتل الرازي، أعني أنه ولد قبل

¹ أبو منصور الماتريدي ودوره في نشأة الماتريدية، صدام جاسم محمد، محمود فياض حمادي، مجلة ديالي، العدد السادس والعشرون، 2007، ص: 4

² وهو محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي، ولد بماتريد وهي محلة بسمرقند فيما وراء النهر، وقد ثبت أنه توفي سنة 333 بعد الهجرة النبوية، وقد تلقى العلم في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري (محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص: 164)

³ علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية: مدخل ودراسة، م. س، ص: 328

⁴ وإن أردنا أن نُقدّر تاريخ ولادة أبي منصور فإننا نستطيع ذلك بمعرفة تاريخ وفاة بعض أساتذته؛ فإذا كان أستاذه ابن مقاتل الرازي قد توفي سنة 248 هجرية وأستاذه نصير بن يحيى البلخي قد مات سنة 268 هجرية، وكانت صغرى سن يتقدم بها المرء إلى مجالس العلم؛ هي الخامسة، ولا يبلغ الثامنة إلا وقد حفظ القرآن العظيم، فإننا نستطيع أن نقول: إن أبا منصور الماتريدي قد وُلِدَ حوالي سنة 238 هجرية. (مقدمة كتاب تأويلات أهل السنة، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، ص: 8) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
سنة 248هـ - 862م بالقدر الذي يتمكن معه من التوجه إلى طلب العلم والتعلم عليه، ليتلقى
منه فقه أبي حنيفة وآراءه في العقيدة¹.

ويبدو لنا من التعريف لهذه الفرقة الإسلامية أن جذورها ترجع إلى أهل السنة من
الحنفية السلفية، حيث إن المتتبع للتاريخ يجد أن الحنفية بعد الإمام أبي حنيفة النعمان
رحمه الله تفرقوا فرقاً شتى، من هذه الفرق الماتريدية².

وقد ذكرت المصادر أن أبا منصور الماتريدي كان معاصراً للأشعري، وسبقه إلى نصرة أهل
السنة، وكان يُلقب بإمام الهدى، وإمام المتكلمين، ورئيس أهل السنة، مُصحح عقائد
المسلمين³، ومن العلماء من يقول إنه إذا أُطلق تعبير أهل السنة والجماعة فالمراد به الأشاعرة
والماتريدية⁴.

¹ أبو منصور الماتريدي، التوحيد، تحقيق: بكر طوبال أوغلي ومحمد أروتشي، دار صادر، بيروت ومكتبة الإرشاد،
إستانبول، ص: 12

² صدام جاسم محمد، محمود فياض حمادي، أبو منصور الماتريدي ودوره في نشأة الماتريدية، مجلة ديالي، العدد
السادس والعشرون، 2007، ص: 4 - 5

³ مجدي باسلوم، تفسير القرآن العظيم المسمى "تأويلات أهل السنة"، بيروت، دار الكتب العلمية، 2005، ج1،
ص: 73 - 93

⁴ السيد المرتضى الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، (د.ط)،
1414هـ - 1994م، ج2، ص: 6

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية..... البشير أسعير
ويمكن اعتبار المذهب الماتريدي امتدادًا للمدرسة الحنفية في العقائد، خصوصًا إذا علمنا
أن أبا منصور الماتريدي تتلمذ على كبار العلماء الحنفية أمثال "أبي نصر أحمد بن العياضي
ومحمد بن مقاتل الرازي"¹.

¹ القرشي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1413هـ - 1993م، ج1، ص: 561

الفرع الثاني: مصادره وأدبياته

إن المصدر الأصلي لمعارف الماتريدي يتكون من الثقافة الإسلامية المتمثلة في القرآن وعلومه، وفي الحديث النبوي وفنونه المختلفة، والعلوم الشرعية المتنوعة المقاصد منها والوسائل على السواء، وقد برع في الحديث على يد شيخه محمد بن مقاتل الرازي، كما حذق الفقه والكلام من نصير بن يحيى البلخي¹.

وبالنسبة لموقف الماتريدية: فيأخذون بالقرآن الكريم كحجة ودليل، وبالنسبة لموقفهم من العموم والخصوص، فلقد رأى الماتريدي أن العموم قد يُذكر ويُراد به الخصوص، وليس في عموم اللفظ عموم المراد، ولا في خصوصه خصوص المراد² ويرى الماتريدي عدم القول بالعموم في آيات الوعيد والقطع به، فهي لا تصرف للعموم لمجيء أخبار العفو وألا يكون متناقضًا، وبذا يثبت الخصوص، وإذا احتمل العموم والخصوص فحقه الخوف لا القطع³.

هذا بالنسبة لمصادر المذهب الماتريدي، أما عن أدبياته، فإن ما تركه مؤسسه الإمام أبو منصور الماتريدي من مصنفات وكتب في مختلف مجالات العلوم الشرعية، يعطينا صورة واضحة عن السياقات والظروف التاريخية التي ظهر فيها المذهب الماتريدي إلى الوجود، فضلًا عن المنهج الذي سار عليه، ويساعدنا على معرفة خصائص علم الكلام الماتريدي.

¹ بلقاسم الغالي، أبو منصور الماتريدي: حياته وآراؤه العقدية، م. س، ص: 53

² الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج1، م. س، ص: 454

³ الماتريدي، التوحيد، م. س، ص: 363

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
فالأبواب التي صَنَّفَ فيها الإمام الماتريدي مختلفة منها التفسير وأصول الفقه، ويأتي في
مقدمتها باب الاعتقاد، ولعل أبرز كتاب له في هذا الباب هو (كتاب التوحيد) "ويعتبر كتاباً قيماً
في الفكر الإسلامي عامة ومرجعاً أساسياً للمذهب الحنفي الماتريدي خاصة"¹.

ويتصدر كتاب (التوحيد) كتب أبي منصور في علم الكلام، لأن أبا منصور يئن فيه المبادئ
والأصول التي يجب أن يدركها أهل السنة ليكونوا جديرين بحمل صفات المسلمين المؤمنين،
ويعملوا ما فيه الخير، فينالوا ثواب الله - تعالى - في الدنيا والآخرة، وجعل عنوان الكتاب
(التوحيد) ليؤكد أن الإسلام هو دين الله عز وجل².

وأما الكتاب الثاني البالغ الأهمية فهو تفسير الماتريدي المسمى "بتأويلات أهل السنة"، وهذا
الكتاب يطلعنا بوضوح على شرح مراد الله سبحانه من وجهة نظر سنية، وهو يعتمد على العقل
والنقل في تفسيره³.

ولا ينبغي أن نغفل في هذا الإطار عن المصنفات التي تركها الإمام أبو حنيفة، خصوصاً أن
الاتجاه الماتريدي ينتمي ضمنياً للمذهب الحنفي، وأن الإمام أبو منصور الماتريدي استفاد بشكل
كبير من ما كتبه مؤسس المذهب (أبو حنيفة) لاسيما في باب الاعتقاد" ومن هنا فقد قرر الكثير
من علماء الحنفية أن النتائج التي توصل إليها أبو منصور الماتريدي، تتفق تمام الاتفاق مع ما

¹ مقدمة كتاب التوحيد للماتريدي، تحقيق: بكر طوبال أوغلي ومحمد آروتشي، دار صادر، بيروت ومكتبة الإرشاد،
إستانبول، ص: 8

² تأويلات أهل السنة، ج 1، م. س، ص: 12

³ أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية، م. س، ص: 18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
قرره أبو حنيفة من العقائد، فكانت آراء أبي حنيفة هي الأصل الذي تفرعت منه آراء
الماتريدي¹.

ومن أشهر كتب الإمام أبو حنيفة في باب علم الكلام والعقيدة: كتاب الفقه الأكبر، وكتاب
الفقه الأبسط، وكتاب العالم والمتعلم، ورسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي ثم كتاب الوصية.
وهذا يتبين أن أبا منصور الماتريدي أقام نظرياته في العقائد على المأثور عن أبي حنيفة في
هذه الرسائل التي رواها عنه وفرّع تفريعات عليها، وردّ ما لم يثبت فيها إلى ما أثبت فيها، فهو
يثبت قضايا الشرع بالأدلة العقلية المنطقية والبراهين التي لا مجال للشك فيها².

الفرع الثالث: أصوله ومنهجه

1-أصوله:

لم يخرج المذهب الماتريدي عن الأصول العامة التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة،
فعقيدة أبو منصور الماتريدي-كما هو معلوم- هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وجذور
الماتريدية تعود في الأصل إلى مدرسة الإمام أبي حنيفة في الاعتقاد، وهذا النهج الذي سار عليه
الماتريدي في علم الكلام لم يكن مخالفاً لما كان عليه أبو حنيفة صاحب كتاب الفقه الأكبر.

لذلك، فالمذهب الماتريدي يعتبر قريباً جداً من أهل السنة والجماعة وعلى الخصوص
المذهب الأشعري، حيث أن كلا المذهبين كان لهما دور كبير في الحد من غلو المعتزلة، ومبالغتهم
في تقديس العقل على حساب النقل، "والماتريدية لم تشتط في الأحكام ولم تحكم على أحد من

¹ صدام جاسم محمد، محمود فياض حمادي، أبو منصور الماتريدي ودوره في نشأة الماتريدية، م. س، ص: 5

² محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، م. س، ص: 166

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
مجتهدي وعلماء المسلمين بالكفر، وإنما تستهدف أقرب المناهج إلى الصحابة والتابعين رضي الله
عنهم¹.

وبما أن الحديث هنا عن أصول المذهب الماتريدي في الاعتقاد، فلا بد من الإشارة إلى أن
كل ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من أصول اعتقادية، تلقته الماتريدية بالقبول، ما عدا
بعض المسائل الخلافية بينهم وبين السلف والأشاعرة مما له صلة بالمنهج الكلامي المتبع.

ومنهج المذهب الماتريدي في المباحث العقدية كانت عليه بعض المؤاخذات، خصوصاً أن
الخط الذي سطره مؤسس المذهب أبو منصور الماتريدي، والمتعلق بمناهضة تقديس العقل
الذي سلكه المعتزلة، قد سقط فيه بعض الماتريدية لاحقاً، حيث وجدنا بعض التقارب بين
الماتريدية والمعتزلة في بعض الآراء ومنها قضية التحسين والتقبيح العقلي على سبيل المثال.

وعلى العموم، يبقى المنهج الذي سار عليه المذهب الماتريدي، هو من قبيل الرؤية
الاجتهادية التي توصل إليها علماء الماتريدية بعد طول بحث ودراسة، وقد يكون فيه نصيب من
الصواب وقد لا يكون، ومن هنا، لابد لنا من معرفة طبيعة المنهج الذي سلكه الإمام الماتريدي
في المباحث العقدية، وهل كان هذا المنهج متوافقاً مع أصول المذهب أم لا؟

2-منهجه:

لقد توفق الماتريدي إلى منهج أصيل، فأرضى بمؤلفاته جانبي العقل والنقل في آن واحد²،
وهذا ما نلاحظه من خلال استقراء مؤلفاته، حيث يقول: "ثم أصل ما يُعرف به الدين-إذ لابد

¹ أبو منصور الماتريدي ودوره في نشأة الماتريدية، م. س، ص: 4

² بلقاسم الغالي، أبو منصور الماتريدي: حياته وآراؤه العقدية، م. س، ص: 71

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية..... البشير أسعير
أن يكون لهذا الخلق دين يلزمهم الاجتماع عليه وأصل يلزمهم الفرع إليه وجهان، أحدهما
السمع، والآخر العقل¹.

ويلعل الإمام أبو منصور الماتريدي اعتماد هذا المنهج المزدوج قائلاً:

"أما السمع فمما لا يخلو بشر من انتحاله مذهبا يعتمد عليه ويدعو غيره إليه، حتى
شاركهم في ذلك أصحاب الشكوك والتجاهل فضلا عن الذي يُقر بوجود الأشياء وتحقيقها، وأما
العقل فهو أن كون هذا العالم للفناء خاصة ليس بحكمة، وخروج كل ذي عقل بفعله عن
طريق الحكمة قبيح عنه، فلا يُحتمل أن يكون العالم الذي العقل منه جزء مُؤسسًا على غير
الحكمة أو مجعولا عبثًا²".

والماتريدية لا تقول بالقدرة المطلقة للعقل، إذ إن العقل عندهم يدرك ظواهر الأشياء ولا
يدرك ماهيتها وحقائقها، يقول الماتريدي موضحًا هذا: "إن العقول أنشئت متناهية تقصر عن
الإحاطة بكلية الأشياء، والأفهام متقاصرة عن بلوغ غاية الأمر"، وهم بهذا يحاولون أن يصلوا إلى
غايتهم وهي محاولة التوسط بين العقل والنقل، وهذا دفعهم إلى تقسيم العقائد إلى إلهيات
ونبوات (يستقل العقل بإثباتها)، وإلى سمعيات (لا يستقل العقل بإثباتها ولا تدرك إلا
بالسمع)³.

¹ الماتريدي، التوحيد، م. س، ص: 66

² المصدر نفسه، ص ص: 66-67

³ فرقة الماتريدية: مقال منشور على الموقع الإلكتروني لمركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية.

³ (تاريخ الزيارة: 2019-06-26) www.achaari.ma/article.aspx?C=5639 .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

الفرع الرابع: أهدافه ووظائفه

كان الهدف الأساسي من تأسيس المذهب الماتريدي-كما هو مسطر في كتابات مؤسسه أبي منصور الماتريدي- هو الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة بشكل عام، خاصة أن منطقة ما وراء النهر التي عاش فيها الإمام الماتريدي تميزت بانتشار بعض المذاهب التي كانت تخالف أصول أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، كالجهمية والقدرية والمعتزلة والشيعة... إلخ، وكانت أفكار هذه الفرق مؤثرة بشكل كبير في تلك الرقعة الجغرافية من بلاد الإسلام، وقد نهض الإمام الماتريدي لنصرة عقيدة أهل السنة والجماعة، متسلحاً بما وهبه الله تعالى من علوم شرعية، وفهم للكتاب والسنة، وما كان يتميز به من رجاحة العقل، وقد تجلت معالم المشروع الماتريدي في جل مؤلفاته الكلامية، خصوصاً في كتابيه "التوحيد" و"تأويلات أهل السنة".

بالإضافة إلى ذلك، سعى الإمام الماتريدي من خلاله مشروعه الإصلاحية، إلى إحياء المذهب الحنفي في الاعتقاد، ومحاولة إعادة الاعتبار لما كتبه شيخ المذهب أبي حنيفة النعمان، خاصة كتاب "الفقه الأكبر"، وقد كانت لجهود المذهب الماتريدي آثار بارزة في المناطق التي انتسب أهلها للمذهب الحنفي، كآسيا الصغرى (تركيا حالياً)، والهند وباكستان... إلخ.

إنه بالنظر إلى قيمة ما تركه الإمام أبو منصور الماتريدي مؤسس المذهب الماتريدي من مؤلفات وكتب، سندرك على أن هذا الرجل نذر نفسه ووقته للدفاع عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، شأنه في ذلك شأن الإمام أبو الحسن الأشعري، ومن سبقه من علماء وأئمة أهل السنة والجماعة، فقام بالرد على الفرق المنحرفة في الاعتقاد، "وقد تصدى للرد عليها بعد أن

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
درس أصولها وأدرك مواطن الضعف فيها، وسبر غور أدلتها وحججها، فأفحم الخصوم، وأقام
البراهين حتى لقَّبه أهل السنة (بمهدي هذه الأمة) ¹.

فردَّ على أبي محمد الباهلي في كتاب (رد الأصول الخمسة)، وردَّ على أبي القاسم الكعبي
على كُتبه بكتاب (رد تهذيب الجدل) وكتاب (رد وعيد الفُسَّاق) وكتاب (رد أوائل الأدلة)، وبَيَّن
ضياح أتباع المعتزلة في كتاب (بيان وهم المعتزلة)، وردَّ على الروافض في كتاب (رد الإمامة
لبعض الروافض)، وردَّ أخيرا على القرامطة في كتابين: الأول (الرد على القرامطة) والثاني (الرد
على فروع القرامطة) ².

¹ محمد مرتضى الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، ج2، م. س، ص: 5

² يُنظر: مقدمة كتاب تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي، ج1، م. س، ص: 12

الفصل الأول: دراسة لنماذج من القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية

توطئة:

سأقوم في هذا الفصل بدراسة بعض القضايا الإيمانية الكبرى التي اعتُبرت نقاط خلاف بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية، وقد يتصور غير المتخصص في مجال مقارنة الأديان أن هناك توافق تام بين جميع المدارس المسيحية حول هذه القضايا، إلا أن المطلاع على المصادر الدينية للمسيحيين، سيكتشف وجود العديد من الاختلافات الجوهرية بينها، وهذه الاختلافات كان لها بالغ الأثر في توسيع الهوة بين المدارس المسيحية من جهة، وبين المدارس المسيحية والمذاهب الإسلامية من جهة أخرى،

ويمكن تصنيف هذه القضايا الإيمانية حسب التقسيم الكلامي، وأعني بذلك، الأقسام الثلاثة في العقيدة وهي: قسم الإلهيات وقسم النبوات وقسم السمعيات أو (المعاد)، ففيما يخص قسم الإلهيات، ستقتصر هذه الدراسة على قضية وجود الله تعالى ووحدانيته باعتبارها قضية جوهرية في الأديان السماوية، وسيتضح من خلال هذه الدراسة إلى أي حد حافظت المدارس المسيحية والمذاهب الإسلامية على هذا الأصل، وسأقوم بدراسة قضية خلق الكون، ومراحل نشأته وتطوره، وهي قضية ما زالت تُثار حولها الكثير من النقاشات في الشرق والغرب، لاسيما بعد الاكتشافات العلمية الحديثة التي دفعت الكثير من العلماء إلى إعادة النظر في ما أقرته الكنيسة المسيحية من تعاليم سابقة اعتُبرت من المُسلّمات، ثم سأحدث عن قضية

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
أخرى لا تقل أهمية عن القضيتين السابقتين ألا وهي قضية خلق الإنسان، هذا الكائن الغريب
الأطوار الذي خلقه الله تعالى، وميّزه عن باقي المخلوقات بعدة مزايا وصفات.

وبالنسبة لقسم النبوات، ستركز الدراسة على قضايا: الوحي والعصمة والمعجزات،
باعتبارها قضايا مركزية في الرسائل السماوية الثلاث، أما فيما يخص قسم السمعيات أو
المعاد، فسأتطرق فيه إلى ما يتعلق باليوم الآخر من قضايا كالحشر والحساب، والشفاعة يوم
القيامة، وهي من المسائل العقدية التي تأسست عليها الأديان السماوية في أصلها الأول، بغض
النظر عن صحتها أو بطلانها وما آلت إليه اليوم.

المبحث الأول: دراسة قضايا الألوهية عند المدارس المسيحية والمذاهب الإسلامية

المطلب الأول: قضايا الألوهية¹ عند المدارس اللاهوتية المسيحية

الفرع الأول: وجود الله تعالى ووحدانيته

يؤمن المسيحيون بشكل طبيعي بلزوم وجود الله، لأن للكون بداية، وكل ما كان بداية، لا بد أن يكون له بادئ² وبإلقاء نظرة على المصادر اللاهوتية المسيحية، سيتضح أن قضية وجود الله تعالى هي من المسلّمات، ومن المسائل العقيدة التي يتفق عليها المسيحيون بمختلف مدارسهم، ولذلك جاء في دستور الإيمان النيقاوي القسطنطيني قولهم: "أؤمن بإله واحد، خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يرى³"، فالأصل في العقيدة أن وجود الله قضية محسومة بين المدارس المسيحية الثلاث.

¹ جاء في تعريف الألوهية اصطلاحاً ما معناه: "وهي تشير بالأصل إلى الاعتقاد بإله واحد كمقابل للإلحاد (Atheism) وتعدد الآلهة (Polytheism) وتزايد استخدام الكلمة خلال القرن السابع عشر للدلالة على أوضاع كانت تعد أقل من الأشكال التامة الاستقامة في المسيحية (Christianity). (المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم، تعريب وتقديم: سهيل زكار، ج1، ص: 111-112)

² رافي زكارايوس، من صنع الله؟، دار منهل الحياة، لبنان، الطبعة الأولى: 2011، ص: 23

³ منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، القاهرة، (د.ط)، ص: 254

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ومن ثم، لم يكن موضوع شك أن يكون الله موجودًا، لا لدى الذين تسلموا الكتب
المقدسة - أفي العهد القديم كان ذلك أم في الجديد- ولا لدى معظم اليونانيين¹ حيث يقول
القديس توما الأكويني² Thomas d'Aquin: "يظهر أن وجود الله يَبين بنفسه، إذ إنما يقال يَبين لنا
بنفسه لما معرفته مركوزة فينا طبعًا كما هو واضح في المبادئ الأولى، ومعرفة الله مركوزة طبعًا
في الجميع³" ويضيف أيضًا: "لما كان الواحد هو الموجود غير المنقسم، كان لابد لكون شيء في
غاية الوحدة من كونه في غاية الموجودية، وفي غاية عدم الانقسام، وكلا الأمرين متحقق في الله
لأنه في غاية الموجودية، إذ ليس له وجود محدود بطبيعة طارئة عليه، بل هو عين الوجود
القائم بنفسه وغير المحدود من وجه، وهو أيضًا في غاية عدم الانقسام، إذ ليس ينقسم بوجه
من وجوه القسمة لا فعلا ولا قوة، لأنه بسيط من جميع الوجوه⁴".

وهذا العالم والفيلسوف الفرنسي رينه ديكارت⁵ Rene Descartes قد طرح فكرة منطقية
عن قضية وجود الله، "وتتلخص فكرة ديكارت في أن كُلاً من المؤمن والكافر والشاك يقيم إيمانه
أو كفره أو شكه على رأي صادر من عقله وفكره، وما دُمت أفكر فأنا إذن موجود، وإذا كنت

¹ يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عرّبه عن النص اليوناني: الأرشمندريت أدريانوس شكور

ق ب، المكتبة البولسية (لبنان)، الطبعة الأولى: 1984، ص: 57

² فيلسوف ولاهوتي من أصل إيطالي، كتب باللاتينية، وُلد بين نهاية عام 1224 وبداية عام 1225 في قصر
روكازيكا على مقربة من أكوينو (إيطاليا الجنوبية)، ومات في فوسانوف، على مقربة من تراشينا، في 7 آذار 1274
(جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص: 241).

توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، الجزء الأول، م. س، ص: 283

⁴ المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: 120

⁵ أول فيلسوف محدث وواحد من أعظم الرياضيين في الأزمان قاطبة، وُلد في لاهاي في 31 آذار 1596 ولفظ نفسه
الأخير في 11 شباط 1160، كان صاحب مزاج شكس : فقد كان نفورًا، متكبرًا، متعجرفًا، لكن جوهر نفسه كان
مقدودًا من الشجاعة. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص: 298).

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
موجودًا فإما أن أكون أوجدت نفسي أو أوجدني غيري، فإذا كنت أنا الذي أوجدت نفسي، فإن
فيَّ عيوبًا ونقائص لا بد من تلافيها كي أصل إلى الكمال، ولكن رغم شوقي إلى الكمال فإني لا
أستطيع تحقيقه، وما دُمت عاجزًا عن تحقيق الكمال لنفسي، فأنا من باب أولى أشدُّ عاجزًا عن
خلق نفسي، وإذن فقد خلقتني غيري، وهذا الغير لا بد أن يكون أكمل مني، لأن الناقص لا يخلق
ما هو أكمل منه، ولا يمكن أيضًا أن يكون مماثلاً لي، فلم يبق إذن إلا المطلق وهو الواحد
الخالق الأحد¹.

ورأي ديكارت ينطلق فيه من فلسفته التي تعتبر أن التفكير الإنساني علامة على الوجود،
لأنه بالعقل يدرك الموجودات من حوله، ويتأمل في نفسه، ويبدأ في طرح الأسئلة الكبرى عن
مصدر وجوده، والعلّة من ذلك وعن المصير. إلخ، وعليه، فإن الإنسان يصل إلى نتيجة مفادها
أنه كائن مخلوق وعاجز، وهذا يعني أن له خالقًا أوجده، وهذا الخالق لا بد أن يتصف بصفات
الكمال.

وهذا القديس أنسلم² Anselm يعترف بوجود الله قائلاً: "يفهم كل شخص من الاسم (الله)
بأنه الذي لا يوجد أعظم منه، وبما أن غير الموجود لا يمكن أن يكون الأعظم، فالله موجود
بالضرورة"³.

¹ مصطفى الشكعة، مطالعات إسلامية في العقيدة والفكر، م. س، ص: 7 وجون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج5،

ص ص: 31 - 32

² فيلسوف لاهوتي وقديس، وُلد في أوستا سنة 1033 أو 1034م، وتوفي في كانتربري في 21 نيسان 1109
(جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص: 102) .

³ يُنظر: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، الزرادشتية - المانوية- اليهودية-المسيحية، دار
علاء الدين، دمشق، ط2: 2010م، ص: 305

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
ويصرح بولس بوجود إله واحد وعظيم، هذا الإله العظيم الذي أوجد الكون ومن عليه
من مخلوقات، والدلائل على وجوده كثيرة ومتعددة، و"صحيح أن الله، على حد تعبير الرسول
بولس، "لم يترك نفسه بلا شاهد"¹، فإن آثاره بادية في الكون وبنوع خاص في هذا الترتيب
المذهل الذي يتجلى في انتظام الكائنات من أصغرها إلى أكبرها، من الذرة إلى النظام الشمسي،
وفي التركيب المعقد المنسق الذي يسمح للكائنات الحية في الاستمرار في البقاء وبتخليد النوع،
وفي الخط التصاعدي الذي سلكه التطور انطلاقاً من سحب الهيدروجين والهيليوم الأولى إلى
ظهور الحياة ثم إلى ظهور الفكر"².

والإيمان المسيحي بوجود الله يرتكز على جملة من الأدلة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع

وهي:

¹ رسالة أعمال الرسل 17: 14

² كوستي بندلي، السبل إلى الله، منشورات النور، طبعة ثانية، (د.ت)، ص: 24

1- الأدلة الكونية:

وهي كل الأشياء الموجودة في الطبيعة التي تدل على أن الله تعالى هو من خلقها وأبدع صنعها، يقول القس إلياس مقار في هذا الشأن: "والطبيعة أول وأقدم شاهد على وجود الله، ويكفي أن ترفع نظرك إلى فوق أو تسرح طرفك في الفضاء الواسع لتهتف مع داود: "السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ"¹ وتصبح مع بولس: "لأنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمُنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمُصْنُوعَاتِ، قُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلَاهُوتُهُ"²، وتقول مع جوته "إنَّ الطَّبِيعَةَ هِيَ النَّسِيجُ الْعَظِيمُ الَّذِي حَاكَهُ اللَّهُ فِي مَنْسَجِ الزَّمَنِ"³.

وشواهد وجود الله يمكن أن يدركها الإنسان بالحس والمشاهدة بما في ذلك "العالم انطلاقاً من الحركة والصَّيرورة، من إمكان الحدوث، من نظام العالم وجماله، تصبح من الممكن معرفة الله مبدأً وغاية للكون"⁴، ولهذا نجد أن الكنيسة الكاثوليكية تُعَلِّمُ أنه بالإمكان معرفة الله، عن طريق العقل الإنساني الطبيعي وذلك بالتأمل في المخلوقات.

وفي هذا الصدد، يستشهد القديس أوغسطينوس⁵ Augustinus بدلائل عظمة الله وإبداعه في الكون، فيقول: "سائل جمال الأرض، سائل جمال البحر، سائل جمال الهواء الذي يتمدد

¹ مزمور 19: 1

² الرسالة إلى رومية 20: 1

³ إلياس مقار، إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، الطبعة الثانية: 2000، ص: 22

- 23

⁴ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، طباعة الكنيسة الكلدانية في بريطانيا، لندن 2012، ج1، ص: 9

⁵ أوراليوس أوغسطينوس، أشهر آباء الكنيسة اللاتينية، وُلِدَ في طاجسطا (سوق أهراس) بنوميديا في 13 تشرين الثاني 354م، مات في ايبونا في 14 آب 430م، كان أبوه وثنيًا ، ويُدعى باتريقيوس ، وأمه نصرانية تدعى مونيكا (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص: 117) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وينتشر، سائل جمال السماء، سائل هذه الحقائق كلها فتُجيبك كلّها: أنظر، نحن جميلات
وجمالها اعتراف هذه الجمالات القابلة للتغير، هل صنعها إلا الجميل الذي لا يقبل التغير؟¹
ومن ثم، فإن اللاهوت المسيحي يعتبر أن مظاهر الكون وما فيه من جمال، ونظامه البديع
والمتوازن يحمل دلالات واضحة على أن صانعه يتصف بالجمال والإبداع والحكمة، ومن يكن
هذا الصانع سوى الله البديع.

2- الأدلة العقلية البرهانية:

المنطق العقلي يحتم ضرورة وجود الله، إذ أن العقل يثق في أنه لكل موجود حولنا واجد،
ولكل شيء مصنوع صانع، فأنت حينما تشاهد مثلاً قصيراً فخماً لا بد أن تحكم بأن لهذا القصر
مهندساً بارعاً قد صممه، وكذلك حينما تنظر آلة من الآلات لا بد أن تجزم بأن عقلاً كبيراً قد
اختراعها، فلما لا نستنتج من هذا المبدأ وجود الله، بناء على مشاهدتنا لما صنعه في هذا الكون
الفسيح من مخلوقات غاية في الإبداع والإتقان؟²

وحسب ما ذهب إليه القديس يوحنا الدمشقي، فهذه الأدلة العقلية تنقسم بدورها إلى
ثلاثة أقسام، منها دليل المبدأ الأول الذي يفيد بأن "كل الكائنات مخلوقة أو غير مخلوقة، فإن
كانت مخلوقة فهي حتماً متحولة، وهي خاضعة للتحول، فهي في كل شيء عرضة إما للفساد
وإما للتغيير في اختيارها، أما إذا كانت غير مخلوقة فهي بحسب الاستنتاج المنطقي غير متحولة
البتة، وعليه فالمتحولة، هي حتماً مخلوقة، ولما كانت مخلوقة فهي حتماً صنع أحد، ويجب أن
يكون صانعاً غير مخلوق، أما إذا كان هذا مخلوقاً، فهو حتماً صنع أحد، ذلك إلى أن نبلغ إلى

¹ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ج1، م. س، ص: 9

² بيشوى حلمى إبراهيم، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى: نوفمبر 2007م، ص: 70

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
واحد غير مخلوق. إذاً لما كان الصانع غير مخلوق فهو حتماً غير متحول، ومن يكون هذا يا ترى
غير الله؟¹.

يبدو واضحاً أن هذا البرهان مستمد من فلسفة أرسطو وهو البرهان القائم على مبدأ
إبطال الدور المنطقي في تسلسل العلل إلى مالا نهاية، وضرورة التوقف عند "علة أولى" أو "مبدأ
أول" هو علة كل صيرورة وتحول في العالم، فكل ما هو بالقوة فهو متحول ومستمد للحركة
من "مبدأ أول" يوجد دائماً بالفعل².

ودليل التدبير والعناية الذي يقول: إن "التئام الخليقة نفسه مع حفظها وسياستها يعلمنا
هو أيضاً أن الله موجود، وأنه هو المرتب والمنسق والحافظ هذا الكون كله والمعني به على
الدوام"³.

والدليل العقلي الثالث الذي يعرضه يوحنا الدمشقي لإثبات وجود الله هو دليل الحركة
المنظمة، ويتساءل الدمشقي في هذا البرهان هل نظام العالم خاضع لحركة منتظمة هي سبب
بقائه واستمراره؟ ويرفض أن تكون حركة العالم محض صدفة، فيقول: "ما الذي نظم ما هو
في السماء وما هو على الأرض، كل ما هو في الهواء، كل ما هو في الماء؟ ما الذي خلطها ووزعها؟
من دفع بها إلى الحركة، وقاد انطلاقها بلا هودة ولا حازر؟ هل هو إلا الذي ألقاها ووضع أمره

¹ يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص ص: 57 - 58

² سليمان أحمد الزاهر، لاهوت يوحنا الدمشقي: دراسة تحليلية في كتاب "المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي"،
القدس عاصمة الثقافة العربية لعام 2009، ص: 741

³ يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص: 58

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
فيها كلها؟ فإننا لا ننسب قوةً مثل هذه إلى الصدفة، لأننا إذا افترضنا بأنها وُجدت صدفة فما هو
الذي نظمها؟ إن ذلك هو حتماً غير الصدفة، وماذا يكون سوى الله؟¹.

¹ المصدر نفسه، ص: 58

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

3- الأدلة التاريخية:

إن التاريخ البشري مليء بالتقلبات والحوادث، وإن التسلسل التاريخي لحياة البشر لا يكاد ينقطع، وذلك منذ الإنسان الأول حتى يومنا هذا على الرغم مما يعلوه في بعض الأحيان من غبار التقدم، وما ترسب عليه بمرور الزمن، وتلاحق الأيام، ولم تخل الحياة البشرية في يوم ما ممن يعترف بوجود الله، ويدعو إلى الإيمان به، وليس أدل على ذلك من توالي الرسل والأنبياء الذين ما برحت آثارهم وأخبارهم تصاحب الحياة الإنسانية في الكفر والإيمان، وتاريخ البشرية يحمل في طياته الإيمان بوجود الله عبر الحياة الإنسانية الطويلة¹.

وكل من يدرس تاريخ البشرية يرى فيه ما يدعو إلى الاعتقاد بوجود كائن عظيم ذي سلطان مطلق، يدبر كل أمور البشر وأعمالهم على ما يوافق مشيئته، ويؤول الأحداث إلى إتمام مقاصده، مما يدل على مداخله الله على الدوام خلافاً لما يحاول الملحدون من نسبة ما في تاريخ البشر من الأدلة على العناية الإلهية، والقصد الإلهي إلى مجرد فطنة البشر أو الصدفة².

وإذا كان التاريخ في عرف الكثيرين ما هو إلا قصص الحياة البشرية بما تحفل من أحداث وحوادث على مر العصور، فإنه في عرف الواقع والحقيقة ليس إلا يد الله الظاهرة والبارزة في الكون وبين الناس، ولعل قول كروميل³ Cromwell الذي وصف به التاريخ وهو أبداع وأجمل وصف على الإطلاق، إذ قال: "ليس التاريخ إلا ظهور الله في إسقاط الممالك وإقامتها"، وقد لا

1 الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة، م. س، ص: 4

2 بيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 76

3 قائد عسكري وسياسي إنجليزي، اعتبره نقاده أحد القادة الديكتاتوريين، يُعرف بأنه جعل إنجلترا جمهورية وقاد كومونولث إنجلترا. (عن موقع: أوليفر_كرومول/ <https://www.marefa.org>) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير يرى الكثيرون هذا الظهور إذ تعممهم الحوادث الوقتية التي تمر بالناس، وتدهمهم بالفواجع والأحزان والمآسي والشورور، ولكنهم لو أحسنوا التبصر والتأمل لأدركوا أن الله هناك¹.

وعموماً، فالإيمان المسيحي يقر بأن الحوادث والتقلبات التاريخية، وعجز الإنسان عن التحكم في زمامها، أو توقع نتائجها، دليل على أن هناك قوة غيبية عليا تسيطر على العالم، وتدير حركة الزمن وفق حكمة وتقدير، وهذه القوة تتصف بصفات الكمال والخلود، وهي صفات دلت الشواهد النقلية والعقلية على أنه لا يوجد أحديتصف بها غير الله الخالق العظيم.

المسألة الأولى: اعتراف مسيحي غير كامل

هذا الاعتراف المسيحي بوجود الله لم يكتمل بنيانه، فهو اعتراف يخدشه إيمان المسيحيين بالثالوث، إذ نجد أن المسيحيين بمختلف مدارسهم اللاهوتية يؤمنون بعقيدة التثليث التي اقتبسوها من الأمم القديمة والتي تعتبر أن الذات الإلهية مركبة من ثلاثة أقانيم، وهذا ما يشكل تحولا كبيرا في العقيدة المسيحية التي جاء بها السيد المسيح، بحيث أدى الإيمان بالثالوث إلى نزاع الشرعية عن إيمانهم بوجود الله الواحد، ويستند المسيحيون في إيمانهم بالتثليث إلى نص في كتاب العهد الجديد يقول: "فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ"²، ونص آخر يقول: "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ"³، متأثرين في ذلك بالفلسفة الأفلوطينية⁴، وهذه

¹ إلياس مقار، إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى، م. س، ص: 23

² رسالة يوحنا الرسول الأولى 7: 5

³ إنجيل متى 28: 19

⁴ إن أفلوطين عاد إلى نظرية الفيض، فقال: "إن كلا من الفيضين الأولين اللذين انبثقا من "الواحد" مُقَدَّسَيْنِ، لأنهما جعلنا نتمكن من معرفة ومشاركة حياة" الله"، فقد شكَّلا مع الله "ثالوثا مقدسا"، وأن أفلوطين هذا كان قريبا من الحل

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

العقيدة ترى أن اللاهوت حلّ في الناسوت، وهو ما يعبرون عنه بسر التجسد، طبقاً لنص: "الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ"¹، والقول بأن المسيح عيسى هو ابن الله، وأن الله تعالى أرسله باعتباره ابنه الوحيد إلى هذا العالم، ليصلب تكفيراً عن خطايا البشر، كما ورد في نص: "لأنّه هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْآبَدِيَّةُ"².

فبالرغم من إقرار المدارس المسيحية بوجود الله تعالى، واستدلالها على وجوده بأدلة متعددة إلا أن ما يمكن ملاحظته على العقيدة المسيحية، أنها ابتعدت بشكل واضح عن خط التوحيد الخالص، وسقطت في فخ التعدد، ولعل الأسباب في ذلك تعود إلى ما عرفه تاريخ المسيحية من أحداث عصبية، أدت في نهاية المطاف إلى ضياع التعاليم الأصلية لرسالة المسيح عيسى، ومن ضمنها تعاليمه المتعلقة بتوحيد الله، ناهيك عن تأثر المسيحيين بالأفكار الوثنية، الشيء الذي أدى إلى حدوث تحول كبير في جوهر العقيدة المسيحية، بحيث لم تستطع معه الصمود أمام التيارات الوثنية الجارفة، وقد كان لشخص بولس اليهودي الدور الكبير في إدخال الأفكار الوثنية إلى العقيدة المسيحية.

ومن ثم، يمكن القول إن مفهوم الألوهية عند المدارس المسيحية بمختلف أطيافها، قد تعرض لضربات عنيفة، نتيجة للتعاليم الوثنية التي جاء بها بولس، حتى قال المؤرخ الأمريكي

النهائي الذي اختاره المسيحيون لمشكلة الثالوث، حيث ذكر أفلوطين إن الفيض الأول كان "العقل mind" ومن هذا العقل انبثقت "الروح soul" بنفس الطريقة التي انبثق بها العقل من "الواحد". (نانسي أحمد عويس، منهج التطور العقدي في دراسة الأديان المقارنة، كارين أرمسترونغ نموذجاً: عرض ونقد في ميزان الإسلام، ص: 318)

¹ إنجيل يوحنا 9: 14

² إنجيل يوحنا 3: 16

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وول ديورانت في حقه: " لقد أنشأ بولس لاهوتًا لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في
أقوال المسيح"¹.

ولمعرفة حقيقة علاقة المسيحيين بعقيدة التوحيد، فإنه لا بد من الاحتكام إلى معيار ثابت
عندهم، ولن يكون هذا المعيار سوى كتاب العهد القديم الذي هو الأصل والمرجع الذي تأسس
عليه الفكر المسيحي برمته، إذ من الطبيعي أن يعترف المسيحيون بقدسية أسفاره، ويسرون
على منواله، ولعل في الأقوال الماثورة للسيد المسيح شهادة تؤكد أن تعاليمه ليست سوى تكملة
لتعاليم نبي الله موسى، ومن ذلك قوله: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الْأَنْبِيَاءَ، مَا
جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكَمِّلَ فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ
أَوْ نَقْطَةً وَاحِدَةً مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ"²، والعقيدة المسيحية الحالية إنما أسست
قواعدها على ما جاء في التوراة من تعاليم ووصايا، مراعاة لعلاقة اللاحق بالسابق، إلا أن ما
يمكن ملاحظته في هذا الصدد هو أن هناك عوامل أخرى ساهمت في انحراف الفهم المسيحي
للوصايا العشر التي تضمنتها التوراة، ومن ضمنها الوصية الأولى التي نصّت على وحدانية الله
وعدم اتخاذ آلهة من دونه، وتجلّت ملامح هذا الانحراف في اعتماد قاعدة التأويل الرمزي،
وتطبيقه على النصوص المقدسة، الشيء الذي أدى إلى إخراجها عن سياقها الخاص، وتغيير
معانيها الحقيقية.

ولا غرو أن هناك العديد من النصوص في كتاب العهد القديم تضمنت إشارات صريحة
عن وحدانية الله تعالى، وتفردّه بالخلق والتدبير في الكون، كما هو المثال في نص: "أَنَا الرَّبُّ

¹ وول ديورانت، قصة الحضارة، المجلد: 11، م. س، ص: 263

² إنجيل متى 5: 17-18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ¹، ونص: "إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ²"، وما ورد في إحدى الوصايا العشر: "لَا يَكُنْ لَهَا آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي³"، وفي سفر المزامير نقرأ قوله: "فَإِنَّكَ عَظِيمٌ وَصَانِعُ عَجَائِبَ، أَنْتَ اللَّهُ وَحْدَكَ⁴"، وقد ورد في التفسير أن الله "هو كامل المجد والبهاء والجلال وصانع المعجزات⁵" وفي نص آخر نقرأ قوله: "أنا الألف والياء (البداية والنهاية) بهذا يقوله الرب الإله، الكائن، والذي كان والذي سيأتي، القدير على كل شيء⁶"، وقوله: "كُلُّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا، وَلَكِنْ بَانِي الْكُلِّ هُوَ اللَّهُ⁷".

ومن هذا المنطلق، فإن تبني المدارس المسيحية وتقريرها لحقيقة وجود الله تعالى، لا يعفيها من تبعات ما تسرب إلى عقيدتها من تصورات وثنية، مثل: التعدد والحلول والتجسد وغيرها من الأفكار المادية، لذلك يبقى الإشكال قائماً على مدى محافظة اللاهوت المسيحي على وحدانية الله تعالى طبقاً لما جاء في نصوص العهد القديم، وهذا ما يدفع المرء للتساؤل عن مدى التزام المسيحيين بتعاليم التوراة الأصلية المتضمنة لوحداية الله، بمعنى آخر؛ هل احتفظ المسيحيون بوصايا التوراة كما هي؟ أم أنهم انحرفوا عن خط التوحيد ووقعوا في بؤرة التعدد والإشراك بالله تعالى؟

¹ سفر الخروج 20: 2

² سفر التثنية 4: 6

³ سفر الخروج 3: 20

⁴ سفر المزامير، المزمور 145 العدد 3

⁵ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 1274

⁶ سفر الرؤيا، الفصل الأول، العدد 8

⁷ سفر العبرانيين 4: 3

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
يعلن لنا العهد القديم حقيقة أن الله واحد لا إله غيره أو سواه فلا إله إلا هو وحده،
الكائن الأبدي الأزلي الذي لا بداية له ولا نهاية¹ ولعل ما تضمنته الوصايا العشر كما سبق ذكره،
يدل دلالة واضحة على أن أصل العقيدة المسيحية هو التوحيد، ولذلك جاء في بداية هذه
الوصايا العشر تنصيص على وحدانية الله في قوله: "إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ"²،
وأصل هذا النص باللغة العبرية هو *שמע ישראל יהוה אחד* وإن كان لفظ الإله في
النص العبري ورد باسم "يهوه" ولم يرد باسم "الله"، إلا أن بيت القصيد هنا هو التنصيص على
نفي التعدد في الآلهة، وقد جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: "يرينا هذا العدد أنه ليس
هناك آلهة كثيرون كما كانت عقيدة الكثير من الديانات القديمة"³.

كما توجد إشارة أخرى في نصوص العهد القديم تفيد توحيد الإله، يقول الرب: "أَنَا أَنَا هُوَ
وَلَيْسَ إِلَهٌ مَعِيَ"⁴، والشواهد من نصوص الكتاب المقدس على أن الأصل في العقيدة المسيحية
هو التوحيد كثيرة ومتعددة، ويكفي أن نطلع على نصوص العهد الجديد، خاصة ما تضمنته
الأنجيل الأربعة، وبعض الرسائل من إشارات تفيد بشرية السيد المسيح، واعترافه بعبوديته لله
تعالى وتوحيده له.

¹ أبو الخير عبد المسيح بسيط، تاريخ العقيدة المسيحية (الجزء الأول) من التكوين حتى نهاية مجمع نيقية سنة 325م،
مطبعة بيت مدارس الأحد 2012، ص: 16

² سفر التثنية 6: 4

³ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 368

⁴ سفر التثنية 32: 39

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

ومن بين النصوص الدالة على ذلك قوله: "وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ"¹. يقول الأريوسيون إن الابن هنا يعترف بأن الأب هو الإله الحقيقي² ومثله قوله: "ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِيْلَيْسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جَدًّا، وَرَأَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: أُعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي" حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ"³، وقد ورد في تفسير هذه الفقرات أن "الشیطان أراد أن يغري المسيح من خلال هذه التجربة، حينما صعد به إلى جبل عال، فكان يحاول أن يخدعه بالسجود له من دون الله مقابل أن يريه جميع ممالك العالم"⁴، والشاهد عندنا في النص، أن السيد المسيح رفض خدعة الشيطان، وقال له: " لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ" مما يعني أن العبادة في العقيدة المسيحية واجبة لله وحده.

ويؤكد كتاب العهد الجديد على وحدانية الله تعالى في مواضع متعددة منها قوله: " لِأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ"⁵، ونص: "لأن الله واحد"⁶، ونص: "لكن الله واحد"⁷ وأيضًا "إله وأب للكل وعلى الكل وبالكل وفي كلكم"⁸، وغيرها من النصوص الصريحة في العهد الجديد التي لا تحتمل معاني أكثر من الإقرار بأن الله تعالى واحد.

¹ إنجيل يوحنا 17: 3

² جورج عوض إبراهيم، تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة، الطبعة الأولى: أغسطس 2012م، ص: 144

³ إنجيل متى 4: 8-10

⁴ متى هنري، التفسير الكامل للكتاب المقدس، العهد الجديد، الجزء الأول، م. س، ص: 33

⁵ إنجيل مرقس 12: 32

⁶ الرسالة إلى رومية 3: 30

⁷ الرسالة إلى غلاطية 3: 20

⁸ الرسالة إلى أفسس 4: 6

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وفي فصل بعنوان "الله الواحد الحقيقي هو الضابط للكون وما فيه"، يعترف القديس
أوغسطينوس أيضاً بهذه الحقيقة قائلاً: "إننا نعبد الله، من دون السماء والأرض، الجزئين
الذين يُكوّنان العالم، ولا نعبد النفس ولا الأنفس المنتشرة في كل الأجساد الحية، بل نعبد الله
خالق السماء والأرض وكل ما فيهما، إنه الخالق لكل نفس أيّاً تكن".¹

وسيراً على هذا النهج، يقول القديس أثاناسيوس² Athanasius الرسولي: "الإله الذي نعبد
ونكرز به هو الإله الحق الواحد الذي هو رب الخليقة وبارئ كل الوجود"³، ويقول القديس
يوحنا الدمشقي في هذا الإطار: "إن الإله كامل وهو ليس ناقصاً البتة في صلاحه وفي حكمته وفي
قوته، وهو لا بدء له ولا نهاية، أزلي، غير محدود، وبالاختصار، هو كامل في كل صفاته، وعليه إذا
قلنا بآلهة كثيرين، فوجب أن نرى تبايناً في كثيرهم، لأننا إذا لم نرتبنا فيهم، فهم بالأحرى واحد
لا كثرة، فمن كان ناقص الكمال في صلاحه أو في حكمته أو في قوته أو في الزمان أو في المكان، فلا
يكون إلهاً، ووحدة الهوية في كل الصفات إنما تشير بالأحرى إلى واحد لا إلى كثرة"⁴.

ومن هنا يظهر أن القديسين أغوستينوس وأثناسيوس يعترفان بشكل صريح بوجود إله
واحد يستحق العبادة وهو خالق العالمين، وخالق الكون، يضاف إلى ذلك قول القديس يوحنا
الدمشقي الذي يدل دلالة واضحة على أن التعدد في الألوهية يناقض عقيدة التوحيد، لأن

1 أغوستينوس، مدينة الله، نقله إلى العربية: الخوري يوحنا الحلوة، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية: 2006،
المجلد الثاني، ص: 354

2 من آباء الكنيسة، كتب باليونانية، وُلد في الإسكندرية نحو 295م، ومات فيها في 2 أيار 373م (جورج طرابيشي،
معجم الفلاسفة، ص: 43) .

3 أثاناسيوس الرسولي، رسالة إلى الوثنيين، تعريب: القمص مرقص داود، ص: 71

4 يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص: 61

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
التعدد يعني الكثرة والكثرة في الألوهية تعني الاختلاف في الذات وفي الصفات وفي الإرادات،
والإله الحقيقي كامل في ذاته وفي صفاته ومستقل في إرادته.

المسألة الثانية: حقيقة التوحيد عند المدارس اللاهوتية المسيحية

حرصت المسيحية-طوال تاريخها-تأكيداً على "عقيدة التوحيد" وأنها لا تُشرك بالله شيئاً،
وتدفع عنها الاتهام بالشرك أو تعدد الآلهة: فهي "تؤمن بإله واحد" كما تقول أول فقرة في قانون
الإيمان، ولكنها لا تلبث أن تنقض هذا التوحيد بعقيدة الثالوث¹.

ومن ضمن ما هو منشور في المقررات التعليمية للمدارس اللاهوتية المسيحية، ومُسَطَّر في
أدبياتها أنها تؤمن بعقيدة التوحيد، لكن بمجرد ما نتصفح الكتاب المقدس بعهديه القديم
والجديد، نصطدم بسلسلة من التناقضات في النصوص، ونكتشف بأن التوحيد الذي جاءت
به الأنبياء والرسل عليهم السلام لا أثر له في الإيمان المسيحي الحالي، بل إن المفارقة الغريبة في
العقيدة المسيحية هي الجمع بين النقيضين، فيعتبرون أن التثليث لا يناقض التوحيد، لكن
بالعودة إلى النصوص المقدسة، نجد تضارباً وخلافاً كبيراً في العقيدة المسيحية، بحيث نقرأ
نصوصاً تنفي ألوهية المسيح، وتعتبره إنساناً عادياً مثله مثل سائر البشر، ثم تأتي نصوص
أخرى تنسفه بالمرة، وتعلن أنه إله أو ابن إله، ولعل عقيدة الثالوث تعتبر من أصعب
المعتقدات التي احتار فيها علماء المسيحية، ولم يعثروا لها على تفسيرات.

ويعتبر الثالوث¹ سرّاً من أسرار الكنيسة، وقد تم إقراره في مجمع نيقية سنة 325م، وكان
الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول هو من حسم النزاع حول عقيدة التثليث، بحيث كان له

¹ أحمد طه، قانون الإيمان المسيحي: دراسة نقدية، أمتي للنشر الإلكتروني، 1435هـ-2013م، د.ط، ص: 11

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أثر كبير في التصدي لمنكري التثليث، والعمل على إبعادهم، بل وملاحقتهم والتنكيل بهم، وهذا
الثالث يتوجب على كل مسيحي الإيمان به، دون البحث عن مدلولاته. فماذا يعني الثالث
المسيحي؟ وهل يمكن اعتبار العقيدة المسيحية الحالية قائمة على التوحيد؟ أم أن هذه العقيدة
تم إفراغها من الداخل وألبست لباساً وثنيّاً؟

ففي ما يخص مفهوم الثالث أو التثليث "عرّف قانون الإيمان هذه العقيدة بالقول:
"نؤمن بإله واحد الأب والابن والروح القدس إله واحد جوهر واحد متساويين في القدرة
والمجد"².

ثم يأتي بيان هذه العقيدة بقولهم: "في طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاث خواص أزلية،
يعلمها الكتاب في صورة شخصيات (أقانيم) متساوية، ومعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم
ليست إلا حقاً سماوياً أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم صورة غير واضحة المعالم، لكنه قدّمه
في العهد الجديد واضحاً، ويمكن أن نلخص العقيدة في هذه النقاط الست التالية:

1- الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله.

2- هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى.

3- هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً بل أبدي وحقيقي.

4- هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل أن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد.

5- الشخصيات الثلاث الأب والابن والروح القدس متساوون.

¹ سيأتي تفصيله في الفقرات القادمة من البحث.

² قاموس الكتاب المقدس، تأليف: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، ص: 162

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

6-ولا يوجد تناقض في هذه العقيدة، بل بالأحرى أنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد

المسيحية¹.

وانطلاقاً من المعطيات السابقة، يمكن تسجيل بعض الملاحظات وهي:

أولاً، أن قولهم: " أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم صورة غير واضحة المعالم، لكنه قدّمه في العهد الجديد واضحاً" يدل على وجود اضطراب في هذه العقيدة، إذ من الصعوبة التسليم بأن قضية التثليث -التي لا يوجد لها ذكر في نصوص العهد القديم، ومعالمها غير واضحة ولا مكتملة- تصبح بين عشية وضحاها عقيدة واضحة المعالم في العهد الجديد، وأيضاً مقبولة ومتفق عليها بين جميع المسيحيين، وأغرب ما في الأمر، أنهذه العقيدة ستتحول إلى ركيزة أساسية في الإيمان المسيحي.

إن الإشكال الكبير في هذا النص هو قول المسيحيين: "إن معالم هذه العقيدة أصبحت واضحة لهم في كتاب العهد الجديد"، وهذا يعتبر تحولاً كبيراً في التصور المسيحي يضاهي تحول بولس من العداوة المكشوفة للمسيح وأتباعه إلى اعتناق المسيحية من خلال القصة المشهورة² إذ كيف يعقل أن تتضح مسألة عقيدة كبرى في الفرع (العهد الجديد) دون أن يكون لها ذكر صريح في الأصل (العهد القديم) ؟

وثانياً، أن النقاط الست الملخصة لعقيدة التثليث بعضها يهدم البعض الآخر، فتارة يقولون إن الأقانيم الثلاثة هي "شخصيات ثلاث تعني إله واحد"، بما يدل على أنها متساوية في

¹ قاموس الكتاب المقدس، ص: 162

² ادعاء بولس رؤية السيد المسيح وهو في طريقه إلى دمشق التي أسس عليها قصة اعتناقه المسيحية (سفر أعمال الرسل 6: 11-22 و 12: 26-18) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الجوهر، وتارة أخرى يعترفون بأن "هذه الأقانيم هي متميزة الواحدة عن الأخرى" (يُنظر:
النقطتين رقم 1 ورقم 4 والنقطتين رقم 2 ورقم 5) ، والتمايز المشار إليه يعني أن أقنوم الأب
يختلف عن أقنوم الابن، وأقنوم الابن يختلف عن أقنوم الروح القدس، وهكذا فكل أقنوم
يتميز بسمات معينة عن الأقنوم الآخر، مما يجعل توحيد هذه الأقانيم الثلاثة أمراً في غاية
الاستحالة.

يؤمن جميع المسيحيين على اختلاف طوائفهم بهذا الثالوث: (الأب والابن والروح
القدس) ، وفي هذا الصدد، يقولون: "نعبد إلهاً واحداً في ثالوث، ونعبد ثالوثاً في وحدانية¹،
ذات واحدة مثلثة الأقانيم (أقنوم الأب-أقنوم الابن-أقنوم الروح القدس) "ثلاثة أقانيم، وثلاثة
وجوه، وثلاث خواص، وحدية في تثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد، جوهر واحد، طبيعة
واحدة، واحد في ثلاثة أقانيم"².

والأقنوم "كلمة من أصل سرياني وتعني حرفياً "شخص" أي سمات وخصائص الكائن
التي بها نتعرف على ماهيته الخاصة التي نشخصه بها³، وخلاف هذا ما ذهب إليه سابيلْيوس
Sabellius⁴ الذي اعتبر أن الأقانيم صفات إلهية، مما حدا بالكنيسة إلى تصنيفه ضمن
الهرطقة، والحكم عليه بالحرمان.

1 أحمد طه، قانون الإيمان المسيحي، دراسة نقدية، م. س، ص: 68

2 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 نفسه.

4 هرطوقي مسيحي أصله من قورينا بليبيا من القرن الثالث الميلادي، اعتنق في روما مذهب الأحوال القائل إن الأب
والابن والروح القدس ليسوا أقانيم متميزة، بل أحوال ثلاث لله، فأنزل به البابا كاليكستوس الأول الحرم الكنسي نحو
عام 217م، وفي زمن لاحق أدان مجمع القسطنطينية السابليين (381م) (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة،
ص: 348) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
هذا وإن المسيحيين يُصِرُّون، مع قولهم بـ"الثالوث"، على أنهم موحدون، يؤمنون بأن¹ "الله
واحد، ولا يوجد إلا إله واحد، واحد بطبيعته، وجوهره وإنَّيته"²، ومن الأمثلة التي يستدل بها
المسيحيون على إثبات عقيدة التثليث عقلياً، قولهم: "النار يوجد بها لهب؛ واللهب يخرج منه نور
وحرارة، فاللهب يسمى ناراً، والنور يسمى ناراً، والحرارة تسمى ناراً، والدليل على ذلك من
الممكن أن نقول إننا نوقد النار، أو إننا نوقد اللهب، أحياناً نقول نحن نستنير بالنار أو نحن
نستدفئ على الحرارة أو نحن نستدفئ على النار، فاللهب والنور والحرارة الخارجة منه شيء
واحد، أي نار واحدة وليسوا ثلاثة نيران، ولكن اللهب غير النور غير الحرارة، ومع أن اللهب غير
النور غير الحرارة، ولكن فاللهب إن لم يلد نوراً ويشع حرارة لا يكون ناراً على الإطلاق، فاللهب
بنوره وحرارته يكون ناراً حقيقية"³.

فالعناصر المذكورة في المثال، وهي النار واللهب والحرارة، يوجد بينها تمايز واختلاف كبير،
ويستحيل القول إن النار هي اللهب أو هي الحرارة والعكس صحيح، لأن كل عنصر يتميز عن
الآخر بخصائص معينة.

وهذا كاتب مسيحي يلجأ إلى تبرير عقيدة التثليث بطرق أخرى منها محاولة تغيير معاني
الألفاظ، كما هو الشأن في تفسيره للنص الذي ورد في إنجيل متى عن التثليث، حيث يورد
النص ويعقِّب عليه بكلامه: "قال السيد المسيح لتلاميذه حينما أرسلهم للتبشير: (فَاذْهَبُوا

¹ جوزف قزي، بين المسيحية والإسلام، دار لأجل المعرفة، ديار عقل - لبنان، 2006، ص: 103

* المقصود بإنَّيته أي طبيعته الإلهية.

² التعليم المسيحي الروماني 1، 2، 8، التعليم المسيحي الكاثوليكي، عدد 200.

³ الأنبا بيشوى، الثالوث والتجسد والفداء، سلسلة تبسيط الإيمان، الجزء 1، ص: 16-17

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمَدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ"¹، يضيف الكاتب: قال:
"بِاسْمِ" ولم يقل: "بِأَسْمَاءٍ"²، ففي هذا النص يحاول هذا المؤلف أن يوهم القراء بأن
كلمة "بِاسْمِ" الواردة في النص تدل على أن العقيدة المسيحية قائمة على التوحيد، فهو يريد أن
يقول بأنه لو كان الأمر يتعلق بالتعدد أو التثليث، لاستخدم صيغة الجمع "بِأَسْمَاءٍ" عوض
صيغة المفرد "باسم"، إلا أن هذا الكاتب غاب عن ذهنه أن عبارة "باسم الآب" هنا معطوفة على
كلمتي "الابن" و"الروح القدس" نظرًا لوجود حرف العطف "الواو"، بمعنى أن العطف هنا يفيد
الاشتراك والترابط بين العناصر الثلاثة، وليس من الضروري أن نقول: "باسم الآب" و"باسم
الابن" و"باسم الروح القدس"، لأن المعنى واحد وهو التعدد والكثرة، وبالتالي فهذه العبارة
تفيد التثليث.

فهذا غيظ من فيض، ومثال من بين أمثلة كثيرة يحاول المسيحيون توظيفها والاستدلال
بها على صحة معتقدهم في الثالوث، مع أنه لا قياس مع وجود الفارق كما يقال.

والكلمة نفسها (التثليث أو الثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها
واخترعها واستعملها هو ترتليان Tertullianus³ في القرن الثاني للميلاد، ثم ظهر سابيليوس
Sabellius ببدعته في منتصف القرن الثالث وحاول أن يفسر العقيدة بالقول إن "التثليث ليس
أمرًا حقيقيًا في الله لكنه مجرد إعلان خارجي، فهو حادث مؤقت وليس أبدياً" ثم ظهرت بدعة

¹ إنجيل متى 28: 19

² ثيوديسيوس آفا مينا، موضوعات إيمانية: التوحيد والتثليث، مطرانية الجيزة للأقباط الأرثوذكس، ص: 13

³ كوانتوس سبتيميوس فلورنس ترتوليانس، لاهوتي ومنافح لاتيني عن العقيدة النصرانية، وُلد بين 155 و160م في
قرطاجة، ومات نحو عام 230م، وهو واحد من أشهر الكُتَّاب المسيحيين في عصره. (جورج طرابيشي، معجم
الفلاسفة، ص: 232).

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير أريوس¹ Arius الذي نادى بأن الآب وحده هو الأزلي بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليقة، وأخيرًا ظهر أثناسيوس Athanasius داحضًا هذه النظريات وواضعًا أساس العقيدة السليمة التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام 325 م².

إن عقيدة التثليث لم يحصل عليها إجماع ولا رأي واحد بين مختلف المدارس المسيحية، وإنما نحن أمام آراء متعددة ومتضاربة فيما بينها، ومما يدل على صعوبة فهم عقيدة التثليث وتعقيدها، ما صرح به علماء المسيحية عندما قالوا: "إن عقيدة التثليث عقيدة سامية ترتفع فوق الإدراك البشري ولا يدركها العقل مجردًا، لأنها ليست وليدة التفكير البشري بل هي إعلان سماوي يقدمه الوحي المقدس، ويدعمه الاختبار المسيحي، وهكذا تصبح كل ديانة يبتدعها البشر خالية من عقيدة التثليث، وفي سبيل قبول هذه العقيدة واعتناقها لابد من الاختبار العميق للحياة المسيحية"³.

فهذا الاعتراف لمصدر من أشخاص بسطاء في الإيمان والفهم، بل صدر من علماء متخصصين في الكتاب المقدس، ومن لاهوتيين متبحرين في العقيدة المسيحية، والغريب في الأمر، هو تبريرهم لصعوبة استيعاب عقيدة التثليث بكونها فوق إدراك العقل البشري المجرد، واعتبارهم أن السر في صعوبة فهمها هو أنها سماوية المصدر، وغير نابعة من الفكر البشري، وأن السبيل إلى قبولها واعتناقها هو الانخراط في الاختبار العميق للحياة المسيحية.

¹ كاهن في الإسكندرية أنكر لاهوت المسيح، فحرمه مجمع نيقية الأول في 325م، ونُفي إلى الإبريقون. (قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، ص: 51) .

² قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 162

³ المرجع نفسه، ص: 162

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

إن عقيدة التثليث المسيحي نتجت عنها إشكالات كبيرة، لأن العقل البشري بقي محتارًا في فك رموزها، وضبط حدود اختصاصات كل أقنوم على حدة، فالأقانيم الثلاثة (أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس)، بالرغم من الجهود المسيحية للتوحيد بينها، إلا أن مآل تلك المحاولات كان هو الإخفاق، بحيث لم تتضح العلاقة الرابطة بينهم، كما أن الأقنوم الثاني (الابن) تبقى طبيعته، ووظيفته ضمن مكونات الثالوث غير ثابتة، ومن هنا فإننا نحتاج إلى كشف اللثام عن حقيقة هذه الأقانيم الثلاثة في عقيدة التثليث، وضبط مفاهيمها من خلال الرجوع إلى المصادر المسيحية.

وأول أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة هو أقنوم "الآب"، ولتحديد مفهومه وطبيعته، وموقعه في العقيدة المسيحية، لابد من البحث في المصادر المسيحية سواء تعلق الأمر بالقواميس أو الكتابات التي تناولت قضية الثالوث المقدس.

أولاً: أقنوم الآب

وردت كلمة "آب" نحو 157 مرة في الإنجيل (بياتها 45 في متى، 5 في مرقس، 17 في لوقا، 90 في يوحنا) ¹ وتمَّ تعريف "آب" في قاموس الكتاب المقدس بأنه "لفظ يطلقه المسيحيون على الله لأنه الآب السماوي² وقد استندوا في تعريفهم هذا على ما جاء في نصوص العهد الجديد³. ويشرح القديس يوستينوس⁴ Justinus معنى الله الآب بقوله: "الله لا بداية له، ولذلك فإنه أب الجميع، غير مولود ليس له اسم، لأن أي اسم يسمى به الشخص يكون الشخص الذي سمَّاه أكبر منه، وكل التسميات سواء أب، إله، خالق، رب، هي ليست أسماء بل ألقاب متخذة من أعماله الصالحة ووظائفه⁵". ويضيف: "ولقب (أب) ليس اسماً بل هو مغروس في طبيعة البشر عن أمر يصعب جداً شرحه⁶". وأقنوم الآب: هو صفة الوجود في الله، وقد أطلق الكتاب المقدس على صفة الوجود لفظة "الآب" وهي تعني "أصل الوجود" حيث أن الله هو كائن بذاته واجب الوجود⁷.

¹ بيشوى عبد المسيح، الإيمان المسيحي في حقائقه اللاهوتية، مكتبة المحبة، القاهرة، (د.ب.ط)، ص: 18 وقاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 15

² قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 3

³ يُنظر: متى 11: 25 وغلطية 1: 1

⁴ من آباء الكنيسة، وُلِد في فلافيا نيابوليس، وهي اليوم مدينة نابلس، في مفتتح القرن الثاني الميلادي، ومات شهيداً في روما بين 163 و165م (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص: 747) .

⁵ القديس يوستينوس، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: آمال فؤاد، دار باناريون، مصر، الطبعة الأولى: مايو 2012م، ص: 16

⁶ المرجع نفسه، ص ص: 16 - 17

⁷ ثيوديسيوس آفا مينا، موضوعات إيمانية: التوحيد والتثليث، مطرانية الجيزة للأقباط الأرثوذكس، م. س، ص: 15

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وتتفق المدارس المسيحية الثلاث (الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية) على تسمية
الله بالآب، وتعتبره هو الخالق للسموات والأرض والإنسان، ولجميع الكائنات كما جاء في "قانون
الإيمان": "أنا أؤمن بالله الآب الضابط الكل خالق السماء والأرض"¹.

فالكاثوليك يقولون: "جرى أن الله الذي عرفوه خالقًا لجميع المبروءات² ومبدعها ومديرها
دَعَوْهُ الآب"³، والأرثوذكس يقولون: "فالآب من حيث هو الأقنوم الأول يعني أنه هو الله ذاته
بخاصيته (أوبصفة) الأبوة، بمعنى أنه الخالق وأصل وموجد كل الكائنات"⁴، والبروتستانت
يقولون: "أنا أؤمن بأن الله خلقي وجميع الكائنات، وبأنه منحني الجسد والروح، العيين
والأذنين وجميع أعضائي، ووهبني العقل والحواس كلها، ومزال يحافظ عليها، إنه يفعل ذلك
من فرط رحمته وصلاحه كأب إلهي"⁵.

والمسيحيون مع إيمانهم بأن الله الآب هو الضابط لكل أي القادر الذي يتصرف في الأشياء
كما يشاء، إلا أنهم يعتبرون أن هذه الصفة، أو الوظيفة يشترك معه فيها كل من الابن والروح
القدس، حيث يقولون: "إذا دعونا الآب ضابط الكل؛ لا يتوهم أحد أن هذا الاسم أعزى إليه، ولا
يشترك فيه الابن والروح القدس، فكما أننا نقول إن الآب الله والابن الله والروح القدس الله،
وليسوا مع ذلك ثلاثة آلهة بل إله واحد، فعلى حد سوى⁶ نقول إن الآب والابن والروح القدس

¹ فقرة من قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني نقلًا عن: كتاب أصول التعليم المسيحي لمارتن لوثر، ص: 15

² أي المخلوقات التي أوجدها الله تعالى.

³ التعليم المسيحي الروماني، م. س، ج 1، ص: 32

⁴ بيشوى عبد المسيح، الإيمان المسيحي في حقائقه اللاهوتية، م. س، ص: 16

⁵ مارتن لوثر، أصول التعليم المسيحي، م. س، ص: 15

⁶ وردت مكتوبة هكذا في المصدر والصواب أن نقول: سواء.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
على كل شيء قدير، غير أننا لا نعترف بثلاثة ضابطين الكل، بل بواحد فقط، لكننا نعزو القدرة
على كل شيء إلى الآب بداعي خصوصي بما أنه ينبوع كل أصل¹.

ويفضّل المسيحيون تسمية الله بـ"الآب" ويعتبرونه أكثر دلالة عن غيره من الأسماء الأخرى،
وفي هذا الصدد يقول مؤلف كتاب (بين المسيحية والإسلام) : "إنَّ الله، في إيمان المسيحيين،
(أب) ، وإن لم يكن الله (أبًا) فإيمانهم باطل، هم يُصِرُّون على أن يكون الله (أبًا) ، بل يُفضِّلون
اسم (الآب) على أي اسم آخر، وحتى على اسم (الله) نفسه² ولهذا تفتتح الصلاة الربانية
عندهم بعبارة: "أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك"³.

ويؤكد المؤلف انتصاره لتسمية إله المسيحيين "أب" بقوله: "هذا الاسم يُظهر هويته
الحقيقية، ويُظهر أيضًا مهمته الخلاصية، كما يُظهر علاقته بالكائنات التي خلقها، وبالإنسان
الذي ميَّزه عنها، فأحبَّه وخلقه، وخلصه، واعتنى به ووعدته بميراثه، فالله، إن لم يكن "أبًا" فهو
لا يفيد شيئًا، بل الأفضل رفضه، أو إنكاره، أو اللامبالاة به، لأنه سبب معاناة"⁴.

ويقول كاتب مسيحي آخر: "تفردت المسيحية في إطلاق هذه الصفة على الله، ولكن ليس
لهذه اللفظة في المدلول المسيحي، أية صلة بالأبوة البيولوجية"⁵.

1 التعليم المسيحي الروماني، ج1، م. س، ص: 38

2 جوزف قزي، بين المسيحية والإسلام، ص: 107

3 مارتن لوثر، أصول التعليم المسيحي، م. س، ص: 18

4 جوزف قزي، بين المسيحية والإسلام، م. س، ص: 108

5 حبيب سعيد، أديان العالم، م. س، ص: 338

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وبالتالي فإن أقنوم الأب "هو الله، لأن كلمة (الأب) لفظة يطلقها الناس على (الله)، وكلمة
(الأب) في الأصل هي كلمة سامية، وتحمل هذه الكلمة معاني كثيرة: منها الوالد، والأب الروحي،
وأصل الأشياء ومصدرها، والخالق، والمبدع، والمرشد والمشير، والرئيس المكرم¹.
وثاني هذه الأقانيم هو أقنوم الابن، وسأفصل القول في مفهومه وطبيعته، وموقعه في
العقيدة المسيحية.

ثانيًا: أقنوم الابن

ورد ذكر لفظ (ابن) في الكتاب المقدس حوالي 25 مرة تقريبًا، وقد ورد هذا اللفظ في كتاب
العهد الجديد، وكان يتكرر بصيغة "ابن الله"، وقد وردت هذه الصيغة بنسبة أكبر في إنجيل
متى، متبوعًا بإنجيل لوقا.

دُعي الرب يسوع كلمة الله، وابن الله والاسم يسوع الذي يعني بالعبرية يشوع هو الاسم
الذي تسمي به من الملاك قبل أن يولد بالجسد من العذراء مريم، إلا أنه موجود أزلاً كابن، ولم
يكن هناك قط وقت لم يكن فيه الابن ابناً، الله الابن كائن على الدوام إلهًا².

والابن من حيث هو الأقنوم الثاني يعني المتجسد المولود من الله بغير زرع بشر لأجل فداء
الناس³ وحسب تصور المدارس اللاهوتية المسيحية فإن "بنوة الابن للأب، لا تحمل معنى الولادة
الكثيفة لأن الله روح ولا يتكاثر مثل البشر، ولكنها ولادة لطيفة روحية مثل ولادة الشعاع من

¹ بيشوى عبد المسيح، الإيمان المسيحي في حقائقه اللاهوتية، ص: 18

² كنت هودج، المسيح فيكم: مدخل للعهد الجديد والحياة المسيحية، م. س، ص: 6

³ الإيمان المسيحي في حقائقه اللاهوتية، م. س، ص: 16 – 17

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
قرص الشمس لا ينفصل عنها، ولا ينقسم منها لأن الشعاع والقرص هما جوهر واحد وذات
واحدة¹.

ويعتبر الإيمان بأن المسيح يسوع "ابن الله" من ركائز العقيدة المسيحية الحالية، ويظهر
ذلك من خلال نصوص العهد الجديد، حيث يعتقدون أن "الله لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ الْابْنُ الْوَحِيدُ
الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ خَبَرٌ"²، ويؤكد هذا أيضًا قولهم: "لَيْسَ أَنَّ أَحَدًا رَأَى الْآبَ إِلَّا الَّذِي
مِنَ اللَّهِ هَذَا قَدْ رَأَى الْآبَ"³.

"وقد تعرضت الأناجيل "لحقيقة المسيح" وأفصحت عنها بطريقة أدت إلى نشوء مجموعة
متباينة من التفسيرات، فهو تارة إله، وتارة ابن إله، وتارة ابن الإنسان، وتارة أمزجة مختلفة من
التفسيرات السابقة"⁴.

ومن جملة ما يستند إليه المسيحيون بمختلف مدارسهم في تقرير ألوهية السيد المسيح،
تلك الصفات الإلهية التي يعتقدون أن المسيح يتصف بها، من ذلك أنه "كلمة الله"، كما في
نص "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ"⁵ وبالتالي يعتبرونه أزليًا، واتصافه بالثبات كما في نص "يَسُوعُ الْمَسِيحُ

1 الإيمان المسيحي في حقائقه اللاهوتية، ص: 19

2 إنجيل يوحنا 1: 18

3 إنجيل يوحنا 6: 46

4 عمرو شريف، الوجود رسالة توحيد، م. س، ص: 64

5 إنجيل يوحنا 1: 1 - 2

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
هُوَ هُوَ، أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ¹، واعتباره كلي الوجود كما في نص "وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى
انْقِضَاءِ الدَّهْرِ"².

ويرون أيضًا أن السيد المسيح يقوم بأعمال إلهية مثل عملية الخلق، كما في نص "كُلُّ شَيْءٍ
بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ"³، وغفران الخطايا في نص "إِنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى
الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا"⁴، والدينونة (الحساب) كما في نص " (إِنَّ الْآبَ) أَعْطَاهُ سُلْطَانًا أَنْ يُدِينَ
أَيْضًا لِأَنَّهُ ابْنُ الْإِنْسَانِ"⁵.

والمدرسة البروتستانتية-كما هو مُسَطَّرٌ في قانون الإيمان النيقاوي- ترى أن "يسوع المسيح
هو إله حق مولود من الآب قبل كل الدهور، وأيضًا إنسان حق مولود من مريم العذراء"⁶ ،
وهذا يدل حسب اعتقاد المدرسة البروتستانتية على أن للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية.

ويستند البروتستانت في تأليفهم للسيد المسيح إلى نصوص مقدسة منها "وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللَّهِ
قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ، وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، هَذَا هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ
وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ"⁷، ومنها نص آخر يقول: "أَجَابَ ثُومًا وَقَالَ لَهُ (لِيَسُوعُ) : رَبِّي وَإِلَهِي"⁸
ونص "وَمِنْهُمْ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، الْكَائِنِ عَلَى الْكُلِّ إِلَهًا مُبَارَكًا إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ"¹.

1 الرسالة إلى العبرانيين 13: 8

2 إنجيل متى 28: 20

3 إنجيل يوحنا 1: 3

4 إنجيل متى 9: 6

5 إنجيل يوحنا 5: 27

6 مارتن لوثر، أصول التعليم المسيحي، م. س، ص: 95

7 رسالة يوحنا الأولى 5: 20

8 إنجيل يوحنا 20: 28

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وعليه، فإن المسيحيين في ذهابهم إلى القول بتأليه المسيح، إنما يرجعون في ذلك إلى
اعتقادهم بأن له سلطاناً مستمداً من طبيعته الإلهية.

وبالمقابل، يعتمد الكاثوليك في اعتقادهم بأن المسيح هو ابن الله الوحيد على النص نفسه
الوارد في إنجيل يوحنا " في الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكََلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ"².

ويذهب المسيحيون بمختلف مدارسهم اللاهوتية إلى أن "تسمية الأقنوم الثاني بالابن لا
يعني أنه مستحدث أو أنه أتى بعد الله، ولكن يعني أنه (مولود غير مخلوق)"³ ويحاولون تفسير
هذا الاعتقاد بقولهم: " فالمخلوق من العدم إلى الوجود بإرادة الله، ولكن ابن الله يصدر من
صميم الله الأب نفسه"⁴، بمعنى أن المسيح –حسب الإيمان المسيحي- غير منفصل عن الذات
الإلهية، وغير حادث، بل هو جزء منها، وبذلك يقرون بأزليته.

ويقولون "إن عمل المسيح يتصل بطبيعته البشرية التي يختزلها في أقنومه⁵ فاختصاصاته
متداخلة مع اختصاصات الذات الإلهية" ومن البين أن بعضها انطلق عليه بما أنه إله، وبعضها
من حيث كونه إنساناً لأنه اتخذ الطبيعة الإنسانية وخواصها، وله الطبيعة الإلهية وخواصها،
فإذا قلنا إذاً إن المسيح على كل شيء قدير أزلي غير متناه، ذلك هو له من طبعه الإلهي ثم إذا
قلنا إنه تألم ومات وقام تلك تخص الطبيعة البشرية بلا ريب"⁶.

¹ الرسالة إلى رومية 9: 5

² إنجيل يوحنا 1: 1

³ بيشوى عبد المسيح، الإيمان المسيحي في حقائقه اللاهوتية، م. س، ص: 19

⁴ مدخل إلى العقيدة المسيحية، مجموعة من المؤلفين، م. س، ص: 101 – 102

⁵ نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، م. س، ص: 154

⁶ التعليم المسيحي الروماني، ج1، م. س، ص: 53

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ويعتقد الكاثوليك "أن فعل الخَلْقَة مشترك بين الأقانيم الثلاثة المقدسة بدون انقسام¹ بل
ويذهبون إلى أكثر من هذا، عندما يصرحون بأن المسيح هو أصل الوجود، وهذا ما نقرأه في
الأسفار الإلهية عن الابن: "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ"².

إلى جانب ذلك، تركز المدارس اللاهوتية المسيحية بمختلف أطيافها في وصفها
المسيح "بابن الإنسان" على ما ورد في سفر دانيال: "كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيٍ اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سَحَبِ
السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ، فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا
وَمَلَكُوتًا لَتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ، سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ
مَا لَا يَنْقَرِضُ"³، وقد ورد في تفسير هاتين الفقرتين: "مثل ابن الإنسان" هذا هو المسيا، وقد
استخدم يسوع هذه الآية للإشارة إلى نفسه⁴، أما السحاب السماوي فيصور ابن الإنسان
بالصورة الإلهية⁵.

فيسوع المسيح هنا، يعني حسب المدارس المسيحية الابن الذي مُنِحَ سلطانًا ومجدًا
ومملكة، واستخدم المسيح ذلك التعبير ليشير إلى نفسه، فهو كان يؤكد أن هذه النبوءة "ابن
الإنسان" تعنيه، كما أن اليهود الذين كانوا في ذلك العصر يعرفون هذا التعبير ومن المقصود
به، فهذا إعلان لهم بأنه المسيا المنتظر.

1 المرجع نفسه، ج 1، ص: 43

2 إنجيل يوحنا 1: 3

3 سفر دانيال 7: 13-14

4 إنجيل متى 64: 26، إنجيل لوقا 27: 21، إنجيل يوحنا 51: 1

5 التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 1700

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وإطلاق المسيحيين على السيد المسيح لقب "ابن الإنسان" يحمل معاني الوساطة للبشر مع
الله، ومعاني الفداء والخلص في يوم الدينونة، وهذا ما عبّر عنه متى المسكين بقوله: " فالمسيح
باتخاذ لقب ابن الإنسان، يوضح عملياً وبصورة حتمية العلاقة بينه كممثل للبشرية "ابن
الإنسان"، وبين الله أبيه كنموذج أعلى لما تنتهي إليه الإنسانية المختارة والمتحدة في الابن من
نحو الله الأب، فالمسيح يحمل البشرية المفدية في السماء ويمثلها كرأس أمام الأب¹.

وثمة قضية أخرى هي قطب الرحي في العقيدة المسيحية، وتشكل القاعدة الكبرى في تصور
المسيحيين لألوهية المسيح، تلكم هي قضية التجسد، حيث يعتبرون أن الله تجلى لهم في صورة
بشر وهو السيد المسيح.

إن قصة "المسيحية" هي قصة ديانة نشأت على الإيمان بأن الله قد تجلّى في مؤسسها
بالجسد وأقام بين البشر، وعلى الرغم من أن ديانات أخرى قد طوّرت مفهوماً عن التجسد، إلا
أنّ أيّاً منها لم تعطه مثل هذه المركزية، وتتضمن بقية العقيدة المسيحية كلها الاعتقاد بأن
يسوع هو التجلي الأوضح لشخص الله².

وظهور السيد المسيح في الجسد هو لخلص المؤمنين المسيحيين (كما يعتقدون) ، وذلك ما
صرحت به نصوص من الكتاب المقدس منها قولهم: "هُوَ ذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ
اسْمَهُ عِمَّاْنُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا"³، ونص يقول: " فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ

¹ متى المسكين، ابن الإنسان، م. س، ص: 16

² فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، الزرادشتية – المانوية- اليهودية-المسيحية، دار علاء
الدين، دمشق، ط2: 2010م، ص: 209

³ إنجيل متى 1: 23

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ"¹، ونص آخر يقول: "وَلَهُمُ الْآبَاءُ، وَمِنْهُمْ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، الْكَائِنُ
عَلَى الْكُلِّ إِلَهًا مُبَارَكًا إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ"². . . إلخ.

ويعتقد المسيحيون "أن الملك الصمد فائق العظمة والجلال وفائق السلطان وفائق الغنى
تواضع حُبًّا فينا، إذ نزل إلينا وأخذ جسدنا وصار كواحد منا"³، ويصرحون أيضًا: "لقد تنازل
الله وتجسد وأتى إلى أرضنا، لأن كل من سبقه من آباء وأنبياء وكهنة وقضاة وملوك وقديسين لم
يتمكن من استقطاب الناس لله، بل ولم يستطع أحدهم أن يؤثر أو يغير في حياة الناس"⁴.

وترى المدرسة الأرثوذكسية سر التجسد على أنه اتحاد بين الطبيعتين اللاهوتية والانسوتية
في السيد المسيح من غير اختلاط، ولا تغير، ويفسر الأرثوذكس هذا بأن السيد المسيح جاء
لخلاصهم، وبالتالي فهو -حسب اعتقادهم- قدوس ومنزه عن الخطيئة، والصلب إنما وقع على
الجزء الانسوتي دون الجزء اللاهوتي، والقصد من كل ذلك دائمًا -حسب تصورهم- هو
لخلاص البشرية من الخطيئة الموروثة من آدم، وفي هذا يقولون: "إن الله منزّه عن الخطيئة،
والتجسد ليس خطيئة، والسيد المسيح جاء قدوس وبلا خطيئة، والجميع يعترفون بهذا، والله منزّه
عن التغير، ونحن نقول إن لاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغير، والتجسد
لم يجعل اللاهوت يتغير بدليل أننا نقول إن السيد المسيح مات بحسب الجسد، وليس بحسب
اللاهوت، فعند التجسد لم يمت اللاهوت أي أن لاهوته لم يتغير قبل وبعد التجسد، فطبيعته

¹ إنجيل يوحنا 1: 1

² الرسالة إلى رومية 5: 9

³ بيشوى عبد المسيح، الإيمان المسيحي في حقائقه اللاهوتية، م. س، ص: 25

⁴ المرجع نفسه، ص: 27

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
الإلهية لم تتغير، إذن فلا يوجد تغير ولا خطية، ولكن التجسد كان لأجل خلاص البشرية
ولإظهار حب الله¹.

فهذه النصوص وغيرها تدل على إيمان المسيحيين بمختلف مدارسهم بأن السيد المسيح
جاء في نسمة إلهية متجسدًا من أجل خلاصهم وفدائهم، مما يعني -حسب عقيدتهم- أنه صار
إلهًا.

وأما ثالث الأقانيم التي يقدسها ويمجدها المسيحيون فهو الروح القدس، وسأوضح كيف
عرّفت المدارس المسيحية الثلاث أقنوم الروح القدس، وما هي منزلته ضمن الثالوث المسيحي.

ثالثًا: أقنوم الروح القدس

ورد في قاموس الكتاب المقدس تعريف الروح القدس بأنه "روح الله، الأقنوم الثالث في
الثالوث، وقد ذكر هذا التعبير في العهد القديم ثلاث مرات² لكنه يتضمن إشارات عديدة لعمله،
أما في العهد الجديد فقد ذكره مرارًا، وقد سُمي روحًا لأنه مبدع الحياة، ودُعي قُدُوسًا لأن من
ضمن عمله تقديس قلب المؤمن، ويُدعى روح الله وروح المسيح³."

وقد ذُكر الروح القدس في الكتاب المقدس في مواضع متعددة وبصيغ مختلفة منها:

- الرسالة إلى رومية (ص 8 ع 9)

- الرسالة إلى غلاطية (ص 4 ع 6)

¹ الثالوث والتجسد والفداء، سلسلة تبسيط الإيمان، م. س، ص: 18

² ورد في مزمور 11: 51 و إشعياء 10: 63 - 11

³ قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 281

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

- إنجيل متى (ص 10 ع 20)

- إنجيل يوحنا (ص 15 ع 26)

- إنجيل يوحنا (ص 14 ع 26)¹

والروح القدس منبثق من الآب بحسب قول الإنجيل²: "وَمَتَّى جَاءَ الْمُعَرِّي الَّذِي سَأَرْسَلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ، رُوحَ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي"³، وهذا الاعتقاد تتبناه المدرسة الأرثوذكسية، خلافاً للمدرستين الكاثوليكية والبروتستانتية اللتين تعتقدان أن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً، وهذا ما أكد عليه التعليم المسيحي الذي يقول: "فعلى المؤمنين أن يتعلموا أن الروح القدس منبثق من الآب والابن كأنما من مبدأ واحد انبثاقاً أزلياً"⁴.

ويؤمن أتباع المدرسة الكاثوليكية أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث القائم بذاته في الطبيعة الإلهية وممتاز عن الأقنومين الآخرين⁵ ويستندون في ذلك إلى ما قاله رسول الأمم (بولس): "نِعْمَةُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ"⁶.

ويرى الكاثوليك أيضاً أن الروح القدس إله مساو للآب والابن وقادر على كل شيء، وأزلي وكامل بلا نهاية، والخير الأعظم وحكيم الغاية، وأن له نفس ما للآب والابن من الطبيعة"¹.

¹ حرف (ص) يشير إلى الإصحاح وحرف (ع) يشير إلى العدد.

² بيشوى عبد المسيح، الإيمان المسيحي في حقائقه اللاهوتية، م. س، ص: 20

³ إنجيل يوحنا 15: 26

⁴ التعليم المسيحي الروماني، ج3، ص: 115

⁵ المرجع نفسه، ج3، ص: 114

⁶ الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس 13 : 14

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وهذا يعني عندهم أن الأقانيم الثلاثة مشتركة في الطبيعة والصفات والوظائف، إذ
يعتبرون أن الآب قادر والابن قادر والروح القدس قادر، كما أن لهم صفات الأزلية والكمال
والخير والحكمة.

ويؤمن أتباع المدرسة الأرثوذكسية "بالروح القدس الواحد، الرب المُحي، المنبثق من الآب
والمستريح في الابن والمسجود له والممجّد مع الآب والابن، على أنه مساوٍ لهما في الجوهر والأزلية،
الروح الذي هو من الله، المستقيم، صاحب الأمر وينبوع الحكمة والحياة والتّقدس"².

ويعتبرون أن الروح القدس إله له صفات تميزه عن أقنومي الآب والابن فيقولون: "أما
الروح - على مثال الكلمة - فهو كائن في أقنوم، حيّ، حُرّ، متحرك بذاته، فاعل بذاته، مريد دومًا
الصّلاح، قوته طوع إرادته، فهو لا بداية له ولا نهاية"³.

وفي تعاليم المدرسة البروتستانتية فإن "الروح القدس هو الأقنوم الثالث في الثالث
الأقدس، إله حق مع الآب والابن"⁴، ويستشهدون على ذلك بقولهم: "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ
الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ"⁵ ويعتقدون أن ألوهية الروح القدس ترجع إلى
ما ينسب إليه في الكتاب المقدس من أسماء⁶ وصفات¹ وأعمال إلهية²، ومقام ومجد إلهيين³.

¹ التعليم المسيحي الروماني، ج3، م. س، ص: 112

² يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص: 69

³ المرجع نفسه، ص: 63

⁴ مارتن لوثر، أصول التعليم المسيحي، م. س، ص: 112

⁵ إنجيل متى 28: 19

⁶ يُنظر: كورنثوس الأولى 16: 3 وأعمال الرسل 3: 5 - 6

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
إضافة إلى ذلك، يؤمن المسيحيون أن هذا الأَقنوم له اختصاصات معينة، ويقولون في
هذا الصدد: "الروح هو مفسر الله، الذي يظهر لنا الله يقود، يرشد، يعلم، يجري المعجزات، وفي
كل هذه الأعمال يشير إلى المسيح"⁴.

بعد كل هذا الذي تم عرضه، أخلص إلى أن المدارس اللاهوتية المسيحية إلى جانب إيمانها
بالله – الذي تسميه الآب- فهي تؤمن بالوهية المسيح باعتباره مولود غير مخلوق من الآب قبل
الدهور، وتؤمن أيضًا بالوهية الروح القدس، وتعتبر أن له اختصاصات متداخلة مع الأَقنومين
الأول والثاني.

خلاصة:

بناء على ما سبق، يمكن القول إن المدارس اللاهوتية المسيحية تعرض لنا صورة الإله
الواحد في ثوب وثنى محض يرتكز على اقتباس عقائد وثنية دخيلة كالتجسيم والتشبيه،
والتعدد والحلول والاتحاد، فموقع الإله الخالق –حسب اللاهوت المسيحي- يجب أن يكون في
علاقة انسجام مع الأَقانيم الأخرى، وألا يكون منعزلاً ومتفرداً (على حد تعبيرهم) ، فمن جهة
علاقته بالمسيح الموصوف بـ (الابن) هي علاقة أبوة وبنوة، ومن جهة علاقته بالروح القدس هي
علاقة ذاتية لاعتقادهم أن الروح القدس مصدره من الله، وهو روحه الذي يجعل بها الإنسان
حيًا، ولهذا يمكن تفسير الثالوث المسيحي على أنه علاقة تجمع بين ثلاثة أشخاص يشتركون في

¹ يُنظر: مزمور 139: 7- 10 و كورنثوس الأولى 10: 2 (صفة المعرفة الكلية) والرسالة إلى العبرانيين 9: 9 (صفة الأزلية) .

² يُنظر: مزمور 6: 33 (عمل الخلق) وتيطس 5: 3 (عمل التقديس) .

³ يُنظر: الرسالة الأولى إلى بطرس 4: 14

⁴ كنت هودج، المسيح فيكم: مدخل للعهد الجديد والحياة المسيحية، م. س، ص: 12

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
عنصر محدد، وهذا العنصر هو ما يمكن أن نُعَبِّر عنه بالجزء اللاهوتي في كل شخص، فالإيمان
المسيحي يقوم على بناء علاقة ممتدة بين الإنسان وبين الثالوث المقدس، فكما يعتقدون أن
الأقانيم الثلاثة (الأب والابن والروح القدس) تربط بينهم علاقة ثابتة، فإنهم يعتقدون كذلك أن
الإله (الأب) لا بد أن تكون بينهم (كمؤمنين) وبينه علاقة اتصال محسوس، وهذا ما يؤكد أنه أحد
الباحثين المسيحيين بقوله: "أما الإله الحقيقي، إله الإعلان الكتابي فليس مجرد نظرية لتفسير
الكون، إنما هو إله حي يتصل بالأحياء، وشخص يقيم علاقة بالأشخاص"¹.

وبالجملة، فإن تأكيد المدارس اللاهوتية المسيحية على وحدة الأقانيم الثلاثة، ومساواتها
في الجوهر، واشتراكها في بعض الصفات والاختصاصات، يدفع إلى القول بأن التوحيد المسيحي
تمت صياغته في قالب وثني محض، يُفهم ذلك أيضاً من خلال تسمية المدارس المسيحية للإله
الخالق بـ"الأب" التي تحمل معاني التجسيم والتشبيه بال مخلوقات، وتثبت المعادلة السابقة،
المتثلة في العلاقة بين أقنوم الأب وأقنوم الابن، أي أن علاقة المسيحيين بالله أشبه بعلاقة أب
بأبنائه، تُختزل في معادلة قوامها المحبة والتضحية، يتم فيها تبادل الأدوار، وتقاسم المهام، وما
المسيح (الابن) في تصورهم إلا وسيلة لخلاصهم الأبدي، ولا شك أن السر في هذا التحول
العقدي الكبير عند المدارس اللاهوتية المسيحية، يرجع إلى ذلك الإرث الوثني الضخم الذي تركه
القديس بولس في الإيمان المسيحي.

وبعد أن عرضت مواقف المدارس اللاهوتية المسيحية من قضية وجود الله تعالى، وفصلت
القول في ما لحق التوحيد المسيحي من مؤثرات وثنية، أفضت في نهاية المطاف إلى ظهور عقيدة
جديدة وهي التثليث، أنتقل إلى الحديث عن قضية إيمانية لا تقل أهمية عن القضية الأولى،

¹ كوستلي بندلي، السبل إلى الله، منشورات النور، بيروت، الطبعة الثانية: 1974م، م. س، ص: 53

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وأعني بذلك قضية خلق الكون ومراحل نشأته وتطوره، وسأحاول من خلال هذا العرض، أن
أوضح الأدلة التي استند إليها أتباع المدارس اللاهوتية المسيحية في تصورهم لهذه القضية ثم
سأتحدث عن مواقف المذاهب العقيدة الإسلامية من هذه القضايا.

الفرع الثاني: خلق الكون ومراحل نشأته وتطوره

تتحدد نظرة المدارس اللاهوتية المسيحية وتصورها لعملية خلق الكون ومراحل نشأته،
انطلاقاً من النصوص الواردة في الكتاب المقدس (العهد القديم)، وبالضبط في سفر التكوين
الذي اشتمل على تفاصيل كثيرة حول هذا الموضوع، لاسيما الحديث عن خلق السماوات
والأرض وباقي عناصر الكون.

وقد تضمن سفر التكوين فقرات طويلة تحكي قصة الخلق ومراحل النشأة الأولى، وجاء
فيها ما نصه: "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَانَتِ الْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ
الْعَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمَيَّاهِ. وَقَالَ اللَّهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ، وَرَأَى اللَّهُ النُّورَ
أَنَّهُ حَسَنٌ، وَفَصَلَ اللَّهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَدَعَا اللَّهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةَ دَعَاهَا لَيْلًا، وَكَانَ مَسَاءٌ
وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا، وَقَالَ اللَّهُ: «لِيَكُنْ جِلْدٌ فِي وَسْطِ الْمَيَّاهِ، وَلِيَكُنْ فَاصِلًا بَيْنَ مَيَّاهِ وَمَيَّاهِ». فَعَمِلَ اللَّهُ الْجِلْدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمَيَّاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجِلْدِ وَالْمَيَّاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجِلْدِ، وَكَانَ كَذَلِكَ، وَدَعَا
اللَّهُ الْجِلْدَ سَمَاءً، وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا¹.

مبدئيًا، تتفق كل المدارس اللاهوتية المسيحية على أن مصدر الخلق هو الله تعالى، لذلك
يصفه المسيحيون بالخالق العظيم، استنادًا إلى الفقرة الأولى من سفر التكوين التي تقول: "فِي

¹ سفر التكوين 1: 1-8

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ¹ وفي هذا الإطار يؤكد التفسير المسيحي: "أن الله هو الخالق
العظيم للمادة والطاقة والفضاء والزمن والإنسان، والله هو قمة ومركز الخليقة²".

ثم يتوصلون إلى النتيجة التالية: "إذا، فبموجب هذا الفعل الخاص بالله والذي لا يأتي إلا
مرتبطاً بالله، نستطيع أن نقرر أن العالم المنظور لم يوجد منذ الأزل، ولم يتكون من مادة كانت
كائنة من قبل، ولم ينشأ كانبثاق من الكيان الإلهي المطلق، ولكنه خُلِقَ من العدم واستُدعي
للوجود بفعل أمر إلهي خلاق³ اعتماداً على ما جاء في الكتاب المقدس: "لأنَّهُ قَالَ فَكَانَ هُوَ أَمَرَ
فَصَارَ"⁴، وأيضاً قوله: "لِنَسِيحِ اسْمِ الرَّبِّ لِأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ"⁵.

ويأتي في هذا السياق تصور المدرسة الكاثوليكية ممثلاً في القديس توما الأكويني الذي
يقول: "إنه يستحيل وجود شيء غير صادر عن الله الذي هو العلة الكلية للوجود بأسره، فإذا
لا بد أن يُقال إن الله يُصدر الأشياء إلى الوجود من العدم"⁶، ويدعم هذا الرأي أيضاً ما صاغته
الكنيسة الكاثوليكية في تعاليمها، حيث يقولون: "نحن نؤمن أن الله خلق العالم بحسب
حكيمته، فالعالم ليس من صنع إحدى الحتميات، صنع قدر أعمى أو صدفة، نحن نؤمن أنه
يصدر عن إرادة حرة لله الذي أراد أن يشرك الخلائق في كينونته وحكيمته وجودته"⁷، ويضاف
إلى ذلك تأكيدهم على أن الله يخلق الموجودات من العدم، وأنه ليس محتاجاً لمادة سابقة

¹ سفر التكوين 1: 1

² عزت شاكر، أصعب الآيات في سفر التكوين، منشورات الكنيسة الإنجيلية، القاهرة، 2014م، م. س، ص: 38

³ يوحنا المقاري، التكوين، ص: 48

⁴ مزمور 9: 33

⁵ مزمور 148: 5

⁶ توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج1، م. س، ص: 545

⁷ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، م. س، ص: 76

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
للخلق، ولا لمساعدة في عملية الخلق، فيقولون: "نحن نؤمن أن الله ليس بحاجة إلى شيء سابق
الوجود، ولا إلى عون لكي يخلق"¹.

ويذهب القديس أثناسيوس ممثل المدرسة الأرثوذكسية مع هذا التصور أيضًا، حيث
يقول: "إن التعليم الإلهي والإيمان الذي بحسب المسيح، يُعَلِّم بأن الخليقة لم توجد عفويًا أو
تلقائيًا (كما قال أفلاطون) ، لأنه ليس تعليمًا قاصرًا، ولا هي تكونت من مادة كائنة من قبل،
لأن الله ليس ضعيفًا أو عاجزًا، ولكن بكلمته أوجد كل الأشياء مما لم يكن له وجود سابق"².

ومن ضمن ما جاء في التعاليم البروتستانتية قولهم: "إنني أدعو الله (الكلي القدرة)
و(الخالق) لأنه بواسطة كلمته القادرة على كل شيء خلق كل الأشياء من العدم"³.

وهذا يدل على أن المدارس اللاهوتية المسيحية الثلاث تعتقد بأن الكون خلقه الله من
العدم، ولم يصدر عن صدفة كما قال الفلاسفة الدهريون، ولم يوجد من مادة سابقة في
الوجود.

ويخبر الكتاب المقدس على أن الله خلق السماوات والأرض، لكن لم يحدد الكيفية التي
خلق بها هذا الكون، ولا المدة الزمنية التي استغرقتها عملية الخلق، وباستثناء التفاصيل التي
وردت في سفر التكوين عن خلق الأرض، وباقي العناصر الطبيعية الأخرى، فلا نجد ذكرًا لكيفية
خلق السماوات، ولا المراحل التي مرت منها، وهذا ما أشار إليه مفسرو الكتاب المقدس، حيث
يقولون: "فالنقطة الهامة ليست كم استغرق الله في خلق العالم، هل بضعة أيام أم بلايين

¹ المرجع نفسه، ص: 76

² يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص: 48

³ مارتن لوثر، أصول التعليم المسيحي، م. س، ص: 87

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
السنين، ولكن النقطة التي يعلنها الكتاب المقدس هي أن الله خلق الكون بالكيفية التي أرادها
هو¹، ويتضح ذلك أيضاً في إشارات التي قدّمها الباحثان (Mark Driscoll) و (Gerry
Breshears) بعد دراستهما للعقيدة المسيحية في قضية "الخلق"، يقول كلا الباحثين:

اهتم سفر التكوين بأسئلة: من صنع الكون؟ ولماذا صنع الكون؟ أكثر من سؤال متى عمل
الكون؟ كما قال غاليليو² Galileo: (إن الروح القدس قصد تعليمنا كيف نصل إلى السماء
وليس كيف تسير السماء³) ، كما نلاحظ أيضاً اختلاف الآراء المسيحية حول تقدير المدة الزمنية
 لعملية الخلق، بين قائل بأن كلمة "يوم" الواردة في النص التوراتي تعني اليوم الذي نعرفه
بالمقياس الدنيوي (24 ساعة)، وبين قائل بأن المدة الزمنية المذكورة في النص هي رمزية
وتختلف عن المدة الزمنية الدنيوية.

فأصحاب الرأي الأول يعتقدون بستة أيام حرفية كما وردت في الكتاب المقدس "ويُسَمون
(Creationists⁴) ، والكون بالنسبة لهم خُلِقَ كله في مدة 144 ساعة فقط (ستة أيام حرفية) ،
ويؤيدون وجهة نظرهم بالحجج الآتية⁵:" وَدَعَا اللَّهُ النُّورَ مَهَارًا، وَالظُّلُمَةُ دَعَاهَا لَيْلًا، وَكَانَ مَسَاءٌ

1 التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 7

2 عالم إيطالي، وُلِدَ في 15 شباط 1564 في بيزا (توسكانا) ، ومات في 8 كانون الثاني 1642 في ارشتسري
(فلورنسا) ، وكانت أسرة غاليليو ذائعة الصيت في الجمهورية الفلورنسية في أواسط القرن الرابع عشر، وكان والد
غاليليو، فنشئز، مؤلفاً موسيقياً له اعتباره (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص: 432) .

³Mark Driscoll and Gerry Breshears, Doctrine : what Christians should believe, Library of
Congress Cataloging in Publication Data, USA, 2010, p. 81

4 وردت الكلمة باللغة الإنجليزية ومعناها "الخلقين".

5 عزت شاكر، أصعب الآيات في سفر التكوين، ص: 50

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا¹، ويرون أنه بعد ذكر المساء والصباح، جاءت عبارة "يومًا واحدًا"، ولم
تصدر عبارة "حقبة واحدة"².

بينما يقول أصحاب الرأي الثاني: "إن فكرة اقتران بعدد لابد وأن تدل على يوم فعلي (24
ساعة) فكرة غير دقيقة بالمرّة، ويستدلون بما ورد في سفر دانيال حيث يقول: "سَبْعُونَ أُسْبُوعًا
فُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمُعْصِيَةِ وَتَتِمِّمِ الْخَطَايَا، وَلِكَفَّارَةِ الْإِثْمِ،
وَلِيُؤْتَى بِالْبَرِّ الْأَبَدِيِّ، وَلَخْتَمِ الرُّؤْيَا وَالتَّنْبُؤَةِ، وَلَمَسِحِ قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ"³، ويقولون أيضًا: "فاليوم
في (تك 1 - 3) هو يوم رمزي يشير إلى مدة زمنية، بغض النظر عن الفترة الزمنية التي يشير
إليها"⁴.

هذا ما يتعلق بوجهات النظر المسيحية حول طبيعة المدة الزمنية التي تمت فيها عملية
خلق الكون، أما عن زمن وكيفية وتفصيل الخلق، فيمكن استخلاصها من خلال تعاليم
المدارس اللاهوتية المسيحية، وتفسير اللاهوتيين والقديسين المسيحيين.

تقول التعاليم الكاثوليكية -توضيحًا لما جاء في الفقرة الأولى من سفر التكوين (في البدء
خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) -: "هذه الكلمات الاحتفالية تتصدر الكتاب المقدس، وقانون

¹ سفر التكوين 1: 5

² أصعب الآيات في سفر التكوين، م. س، ص: 50

³ سفر دانيال 9: 24

⁴ عزت شاكر، أصعب الآيات في سفر التكوين، م. س، ص: 57

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الإيمان يكرر هذه الكلمات معترفاً بالله الآب الكلي القدرة على أنه (خالق السماء والأرض)،
(الكون المرئي وغير المرئي) ¹.

وتماشياً مع التصور الأرثوذكسي، يقول القديس أوريجين الإسكندري: " وليس يعني ذلك
(في بدء الزمان) بل (في المبدأ) أي في الكلمة، فإن الله ثابت لا يتغير من لا خلق إلى خلق، ولا من
خلق إلى لا خلق، ولكنه يزاول قدرته وجود بخيرته منذ الأزل، وسيستمر على ذلك إلى الأبد ².
فهو يشير هنا إلى أن المقصود بعبارة "في البدء" أي "في الكلمة"، نظراً لأن الله حسب التصور
الأوريجيني ³ لا يدخل في إطار الزمان، فهو أزلي وسرمدي.

ويفسر اللاهوتيون المسيحيون عبارة "في البدء" على أنها تفيد بداية التاريخ، ولهذا يقول
الآب يوحنا المقاري: "في البدء عندما بدأ الزمان، وقبل أن يكون الإنسان، وعندما شاء الله أن
يخلق العالم من العدم، كان هذا البدء، فهو فجر بداية التاريخ ومبادئ الخليقة ⁴"، غير أنه يميز
هذا البدء عن بدء الكلمة الوارد في إنجيل يوحنا، فيقول: "فهذا (البدء) الذي يتحدث عنه سفر
التكوين هو بدء الزمان وبدء التاريخ وبداية الخلق، ولكنه ليس كالبدء الذي تكلم عنه القديس
يوحنا في إنجيله الذي هو قبل الخلق والزمن والتاريخ، لأنه كان يتكلم عن الكلمة ⁵ الذي كان
عند الله وكان هو الله ⁶".

¹ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، م. س، ص: 73

² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، م. س، ص: 277

³ نسبة إلى أوريجين الإسكندري.

⁴ يوحنا المقاري، التكوين، ص ص: 45 - 46

⁵ المقصود بالكلمة هنا حسب الاعتقاد المسيحي هو السيد المسيح.

⁶ يوحنا المقاري، التكوين، ص: 46

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ويشرح القديس يوحنا ذهبي الفم الفقرة الأولى من سفر التكوين قائلا: "لم يقل موسى في
البدء خلق الله الملائكة أو رؤساء الملائكة، بل قال: "في البدء خلق الله السماوات والأرض"، لأن
اليهود لا يمكنهم أن يفتكروا¹ في شيء من الأمور العقلية، فبالأمور الحسية اقتادهم إلى معرفة
خالق الكل، لكي بالخلقة يسجدوا للخالق ولا يعبدوا المخلوقات"².

فكأنه يريد أن يقول إن اليهود كانوا ماديين في طبيعتهم، ولذلك خاطبهم النبي موسى بهذه
الأشياء المادية (السماوات والأرض)، لكي يجعلهم يدركوا حقيقة الله الخالق.

ويقول القديس أغوستينوس: " (في البدء خلق الله السماء والأرض) يعني هذين الشيئين:
أحدهما متناسق منذ البدء والآخر خال خاو، السماء – سماء السماوات- ويشير حالا إلى الأرض
التي يريدنا، وكما أنه يُعَيَّن اليوم الثاني لخلق الفضاء المدعو سماء، يلمح إلى السماء التي سبق
وأن تكلم عنها دون أن يُعَيَّن اليوم"³.

فهذه السماوات والأرض هي الأصول الأولى للخلقة كلها، والله هو خالقها جميعاً، فهي
المادة الأصلية لكل ما خُلِق بعد ذلك⁴، والتصور المسيحي للخلق لا يختلف كثيراً عن التصور
اليهودي، "ففي التقليد العبري الكتابي، صُوِّرت السماوات في طبقات، والأرض في الفضاء معلقة
فوق المياه، كما ذُكرت السماوات أنها هي مسكن الله وملائكته، أما الأرض فأعطاه لبني آدم،
ولكنها جميعاً للرب وهو مالؤها بل إنها لا تسعه بكل اتساعها"⁵.

1 يبدو أن المؤلف يريد أن يقول "ينفكروا" لأن التعبير الذي استخدمه في النص أعلاه مأخوذ من اللغة العامية.

2 أغوستينوس البرموسي، شرح سفر التكوين للقديس يوحنا ذهبي الفم، م. س، ص: 26

3 أغوستينوس، الاعترافات، دار المشرق، بيروت، ط4: 1991م، ص: 274

4 يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص: 51

5 المرجع نفسه، ص: 52

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

ويستند المسيحيون في تصورهم هذا على جملة من النصوص، منها:

" السَّمَاوَاتُ سَمَاوَاتُ لِلرَّبِّ، أَمَّا الْأَرْضُ فَأَعْطَاهَا لِبَنِي آدَمَ"¹

" هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لَا تَسْعُكَ"²

" أَمَّا أَمْلَأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ"³

ويرى البروتستانت أن المقصود بالسما والارض، كل المخلوقات المنظورة وغير المنظورة⁴ وبالنسبة لوصف السماوات والارض المذكورة في بداية سفر التكوين، يعرض القديس أوريجين رؤية أخرى، فيقول: " (في البدء خلق الله السماء والارض)، ففيها تنويه بسما أخرى وأرض أخرى غير القبة السماوية التي أبدعت بعد يومين، على ما جاء في الكتاب، وغير اليابسة التي دُعيت فيما بعد أرضاً"⁵.

وحيثما يُطلق لفظ "السماوات" في الكتاب المقدس، فإنه يحمل دلالات غير التي تتبادر إلى الأذهان في أول وهلة، وهذا ما نجده بوضوح في قولهم: "السماوات تشير إلى العالم الروحي، الملائكة ورؤساء الملائكة، وسائر القوات السمائية، وذكرت السماوات أولاً إشارة إلى أن خلق العالم الروحي كان سابقاً لخلق العالم المادي"⁶.

¹ مزمو 115: 16

² سفر الملوك الأول 8: 27

³ سفر إرميا 23 : 24

⁴ مارتن لوثر، أصول التعليم المسيحي، م. س، ص: 88

⁵ جورج خوام البولسي، أوريجانوس في المبادئ، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم (31)، ص ص: 171 - 172

⁶ فيكتور فيلبس، الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس، تقديم: الأنبا بنيامين، السلسلة (1)، (د.ط)، ص: 28

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وأما السماوات ذلك الخلق البديع من مخلوقات الله العظيم، فإنها لم تحظ -كما أسلفنا الذكر- بنصيب كبير من البيان والتفصيل، "والكتاب المقدس صمت عن التحدث عن العالم السمائي لحكمة يراها القديس يوحنا ذهبي الفم تحاشياً أن يميل إسرائيل إلى عبادة الملائكة، ورأها بعض المفسرين في أن الإنسان في بدايته الروحية، لم يكن ليستطيع أن يتقبل ما يكتب عن العالم السمائي"¹.

ولا يوجد في الأدبيات المسيحية فيما يخص هذا الموضوع سوى بعض الشذرات المتفرقة، فهذا القديس توما الأكويني يرى "أنه يوجد سماء واحدة فقط، لأن السماء جُعِلت قسيمة للأرض في قوله (في البدء خلق الله السماء والأرض)، والأرض واحدة فقط، فكذا السماء أيضاً"²، ويصف القديس يوحنا الدمشقي السماء بقوله: "السماء ما يحيط بالبرايا المنظورة وغير المنظورة، وفي إطارها تتوقف وتنحصر قوات الملائكة العقليين والمحسوسات بأسرها"³، ويقول في هذا الإطار أيضاً: "وقد ارتأى بعضهم أن السماء تحيط بالكل بشكل دائرة وأنها كروية المظهر، وهي نفسها تُكوّن القسم الأعلى من كل جهة، وتُكوّن النقطة الوسطى من المكان الذي تحيط به قسمه الأسفل ويقولون إن السماء تتحرك تحركاً دورياً، وبذلك تضغط على ما في داخلها فيبقى جامداً لا يتزعزع"⁴.

1 المرجع نفسه، ج1، ص: 29

2 توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 207

3 يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص: 96

4 المرجع نفسه، ص ص: 96 - 97

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وحسب الفكر اللاهوتي المسيحي، فإن السماء تنقسم إلى عدة أقسام ومنها:

السماء الأولى: وهي سماء الجو الذي يحيط بالأرض، وفيها الهواء الذي نتنفسه الذي يتكون من مجموعة الغازات (78% نيتروجين، 21% أكسجين، 1% بخار ماء وثاني أكسيد الكربون ونيون وأرجون. إلخ) وتُعرف علميًا باسم "التربوسفير"، وترتفع لأكثر من عشرين ميلا فوق سطح الأرض يعلوها طبقة "الستراتوسفير"، وترتبط الظواهر الجوية بهذه السماء، فالمطر والثلج ينزلان من السماء "لأنه كما علت السَّمَاوَاتُ عَنِ الْأَرْضِ، هَكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ، لَأَنَّهُ كَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ وَالثَّلْجُ مِنَ السَّمَاءِ وَلَا يَرْجِعَانِ إِلَى هُنَاكَ، بَلْ يُرْوِيَانِ الْأَرْضَ وَيَجْعَلَانِهَا تَلْدًا وَتُنْبِتُ وَتُعْطِي زَرْعًا لِلزَّارِعِ وَخُبْزًا لِلْأَكِلِ" وصقيع السماء "هَلْ لِلْمَطَرِ أَبٌ؟ وَمَنْ وَلَدَ مَاجِلَ الطَّلِّ"²، والرعد من السماء "مُخَاصِمُو الرَّبِّ يَنْكَسِرُونَ، مِنَ السَّمَاءِ يُرْعَدُ عَلَمُهُمْ"³، والله "الْكَايِسِي السَّمَاوَاتِ سَحَابًا، الْمُهَيَّئِ لِلْأَرْضِ مَطَرًا"⁴.

السماء الثانية: هي سماء الأجرام السماوية "السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْقَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ"⁵ فهي الفضاء الشاسع الذي تدور فيه الأجرام السماوية من سُدم ونجوم وكواكب وأقمار فيقال "نجوم السماء"⁷.

¹ سفر إشعياء 55: 9 - 10

² سفر أيوب 38: 28

³ سفر صموئيل الأول 2: 10

⁴ مزمور 147: 8

⁵ فيكتور فيلبس، الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس، م. س، ص ص: 29 - 30

⁶ مزمور 19: 1

⁷ سفر التكوين 15: 5 - سفر التثنية 19: 4

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

السماء الثالثة: حيث الملائكة والأرواح والفردوس مكان انتظار الأرواح البارة وهي التي اختطف إليها بولس الرسول.

سماء السماوات: أو عرش الله والمقصود بها أنها موضع مجده وليس الموضع الذي يحده¹.

ويذهب القديس يوحنا الدمشقي في الاتجاه نفسه حينما يصرح بوجود ثلاث سماوات فيقول: "إن السمااء الأولى إذا هي سماء السمااء، لأنها فوق الجَلَد، ومن ثمَّ هما سماءان، لأن الله يسمي الجَلَد أيضًا سماء، وقد درجت العادة في الكتاب الإلهي أن يسمي الهواء أيضًا سماء، لأننا نراه فوقنا²".

هذا ما يخص طبيعة السماوات وأقسامها حسب التصور اللاهوتي المسيحي، أما فيما يخص مراحل خلق الكون وتشكل العناصر الأخرى، فنجد تفاصيل ذلك في ثنايا الكتاب المقدس خصوصًا في العهد القديم منه، ففي سفر التكوين نقرأ بوضوح قصة خلق الكون بما في ذلك (السماوات والأرض والنور والمياه . إلخ)، علمًا بأن المدارس المسيحية تستمد تصوراتها حول خلق العالم من المصدر التوراتي، وتؤمن أن الله هو الخالق لهذا الكون بما فيه من كائنات حية، إلا أنها رغم ذلك، تختلف مع الرؤية التوراتية في بعض التفاصيل خصوصًا ما يرتبط بمصدر الخلق (الله)، حيث ترى المدارس المسيحية أن عملية الخلق يشترك فيها مع الله، كلا من الابن والروح القدس، وهو ما يُعبرون عنه بالثالوث المقدس.

وعند الاطلاع على بدايات سفر التكوين، تبدو هناك تفاصيل قصة خلق العالم، والمراحل التي مرت منها عملية الخلق فتبتدئ بقوله: "وهكذا خلق الله في اليوم الأول السماوات والأرض

¹ الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس، م. س، ص ص: 29 – 30 – 31

² المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص: 98

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

הַשְּׁמַיִם וְהָאָרֶץ وفي الوقت الذي رأى فيه الله أن هذه الأرض كانت خاوية وخالية תְּהוֹמָה הָיְתָה וְאֵן הַظֶּלֶם הָיָה هو السائد خلق النور אֶת הַנּוֹר ثم بعد ذلك خلق الله הַיָּמִים الجَلَدֶהָהָה، هذا الجَلَد هو الذي سُمِّيَ سماء، وأما اليابسة יִבְיָהָהָה في التي سَمَّاهَا أرضًا، بالإضافة إلى خلقه البحار، وكان ذلك في اليوم الثاني، وبعد هذا الخلق يُقر الله خلق النباتات والأعشاب كل حسب صنفه، وقد تمت هذه العملية في اليوم الثالث، أما اليوم الرابع فقد خصه الله لخلق النيرين العظمين الشمس والقمر הַיָּמִים הַזֵּה הַזֵּה إضافة إلى خلقه الكواكب والنجوم הַיָּמִים הַזֵּה הַזֵּה بعد ذلك يقرر الله خلق الحيوانات بجميع أصنافها، بحرية وبرية وطائرة وزاحفة، وكان هذا هو العمل الذي انتهى منه الخالق في اليوم الخامس، وعندما خُلِقَت كل هذه الحيوانات لم يبق للخلق غير خلق الإنسان، هذا الإنسان الذي خلقه الله - حسب ما جاء في التوراة- على صورته ومثاله בְּצַלְמֵנוּ בְּדִמּוּתֵנוּ، وقد تم ذلك في اليوم السادس، أما اليوم السابع فقد خصه الله لتتمة ما بقي من عملية الخلق وللاستراحة من كل هذه العملية¹.

وهذه تفاصيل أيام الخلق الواردة في سفر التكوين يمكن عرضها على النحو الآتي:

اليوم الأول: خلق السماوات والأرض وخلق النور

"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَكَانَتِ الْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. وَقَالَ اللَّهُ: «لْيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. وَرَأَى اللَّهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ.

¹ إدريس عبيزة، مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها العربية لسعديا كزون الفيومي، منشورات دار الأمان،

الرباط، الطبعة الأولى: 1431 هـ - 2010 م، ص: 78

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وَفَصَلَ اللَّهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَدَعَا اللَّهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةَ دَعَاهَا لَيْلًا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا¹.

في اليوم الأول خلق الله السماوات والأرض، وقد أشرنا سابقًا إلى ملامح تَشَكُّل السماوات من خلال ما ورد في الآراء اللاهوتية المسيحية، "أما الأرض فقد أمر الله بكلمته أن تستقر على ثباتها في وسط العالم، وأمر أن تصعد الجبال وتهبط البطاح إلى ما أقره لها من الأمكنة، ولئلا تغمر المياه الأرض، وضع لها حدًا لا تتعداه، ولا ترجع فتغطي الأرض²"، وتعليقًا على عبارة (وكانت الأرض خربة)، يرى المفسرون المسيحيون "أنه من غير المعقول أن يخلق الله في بداية خلقته، أرضًا خربة، فالتخريب هنا يشير إلى عملية تخريب عدائية قام بها عدو الخير، وقد يكون القصد هو مجرد تصوير حالة الأرض قبل أن يتدخل الله بقدرته الخالقة في إبداع ما خلق، بإرادة الله هي التي أقامت كل ما قد خلق، وهي التي تحفظه قائمًا على الدوام³".

ويقول برسوم ميخائيل إن الوحي عندما يقول: (في البدء خلق الله السماوات والأرض⁴) ، فهذا يعني أن الأرض كانت موجودة بالفعل، ولكن ملفوفة في قماط من غمريكسوه قماط آخر من ظلمة، ولما أشرق عليها نور اليوم الأول، بدأ يتعاقب عليها الليل والنهار بدوراتها أمام النور، كما يتعاقبان الآن تمامًا بدوراتها أمام الشمس⁵.

¹ سفر التكوين 1: 1 - 5

² التعليم المسيحي الروماني، ج1، ص: 41

³ يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص: 54-55

⁴ سفر التكوين 1: 1

⁵ عزت شاكر، أصعب الآيات في سفر التكوين، م. س، ص: 56

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وفيما يتعلق بشكل الأرض، فلطالما أثارت هذه المسألة جدلاً كبيراً في الأوساط المسيحية، بسبب ما رآه البعض من أن الكتاب المقدس يحتوي على نصوص تعتبر أن شكل الأرض مسطحاً، ومع ظهور نتائج الأبحاث الفضائية التي أكدت كروية الأرض، انبرى العديد من اللاهوتيين وعلماء المسيحية للدفاع عن الكتاب المقدس، واعتبروا أن تلك النتائج سبق أن تضمنتها نصوص الكتاب المقدس، وجاء في هذا الصدد قولهم: "من قديم تضمن الكتاب المقدس هذه الحقيقة التي أعلنها إشعيا النبي بقوله عن الله أنه (الْجَالِسُ عَلَى كُرَّةِ الْأَرْضِ¹) ، وإلى هذه الحقيقة أشار سليمان (رَسَمَ دَائِرَةً عَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ²) ، وأشار لها أيوب (رَسَمَ حَدًّا عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ عِنْدَ اتِّصَالِ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ³)"⁴.

وأما عبارة: (روح الله يرف على وجه المياه⁵) ، فإن المسيحيين يفسرونها بأنها تعني "الروح القدس"⁶ إن الفعل يرف (רָفַף) يشير إلى الروح القدس كالطائر الذي يحلق فوق فراخه لحمايتهم وطمأننتهم، ويشير إلى أن روح الله موجود في الكون، ولكنه أعلى منه وصاحب السلطان عليه"⁷.

¹ سفر إشعيا 40: 22

² سفر الأمثال 8: 27

³ سفر أيوب 26: 10

⁴ فوزي إلياس، الكتاب المقدس والعلم الحديث، م. س، ص: 46

⁵ سفر التكوين 1: 2

⁶ يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص: 55

⁷ عزت شاكر، أصعب الآيات في سفر التكوين، م. س، ص: 65

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
يقول القديس يوحنا ذهبي الفم في هذا الصدد: "يبدو لي أنه قد يدل هذا أن في المياه كان
يوجد روح محي، وأن الماء لم يكن غير متحرك، بل كان متحركاً وفيه قوة محيية، لأن الماء غير
المتحرك قد يكون فاقداً النفع بالكلية، وأما المتحرك فيكون موافقاً لأمر كثيرة"¹.

ويذهب القديس أغوستينوس إلى أن المقصود بهذه العبارة هو الثالث المقدس (الآب
والابن والروح القدس)، وليس الروح القدس وحده، ويقول في هذا الصدد: "من شئيهما بجُرم
ساج في الجو أخطأ في تعبيره ضد الروح القدس، أما إن كان يقصد من ذلك التعبير أن يُظهر
مجد اللاهوت الخالد متجلياً فوق عوارض هذه الدنيا، فالآب والابن والروح هم جميعاً فوق
المياه"².

ولعل هذا المعنى الذي أورده القديس أغوستينوس ينسجم تماماً مع توجهه الفلسفي،
فهو يتبنى التأويل الرمزي للنصوص الدينية.

ثم خلق الله النور في قوله: (لِيَكُنْ نُورٌ فَكَانَ نُورٌ³) ، فكيف كان ذلك؟

أول ما خلق الله هو النور ليبدد به الظلمة المحيطة بالأرض، هذه هي الخطوة الأولى
للتطور التدريجي في خلق الحياة على الأرض وإعدادها لسكنى الإنسان، والنور هنا هو الطاقة
الكامنة في ذات المادة المخلوقة للسموات والأرض، لأن النور هو أسمى عناصر الكون، وبدونه لا
يمكن أن تكون هناك حركة حياة، فهو الذي يحدد معالم المخلوقات الغارقة في ظلمة الخراب
الذي كان أولاً"⁴.

1 أغوستينوس البرموسي، شرح سفر التكوين للقديس يوحنا ذهبي الفم، ص: 28

2 أغوستينوس، الاعترافات، الكتاب الثالث عشر، ص: 300

3 سفر التكوين 1: 3

4 يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص: 57

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
بيد أن التنصيص على خلق النور في اليوم الأول طرح إشكالية علمية كبيرة، وقد حاول
الإجابة عنها فيكتور فيليبس Victor Philips صاحب كتاب (الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس)
قائلاً: "إذا كان مصدر النور في اليوم الأول هو الشمس ولكن في حالتها السديمية الأولى، فقد
استنارت الأرض بالشمس الأولى قبل أن تتكاثف وتنكمش، ويصير لها مكان ثابت في صورة
شمسنا الحالية، وذلك في دور قادم عبّر عنه الكتاب المقدس باليوم الرابع للخلق"¹، وهذا
الموضوع سأخصص له حيزاً من النقاش عندما أصل إلى اليوم الرابع من عملية الخلق.

اليوم الثاني: خلق الجلد

وَقَالَ اللَّهُ: «لِيَكُنْ جِلْدٌ فِي وَسْطِ الْمِيَاهِ، وَلِيَكُنْ فاصِلاً بَيْنَ مِيَاهِ وَمِيَاهٍ»، فَعَمِلَ اللَّهُ الْجِلْدَ،
وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجِلْدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجِلْدِ. وَكَانَ كَذَلِكَ، وَدَعَا اللَّهُ الْجِلْدَ سَمَاءً،
وَكَانَ مَسَاءً وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا².

الجلد بالعبرية يعني "رقيق"³ ومعناها فضاء شاسع، والمقصود به الغلاف الهوائي المحيط
بالأرض⁴ والجلد أي السماء، تُلفظ الجيم بالأرامية كما يلفظها المصريون، ومن هنا جاءت
التسمية الكلدانية لتخصص الكلدان بالكلد أو الجلد (بالسما والنجوم والفلك)⁵.

¹ فيكتور فيليبس، الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس، م. س، ص: 47

² سفر التكوين 1: 6 - 8

³ الرقيق في العربية: سماء الدنيا، والمقصود به هنا: الفضاء المحيط بالأرض الذي يشتمل على الهواء (كتاب عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، ص: 161) .

⁴ الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس، م. س، ص: 50

⁵ حنا حنا، دراسات توراتية، دار رام للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثانية: 2006، ص: 110

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

ويرى القديس يوحنا ذهبي الفم أن "قول الله (لِيَكُنْ جَلْدٌ فِي وَسْطِ الْمِيَاهِ وَلِيَكُنْ فَاصِلًا بَيْنَ مِيَاهِ وَمِيَاهٍ) كَمَنْ يَقُولُ بِلِسَانٍ بَشَرِي حَائِطَ مَاءٍ وَحَاجِزَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا وَيَقْسِمُهُمَا"¹، ومعنى قوله في وسط المياه أي متوسطاً بين المياه التي تغمر الأرض والمياه العلوية في السحب².

والغاية من وجود الماء فوق الجَلَد يراه القديس يوحنا الدمشقي "لأجل لهيب الشمس والأثير³ الجزيل الحرارة، فالأثير منتشر حالاً بعد الجَلَد، والشمس مع القمر والكواكب في الجَلَد، فلولا وجود الماء لالتهب الجَلَد من الحرارة"⁴.

إلا أن القديس توما الأكويني يخالف هذا الرأي بقوله: "يظهر أن ليس يوجد مياه فوق الجَلَد لأن الماء ثقيل بالطبع، والمكان الخاص بالثقل ليس في جهة فوق بل في جهة تحت فقط، فإذا ليس يوجد مياه فوق الجَلَد"⁵، ويعرض الأكويني فرضية أخرى يقول فيها: "وأما على أَنَّ الجَلَد هو تلك الطبقة من الهواء التي ينعقد فيها السحاب، فالمياه التي فوق الجَلَد هي المياه التي تنحل إلى أبخره، فتتصاعد فوق طبقة من الهواء، ومنها يتكون المطر، لأن القول بأن المياه المنحلة إلى أبخرة لتصاعد فوق فلك الكواكب كما قال بعض ممن ذكر أوغسطينوس مذهبهم في شرح تك ك 2 ب 4 محالاً قطعاً أولاً بسبب صلابة الفلك وثانياً بسبب الطبقة"⁶.

1 أغسطينوس البرموسي، شرح سفر التكوين للقديس يوحنا ذهبي الفم، م. س، ص: 29

2 بيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 161

3 النار الكونية التي فوق الهواء (القديس يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، ص: 100) .

4 المصدر السابق، ص: 108

5 توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 202

6 المصدر نفسه، ج2، ص: 203

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير

كما يعترض القديس الأكويني على مسألة اعتبار الجَلَد فاصلا بين مياه ومياه قائلا: " يظهر أن الجَلَد ليس فاصلا بين مياه ومياه، لأن الجسم الواحد بالنوع له مكان طبيعي واحد، والمياه كلها متّحدة بالنوع كما قال الفيلسوف في كتاب الجدل 1 ب 6، فإذا ليس يجب أن تختلف مياه عن مياه في المكان، وأيضاً إن قيل إن المياه التي فوق الجَلَد، والمياه التي تحته¹ مختلفة بالنوع، يرُدُّه أن المختلفات بالنوع لا تحتاج إلى فاصل أجني، فإذا لو كانت المياه العلوية والسفلية مختلفة بالنوع، لم يكن الجَلَد فاصلا بينهما²."

وأما ارتباط الجَلَد بتكوين السماء، فقد كان هناك اعتقاد سائد قديماً يرى بأن "السماء كرة صلبة متبلورة تدور بنجومها المتألئة حول الأرض"³، غير أن الاكتشافات العلمية الحديثة أثبتت أنها عبارة عن غلاف هوائي محيط بالأرض⁴ والكتاب المقدس بتسميته السماء الهوائية جَلَدًا (Firmament) أوضح أن للهواء كثافة، في الوقت الذي كان الناس يتوهمون أن الهواء مجرد جسم لطيف لا كثافة له⁵.

اليوم الثالث: ظهور اليابسة وخلق النباتات

وَقَالَ اللَّهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلِتُظْهِرِ الْيَابِسَةَ»، وَكَانَ كَذَلِكَ،
وَدَعَا اللَّهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بَحَارًا، وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ، وَقَالَ اللَّهُ: «لِتَنْبِتِ

¹ المقصود من المياه التي تحت الجَلَد الكتل المائية من بحار وأنهار، أما المياه التي فوق الجَلَد أي فوق السماء المقصود منها الأمطار للاعتقاد بأن المياه كانت تنزل من السماء قبل معرفة ماهية الغيوم، وبقي هذا الاعتقاد حتى اليوم بالتوراة (حنا حنا، دراسات توراتية، ص: 110).

² توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 202

³ فوزي إلياس، الكتاب المقدس والعلم الحديث، دار الثقافة، القاهرة، (د. ط. د. ت)، ص: 45

⁴ الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس، م. س، ص: 50

⁵ بيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 161

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزَرُ بَزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجَنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ
كَذَلِكَ، فَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزَرُ بَزْرًا كَجَنْسِهِ، وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجَنْسِهِ،
وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ، وَكَانَ مَسَاءً وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا¹.

ففي هذا اليوم من أيام الخلق حسب التصور التوراتي، يقرر الله اجتماع المياه وظهور
اليابسة، "فبعد أن كانت الأرض مغمورة بالمياه، بدأت تظهر اليابسة بعدما انحصرت المياه في
المنخفضات المتكونة"²، وقد سَمَّى الله اليابسة أرضًا، وسمَّمجمع المياه بحارًا، ثم بعد ذلك أمر
الأرض أن تنبت العشب والنباتات، والأشجار بجميع أصنافها.

ويشرح القديس توما الأكويني عبارة (لَتُنْبِتِ الْأَرْضُ عُشْبًا خَضِرًا يُبْزَرُ بَزْرًا³) بقوله: "أي
لأن أنواع النباتات صدرت كاملة بحيث يصدر عنها بزور غيرها أينما كانت قوتها الباذرة، أي
سواء كانت في الأصل أو في الساق أو في الثمرة"⁴.

ويرى القديس يوحنا ذهبي الفم بعد شرحه لهذه الفقرات المتضمنة لخلق النباتات
والأشجار، أن الأرض استجابت لأمر ربها، فأثمرت كل هذه الثمار، وكل ذلك كان بكلمة الله.
لذلك نجده يقول: "تأمل أيها الحبيب، كيف بكلمة الرب صارت كل هذه الأمور للأرض، إذ أنها
سمعت الأمر فقط فأظهرت للوقت ما هو منها، من هذا الموضع نعرف أنه لا اهتمام الفلاحين ولا

¹ سفر التكوين 1: 9 - 13

² الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس، م. س، ص: 54

³ وردت العبارة هكذا في شرح القديس توما الأكويني، وهي خلاف ما ورد في النص أعلاه حيث تم استبدال
كلمة "وبقلا" بكلمة "خضرا".

⁴ الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 216

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
التعب ولا غيره من التعب المنوط بالفلاحة يمنحنا وفود الثمر، لكن قبل هذا كله كلمة الله
الأمرة لها منذ البدء¹.

اليوم الرابع: خلق الشمس والقمر والنجوم

وَقَالَ اللَّهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ
وَسِنِينَ، وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِنُتِيرَ عَلَى الْأَرْضِ»، وَكَانَ كَذَلِكَ، فَعَمِلَ اللَّهُ النُّورَيْنِ
الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الْأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الْأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ، وَجَعَلَهَا اللَّهُ فِي جَلَدِ
السَّمَاءِ لِنُتِيرَ عَلَى الْأَرْضِ، وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ
أَنَّهُ حَسَنٌ، وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا².

حسب التصور التوراتي المسيحي، فإن هذا اليوم الرابع خصَّه الله لخلق الأنوار، وقد
يظهر التناقض في ذكر النور أو الأنوار في اليوم الرابع، خصوصاً أن خلق النور ورد في اليوم
الأول، وتكرر ذكره في اليوم الرابع أيضاً، غير أن المفسرين المسيحيين يعتبرون أن النور المذكور
في اليوم الأول من أيام التكوين يمكن تأويله إلى معان أخرى.

وهذا ما ذهب إليه القديس يوحنا الدمشقي الذي اعتبر أن النور المذكور في اليوم الأول
يُقصد به النار، لذلك نجده يقول: "النار أحد العناصر الأربعة، خفيفة ومُندفعة إلى العلاء أكثر
من سائر العناصر، مُحرقَة ومُنيرة معاً، خلقها الله في اليوم الأول³".

¹ شرح سفر التكوين للقديس يوحنا ذهبي الفم، م. س، ص: 30

² سفر التكوين 1: 14-19

³ يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص: 100

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

ويُعلّق القديس توما الأكوييني على هذا التكرار في ذكر النور في اليوم الأول وفي اليوم الرابع بقوله: "يظهر أنّ النّيرات¹ لم يجب أن تصدر في اليوم الرابع لأنها أجرام غير فاسدة بالطبع، فيمتنع وجود هيولاه² دون صورها، وهيولاه³ صدرت بفعل الخلق قبل جميع الأيام، فإذا كذلك صورها، فإذا لم تُصنع في اليوم الرابع"³.

ويعطي القديس توما الأكوييني تفسيرًا علميًا لتبرير وجوب خلق النور وتوابعه في اليوم الأول أو الذي يليه وليس في اليوم الرابع قائلا: "وأيضًا أنّ الشمس والقمر وسائر النّيرات هي علل النبات، والترتيب الطبيعي يقتضي تقدم العلة على المعلول، فإذا لم يجب أن تُصنع النّيرات في اليوم الرابع، بل في اليوم الثالث أو قبل"⁴.

وقد لخص القديس يوحنا الدمشقي مراحل خلق النّيرين الكبيرين (الشمس والقمر) وتوابعهما بقوله: "إذا في الأيام الثلاثة الأولى، كان النهار وكان الليل في اندفاق النور وانسحابه بأمر الله، وفي اليوم الرابع صنع الله النّير الكبير-أي الشمس- لبدء النهار وسيطرته، وبذلك يقوم النهار، والنهار يكون بوجود الشمس فوق الأرض، واستمرار النهار يكون بسير الشمس فوق الأرض من المشرق إلى المغرب، وصنع الله أيضًا النّير الأصغر-أي القمر- ثم الكواكب، لبدء الليل وسيطرته، والليل هو أن تكون الشمس تحت الأرض، ويكون استمرار الليل يسير الشمس تحت الأرض من المغرب إلى المشرق، وعليه قد جعل القمر والكواكب لإنارة الليل، ولكن ليس لتكون

¹ النّير أي الجسم المضئ البهي (هامش كتاب: سفر التكوين، الترجمة السبعينية للكتاب المقدس بالمقارنة مع النص العبري والترجمة القبطية، ص: 22) .

² مفردا هيولى وهي كلمة يونانية معناها الأصل و المادة (هامش كتاب: أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية، ص: 28)

³ توما الأكوييني، الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 217

⁴ توما الأكوييني، الخلاصة اللاهوتية، ج2، ص: 217

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
دائماً تحت الأرض في النهار، لأن هناك كواكب في السماء تكون في النهار فوق الأرض، غير أن
الشمس تحجبها بأشعتها الوهاجة هي والقمر أيضاً فلا تسمح لها بالظهور¹.

وبالنسبة لتعليل الفصل بين النور والظلمة، يقول الآب يوحنا المقاري: "هذا الفصل بين
النور والظلمة عمل هائل فائق لكل تصور، فالله الذي أمر أن يُشرق نور في الظلمة هو وحده
الذي في استطاعته أن يفصل بين النور والظلمة، ويجعل لكل منهما حدًا، لأن النور الذي سرى
في الظلمة لم يُبددها تمامًا، لأنه نور مخلوق²."

وبعد أن خلق الله الشمس والقمر والنجوم وسائر الكواكب، ووضع لها حدودًا ووظائف،
سمّى كل واحد منها باسمه الخاص، وجعلها لإنارة الأرض، وسخّرها لما سيأتي بعد ذلك من
مخلوقات، ومنها الطيور والأسماك والحيوانات، والإنسان الذي هو من أعظم مخلوقات الله.

اليوم الخامس: خلق الطيور والأسماك

وَقَالَ اللَّهُ: "لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلِتَطِرَ طَيْرٌ فَوْقَ الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ
السَّمَاءِ"، فَخَلَقَ اللَّهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ ذَوَاتِ الْأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَابَةِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ
كَأَجْناسِهَا، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجَنَسِهِ، وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ، وَبَارَكَهَا اللَّهُ قَائِلًا: «أَثْمِرِي
وَكَثُرِي وَامْلَأِي الْمِيَاهُ فِي الْبَحَارِ، وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الْأَرْضِ»، وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا
خَامِسًا³.

¹ يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص: 100

² يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص: 58

³ سفر التكوين 1: 20-23

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
خصَّص الله هذا اليوم لخلق الطيور بكل أصنافها، والكائنات الحية التي اكتظت بها
المياه، من أسماك وغيرها، وأمرها أن تتوالد وتتكاثر كما أمر المياه بأن تصدر الزواحف ذات
النفس الحية.

مع ذلك، يرى القديس توما الأكويني أن المياه لا يمكن أن تُصدر جميع الأسماك والطيور،
ويقول في هذا الصدد: "إنما تُصدر المياه ما تكفي قوتها لإصداره، وقوة الماء ليست كافية لإصدار
جميع الأسماك والطيور، فإننا نشاهد كثيرًا منها يتولد من الزرع"².

وهذا فيه إشارة إلى أنه ليس كل الأسماك والطيور، ولا حتى الزواحف خرجت من المياه،
بل لها صلة بالأرض، وفي الاتجاه الآخر، نجد رأيًا مخالفًا يرى أن هذه المخلوقات لا يمكنها
التأقلم مع الحياة الأرضية، وهو ما يؤكد عليه أحد الباحثين المسيحيين بقوله: "وهكذا أعطى
الله المياه بقوة كلمته القدرة أن تنبع منها الحياة، فخرجت منها الزحافات التي تعوم في الماء
والطيور التي تطير في السماء، فكلاهما يتفقان في كونهما لا يستطيعان الحياة على الأرض"³.

وبين هذا وذاك، يأتي رأي القديس يوحنا الدمشقي الذي حاول من خلاله التوفيق بين
الرأيين السابقين بقوله: "إذا في الأرض قد تكونت بالأمر الإلهي تجويفات حيث اجتمعت المياه في
مجتمعاتها، ومن ثم تكونت الجبال أيضًا، فأصدر الله أمره للماء الأول بإخراج نفس حية، لأنه
تعالى كان قاصدًا في البدء تجديد الإنسان بالماء والروح القدس المرفق فوق المياه – فإن هذا ما

¹ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 8

² توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 226 - 227

³ يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص: 69

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
قاله باسيليوس الإلهي¹ Basile- وأخرج الماء حيوانات صغارًا وكبارًا، حيثانًا وتنانين، أسماكًا
تسبح في المياه وطيورًا ذات أجنحة، فبالطيور إذا يتم لقاء الماء والأرض والهواء، لأنها قد تكونت
من المياه وتعيش على الأرض وتطير في الهواء².

ويعضد هذا الرأي إلى حد ما، ما ذهب إليه أحد الباحثين المسيحيين حيث يقول: " عبارة
(لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَافَاتٍ) تتفق تمامًا مع العلم في أن الكائنات الحيوانية في تدرج وجودها، وبعد
أن وُجدت في المياه كأسماء عندئذ ظهرت على الأرض كحيوانات زاحفة بالقرب من المياه، حيث
الحيوانات البرمائية والزواحف المختلفة³."

¹ من معلمي الكنيسة، وُلد في قيصريّة في قبادوقيا بين 329 و330م، وتوفي في مسقط رأسه في 1 كانون الثاني سنة 379 (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص: 142) .

² يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص: 109

³ فيكتور فيلبس، الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس، ج1، م. س، ص: 73

اليوم السادس: خلق الحيوان والإنسان

وَقَالَ اللَّهُ: «لِتُخْرِجِ الْأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجَنَاسِهَا: بَهَائِمَ، وَدَبَابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا»، وَكَانَ كَذَلِكَ، فَعَمِلَ اللَّهُ وَحُوشَ الْأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَالبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ دَبَابَاتِ الْأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ¹.

في هذا اليوم أمر الله بخلق الحيوانات، وكلُّ ما يدب على الأرض من بهائم وزواحف كالثعابين وغيرها، والوحوش بمختلف أشكالها، كما تم في هذا اليوم خلق الإنسان كأعظم المخلوقات، لكن سأقتصر هنا على الحديث عن خلق الحيوانات فقط، وسأخصص جانبًا مستقلًا من هذا البحث لقضية خلق الإنسان حسب التصور المسيحي.

لقد خلق الله أصنافًا كثيرة من الحيوانات (بهائم ودبابات ووحوش الأرض) "والبهائم هي الماشية وآكلات العشب، أما الدبابات فتعني الزواحف الحديثة مثل الثعابين التي اكتشفت أول حفرياتها منتسبة للعصر الأيوسيني (أوائل حقبة الحياة الحديثة). وحوش الأرض تعني آكلات اللحوم مثل القط الوحشي والذئب والثعلب والنمور والدببة"².

وفي هذا السياق يرى القديس توما الأكويني "بأن المراد بالبهائم أو الأنعام، الحيوانات الداجنة التي تخدم الإنسان على أي نحو كان، وبالوحوش، السباع أي الحيوانات الضارية كالذئب والأسد، وبالزحافات، الحيوانات التي إما ليس لها أرجل تستقل بها عن الأرض كالحيات أو لها أرجل قصار تستقل بها قليلًا كالضفد والنمل، إلا أنه لما كان يوجد بعض الحيوانات لا تدخل تحت شيء مما ذكر كالظبي والأروية، زاد على ذلك ذوات الأربع لتتناولها أيضًا أو يقال أنه

¹ سفر التكوين 1: 24-25

² الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس، ج1، م. س، ص: 76

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ذكر أولاً ذوات الأربع كجنس ثم ذكر الباقي كأنواع لها، فإن من الزحافات ما هو ذو أربع كالضب
والنمل¹.

وبالمقابل، يعتبر القديس يوحنا الدمشقي أن خلق الله للوحوش له حكمة يلخصها في
قوله: "لكن وجود الوحوش الآن ليس بلا فائدة، فهي تخيف الإنسان وتحمله على معرفة الله
صانعه والاستغاثة به"².

بعد خلق الحيوانات والإنسان في اليوم السادس، يبقى يوم واحد وهو اليوم السابع،
ويعتبره المسيحيون يوماً لراحة الله، أي أن الله- حسب اعتقادهم- استراح في هذا اليوم بعدما
أتم عملية خلق الكون، وجميع المخلوقات الأخرى.

اليوم السابع: الاستراحة

جاء في الكتاب المقدس: "وَفَرَّغَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ، فَاسْتَرَحَ فِي
الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ، وَبَارَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لِأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَحَ مِنْ
جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللَّهُ خَالِقًا"³.

يعتقد المسيحيون- من خلال النص أعلاه- أن الله استراح في اليوم السابع، وذلك بعدما
أكمل عملية خلق الكون، وفي هذا المعنى إشارة صريحة على أن خالق الكون تعب من شدة
العمل.

¹ توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 231

² يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص: 111

³ سفر التكوين 2: 2-3

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
لكن بالرغم من صريح هذه العبارة في سفر التكوين، إلا أن بعض المفسرين المسيحيين
حاولوا تأويلها، وصرف اللفظ إلى معنى آخر، وهذا في حد ذاته يدفع إلى التساؤل: لماذا يسعى
هؤلاء المفسرون إلى تأويل الألفاظ والعبارات الصريحة في الكتاب المقدس؟

قد يكون وجود كثير من العبارات غير اللائقة في حق الخالق سبحانه والتي تصفه بصفات
بشرية موضوع سخرية وجدل عند النقاد، ودافعاً للكثير من الباحثين والمتخصصين في علم
مقارنة الأديان إلى نعت نصوص الكتاب المقدس بأنها غير نابعة من الوحي الإلهي، وهو ما يحاول
المسيحيون نفيه ورفضه، لذلك لم يجدوا مخرجاً من هذه الورطة سوى الاتكاء على مطية
التأويل.

ومن أجل دفع هذه التهمة عن الكتاب المقدس، يحاول القس عزت شاكر التماس الحجج
والذرائع للدفاع عن صحة هذا النص بقوله: "فهو يقصد أن الله أتمَّ العمل في اليوم السابع، أو
أكمل العمل في اليوم السابع، فالله منزّه عن جميع الصفات التي تُطلق على البشر مثل التعب
والراحة، ولكن الكتاب المقدس استخدم الاصطلاحات التي يفهمها الإنسان، فإذا كتب أن الرب
استراح من جميع عمله، أي أن الرب انتهى من جميع عمله، فالرب منزّه عن التعب"¹.

وبعد عرض هذا التفسير المتضارب، لا يسعني إلا أن أُحيل صاحبه على القواميس اللغوية
سواء في اللغة العبرية التي كُتبت بها أسفار العهد القديم، أو اللغة العربية أو حتى غيرها من
اللغات الأخرى، للبحث عن معنى لفظ "استراح נָחַ" ، هل يعني "أتم العمل" كما ذهب إلى ذلك
صاحب هذا الرأي، أم يعني "أخذ قسطاً من الراحة بعد عناء ومشقة العمل"؟

¹ عزت شاكر، أصعب الآيات في سفر التكوين، م. س، ص ص: 86 - 87

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
واللافت للنظر أن القس عزت شاكر بعد أن أورد ثلاثة معانٍ لفعل "استراح"¹ وهذه
المعاني الثلاثة التي أوردتها كلها تصب في اتجاه واحد، وهو "إتمام العمل أو الكف عن العمل"
يختم كلامه بالتأكيد على أن المقصود به ليس الراحة بعد الشعور بالتعب، وإنما الشعور
بالسعادة بعد حسن إنجاز العمل، وفي هذا السياق يقول: "وهذا المعنى مازلنا نستخدمه إلى
اليوم، فبعد أن ينتهي الإنسان من عمل شاق ويحقق نتيجة كبيرة، يقول: (أنا مستريح لما
حققت من نتائج)"².

وفي منحنى مغاير، يرى القديس توما الأكويني "أن تكميل الأعمال الإلهية ليس يجب
تخصيصه باليوم السابع، لأن كل ما يُفعل في هذا الدهر يرجع إلى الأعمال الإلهية"³، وكأنه يريد
أن يقول إن أعمال الله في الكون مستمرة وغير متوقفة.

ويرى أيضاً "أن الله لم يسترح في اليوم السابع من جميع أعماله"⁴ مستدلاً على ذلك بنص:
"أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الْآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ"⁵ أي أن الكف عن العمل لا يصدر في حق الله.

وثمة مسألة لا بد من الإشارة إليها، وهي أن بعض الفرق اليهودية لا تعترف باليوم السابع
ضمن أيام الخلق "فالسامريون الذين يدينون بالديانة اليهودية لا يعترفون بهذا اليوم السابع،
وفي منظروهم أن الله لم يخلق العالم في سبعة أيام بل في ستة"⁶.

1 المرجع نفسه، ص ص: 86-87-88

2 أصعب الآيات في سفر التكوين، م. س، ص: 89

3 الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 233

4 المصدر نفسه، ج2، ص: 236

5 إنجيل يوحنا 17: 5

6 إدريس عبيزة، مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها العربية لسعديا كؤون الفيومي، م. س، ص: 78

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
الشيء الذي يبعث على الاستغراب من جدوى إضافة يوم سابع إلى أيام الخلق حسب
التقسيم المسيحي، وعن مصدر إيمانهم بوجود اليوم السابع.

خلاصة:

يتضح مما سبق، أن التفاسير والشروحات التي قدّمها اللاهوتيون المسيحيون حول
النصوص الواردة في عملية الخلق اعترافاً نوع من التباين والتضارب، ويرجع السبب في ذلك إلى
وجود اختلاف كبير بين المسيحيين بمختلف مدارسهم في فهم لغة الكتاب المقدس، وكما هو
معلوم فإن نصوص الكتاب المقدس قد كُتبت بلغات مختلفة، وكتبها عدة مؤلفين، وفي أزمنة
متباعدة.

إذن، في ظل هذا الاختلاف الزمني، والتعدد في الأفهام، سيكون من الصعب حصول
التوافق بين المؤلفين على معنى واحد لألفاظ الكتاب المقدس، لذلك فإنه من الطبيعي جداً أن
تكون النتيجة هي وجود تفاسير وشروحات متباينة.

تبقى الإشارة إلى وجود روايتين عن قصة الخلق، في الأولى (تكوين 11: 1 - 27) خلق الله
النباتات ثم الحيوانات، ثم خلق الرجل (آدم عليه السلام) والمرأة (حواء) معاً، وفي الثانية
(تكوين 7: 2 - 22)، خلق الله الرجل (آدم عليه السلام) ثم النباتات ثم الحيوانات، وبعد ذلك
خلق المرأة (حواء) من أحد أضلاع الرجل (آدم عليه الصلاة والسلام)¹.

وبعد هذا العرض المخصص لأيام الخلق حسب التصور المسيحي، أصل إلى مناقشة
قضية خلق الإنسان، هذا الكائن الذي ميّزه الله تعالى بميزات لا توجد عند غيره من الكائنات،

¹ علي سري محمود المدرس، مصادر التوراة الحالية، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1: 1435هـ-

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ولهذا سأخصص الفقرات الموالية لبيان ملامح التصور المسيحي لهذه القضية، مع عرض أهم
الأدلة التي اعتمد عليها المسيحيون بمختلف مدارسهم في رسم هذا التصور.

الفرع الثالث: خلق الإنسان

وَقَالَ اللَّهُ: «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَفِينَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ
السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الْأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ»، فَخَلَقَ اللَّهُ
الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ، وَبَارَكَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ لَهُمْ: «اثْمِرُوا
وَكَثُرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ
حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ¹».

يبدو من القراءة الأولية للنص، أن المسيحيين يؤمنون بتشابه الإنسان مع خالقه، لأن ذلك
هو المفهوم والمتبادر إلى الذهن، وهذا ما دفع بعض النقاد إلى التهمك من وجود مثل هذه العبارة
في الكتاب المقدس، فهذا الكاتب المسيحي ليوتاكسل يتساءل: "(إِنَّ اللَّهَ صَنَعَ الْإِنْسَانَ عَلَى
صُورَتِهِ وَمِثَالِهِ)، إذا ما الذي يُمَيِّزُ التصور اليهودي والمسيحي لله عن تصور الديانات الأخرى له،
الديانات التي وصمتها المسيحية بالوثنية؟ فالرومان الذين أخذوا معتقداتهم من الإغريق، لم
يتصوروا الآلهة إلا في صورة بشرية، الأمر الذي يُرغمنا على القول: ليس الله هو الذي صنع
الإنسان على صورته ومثاله، بل الإنسان هو الذي تخيّل الآلهة على صورته ومثاله²."

¹ سفر التكوين 1: 26-28

² ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير؟، ترجمة: حسان ميخائيل إسحاق، ص: 31 - 32

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

لكن وكما جرت عادة آباء الكنيسة واللاهوتيين المسيحيين بصفة عامة، فدائمًا ما يحاولون تأويل الألفاظ والعبارات التي تثير شبهة في الكتاب المقدس، ولذلك فإن الباحث في ثنايا المراجع المسيحية عن معنى عبارة (نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا) ، سيجد تأويلات متعددة، ومعظمها نابع من قراءات بشرية لا أثر للوحي الإلهي فيها، ولكي تتضح هذه القضية أكثر، سأعرض هذه الآراء كما وردت عند أصحابها.

وقبل إيراد الأقوال المسيحية حول معنى النص، نلاحظ أن المفسرين المسيحيين قد أضفوا على تفاسيرهم صبغة عقيدة خالصة، ومن بين الأمثلة على ذلك أنهم فسروا التكلم بصيغة الجمع الواردة في النص "نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" أنه دليل على سر التثليث أي أن المشتركين في عملية خلق الإنسان هم ثلاثة (الأب والابن والروح القدس)¹ وهو ما ذهب إليه أحد المؤلفين المسيحيين، حيث قال: "إن القول: (نعمل الإنسان على صورتنا) صيغة الجمع هنا ليست للتفخيم كما يستخدمها الملوك، كما أن الملوك العبرانيون لم يستخدموها، كما أن العبارة لا تشير إلى الله والملائكة، لأن الملائكة لم تنخرط في عمل خليفة الله ، إن الإنسان لم يُخلق على صورة الملائكة، إن صيغة الجمع تشير إلى كل من الأب، والابن، والروح القدس"².

وبخصوص معنى النص، فقد ورد في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس إشكال "كيف خُلقنا على صورة الله؟" وكانت الإجابة عنه كالآتي: " لا تعني العبارة: (لنصنع الإنسان على

¹ يُنظر: يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص ص: 72- 73

² كنت هودج، المسيح فيكم: مدخل للعهد الجديد والحياة المسيحية، م. س، ص: 5

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
صورتنا كمثالنا¹) أن الله خلقنا مثله تمامًا، وبخاصة بالمعنى الطبيعي (الجسدي)، بل بالحري
أننا نعكس مجد الله، الله بلا خطية سرمدي غير محدود².

وفي هذا السياق، يرى القديس يوحنا الدمشقي: "أنَّ الله والحالة هذه، قد صنع الإنسان
بيديه من طبيعة منظورة وغير منظورة، على صورته كمثاله، فجَبَلَ جسمه من الأرض وأعطاه
بنفخته نفسًا ناطقة وعاقلة، وهذا ما نُسَمِّيهِ الصورة الإلهية، فإن لفظة (على صورته) تدل
على أنه عاقل وحر، ولفظة (كمثاله) تعني مشابهة له بالفضيلة قدر المستطاع"³.

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم شارحًا عبارة (نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) : "أي
أننا نصير مشابهيين لله في الوداعة وحسن المؤانسة وحد الفضيلة"⁴ مستدلا على قوله بما جاء
عن المسيح: "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ"⁵.

وينظر القديس أوغسطين إلى لفظ "الصورة" نظرة مختلفة، لذلك نجد "بأنه يركز على أن
بنية النفس البشرية الثالوثية (الفكر/ معرفة الذات/ الحب، الذاكرة/ العقل/ الإرادة) هي على

¹ هذه الصيغة "النصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا" وردت في إحدى نسخ الكتاب المقدس المعروفة باسم "كتاب
الحياة"، مع العلم أنها وردت بصيغ مختلفة في النسخ الأخرى، ولناخذ على سبيل المثال لا الحصر نسخة الترجمة
السبعينية التي وردت فيها هكذا "نعمل الإنسان على صورتنا وكمثالنا"، وسنجد اختلافات كثيرة في النسخ الأخرى.

² التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 9

³ يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص: 115

⁴ أغسطينوس البرموسي، شرح سفر التكوين للقس يوحنا ذهبي الفم، م. س، ص: 35

⁵ إنجيل متى 5: 48

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
صورة الله، ويحقق الإنسان الصورة في حياته بقدر ما هو يتجه نحو الله بمقوماته البشرية
هذه، ولاسيما المعرفة والحب¹.

وهذا القس عزت شاكر يُعبر بشكل صريح عن مشابهة الإنسان لله الخالق قائلا: "وبالقطع
نحن نشبه الله في أمور، ولا نشبهه في أمور أخرى، فنحن نشبهه في الفكر، والعقل، والإرادة،
والمشاعر، والخلود، والمسؤولية، ولا نشبهه في الأزلية، واللا محدودية، والقدرة اللامتناهية على
فعل الأشياء، كذلك الله روح ساكن في نور لا يدنى منه، أما نحن فروح وجسد ونسكن في بيوت
من طين، نحن مخلوقون، أما هو فالخالق، نحن مولودون بالخطية وهو البار القدوس، نحن
قابلون للخطأ، أما هو فغير قابل للخطأ، نحن قابلون للفناء، أما هو فلا يفنى² ثم يستدل على
كلامه بنص من الكتاب المقدس "الَّذِي وَحَدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لَا يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ
يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الْأَبَدِيَّةُ"³.

ويقول الأب يوحنا المقاري: "صورة الله في الإنسان تعني أمراً عظيماً للغاية، أي أنه بيننا
وبين الله نقطة اتصال، وحيث أننا صورة الله فنحن مُهيَّأون لمعرفة والاتحاد به، ولا يمكن أن
نستريح إلا فيه حينما تنطبق الصورة على الأصل ونثبت في الله والله فينا⁴".

في حين يرى بعض اللاهوتيين المسيحيين أن هناك علاقة بين صورة الله في الإنسان وبين
أقانيم الثالوث المقدس، لكن نجد القديس توما الأكويني يشرح هذا التصور بشكل مختلف

¹ فاضل سيداروس، الأنثروبولوجيا المسيحية، الإنسان على صورة الله كمثاله، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى:
2013، ص: 195

² عزت شاكر، أصعب الآيات في سفر التكوين، م. س، ص: 83

³ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 6: 16

⁴ يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص: 74

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
فيقول: "يظهر أن صورة الله ليست في الإنسان باعتبار ثلوث الأقانيم الإلهية، فقد قال
أوغسطينوس في كتاب الإيمان إلى بطرس ب¹" إن ألوهية الثالوث المقدس وصورته التي عليها
صُنِعَ الإنسان بالذات"، وقال إيلاريوس في كتاب الثالوث ب⁵ "الإنسان مصنوع على صورة
الثالوث المشتركة"، فإذا صورة الله إنما هي موجودة في الإنسان باعتبار الذات لا باعتبار ثلوث
الأقانيم¹".

واستكمالاً لهذا الرأي، ورد في التعاليم الكاثوليكية: "أن في دعوة الإنسان هذه إلى الاتصال
بالله لأسمى مظهر من مظاهر الكرامة البشرية، ودعوة الله هذه التي يُوجهها إلى الإنسان ليقوم
معه حواراً تبدأ مع بدء الوجود البشري، ذلك أن الإنسان إذا وُجد فإن الله خلقه بمحبة، وهو
بمحبة يمنحه الكينونة على الدوام، والإنسان لا يحيا حياة كاملة بحسب الحق إلا إذا اعترف
اعترافاً حُرّاً بهذه المحبة وسلّم أمره لخالقه²".

وقد جاء في كتاب (مدخل إلى العقيدة المسيحية) ما نصه: "هذا يعني أن الله قد خص
الإنسان وحده بميزة لم ينعم بها على أية من المخلوقات الأخرى، وهي أنه جعل شيئاً بين ذلك
المخلوق وبين الخالق، فجعل في الإنسان عقلاً وإرادة وحرية وإبداعاً وحُبّاً، كلها صفات شبيهة
بالصفات الموجودة فيه³".

أما في التعاليم الأرثوذكسية فنجد "أن صورة الله ومثاله تعني اقتراب الله من مجال
الإنسان وفكره على أن الإنسان لا يحمل كل ملامح الأصل، فهذا امستحيل؛ لأن الأزلية والقدرة
على كل شيء هما فوق طاقة الطبيعة الإنسانية واحتمالها، نضيف أيضاً الحكمة والمحبة،

¹ توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 510

² التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، م. س، ص: 8

³ مدخل إلى العقيدة المسيحية، مجموعة من المؤلفين، م. س، ص: 77

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
فالمحبة الإلهية أمر يفوق كل إمكانيات الطبيعة الإنسانية، فلا يملك الإنسان أن يحب كل
الخلائق ويرعاها ويعطيها بشكل دائم، فهذه محبة مطلقة لا يمكن أن يمارسها الإنسان، ولذلك
فالإنسان هو صورة الله بشكل نسبي أو بشكل مخلوق لا مجال فيه بالمرة للمشابهة الكاملة¹.

كما يؤكد بعض اللاهوتيين المسيحيين ما سبقت الإشارة إليه من أن الدافع إلى تشبيه
الإنسان بالله، يرجع إلى وجود جانب روحي عند الإنسان، والروح من عند الله، ولهذا فإن الله
منح الإنسان جزءاً من طبيعته، ويتجلى هذا الجزء في الروح، ومن ضمن هؤلاء نجد هودج
Hodge الذي يقول: "الله روح، والنفس البشرية روح، والصفات الأساسية للروح هي العقل
والضمير والإرادة، ومن ثم فإن الروح عقلاني الفكر، أخلاقي الضمير، حر الإرادة، وعندما جَبَلَ
الله الإنسان على صورته كشبهه وهبه هذه الخصائص والصفات التي هي من طبيعة الله
كروح²".

وتورد التعاليم البروتستانتية أن "الإنسان هو أسمى المخلوقات المنظورة، لأن الله منذ
البداية جَبَلَ جسده ومنحه نفساً عاقلاً وسلطه على الأرض، وأهم من كل شيء أنه خلقه على
صورته³"، ويعتقد البروتستانت أيضاً أن معنى عبارة (نعمل الإنسان على صورتنا) "أنَّ الإنسان
عرف الله، وكان كامل السعادة بتلك المعرفة، وأن الإنسان فقد صورة الله عندما وقع في
الخطية، ولكن هذه الصورة تبدأ بالتجدد في المؤمنين، ولا تكتمل إلا في السماء⁴".

¹ بيشوى حلمي، المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، م. س، ص: 12

² هنري ثيسن، محاضرات في علم اللاهوت النظامي، م. س، ص: 270

³ مارتين لوثر، أصول التعليم المسيحي، م. س، ص: 90

⁴ المصدر نفسه، ص: 90

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
إلا أن القديس توما الأكويني يرى أن صورة الله في الإنسان ليست باعتبار العقل فحسب،
بل يضيف إليه عنصر البدن، فيقول: "يظهر أن صورة الله ليست في الإنسان باعتبار العقل
فقط، فقد قال الرسول في 1 كور 7: 11 إن الرجل هو صورة الله، وليس الرجل هو العقل
فقط، فإذا لا تُعتبر صورة الله من جهة العقل فقط"¹ ويضيف: "يظهر أن الصورة تُعتبر على
الخصوص بحسب الشكل، والشكل مختص بالبدن، فإذا لا تُعتبر صورة الله في الإنسان من
جهة العقل فقط بل من جهة البدن أيضًا"².

غير أن هناك من يعتبر أن الشبه هنا لا يخص البدن بل يقتصر على النفس، وأن بين
البدن والنفس تفاوت واضح "فالقديس كيرلس الكبير ينكر بصراحة أن جسد الإنسان يتمتع
بنفس الامتياز الذي تتمتع به النفس: فالإنسان على الأرض، باعتبار طبيعته الجسدية، هو تراب
ورماد، ولكنه تشرف بالله بخلقته على صورته كشبهه، وليس ذلك في شكله الجسدي، بل
بالحري لأنه قادر أن يكون بارًا وصالحًا وملئًا لكل فضيلة"³.

ولا يفوتني التنبيه على أن مفهوم الإنسان يشترك فيه الذكر والأنثى معًا، وهذا يعني في
التصور المسيحي أن الأنثى (حواء) خُلِقَتْ أيضًا على صورة الله مثلها مثل الذكر (آدم)، ولذلك
يرى المسيحيون أن "المرأة لم تكن خلقًا منفصلاً، بالرغم من أن الكتاب المقدس يعرضها

¹ توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 513

² المصدر نفسه، ج2، ص: 513

³ يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص: 80

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
مختلفة عن الرجل من خلال خلقها من ضلعه الأيسر، وهذا يؤكد أن المرأة كالرجل خُلقت على
الصورة الإلهية¹.

وبعد هذا العرض الذي اشتمل على مجمل الآراء والتصورات المسيحية حول قضية خلق
الإنسان، أخلص إلى أن المسيحيين بمختلف مدارسهم اللاهوتية يتفقون على وجود خصائص
عند الكائن البشري تجعله يقترب من صورة الله، ويعتقدون أن هذه السمات تتجلى في العقل
والإرادة الحرة، والقابلية لفعل الصلاح والمحبة المشتركة بين الخالق والمخلوق.

تسلط الإنسان على الكائنات الحية

قال: "أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَأَمْلَأُوا الْأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ
السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ"².

تتضمن هذه الفقرة إشارة على أن الفكر اللاهوتي المسيحي يصور الإنسان بأنه أعلى
الكائنات مرتبة ومنزلة، لذلك فإن هذه الميزة –حسب المعتقد المسيحي- تجعله متسلطاً على بقية
المخلوقات الموجودة في هذا الكون.

وبالرجوع إلى الموضوع السابق وهو "خلق الإنسان على صورة الله وشبهه"، وربطه
بقضية "تسلط الإنسان على المخلوقات الأخرى وإخضاعها لسلطانه"، فستظهر حقيقة مفادها
أن المسيحيين يعتقدون أن تميز الإنسان بصفات إلهية، واختلافه عن بقية الكائنات هو الذي
منحه السلطة عليها "فالإنسان يعكس صورة الله وشبهه، فقد ميّزه الله عن سائر الكائنات

¹ Contemporary Evangelical Thought : Basic Christian Doctrines, Edited by : Carl F. H. Henry, Digital
Publications, The electronic Bible Society, Dallas, Texas, USA, p. 90

² سفر التكوين 1: 28

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الأخرى بالعقل المفكر والإرادة الحرة والضمير الحساس والقدرة على الإبداع والابتكار، والقدرة
على التعلم المستمر والتواصل مع الآخرين¹.

فسلطة الإنسان على الكائنات مرتبطة إذا كما يظهر من هذا النص بكونه على صورة الله
خُلق، وبعبارة أخرى إذا كان الإنسان-وهو جزء من الطبيعة- قادرًا على إدراك أسرارها وتسخير
قواها لخدمته، فإنما يعود ذلك إلى صورة الله الكامنة فيه².

وهكذا يتبين أن الإنسان بطبيعته المجردة، باعتباره كائن بشري، لم يكن له التسلط على
الأرض أصلاً، فطبيعة الإنسان ليست مالكة تملكًا ذاتيًا من نفسها، بل الله هو الذي كَرَّمها
بالسيادة والسلطان كوجه من أوجه صورة الله في الإنسان³.

قصة خلق آدم

جاء في الكتاب المقدس: "وَجَبَلَ الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الْأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ،
فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً"⁴.

يقول الكتاب المقدس أن الله أوجد الإنسان من تراب، وهذا ما تشير إليه كلمة "آدم"
ومعناها: المأخوذ من "أداما" أي الأرض، فالإنسان مرتبط إذا بكيانه بتلك الطبيعة المادية التي
هي أيضًا خليفة الله، وبالفعل نرى أن جسم الإنسان مكوّن من العناصر نفسها التي تتكون منها
الطبيعة المادية، فالمواد الكيميائية الرئيسية العشر التي يتألف منها جسده وأهمها الكربون

¹ عزت شاكر، أصعب الآيات في سفر التكوين، م. س، ص: 83

² مدخل إلى العقيدة المسيحية، مجموعة من المؤلفين، م. س، ص: 77

³ يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص: 100

⁴ سفر التكوين 2: 7

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والهيدروجين والأكسجين والأزوت هي من مقومات الكون المادي، ذلك لأن الإنسان خرج من
هذا الكون بفعل الله، أما كيفية هذا الخروج فيعبر عنها الكتاب المقدس بصورة رمزية، شعرية،
إذ يقول بأن الله جَبَلَ طِينًا ونفخ فيه نسمة حياة¹.

وتقول التعاليم الكاثوليكية: "جبل الله الإنسان من طين الأرض مصنوعًا وقائمًا بجسد لم
يكن من جوهره بل بإحسان الله منزهاً عن الموت والتألم"²، فالمقصود بالإنسان هنا هو آدم أبو
البشر، وعملية خلقه كانت معجزة في حد ذاتها.

ويرى المسيحيون أن الجسد الإنساني لم تكن له قيمة إلا بعد أن نفخ الله فيه الروح، وأن
الروح عندما تفارق الجسد، سيعود الإنسان من حيث أتى (أي إلى التراب)، ولهذا جاء في
التفسير: "فما الجسد إلا شكل خارجي لا حياة منه، إلا عندما ينفخ الله فيه (نسمة الحياة) ،
وعندما يسترد الله هذه النسمة الواهبة للحياة، ترجع أجسادنا مرة أخرى إلى التراب"³.

فأصل الإنسان في المعتقد المسيحي هو التراب، ولم تصبح له السيادة والسيطرة على
الكون وعلى بقية الكائنات إلا بعد أن منحه الله تلك النسمة، وهي الروح، ووهبه العقل
والحرية والإرادة.

إلا أن من أبرز التحديات التي واجهتها العقيدة المسيحية بخصوص قضية خلق الإنسان،
تتجلى في تصاعد بعض الأصوات المسيحية التي شككت في الرواية التوراتية لخلق الإنسان، بل
والأكثر من هذا هو تصديقهم لنظرية التطور الداروينية، واعتبارها من المسلمات العلمية، وفي

1 مدخل إلى العقيدة المسيحية، مجموعة من المؤلفين، م. س، ص: 75

2 التعليم المسيحي الروماني، ج1، م. س، ص: 41

3 التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 10

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
هذا الصدد ورد في كتاب (العلم وأصل الإنسان) ما نصه: "أصبحت قصة أصول الإنسان
موضع جدل متجدد في وسائل الإعلام مؤخرًا، ففي عام 2011م نشرت كل من (الإذاعة العامة
الوطنية) و (المسيحية اليوم) قصصًا مشهورة بين الناس تتحدث أن بعض علماء الدين
المسيحيين لا يدعون فقط أن الجنس البشري قد تطور من سلف شبيه بالقرد، بل يؤكدون
أيضًا على أن العلم قد دحض اعتقاد المسيحية التقليدي القائم على أن أول زوج بشري هما
آدم وحواء"¹.

وأمام تقدم العلوم واكتشاف نظريات حديثة تتعارض مع نصوص الكتاب المقدس، حاول
بعض الكتّاب المسيحيون الدفاع عن صحة كتابهم المقدس بمبررات ومن ذلك ما ذهب إليه
بعض المؤلفين المسيحيين بقولهم: "ولا يصف لنا الكتاب المقدس كيفية بروز الإنسان من جسم
الكون وصفًا علميًا لأنه ليس كتاب علم (فالله أعطى الإنسان العقل ليبني به العلم) بل كتاب
عقيدة دينية"²، وهذا يعني أنهم يبررون عدم تطابق نصوص الكتاب المقدس مع حقائق العلم
الحديث بأنه كتاب إيمان وليس كتاب علم.

ويقول كاتب مسيحي آخر: "العلم يهتم بالظواهر المادية، والدين يهتم بالقيم الروحية
والأخلاقية والجمالية، ولكل منهما مجاله الذي لا يمس مجال الآخر"³، فكأنه يريد أن يقول لنا
إن العلم لا علاقة له بالدين، فهما منفصلان عن بعضهما.

¹ أن جوجر، دوجلاس إكس، كيسي لسكين، العلم وأصل الإنسان، ترجمة: مؤمن الحسن و موسى إدريس، دار الكاتب
للنشر والتوزيع، الإسماعيلية (مصر)، الطبعة الأولى: ديسمبر 2014، ص: 16

² مدخل إلى العقيدة المسيحية، مجموعة من المؤلفين، م. س، ص: 76

³ فوزي إلياس، الكتاب المقدس والعلم الحديث، م. س، ص: 15

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

ومن بين العبارات المسيحية الشائعة في هذا الشأن قولهم: "الكتاب المقدس موحى به من الله، مُنزل حرفيًا وينبغي الالتزام بالنص، وإن تعارض مع بعض الحقائق التاريخية والعلمية، وإن ظهر تعارض فتظل ألفاظ الكتاب المقدس منزهة عن المناقشة"¹.

وعلى العموم، يمكن القول بأنه مع الإيمان بوجود الخالق، فإنه قد شاءت إرادته أن يخلق من العناصر الأصلية للأرض شيئًا تكون له حياة، ويبلغ في النهاية إلى تطور في المخ يسمح بإبداعه الذكاء. وأن الله تعالى قد شاء أن يمنح هذا الذكاء سيادة وسيطرة على جميع الكائنات الحية الأخرى، وعلى كائنات أخرى كثيرة عاطلة من الحياة².

¹ أنور يسي منصور، آراء أساتذة لاهوت وقسوس وعلمانيين في أخطر القضايا المسيحية والرد عليها، مطبعة الخلاص، الإسكندرية، (د.ط)، ص: 62

² كريسي موريسون، العلم يدعو للإيمان، (د.ط)، ص: 39

منتديات دار الإيمان www.daraleman.org/forum

تعليم آدم أسماء الحيوانات

يعتقد المسيحيون أن الله بعد ما خلق جميع الحيوانات والبهائم وطيور السماء، أحضرها لآدم ليدعوها بأسمائها، وفي هذا السياق يقول الكتاب المقدس: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا، فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءِ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَجَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّ"¹.

ويرى مؤلف كتاب (الأنثروبولوجيا المسيحية) أن إطلاق آدم الأسماء على الحيوانات يرمز إلى دلالات معينة، ويقول في هذا الصدد: "ومن غنى رموز تسمية الإنسان الحيوان: أنه يتحاور مع مقوماته الحيوانية ليتعامل معها بحكمة وليدمجها في كيانه البشري، ثم إن الإنسان يسيطر على الحيوانات، كما أن الله، بكلمة منه، دعا الإنسان وكل شيء إلى الوجود، ونحن نعلم أن تسمية شيء في العقلية السامية، تعني السيطرة عليه"².

وهذا يعني أن الإنسان في التصور المسيحي أمره الله بالسيطرة على الطبيعة، بما في ذلك الحيوانات، وبما أنه وكيل الله في الكون، فقد منحه سلطة على بقية المخلوقات، ولذلك فإعطائه الحق في تسمية الحيوانات، يتماشى مع المسؤولية التي حمّله إياها تجاه مكونات الطبيعة.

¹ سفر التكوين 3: 19-20

² الأنثروبولوجيا المسيحية: الإنسان على صورة الله كمثاله، م. س، ص: 79

قصة خلق حواء

وردت قصة خلق حواء¹ في الكتاب المقدس كما يلي: "فَأَوْفَعَ الرَّبُّ إِلَهُهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلَاعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْمًا، وَبَنَى الرَّبُّ إِلَهُهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ، فَقَالَ آدَمُ: «هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي، هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ امْرِئٍ أُخِذَتْ»²."

بعد التعرف سابقًا على كيفية خلق (آدم) أبو البشر، والتوصل-من خلال نصوص الكتاب المقدس- إلى أن الله خلقه من تراب الأرض، يأتي الدور على ذكر تفاصيل خلق زوجه (حواء)، والحكمة في خلقها من آدم نفسه.

جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: "لم يكتمل عمل الله في الخليقة إلا بخلق المرأة، وكان يمكنه أن يخلقها من تراب الأرض كما خلق الرجل، لكنه اختار، على أي حال، أن يخلقها من عظام الرجل ولحمه، وبعمله هذا صوّر لنا أنه في الزواج يصير الرجل والمرأة، رمزياً، جسداً واحداً، وهو اتحاد روحي لقلبي الشريكين وحياتيهما"³.

ومع أن التصور الغالب عند المسيحيين يرى أن خلق المرأة (حواء) من ضلع الرجل (آدم) هو أمر مُسَلَّمٌ به، إلا أننا نعثر على رأي مخالف لهذا الإجماع، وهو ما ذهب إليه القديس توما الأكويني حين قال: "يظهر أنه لم يكن واجباً أن تُصنع المرأة من الرجل لأن اختلاف الجنس

¹ ورد اسم امرأة آدم في الكتاب المقدس كما يلي: "وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ «حَوَاءَ» لِأَنَّهَا أُثْمُ كُلِّ حَيٍّ" سفر التكوين 20: 3، كما ورد في التفسير المسيحي أنها "سُميت 'حواء' أي 'أم الأحياء' (الأب فاضل سيداروس، الأنثروبولوجيا المسيحية، ص: 56)

² سفر التكوين 2: 21 – 23

³ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 11

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
مشارك بين الإنسان وسائر الحيوانات، وليست الإناث في سائر الحيوانات مصنوعة من الذكور،
فإذا لم يكن واجباً أن تكون كذلك في الإنسان¹، إلا أن القديس توما-وكعادته في الجمع بين
الأقوال المختلفة- يرجع فيقول: "إن تكوين الأنثى من الذكر في نشأة الأشياء الأولى كان أليق في
الإنسان منه في سائر الحيوانات، أولاً رعاية لشرف الإنسان الأول ليكون مبدأً لكل نوعه كما أن
الله مبدأً للكون بأسره، وثانياً ليكون الرجل أحبّ للمرأة وألصق بها لعلمه بأنها صادرة منه،
وثالثاً من أن اقتران الذكر بالأنثى في الناس ليس لضرورة التناسل فقط، كما في سائر
الحيوانات، بل للعيشة المنزلية أيضاً التي يشترك فيها الرجل والمرأة في بعض الأفعال والتي
الرجل فيها رأس المرأة، ورابعاً لما في ذلك من المعنى السري لأنه رمز إلى صدور الكنيسة عن
المسيح²".

ويقول المفسرون أيضاً: "قدّم الله الزواج كعطية منه لأدم وحواء، فقد خلق كل منهما
بكامله للآخر، ولم يلجأ الإنسان إلى الزواج لمجرد الراحة، كما أنه ليس من اختراع أي حضارة،
بل الله هو الذي وضعه³".

وهذا يدل على أن الرجل والمرأة هما في الأصل جسد واحد، وأن الزواج بينهما يجب أن
يساعد على الوحدة والتعاون في الحياة، وهو رباط مقدس وضعه الله أول مرة، ممثلاً في زواج
آدم وحواء.

1 الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 497

2 المصدر نفسه، ج2، ص: 498

3 التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص: 12

الأكل من الشجرة

جاء في سفر التكوين: "وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ إِلَهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللَّهُ: لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمَسَّاهُ لئَلَّا تَمُوتَا»، فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا، بَلِ اللَّهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ»، فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ، فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ، فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُريَانَانِ، فَخَاطَا أَوْزَاقَ تَيْنٍ وَصَنَعَا لَأَنفُسِهِمَا مَآزِرًا¹.

يصور هذا النص الحوار الذي دار بين حواء والحية التي ترمز في الفكر المسيحي للشيطان، وكيف أن الحية أغوت حواء بالأكل من الشجرة المحرمة، وأن حواء أغوت أيضًا زوجها آدم فأكل من الشجرة، والذي يظهر من هذا النص أن حواء هي من أغوت آدم فسقطا معًا في المعصية.

يقول المفسرون المسيحيون: "جَرَّبَتِ الْحَيَّةُ (الشيطان) حواء بأن جعلتها تشك في صلاح الله، فقد أوحى الشيطان إليها أن الله لا يريد أن تشاركه حواء في معرفته للخير والشر"²، وهذا يعني في اعتقاد المسيحيين أن الشيطان جاء إلى حواء في صورة (حية)، وادَّعى تقديم النصيحة لها، وزَيَّن لها الأكل من الشجرة المحرمة.

¹ سفر التكوين 3: 1 - 7

² التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 12

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وفي معرض حوار الشيطان مع آدم وحواء في الجنة، وسعيه لتزيين الشر لهما، يورد القديس يوحنا ذهبي الفم ما نصه: "وقول الحية للمرأة: «أَحَقَّ قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟»، تأمل هنا دقة مكر الشيطان ودهائه، إذ أدخل ما لم يقال من الله في ترتيب المشورة والسؤال، وكمن يصنع اهتمامًا بهما، لأن ظاهر القول يدل على هذا، فكأنه يقول: لأي سبب أعدمكما الله منفعة هذا تقديرها؟ ولماذا لم يفسح لكما أن تجتازا من الخيرات التي في الجنة؟ لماذا جاد عليكم بمتعة النظر ولم يسامحكمما بنوال ذلك واستثمار اللذة العظيمة؟ لأي حال فعل هذا؟ ما الفائدة في الجنة إذا ما لم يتمكن بالاستمتاع بما فيها؟ أرايت كيف أن الشيطان ينفث في المرأة سمه؟"¹.

وانطلاقاً من هذه المعطيات، يبدو أن المسيحيين يضعون مسؤولية الأكل من الشجرة على حواء، ويعتبرونها سبباً لإغواء آدم، وسقوطه في معصية الله، كما أن النصوص الواردة في الكتاب المقدس توضح بأن المرأة (حواء) هي من أغوت زوجها (آدم)، ويظهر ذلك في عبارة: "فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ"²، ونجد نصاً آخر يتضمن اعترافاً من آدم بأن حواء هي من دفعته للأكل من الشجرة "قَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْطَتْني مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ»"³، كما يدعم هذا التصور، ما ورد في كتاب العهد الجديد من إشارات تؤكد تحميل حواء مسؤولية إغوائها لآدم، من ذلك قوله: "وَأَدَمُ لَمْ يُغْوَ، لَكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعْدِي"⁴.

¹ شرح سفر التكوين، م. س، ص: 45

² سفر التكوين 6:3

³ سفر التكوين 12:3

⁴ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 14:2

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
بل الأكثر من ذلك نجد أن المرأة – بسبب الخطيئة الأولى- أصبح يُنظر إليها نظرة دونية في
التصور المسيحي، فهذا القديس توما الأكويني يرى بأن المرأة هي سبب الشر، وما كان لها أن
توجد أصلاً، فيقول: "إن أسباب الخطايا يجب قطعها، والله قد سبق فعلم أن المرأة ستكون
سبباً لخطيئة الرجل، فإذا لم يكن واجباً أن يُصدرها"¹.

فالمرأة في المتخيل المسيحي أصبحت رمزاً للغواية، ومدخلا للشروع "وقد تمخض عن
سقوط حواء في المعصية وارتكابها الشر، تصورات مغلوبة ترى أن النساء على الخصوص لا
يوثق بهن"².

الخطيئة الموروثة

جاء في إحدى رسائل بولس الرسول: "مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى
الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَّازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ، فَإِنَّهُ حَتَّى
النَّامُوسِ كَانَتْ الْخَطِيئَةُ فِي الْعَالَمِ، عَلَى أَنَّ الْخَطِيئَةَ لَا تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ، لَكِنْ قَدْ مَلَكَ
الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعْدِي آدَمَ، الَّذِي هُوَ مِثَالُ
الْآتِي، وَلَكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيئَةِ هَكَذَا أَيْضًا الْهَبَةُ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيئَةٍ وَاحِدٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ، فَبِالْأَوَّلَى
كَثِيرًا نِعْمَةُ اللَّهِ، وَالْعَطِيَّةُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي بِالْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، قَدْ أَزْدَادَتْ لِلْكَثِيرِينَ"³.

يعتقد المسيحيون على اختلاف مدارسهم اللاهوتية أن خطيئة آدم الأولى انتقلت إلى ذريته
بالوراثة، وفي هذا الصدد يقول أحد علماء المسيحية: "لا يمكن لكائن أن يلد آخر مغايراً

¹ توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج2، م. س، ص: 495

² Serene Jones and Paul Lakeland, Constructive Theology, a contemporary approach to classical themes, Fortress Press, Minneapolis, USA, P. 124

³ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 5: 12-15

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير له، وبما أن آدم الذي وُلد منه البشر جميعًا كان قد فقد بعصيانته حياة الاستقامة التي خلقه الله عليها، وأصبح خاطئًا قبل أن ينجب نسلًا، إذا كان أمرًا بدميًا أن يولد أبنائه جميعًا خطاة بطبيعتهم نظيره¹، وهذا يعني في اعتقاده أن آدم يتحمل وزر أخطاء ذريته من بعده، لأن البشر إنما انتقلت إليهم الخطيئة من أبيهم آدم.

فالخطيئة مازالت مستقرة في نفوس البشر كبيرهم وصغيرهم، وأنهم مستحقون للعقوبة الإلهية على خطاياهم، وهذا ما ذهب إليه كالفن Calvin أحد زعماء المدرسة البروتستانتية قائلًا: "حينما يقال إننا استحققنا العذاب الإلهي من أجل خطيئة آدم، فليس يعني ذلك أننا بدورنا كنا معصومين أبرياء، وقد حملنا - ظلمًا - ذنب آدم، الحقيقة أننا لم نتوارث من آدم (العقاب) فقط، بل الحق أن وباء الخطيئة مستقر في أعماقنا على سبيل الإنصاف الكامل، وكذلك الطفل الرضيع تضعه أمه مستحقًا للعقاب، وهذا العقاب يرجع إلى ذنبه هو، وليس من ذنب أحد غيره"².

ويعتقد المسيحيون أن فداء البشرية من خطيئة آدم المستقرة في نفوسهم، وتخليصهم من عقاب الله لا سبيل إليه إلا بصلب المسيح، فهو المؤهل - بما يتصف به من صفات الألوهية - لمحو خطاياهم، ولذلك نجد مجموعة من نصوص العهد الجديد تؤكد هذا الاعتقاد منها قول بطرس: "لأنكم لهذا دُعِيتُمْ، فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لَأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالًا لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِهِ"³، وقول الرسول بولس: "لأنه كَمَا بِمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاءً، هَكَذَا أَيْضًا

1 عوض سمعان، فلسفة الغفران في المسيحية، ج1، م. س، ص: 17

2 الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة، م. س، ص: 140-141

3 رسالة بطرس الرسول الأولى 2: 21

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
بِاطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَزْرَارًا¹، وقوله: "لأنَّه جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً
لْأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللَّهِ فِيهِ"².

وفي التصور المسيحي فإن العصاة والمخطئون حتى لو تابوا توبة حقيقية، فلا ينفعهم ذلك
لأن الله-حسب اعتقادهم- لا ينسى ما فعله الإنسان من أخطاء في الماضي، وهذا ما يشير إليه
قول ابن داود الملك: " مَا كَانَ فَمِنْ الْقِدَمِ هُوَ، وَمَا يَكُونُ فَمِنْ الْقِدَمِ قَدْ كَانَ، وَاللَّهُ يَطْلُبُ مَا قَدْ
مَضَى"³. ولعل عقيدة الفداء هي التي دفعت بولس إلى القول بأن الأعمال الصالحة، وإتباع
الشرعية لا يخلص الإنسان من الخطيئة، بل لا بد له من الإيمان بصلب المسيح وفدائه، وفي
هذا الصدد يقول: "إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانٍ يَسُوعَ الْمَسِيحِ،
آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانٍ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، لَأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ
لَا يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا"⁴.

وقد ورد في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس قولهم: "وفي حالة خطية الإنسان، كان الله
قد أعدَّ خطته فعلا للتغلب على نتائج هذا العصيان، والكتاب المقدس كله، ما هو إلا قصة
الكشف عن هذه الخطة التي أدت أخيرًا إلى مجيء الله نفسه إلى الأرض في شخص ابنه يسوع
المسيح، فحياته التي بلا خطية، وموته جعلًا من الممكن لله أن يمنح الغفران لكل من يطلبه"⁵.

1 رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية 5: 19

2 رسالة الرسول بولس الثانية إلى أهل كورنثوس 5: 21

3 سفر الجامعة 3: 15

4 رسالة الرسول بولس إلى أهل غلاطية 2: 16

5 التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 15

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وثمة جدال مسيحي كبير حول العلاقة بين النعمة الإلهية والحرية الإنسانية، وأشهر من مثل هذا السجال الفكري في اللاهوت المسيحي "بلاجيوس¹ وأغوسطينوس"، فمذهب بلاجيوس "يقلل من دور النعمة، مُشدِّدًا على جهد الإرادة البشرية، ذلك بأن الله قد وهب للإنسان حرية الاختيار، ولم يفقدها الإنسان بسبب خطيئة آدم الذي ما هو سوى قدوة سيئة لم تؤثر فعلا في كمال حرية البشر، أما نظرية شبه البلاجية، فهي نظرية مُخفَّفة، وقد عارضها أيضًا أغوسطينوس، إذ كانت تعترف بدور النعمة حيث إنَّ (الله يبدأ) ، ولكن (الإنسان يُكَمِّل وحده) ، أما وجهة نظر أغوسطينوس، فقد أكَدَّت أنَّ (الإيمان يأتي من الله)، وكذلك (المداومة) فيه التي كان يرفضها أخصامه²"، وهذا يعني أن مذهب أغوسطينوس ينفي كون الله خلق الإنسان وتركه ليصبح قديسًا بإرادته ودون إرشاد (النعمة الإلهية)، فضلا عن أنه يصرح بوجود تبعات للخطيئة الموروثة عن آدم، أي أنه يريد أن يقول إن الإنسان عاجز عن التخلص من الشر بسبب تلوثه بخطيئة آدم، وهذا رأي خالفه بلاجيوس الذي اعتبر أن الإنسان يملك إرادة حرة وغير مسلوبة بفعل الخطيئة الأولى، وأنه يقدر أن يفعل الخير بموجب هذه الحرية.

كما أن هناك انقسامًا كبيرًا حصل بين المدارس اللاهوتية المسيحية الثلاث حول علاقة الإنسان بالخطيئة الأصلية، حيث نجد أن "معظم اللاهوتيين الأرثوذكسين يرفضون فكرة مسؤولية الخطيئة الأصلية التي تكلم عنها أوغسطين والتي ما تزال (ولو على نحو ملطف) مقبولة من الكنيسة الكاثوليكية، والمفهوم الأرثوذكسي على العموم يقضي بأن الإنسان قد ورث بصورة آلية عن آدم القابلية للفساد والموت، لكنه لم يرث مسؤولية خطيئة آدم بحد ذاتها، إذ

¹ بلاجيوس راهب إيرلندي الأصل عاش في روما حوالي سنة 400، ثم انتقل إلى شمالي إفريقيا ثم إلى أورشليم. (اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، ص: 160)

² الأنثربولوجيا المسيحية: الإنسان على صورة الله كمثاله، م. س، ص ص: 220 – 221

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أنه ليس مذنبًا إلا بمقدار ما ينسج على منوال آدم بملء اختياره¹، ومن جانب آخر يرى الكثير
من الغربيين ومنهم كالفن Calvin ممثل المدرسة البروتستانتية أن الإنسان صار فاسدًا وعاجزًا
عن فعل الخير، ويقولون في هذا الصدد: "بأن الأطفال الذين يموتون دون المعمودية، لكونهم
ملطخين بالخطيئة الأصلية، سيصلون نار الجحيم الأبدية بمشيئة الله العادل"².

ندم الله على خلق الإنسان وبقيّة المخلوقات

ورد في الكتاب المقدس: "وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرٍ
أَفْكَارٍ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرٌّ كُلَّ يَوْمٍ، فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ،
فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الْإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمٍ وَدَبَابَاتٍ وَطُيُورِ
السَّمَاءِ، لِأَنِّي حَزَنْتُ أَنِّي عَمَلْتُهُمْ»"³.

يصور هذا النص كيف أن الله الخالق ندم على خلق الإنسان، وتأسف على خلقه بسبب
كثرة الشر في الأرض، كما أنه ندم على خلق باقي الحيوانات والطيور، فقرر أن يمحوهم جميعًا.
فهذا هو اعتقاد اليهود والمسيحيين معًا في الخالق، يعتقدون أنه غير متصف بصفات
الكمال، فهو -حسب تصورهم- إله جاهل وظالم، لأنه لم يكن يعلم بما خلق، ولم يكن يعلم
بوقوع المعصية والشر من الإنسان، كما أنه قرر أن يبطش بجميع المخلوقات التي خلقها من

¹ تيموثي وير، الكنيسة الأرثوذكسية: إيمان وعقيدة، نقله إلى العربية: هاشم الحسيني مع فريق من حركة الشبيبة
الأرثوذكسية، منشورات النور: 1982، (د.ط.) ، ص: 45

² المرجع نفسه، ص: 45

³ سفر التكوين 6: 5 - 7

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
قبل، وهذا يُعدُّ ظلمًا عظيمًا، إذ كيف يتصور أن تتحمل الحيوانات وباقي الكائنات وزر الإنسان؟
هذا إن سلمنا أن الشر الذي صدر من الإنسان يستوجب كل هذا الهلاك.

إن الخالق في التصور التوراتي يتصف بالجهل، ويؤكد هذا ما ورد في العهد القديم: "فَإِنِّي
أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأَضْرِبُ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَصْنَعُ
أَحْكَامًا بِكُلِّ إِلَهَةِ الْمِصْرِيِّينَ، أَنَا الرَّبُّ، وَيَكُونُ لَكُمْ الدَّمُ عَلاَمَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، فَارَى
الدَّمَّ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ، فَلَا يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلَاكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ"¹.

فيا له من إله، لا يقدر على التمييز بين بيوت اليهود والمصريين إلا بجعل الدم علامة على
بيوت شعبه المختار، فينزل عقابه بالمصريين فقط.

ويصور المسيحيون ما يحدث من اختلال في الطبيعة بأنه لعنة إلهية حلت بالبشرية بسبب
عصيان آدم وحواء، وفي هذا الإطار يقول المفسرون: "لقد أثر عصيان آدم وحواء في كل الخليقة،
حتى البيئة نفسها، فمنذ سنوات مضت لم يكن الناس يعلمون شيئًا عن تلوث المياه بالفضلات
الكيميائية والقمامة، كان هذا الأمر يبدو تافهًا، ولكننا الآن نعلم أن جزئين أو ثلاثة أجزاء في
المليون من بعض المواد الكيميائية تكفي لتدمير صحة البشر"².

يبدو أن الاعتقاد المسيحي في الذات الإلهية ينسجم تمام الانسجام مع اعتقاد اليهود،
بحيث يعرضون صورة الإله على أنه جبار وفَتَّاك ومتعطش للدماء، ولا أثر للرحمة والعدل فيه.

¹ سفر الخروج 12: 12-13

² التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 14

المقصد من خلق الإنسان في التصور المسيحي

على ضوء قصة الخلق في سفر التكوين، تُقرر العقيدة المسيحية أن رسالة الإنسان تتلخص في أمرين، أولهما الشركة مع الله "إذ أن الله وضعه في الجنة وأحاطه بمختلف الظروف والأحوال التي تمكنه من الشركة"¹، بمعنى أن الله اختار الإنسان (آدم) بعدما نفخ فيه من روحه، ووهبه كل النعم بما فيها العقل والإرادة والحرية، وجعله في مكانة سامية عن بقية الكائنات، ولعل الحكمة الإلهية في منحه هذه النعم، تتجلى في تسهيل أدائه لرسالته، من عبادة لله وتمجيد له وقرب روحاني منه، وسعي في الإصلاح.

وثانيهما الوكالة عن الله "إذ أعطاه الله السلطة والسيادة على جميع المخلوقات الأرضية ليكون حاكم الأرض، ووكيل الله عنها، ومن هنا ندرك أن السلطة المعطاة له، لم تكن لمجرد الإمتاع واللذة، بل كانت لخيرته وخير المخلوقات معاً"²، وكل ذلك يبين أن الله لا يتخلى إطلاقاً عن خليقته، ولا عن العالم المادي، إذ إنه صانعها-بقصد حُبٍّ- ورُبُّها، وفي علاقة وثيقة دائمة بها، لاسيما عن طريق الإنسان وكيله، وهو على صورته كمثاله تعالى"³.

ومن هنا يتبين أن مهمة الإنسان تجاه الكائنات الأخرى عظيمة القدر، فهو صلة وصل بين الخالق والمخلوقات غير العاقلة، وبين العالم الروحي والعالم المادي.

¹ إلياس مقار، إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى، م. س، ص: 195

² إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى، م. س، ص: 195

³ الأنثروبولوجيا المسيحية: الإنسان على صورة الله كمثاله، م. س، ص: 77

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
وبعد هذا العرض المجل لأهم التصورات المسيحية حول القضايا الإيمانية الثلاث: وجود
الله تعالى ووحدانيته، وخلق الكون ومراحل نشأته وتطوره، وخلق الإنسان، أنتقل إلى بيان
مواقف المذاهب العقدية الإسلامية من هذه القضايا نفسها.

المطلب الثاني: قضايا الألوهية عند المذاهب العقدية الإسلامية

الفرع الأول: وجود الله تعالى ووحدانيته

أول شعور يُشرق في أعماق الإنسان إذا تأمل في نفسه وفي الكون من حوله، شعوره
بوجود قوة كبرى مهيمنة على الكون، تمنحه التدبير والتنظيم، وتتصرف فيه بالحياة والموت،
والبناء والفناء، والتغير والتطور، والحركة والسكون، وجميع أنواع التغيرات الحكيمة التي تجري
فيه¹.

هذه القوة الغيبية الكبرى كل إنسان على وجه الأرض يشعر بوجودها حتى لو لم يدرك
ذلك حقيقة، بل إن كل واحد يعبر عنها بحسب ما يهتدي إليه عقله، فالفلاسفة أطلقوا على
هذه القوة الغيبية أوصافاً مختلفة، فهذا الفيلسوف الإغريقي "أفلاطون Plato" ينعته بالصانع،
ويسمها "أرسطو Aristote" العقل الخالص أو المحرك الأول²، ونجد المفكر "ريفيل Reaile"

¹ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، الوجيزة في العقيدة الإسلامية، مؤسسة الريان، بيروت، ط2: 1416 هـ -
1996م، ص: 29

² حسين علي، ما هي الفلسفة؟، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة الطبع: 2011، ص: 91

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
يسمى (روح خفية)، ويسمى الفيلسوف الألماني "إرنست شلاير ماخErnest Schleiermacher"
(قوة ماهرة¹) ، وهكذا تعددت الأوصاف والموصوف واحد.

أما عند المسلمين فالأمر مختلف تمامًا، فالاسم الذي يطلقونه على الذات الإلهية هو
(الله)، وهو "اسم علم في اللغة العربية على الذات الإلهية الجامعة لجميع صفات الكمال،
والمنزهة عن أية صفة من صفات النقصان التي لا تليق بكمال الألوهية والربوبية، ولذلك فهو
أعظم أسمائه الحسن²"، وفي هذا الصدد يقول الشيخ والمفكر المسلم محمد الغزالي رحمه الله:
"هذا الاسم الكريم عَلَّمَ على الذات المقدسة التي نؤمن بها ونعمل لها، ونعرف أن منها حياتنا
وإليها مصيرنا³".

والله عز وجل متصف بصفات الكمال والجلال والجمال، ولا يسمى إلا باسمى به
نفسه، ومن هذا كله نصل إلى أسماء الله الحسن التي بعضها صفة فعل، والتي بعضها صفة
معنى، والتي بعضها صفة سلبية، والتي بعضها صفة جلال أو كمال أو جمال، وكل ذلك تدل
عليه الظواهر⁴ بشكل مباشر أو ضمني⁵.

انطلاقًا من المصادر الإسلامية (القرآن الكريم، السنة النبوية، أقوال العلماء) ، نلاحظ
على أن قضية وجود الله تعالى هي من المسلمات التي لا تقبل النقاش بين المسلمين، لأنها مسألة
فطرية مركوزة في النفس البشرية.

¹ محمد عبد الله دراز، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، (د.ط)، ص: 35 - 40
² عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط: 14، 1430 هـ - 2009 م،
ص: 138

³ محمد الغزالي، عقيدة المسلم، (دون طبعة ولا تاريخ) ، ص: 13

⁴ المقصود بها أي الظواهر الكونية من حدوث العالم والجمال والإبداع والعناية.

⁵ سعيد حوى، كتاب "الله"، نسخة إلكترونية دون طبعة، ص: 104

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
والعقل السليم لا يستطيع أن ينكر وجود الخالق، فالبديهيّات الأولى تقول بأن لكل معلول
علة، وقياساً على ذلك كان لكل مخلوق خالق¹ يقول الله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ
وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"².

ويقول سبحانه: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي
أَتَقَفَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾³، ويقول أيضاً: ﴿أَقْبَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ
خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ﴾⁴.

فهذه الآيات القرآنية تتضمن دلائل كبرى على وجود الله الخالق العظيم، وهي شواهد حية
على دقة صنعه وبديع نظامه في هذا الكون، فالصدفة التي يزعم الملاحدة أنها وراء خلق الكون
لا سند لها، ويستحيل أن توجد أشياء دون صانع، فلكل فعل فاعل، ولكل صنعة صانع.

1 مصطفى الشكعة، مطالعات إسلامية في العقيدة والفكر، م. س، ص: 7

2 سورة البقرة: 163

3 سورة النمل: 90

4 سورة الغاشية: 17 - 20

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
إن الطريق إلى الله هي آثاره التي تدل عليه، وهي طريق وحيد، والعقل والفكر والعلم
شروط أساسية لسالك هذا الطريق، إذ دون عقل لن نعرف الآية، ودون فكر لن يُعرف
صاحبها، ودون علم لن تكون معرفة للآية أو لصاحبها، ولعل هذا الكلام مستغرب عند
الملحدين، إذ أنهم يعطون لأنفسهم دائماً ألقاب العلمانيين والعقلانيين والأحرار والمفكرين¹.

ويقوم التصور العقدي في الإسلام على عقيدة الإيمان بالله بوصفه الموجود الحق بذاته،
الذي لا يقبل العدم، فهو القديم الذي لا بداية لوجوده، وهو الباقي الذي لا نهاية لوجوده² وهذا
ما يؤكد قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ³﴾.

وأما دلائل وجود الله تعالى حسب العقيدة الإسلامية فيقسمها العلماء إلى قسمين: آيات
الأنفس وآيات الآفاق، ولعل هذا التقسيم يجد سنداً له في الآية الكريمة: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا
فِي الْأَقْبَابِ وَإِجْزَأْ أَنفُسُهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ⁴﴾.

جاء في كتاب (المعتمد في أصول الدين) قوله: "ومعرفة الله تعالى تحصل بأدلتها الظاهرة
وحججه القاهرة، وهي أنفسنا والسماوات والأرض وما بينهما، لأن آثار الصنعة لازمة لهذه
الأشياء، فدلّت على صانع صنعها"⁵.

1 سعيد حوى، كتاب "الله"، م. س، ص: 12

2 عمرو شريف، الوجود رسالة توحيد، م. س، ص: 76

3 سورة الحديد: 3

4 سورة فصلت: 52

5 أبو يعلى الحنبلي، المعتمد في أصول الدين، حققه وقدم له: وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، (د.ط)،

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
وقد استدلل العلماء في إثبات العلم بالصانع، بدلائل الأنفس، وهو ما يعرفه كل عاقل من
أحوال نفسه، أنه كان نطفة، ثم عادت علقة، ثم مضغة، ثم لحماً ودمًا وعصبًا وعظامًا، ثم
بعد الانفصال من قرار مكين، ومكان حصين، يتعاقب عليه الصغر والكبر، والضعف والقوة،
والجهل والمعرفة، والصحة والمرض¹.

إن قضية وجود الله تعالى ووحدانيته وما يتعلق بهما من مباحث، قد أخذت مساحة كبيرة
من النقاش في أدبيات المذاهب العقدية الإسلامية، كما حظيت بنسبة عالية من الردود
الإسلامية على الفرق المنكرة لوجود الله كالدهرية، أو القائلين بالتثليث، حيث عرض المتكلمون
مجموعة من الأدلة والبراهين على إثبات وجود الله ووحدانيته، فدحضوا دعاوى الملحدين،
وأبطلوا شبهة المشركين.

وقد استدلت المذاهب العقدية في إثبات وجود الله تعالى بجملة من النصوص القرآنية
منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي
الْأَلْبَابِ²﴾، وقوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ
آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ³"، وقوله تعالى: "فَاغْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ¹"، وقوله تعالى:

1 شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد لأبي البركات النسفي، دراسة وتحقيق: عبد الله محمد عبد الله إسماعيل، منشورات: المكتبة الأزهرية للتراث والجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى: 1432 هـ - 2012 م، ص: 139 - 140

2 سورة آل عمران: 190

3 سورة الروم: 19 - 20

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

"وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَقْلًا تُبْصِرُونَ"²، وقوله: "أَقْلًا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ"³ الآية.

كما اعتمدت المذاهب الإسلامية على بعض الأدلة العقلية، فمذهب المعتزلة⁴ اعتمد على دليل حدوث الأجسام، وفي هذا الصدد يرى القاضي عبد الجبار أنه "إذا ثبت أن الأجسام محدثة فلا بد لها من مُحدث وفاعل، وفاعلها ليس إلا الله تعالى"⁵، ودليل الحدوث يعني "أن الأجسام الموجودة في العالم تتكون من أجزاء، وهذه الأجزاء يمكن قسمتها إلى أجزاء، وهكذا، ولكن هذا التقسيم لا يستمر إلى ما لا نهاية، بل يجب الوقوف عند جزء لا يتجزأ، وهذا الجزء الذي لا يتجزأ هو الجوهر الفرد، وكل الجواهر تتعرض لحالات مختلفة كالحركة والسكون، وهذه الأحوال يُطلقون عليها (الأعراض)، وهي حادثة لأنها متغيرة، وما دامت الجواهر لا تنفصل عن الأعراض، والأعراض حادثة، فالجواهر إذن حادثة، والأجسام حادثة، والعالم حادث، ومن ثم فلا بد له من مُحدث وهو الله سبحانه"⁶.

¹ سورة الحشر: 2

² سورة الذاريات: 20- 21

³ سورة الغاشية: 17 – 20

⁴ يشار إلى أن بعض أعلام المعتزلة يخالفون القاضي عبد الجبار في هذا الرأي، ومنهم أبو الهذيل العلاف الذي أكد أن معرفة الله تعد اضطرارية (شبر الفقيه، علم الكلام وتطوره عند العرب، ص: 86) .

⁵ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 118

⁶ محمد العبد، طارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، دار الأرقم، برمنجهام، الطبعة الأولى: 1408 هـ -

1987م، ص: 16

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

في حين اعتمد المذهب الأشعري في إثبات وجود الله تعالى على النظر والتأمل في خلقه الإنسان، وتطور هذه الخلقة¹، وهو ما يطلق عليه (آيات الأنفس) كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، يقول الإمام أبو الحسن الأشعري: "إن سأل سائل فقال: ما الدليل على أن للخلق صانعاً صنعه، ومدبراً دبّره؟ قيل: الدليل على ذلك أن الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام كان نطفة ثم علقه ثم لحماً ودمًا وعظمًا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال، لأننا نراه في حال كمال قوته وتمام عقله لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعًا ولا بصرًا، ولا أن يخلق لنفسه جراحة، يدل ذلك على أنه في حال ضعفه ونقصانه عن فعل ذلك أعجز، لأن ما قدر عليه في حال النقصان فهو في حال الكمال عليه أقدر، وما عجز عنه في حال الكمال فهو في حال النقصان عنه أعجز، ورأيناه طفلاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الشباب إلى حال الكبر والهرم، لأن الإنسان لو جهد أن يزيل عن نفسه الكبر والهرم ويردها إلى حال الشباب لم يمكنه ذلك، فدل ما وصفنا على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه الأحوال، وأن له ناقلاً نقله من حال إلى حال ودبّره على ما هو عليه، لأنه لا يجوز انتقاله من حال إلى حال بغير ناقل ولا مدبر²".

ويتضح من كلام الإمام الأشعري أن هذا التغير الذي يطرأ على النطفة، فتتحول إلى علقه ثم لحماً ودمًا وعظمًا، وانتقال الإنسان من حال إلى حال، هو دليل قوي على أن هناك خالقاً مدبراً وحكيماً هو الذي صنع هذه المكونات، وهو الذي نقل الإنسان من مرحلة عمرية إلى أخرى، وهذا الخالق العظيم يتصف بصفات الكمال والجلال، وهو الله تبارك وتعالى.

¹ علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، م. س، ص: 274

² أبو الحسن الأشعري، كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وقّده له وعلق عليه: حمودة غرابية، مطبعة مصر 1955م، ص ص: 17 - 18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

واستخدم المذهب الأشعري دليل الحدوث، باعتباره دليلاً مشتركاً بين المذاهب الكلامية، ويسمى دليل إثبات الصانع، كما يسمى أيضاً مبدأ العلية، ومقتضاه أنه "لا بد لهذا العالم المحدث المصوّر من محدث مصوّر، والدليل على ذلك أن الكتابة لا بد لها من كاتب، ولا بد للصورة من مصوّر، وللبناء من بان، وأنا لا نشك في جهل من أخبرنا بكتابة حصلت لا من كاتب، وصياغة لا من صانع، وحياسة لا من ناسج، فوجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها، إذ كانت ألطف وأعجب صنعاً من سائر ما يتعذر وجوده، لا من صانع من الحركات والتصويرات"¹.

قال الإمام أبو حامد الغزالي: "وجوده تعالى وتقدس وبرهانه، أنا نقول: كل حادث فلحدوثه سبب، والعالم حادث، فيلزم منه أن له سبباً، ونعني بالعالم: كل موجود سوى الله تعالى، ونعني بكل موجود سوى الله تعالى الأجسام كلها وأعراضها"².

وخلاصة هذا الدليل أن كل جسم لا يخلو من الحوادث، وكل ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، وبالتالي فكل جسم حادث³، وهذا الحادث لابد له من محدث، إذ يستحيل أن توجد أجسام أو تحدث أحداث دون أن يكون لها سبب، وهذا المحدث الذي صنعها لا شك أنه يتصف بصفات الكمال والجلال من قديم وبقاء وقدرة وإرادة وعلم وحكمة وحسن تدبير. . .

¹ أبو بكر بن الباقلاني، كتاب التمهيد، عني بتصحيحه ونشره: الأب رتشارد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت 1957م، ص: 23

² أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له: إبراهيم آكاء جوبوقجي وحسين آتاي، مطبعة النور، أنقرة 1969م، ص: 24

³ عبد الهادي الفضلي، خلاصة علم الكلام، م. س، ص: 68

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
إلخ، وهي صفات لا يتصف بها إلا الله عز وجل، وقد أخبرنا عنها رسوله الأمين محمد صلى الله
عليه وسلم من طريق الوحي.

خلاصة:

إن الناظر في هذا الكون الفسيح، وما فيه من نظام بديع، وترتيب عجيب، وتناسق مُحكم،
سيدرك لا محالة، أنه يحمل صفات خالقه العظيم، من كمال وجلال وجمال، وتشرق فيه
شمس الحقيقة الساطعة، حقيقة وحدانية الله سبحانه المتفرد بالخلق والإيجاد من عدم،
والمتفرد بتدبير شؤون هذا العالم وما فيه من مخلوقات، وكل الدلائل والشواهد التي تثبت
وجوده سبحانه، ترفض أن يكون معه شريك في مُلكه ولا منازع في حُكمه، إذ أن التعدد في
الألوهية، والتنازع في الحكم يجلبان التضاد في الإرادات، ومن ثم التضاد في الأفعال، وبالتالي
يختل ميزان هذا الكون بما فيه.

ومن هنا يظهر أن وراء هذا النظام البديع والتناسق المتكامل إرادة إله واحد، يفعل في
مُلكه ما يشاء وكيف يشاء، ومتى يشاء، وهذا ما يسمى بالتوحيد الذي يعتقده المسلمون جميعاً
باختلاف مدارسهم، وتنوع مذاهبهم.

فما المقصود إذن بالتوحيد في العقيدة الإسلامية؟ وما هي مقوماته التي لا تستقيم إلا
بوجوده؟ وكيف تتصور المذاهب العقيدة الإسلامية وحدانية الله تعالى

حقيقة التوحيد عند المذاهب الإسلامية:

1-تعريفه:

لغة: هو مصدر وُحِدَ يوحد توحيداً، فهو على وزن تفعيل، ويعني: الحكم والعلم بأن الشيء واحد، فالكلمة تدور معانيها على الوحدة والانفراد والتفرد¹، وجاء تعريفه في القاموس: "التوحيد: إيمان بالله وحده"².

شرعاً: "إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً"³، وجاء في تعريف آخر: "اعتقاد أن الله واحد لا شريك له"⁴.

2-تقرير القرآن الكريم لوحداية الله تعالى:

أقام القرآن الكريم الحجج والبراهين الواضحة على وحدانية الله، وبَيَّن للناس أن الله سبحانه هو المستحق للعبادة وحده دون غيره من المخلوقات والجمادات الموجودة في الطبيعة، وقد تعددت الآيات القرآنية التي توجه العقول الحائرة إلى وحدانية الله تعالى، وتهدي القلوب التائهة إلى طريق الحق.

1 الجوهري، الصحاح، ج 2، ص: 547 ومعجم مقاييس اللغة، ج 6، ص: 90، مادة (وحد) .

2 القاموس المحيط، مادة (وحد) ، م. س، ص: 414

3 السفاريني، لوامع الأنوار، ج 1، ص: 56 - 57

4 محمد عبده، رسالة التوحيد، م. س، ص: 17

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ عِبْدُوا رَبَّكُمْ أَلَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ¹﴾ أي: بكونه هو وحده الإله المستحق للعبادة، وعبادة غير الله تستلزم التشكك

في تفرده بالربوبية وخصائصها في الخلق والرزق والحياة والموت والنفع والضرر²، وقد فسّر الإمام

ابن كثير هذه الآية بقوله: "شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على

عبده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة³".

والمراد بالتوحيد هنا هو التوحيد الكامل الذي يعني أفراد الله تعالى بالعبادة، ونفي

الشريك عنه، والاعتقاد بأنه سبحانه هو الخالق والرزاق والمحي والمميت والمدبر لشؤون الخلق،

مصدقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

أَحَدٌ⁴"، وقوله تعالى: "إِتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ

وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ⁵"، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في

دعائه: "اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد⁶".

¹ سورة البقرة: 20

² عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، الوجيزة في العقيدة الإسلامية، م. س، ص: 119 - 120

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية 1417 هـ -

1996م، المجلد الأول، ص: 80

⁴ سورة الإخلاص: 1 - 4

⁵ سورة المؤمنون: 92

⁶ سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سلم من الصلاة، رقم الحديث: 299

3- أقسام التوحيد في العقيدة الإسلامية:

يمكن تقسيم التوحيد حسب العقيدة الإسلامية إلى قسمين:

أ- التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي: المتضمن إثبات صفات الكمال لله عز وجل وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

ب- التوحيد الطلي القصدي الإرادي: وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه، والتوكل عليه والرضا به ربًّا وإلهًا ووليًّا، وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء، وهو توحيد الإلهية¹.

ويُقصد بتوحيد الألوهية "العلم بأنه تعالى هو المستحق للعبادة وحده دون سواه، والقصود والتوجيه والقيام بالعبادات كلها إليه"²، وأما توحيد الربوبية فهو "العلم بأن لا خالق غيره ولا مدبر للكون ولا متصرف فيه سواه"³، وجاء في تعريفه أيضا "الإقرار بأنه خالق كل شيء"⁴، فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، لأن عبادة الله تكون فرع الإقرار به وتوحيده في ربوبيته، ولذلك كان توحيد الألوهية متضمنا له⁵.

¹ الشيخ حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، تحقيق وتخريج: أبي معاوية مازن بن عبد الرحمن البحصلي، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1: 1426 هـ - 2005 م، ص: 75

² عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ص: 21

³ المصدر نفسه، ص: 21

⁴ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج11، ص: 50

⁵ خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1416 هـ - 1995 م، الجزء الأول، ص: 16

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

ويبنى توحيد الأسماء والصفات على أصليين:

الأول: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ¹﴾.

والثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم على

الوجه اللائق بكماله وجلاله، كما قال بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ²﴾، مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا³﴾⁴.

وخلاصة ما سبق أن التوحيد في العقيدة الإسلامية يقوم على الإيمان الجازم بأن الله تعالى

واحد في ربوبيته، أي أنه هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة. . . إلخ،

والإيمان بأنه سبحانه واحد في ألوهيته، أي أنه سبحانه هو المستحق للعبادة وحده دون سواه

من المخلوقات، والإيمان بأنه واحد في أسمائه وصفاته، أي الإيمان بما وصف به نفسه، أو

وصفه به رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، دون تأويل أو تشبيه أو تعطيل.

1 سورة الشورى: 9

2 نفسها

3 سورة طه: 107

4 عبد الله بن صالح العيبيلان، إكرام الموحدين في بيان تحقيق وصية رب العالمين، م. س، ص: 38

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
فتوحيد الله تعالى في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته هي عناصر متلازمة في
العقيدة الإسلامية، ولا يمكن الفصل بينها، وهذه العناصر المتلازمة هي التي تجمع معنى
التوحيد.

فما هو إذن تصور المذاهب العقيدة الإسلامية لمفهوم التوحيد؟

وما هي أدلتها في إثبات وحدانية الله تعالى وصفاته؟ وأين يكمن الاختلاف بينها؟

أولاً: التوحيد عند المعتزلة

كما هو معلوم من تراثهم، فإن التوحيد هو الأصل الأول من الأصول الخمسة للمعتزلة، إلى
درجة أنهم سمو أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد¹، وقد بالغ المعتزلة في تعريفهم للتوحيد إلى
درجة لا تتصور، وذهبوا في ذلك إلى أبعد حد، وأصبح لفظ "التوحيد" عندهم يحمل معاني
غريبة، لم يقبلها منهم أهل السنة والجماعة، ولعل السر في اختلافهم مع أهل السنة والجماعة
في تعريف التوحيد يكمن في جنوحهم إلى استخدام العقل على حساب النقل - كما هو معلوم -
وتقديسهم له، واعتباره معياراً للحكم على الأشياء.

¹ يُنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، م. س، ص: 38

مفهوم التوحيد عند المعتزلة:

يقول القاضي عبد الجبار: "والأصل فيه، أن التوحيد في أصل اللغة عبارة عما به يصير الشيء واحداً"¹، ويذهب المعتزلة في تعريفهم للتوحيد اصطلاحاً وفق ما هو متفق عليه عند المتكلمين، فيقولون: "هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه والإقرار به"².

وأجمع المعتزلة على أن معنى التوحيد هو تنزيه الله سبحانه تنزيهاً مطلقاً، وعدم تشبيهه بالمخلوقات، مستدلين في ذلك بآيات كثيرة تدل على التنزيه منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ³﴾، ومستندهم في ذلك هو قولهم: "إنه قد تبين لنا أن الصفات هي أعراض للأجسام فهي محدثة، ولو أثبتنا لله تعالى صفة قديمة فكأننا نقول بقديمين وذلك حيث أن الصفات زائدة عن الذات لما عرف من اختلاف الصفة عن الموصوف، وإذن فالله سبحانه لا يجوز أن يوصف بصفة فيها معنى إيجابي كالعلم والقدرة، بل الأمثل هو أن نصفه بصفات سلبية محضة"⁴، لهذا نجدهم يصفون الله تعالى أنه "واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذى لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسمة ولا بذى حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعّض،

1 القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 128

2 المصدر نفسه، ص: 128

3 سورة الشورى: 9

4 محمد العبد، طارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، م. س، ص: 47

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية..... البشير أسعير
وليس بذى أبعاد وأجزاء، وجوارح وأعضاء، وليس بذى جهات ولا بذى يمين وشمال وأمام
وخلف وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماساة ولا العزلة
ولا الحلول في الأماكن ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حَدْثِهِمْ ولا يوصف بأنه
متناه ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود، ولا تحيط به
الأقدار، ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الحواس، ولا يُقاس بالناس، ولا يشبه الخلق بوجه من
الوجوه ولا تجري عليه الآفات، ولا تحل به العاهات، وكل ما خطر بالبال وتُصَوَّرُ بالوهم فغير
مُشَبَّه له، لم يزل أولاً سابقاً مُتقدماً للمحدثات، موجوداً قبل المخلوقات، ولم يزل عالماً قادراً
حيّاً ولا يزال كذلك، لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام... إلخ¹.

فالمعتزلة بسبب مبالغتهم في تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين سقطوا في فخ نفي
الصفات الواجبة له سبحانه، وبذلك سقطوا في التعطيل على قول أهل السنة والجماعة، بل
نجدهم من خلال النص السابق يصفون الله تعالى بصفات لم ترد لا في القرآن الكريم ولا في
السنة النبوية، وإنما مصدر ذلك هو إطلاقهم العنان للخيال، والإفراط في النظر العقلي، كما
أن موضوع الصفات الإلهية عند المعتزلة عليه مؤاخذات كثيرة من خصومهم، نظراً لمبالغتهم في
نفي الصفات عن الله سبحانه.

¹ أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، م. س، ص ص: 155 – 156

الاستدلال على وحدانية الله تعالى عند المعتزلة:

كما هو معلوم فإن مذهب المعتزلة اعتمد في تفسير القضايا الدينية على النظر العقلي المجرد، وكانت كل المسائل الغيبية عندهم لا تخرج عن هذه القاعدة، فنجدهم يخضعونها للقياس العقلي، واعتماد مبدأ قياس الشاهد على الغائب، والتأويل... إلخ.

وفي مسألة إثبات وحدانية الله تعالى، استدلت المعتزلة بدليل مشترك عند المتكلمين ألا وهو دليل التمانع، ومضمونه كما قال القاضي عبد الجبار: "لو كان مع الله تعالى قديم ثان لوجب أن يكون مثلاً له لأن القِدَم صفة من صفات النفس، والاشتراك فيها يوجب التماثل، والاشتراك في سائر صفات النفس، وإذا كان كذلك، والقديم تعالى قادراً لذاته وجب أن يكون الثاني أيضاً قادراً لذاته، فيجب صحة وقوع التمانع بينهما، لأن من حق القادر على الشيء أن يكون قادراً على جنس ضده إذا كان له ضد، ومن حقه أيضاً أن يحصل مقدوره إذا حصل داعيه إليه ولا منع، فلو قُدِّر وقوع التمانع بينهما، بأن يريد أحدهما تحريك جسمه، والآخر يريد تسكينه لكان لا يخلو؛ إما أن يحصل مرادهما وذلك يؤدي إلى اجتماع الضدين، أو لا يحصل مرادهما، وذلك يقدر في كون الواحد الذي يثبت بالدلالة قادراً لذاته، أو يحصل مراد أحدهما دون الآخر، فمن حصل مراده فهو الإله، ومن لم يحصل مراده فهو الممنوع، والممنوع متناهي المقدور قادر بقدره، والقادر بالقدرة لا يكون إلا جسمًا، وخالق العالم لا يجوز أن يكون جسمًا¹، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ إِلَهَةٍ إِلَّا اللَّهُ لَبَسَدَتَا²﴾.

¹ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 278

² سورة الأنبياء : 22

-موقف المعتزلة من الصفات الإلهية:

اشتهر المعتزلة بنفي الصفات الإلهية، والحق أن المعتزلة تأثروا في هذا الرأي بمن سبقهم من الفرق، وعلى رأسهم الجهمية الذين عُرِفوا بتعطيل صفات الله تعالى، وقد ذهب الدارسون إلى أن من الأسباب التي دفعت المعتزلة للقول بهذا الرأي، أنهم كانوا في دفاعهم عن عقيدة التوحيد، وسعيهم لإبطال عقيدة التثليث عند النصارى، يلجأون إلى نفي الصفات الإلهية اعتقادًا منهم أن إثباتها يعني إثبات قدماء مع الله تعالى، وبالتالي يصبح هناك تعدد الآلهة حسب قولهم.

وإذا كان المعتزلة يؤمنون بوحدانية الله عز وجل، ويعتقدون أنه واحد ولا يشبهه شيء، وأنه تعالى قديم وغيره محدث، وأن القدم أخص وصف لذاته الكريمة، فإنهم واجهوا كل مذهب، يرون بعقولهم أنه لا يوافق الوحدانية فيساوي بين الله والشركاء في الأزلية، ويشبه الله بخلقه أو يشبه خلقه به، وهذا أدى بهم إلى نفي جميع صفات الحوادث عن الله سبحانه.

والأصل الأول الذي كان يقول به واصل بن عطاء رأس المعتزلة (المتوفى سنة 131هـ) هو نفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة، لأن واصل أراد أن يرد فكرة الأقانيم عند النصارى، وكان يرى فيها ثلاثة آلهة، إذ أن الثلاثة قديمة، فخشي أن تؤدي فكرة الصفات حتى الأزلية إلى شرك عند المسلمين، لذلك جنح إلى التنزيه البحث، وبه نفى أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته¹.

¹ ألبير نصري نادر، فلسفة المعتزلة فلاسفة الإسلام الأسبقين، مطبعة دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ج1، (د.ط)،

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
ونجد تضارباً واختلافاً بين المعتزلة في مسألة نفي وإثبات بعض الصفات، فبالرغم من
اتفاقهم على صفة مركزية وهي القِدَم، إلا أن آراءهم بخصوص الصفات الأخرى تبدو متباينة،
فبعضهم يثبت صفات وينفي أخرى، كما أن منهم من يثبت لله صفة واحدة وهي القدرة، وأما ما
عدا ذلك فهو مترتب عن هذه الصفة، وفي هذا السياق يقول القاضي عبد الجبار: " اعلم أن
أول ما يُعرف استدلالاً من صفات القديم جل وعز إنما هو كونه قادراً، وما عداه من الصفات
يترتب عليه"¹.

وكان أبو الهذيل يقول: "إن الله لم يزل عليمًا، وكان ينكر أن يقال: إن الله عز وجل لم يزل
سميعًا بصيرًا"²، بمعنى أنه يُثبت لله تعالى صفة العلم، وينفي عنه سبحانه صفتي السمع
والبصر.

وقال معتزلة بغداد: "ليس معنى أن الباري عالمٌ معنى قادر، ولا معنى حي، ولكن معنى أن
الباري حيٌّ معنى أنه قادر، ومعنى أنه سميع معنى أنه عالم بالمسموعات، ومعنى أنه بصير (معنى
أنه) عالم بالمبصرات، وليس معنى قديم عند هؤلاء معنى حيٌّ، ولا معنى عالم قادر، وكذلك ليس
معنى القول في الباري أنه قديم معنى أنه عالم، ولا معنى أنه حي قادر"³.

وهذا ما سارت عليه فرقة الواصلية⁴ بالقول بنفي صفاته سبحانه من العلم والقدرة
والإرادة والحياة، ولعل السر في هذا التحول عند المعتزلة كما ذكره الشهرستاني يرجع إلى

1 القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 151

2 ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 5، م. س، ص: 58

3 أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، م. س، ص: 168

4 إحدى فرق المعتزلة وينتسبون إلى واصل بن عطاء.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
اتفاقهم على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين، قال (واصل) : "من أثبت معنى، وصفة
قديمة أثبت إلهين"¹.

والملاحظ هو حدوث تحولات جذرية عند المعتزلة في تفسير مسألة الصفات من الأبسط إلى
الأعقد فلسفيًا²، وهو ما أشار إليه الشهرستاني حينما ذكر بأن المعتزلة بعد مطالعتهم كتب
الفلاسفة "انتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات، إلى كونه عالمًا قادرًا، ثم الحكم بأنهما
صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة، كما قال الجبائي أو حالتان كما قاله أبو هاشم
ومال أبو الحسين البصري، إلى ردهما إلى صفة واحدة"³.

أقسام الصفات عند المعتزلة:

بعد معرفة فكرة واصل بن عطاء المتمثلة في نفيه صفات الباري تعالى من العلم والقدرة
والإرادة والحياة، زاعمًا بأن إثباتها يعني إثبات شركاء مع الله تعالى، ومعرفة ما انتهى إليه نظر
المعتزلة من اختزال صفات الله في صفتين اثنتين وهما العلم والقدرة، أخلص إلى أن المعتزلة
قرروا أن "هاتين الصفتين إيجابيتين، واعتبرا سائر الصفات سلبية عدمية"⁴، مما يعني أنهم
قسّموا الصفات الإلهية إلى قسمين: صفتين إيجابيتين وهما العلم والقدرة، وصفات سلبية وهي
ما عداهما.

¹ الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص: 40

² يُنظر: حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية: المعتزلة- الأشعرية- المنطق، دار الفارابي،
بيروت، ط2: 2008، مج2، ص: 199

³ الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، م. س، ص: 40 – 41

⁴ النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية: المعتزلة- الأشعرية- المنطق، مج2، م. س، ص: 200

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وبما أن المعتزلة اختلفوا في قضية الصفات الإلهية، فمنهم من سمّاها معاني¹، ومنهم من
سمّاها أحوال²، وهذه الأحوال هي مجرد اعتبارات عقلية³ فإنهم صنّفوها إلى نوعين:

أ- صفات الذات:

وهي التي لا يجوز أن يوصف الله بأضدادها ولا بالقدرة على أضدادها كالقول عالم، لا
يوصف بالجهل ولا بالقدرة على أن يجهل، والقِدَم والقدرة والحكمة من صفات الذات أيضاً.

ب- صفات الأفعال:

هي التي يجوز أن يوصف الله بأضدادها وبالقدرة على أضدادها كالإرادة يوصف الله
بضدها من الكراهة وبالقدرة على أن يكره، وكذلك الحب يوصف الله بضده من البغض
وكذلك الرضا والسخط والأمر والنهي وكل اسم اشتق لله من فعله كالقول متفضل، منعم،
محسن، خالق، رازق، عادل، جواد وما أشبه ذلك، وكذلك كل اسم اشتق للباري من فعل غيره
كالقول معبود من العبادة كالقول مدعو من دعاء غيره إياه⁴.

علاقة الذات بالصفات عند المعتزلة:

يعتقد المعتزلة أن صفات الله تعالى هي عين ذاته، ويحيي الإمام أبو الحسن الأشعري رأي
أبو الهذيل العلاف أحد كبار المعتزلة الذي يقول فيه: "هو عالمٌ بعلم هو هو، وهو قادرٌ بقدرة

¹ يُنسب هذا الإطلاق إلى معمر بن عباد السلمي وهو من الطبقة السادسة.

² تبنى هذا الرأي أبو هاشم الجبائي وهو من الطبقة التاسعة.

³ يُنظر: سهيل قاشا، المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي الحر، م. س، ص: 77

⁴ ألبير نصري نادر، فلسفة المعتزلة فلاسفة الإسلام الأسبقين، م. س، ص: 44 - 45

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
هي هو، وهو حيٌّ بحياة هي هو، وكذلك قال في سمعه وبصره وقدمه وعزته وعظمته وجلاله
وكبريائه، وفي سائر صفاته لذاته¹.

ويتضح من هذا التصور أن العلم والقدرة عندهم هي الذات الإلهية، وكأنهم بهذا الاعتقاد
يحاولون إبعاد تهمة تشبيه صفات الله بصفات خلقه، نظرًا لوجود اختلاف كبير-حسب رؤيتهم-
بين علم وقدرة الله وعلم وقدرة المخلوقين.

ولقد قال النظم: "معنى قولي عالمٌ إثبات ذاته ونفي الجهل عنه، ومعنى قولي قادرٌ إثبات
ذاته ونفي العجز عنه، ومعنى قولي حيٌّ إثبات ذاته ونفي الموت عنه، وكذلك قوله في سائر صفات
الذات على هذا الترتيب²"، فالإثبات والنفي بهذه الطريقة يدل على إنكار الصفات الإلهية، وعلى
الأخص الصفات الذاتية لله سبحانه كالعلم والقدرة والحياة. إلخ.

وكان أكثر المعتزلة يقولون إن الله عالمٌ بذاته لا بعلم زائد على ذاته، وهكذا في سائر
الصفات، ما عدا العلاف فإنه كوّن لنفسه رأيًا خاصًا نهج فيه أيضًا مناهج الفلاسفة، فقد
قال إن الله عالمٌ بعلم وعلمه ذاته، قادرٌ بقدرة ذاته، حيٌّ بحياة وحياته ذاته³.

بمعنى أن أبا الهذيل العلاف جاء بنظرية مختلفة عن آراء المعتزلة في الصفات، ففي الوقت
الذي ينفي فيه غالبية المعتزلة صفات الله تعالى، فيقولون إن الله عالمٌ بذاته وليس بعلم خارج
عن الذات، وقادر بقدرة هي ذاته وليس بقدرة منفصلة عن الذات، وهكذا في الصفات الأخرى،
نجد العلاف يبتكر فكرة جديدة يرى من خلالها أن الصفة هي عين الذات.

¹ أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، م. س، ص: 165

² المصدر نفسه، ص: 166 - 167

³ سهيل قاشا، المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي الحر، م. س، ص: 71 - 72

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
وبالرغم من أن المعتزلة يعتبرون الصفات هي الذات بقولهم إن الله عالم وعلمه ذاته،
قادر بقدرته وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته "إلا أنهم شذوا عن هاتين القاعدتين في بعض
الصفات الأخرى ولاسيما الإرادة والكلام والسمع والبصر، فلم يقولوا إن الله يريد بذاته،
متكلم بذاته، سميع بذاته، بصير بذاته، ولا قالوا إنه تعالى يريد بإرادة وإرادته ذاته، متكلم
بكلام وكلامه ذاته، سميع بسمع وسمعه ذاته، بصير ببصر وبصره ذاته"¹.

وتبقى الإشارة إلى مسألة مهمة في فكر المعتزلة ألا وهي اعتمادهم على تأويل بعض الصفات
الخبرية، مثل: الوجه واليد والعينين، في قوله تعالى: ﴿وَيَبْفِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَإِلْكَرَامِ²﴾، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَايَ³﴾، فزعموا أن وجه الله هو الله وأن يد الله
هي كرمه، وأن عينه في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي⁴﴾ أي في علمه وإحاطته، وقوله:
﴿لَمَّا خَلَفْتُ بِيدَيَّ⁵﴾ أي بقدرتي، وهكذا في سائر الصفات بدعوى التنزيه عن مشابهة الخلق
للخالق⁶.

¹ المرجع نفسه، ص: 79

² سورة الرحمن: 25

³ سورة المائدة: 66

⁴ سورة طه: 39

⁵ سورة ص: 74

⁶ محمد العبد، طارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، م. س، ص: 49

وقد اشتهر المعتزلة بتأويلهم للصفات الإلهية، ولعل من أبرز هذه الصفات:

1-صفة الاستواء:

كما هو معلوم من منهج المعتزلة، اعتمادهم على النظر العقلي، وترجيحه على حساب النص، ولذلك لجأوا إلى تأويل كثير من النصوص القرآنية التي قد يوحي ظاهرها-حسب زعمهم- بالتجسيم والتشبيه.

وصفة استواء الرحمن على عرشه هي من الصفات الخبرية التي نالت نصيباً من تعسف المعتزلة، فقد أولوا قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"¹ إلى أنه الاستيلاء كما يقال: استوى بشر على المدينة، أي استولى عليها² ويستشهدون أيضاً بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق³.

2-صفة الكلام:

تابع المعتزلة الجهم بن صفوان في مقالته عن أن القرآن مخلوق لله تعالى، وكان ذلك متسقاً مع مذهبهم في مسألة الصفات، إذ لو كان القرآن كلام الله غير مخلوق لكان قديماً مع

¹ سورة طه: 4

² المعتزلة بين القديم والحديث، م. س، ص: 49

³ بيت شعري يُنسب للشاعر الأخطل، وقد قاله في بشر بن مروان (الأمدي، أبكار الأفكار في أصول الدين، ج1، ص: 462) و أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ص: 127 وأحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ج1، ص: 127).

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الله، وهذا قول بالهين، كذلك فالقرآن يشتمل على أوامر ونواه وحوادث وقصص قد وقعت في
أزمنة متعددة فلا يمكن أن يكون الله لم يزل متكلمًا بها منذ الأزل¹.

وقد ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري اختلاف المعتزلة في كلام الله على ستة أقاويل، وبين
أنهم مجتمعون على الزعم بأن كلام الله جسمٌ وأنه مخلوق وأنه لا شيء إلا جسم، وكذلك الزعم
بأنه كلام الخلق عرضٌ وهو حركةٌ لأنه لا عرضَ عندهم إلا الحركة، وأن كلام الخالق جسمٌ،
وأن ذلك الجسم صوتٌ مُقَطَّعٌ مُؤَلَّفٌ مسموعٌ، وهو فعل الله وخلق، وإنما يفعل الإنسان
القراءة، والقراءة الحركة وهي غير القرآن²، ومن هنا يتضح موقف المعتزلة من هذه المسألة، إذ
اعتبروا "أن كلام الله حادث، ولذلك يلزمه محل خلاف الله، وهذا المحل هو النبي الذي حلَّ فيه،
ويصبح كل من يردد هذا الكلام محالاً له فتتعدد الأماكن"³.

فالمعتزلة يقولون بخلق القرآن تماشيًا مع اعتقادهم في الصفات الإلهية، نفياً وتأويلاً، وكل
هذا مرده إلى ما ألزموا به أنفسهم من تصورات عقلية، وظنون عن الذات الإلهية، فمبدأ
التنزيه الذي طبقوه على صفات الله تعالى أدى بهم إلى نفياً بالجملة، ومبدأ عدم التشبيه
والتجسيم أدى بهم إلى تأويل الصفات الخبرية.

1 المعتزلة بين القديم والحديث، م. س، ص: 50

2 يُنظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، م. س، ص: 191 وما بعدها

3 فلسفة المعتزلة: فلاسفة الإسلام الأسبقين، م. س، ص: 109

تأويل المعتزلة للصفات الخبرية:

كذلك أولوا الآيات التي تفيد النزول أو المجيء أو العروج لنفي إفادتها الحركة، في مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ¹﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْفُرْقَانَ تَنْزِيلًا²﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَبَأًا صَبًا³﴾، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ⁴﴾، وقوله تعالى: ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ⁵﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ⁶﴾، فالله لا ينزل ولا يجيء ولا يصعد، ولا ينزل من عنده شيء أو يصعد إليه شيء صعودًا ماديًا في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ⁷﴾، لأن كل ما يتصل بالله خارج من معنى كل حاس ومحسوس، فالمراد بالنزول الإحسان والرزق كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيةً أَرْوَاجَ⁸﴾، ومعلوم أن الحديد أو الأنعام

¹ سورة الكهف: 1

² سورة الإنسان: 23

³ سورة الفجر: 24

⁴ سورة الأنعام: 159

⁵ سورة السجدة: 4

⁶ سورة فاطر: 10

⁷ سورة الحديد: 24

⁸ سورة الزمر: 7

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
لم تنزل من السماء، فالنزول مطلق الوصول، كذلك الصعود إنما يفيد فضل الكلم الطيب
والعمل الصالح وعلوهما¹.

وهكذا أمعن المعتزلة في تعطيل الصفات الذاتية لله سبحانه، وتأويل الصفات الخيرية
بحجة تنزيه ذات الله تعالى، وتخليصها من شوائب التعدد والتجسيم والتشبيه بالمخلوقين، وهذا
كله يدخل عندهم في الأصل الأول من أصولهم الخمسة، وهو التوحيد.

وإذا كانت هذه هي رؤية مذهب المعتزلة للتوحيد، فإن السؤال الجوهرى هنا هو ما هي
الإضافة النوعية التي قدمها المذهب الأشعرى في هذه القضية؟

ثانيا: التوحيد عند الأشاعرة

عند البحث في مصادر المذهب الأشعرى، لا نجد الكثير من التفاصيل حول مفهوم
التوحيد، وما نصادفه هو مجرد بيان لمعاني "الواحد"² وأكثر من تحدثوا عن معاني الواحد هم
المتأخرين من الأشاعرة.

يقول الإمام الباقلاني مُبَيَّنًا معنى التوحيد: "هو الإقرار بأن الله ثابت موجود، وأنه إله
واحد فرد معبود ليس كمثله شيء؛ على ما قرر به قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾³ وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁴".

1 أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ج1، م. س، ص ص: 127 – 128

2 عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، م. س، ص: 726

3 سورة البقرة: 162

4 سورة الشورى: 9

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ويدور كلام الأشاعرة في هذا المبحث حول إثبات وحدانية الصانع، وفي هذا الصدد يقول
القاضي أبو بكر الباقلاني: "ويجب أن يُعلم: أن صانع العالم جَلَّتْ قدرته واحد احد؛ ومعنى
ذلك: أنه ليس معه إله سواه، ولا من يستحق العبادة إلا إياه، ولا نريد بذلك أنه واحد من
(جهة العدد) ، وكذلك قولنا أحد، وفرد وجود ذلك إنما نريد به أنه لا شبيه له ولا نظير، ونريد
بذلك أن ليس معه من يستحق الإلهية سواه، وقد قال تعالى: "إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ"² ومعناه: لا
إله إلا الله"³.

ويرى الباقلاني أيضاً وابن فورك أن الواحد إذا أُطلق يدل على ثلاثة معان:

1- ما لا ينقسم.

2- من لا نظير له.

3- من لا ملجأ ولا ملاذ بسواه⁴.

ويقول أبو المعالي الجويني: "صانع العالم: واحد عند أهل الحق"، ويضيف: "والواحد
الحقيقي: هو الشيء الذي لا ينقسم"⁵.

ويذهب الإمام أبو حامد الغزالي في الدعوى العاشرة إلى القول: "ندعى أن الله تعالى واحد
فإن كونه واحداً يرجع إلى ثبوت ذاته، ونفي غيره، فليس هو نظراً في صفة زائدة على الذات،

1 أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، م. س، ص: 22

2 سورة النساء: 170

3 الباقلاني، الإنصاف، م. س، ص: 32 – 33

4 عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، م. س، ص: 726

5 أبو المعالي الجويني، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، م. س، ص: 98

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
فوجب ذكره في هذا القطب؛ فنقول الواحد قد يُطلب ويُراد به، أنه لا يقبل القسمة أي لا كمية
له، ولا حد، ولا مقدار، والباري تعالى واحد بمعنى أنه لا الكمية له بمعنى سلب الكمية
المصححة للقسمة¹."

وفيما يتعلق بالمدلول الاصطلاحي للتوحيد، يذكر الأشاعرة تعريفين:

الأول: إثبات الوحدة في الذات والصفات والأفعال، فوحدانية الذات تنفي تركيب الذات
وتنفي تعددها، ووحدانية الصفات تنفي التعدد في صفات الله من جنس واحد، وتنفي مشابهة
صفات الخلق لصفاته، ووحدانية الأفعال تنفي أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه
الإيجاد²."

الثاني: "إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً³".

وهذا التعريف يشمل أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد
الأفعال، وهي الأنواع التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة.

الاستدلال على وحدانية الله تعالى عند الأشاعرة:

اعتمد المذهب الأشعري في إثبات وحدانية الله تعالى على دليل التمانع، وهذا الدليل متفق
عليه بين الأشاعرة سواء المتقدمين منهم أو المتأخرين.

¹ أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، م. س، ص: 73

² يُنظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، م. س، ص: 59 - 60

³ المرجع نفسه، ص: 38

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وفي هذا الصدد يورد الإمام أبو الحسن الأشعري بياناً مفصلاً لهذا الدليل فيقول: " فإن قال قائل: لِمَ قلتُ إن صانع الأشياء واحد؟ قيل له: لأن الاثنين لا يجري تديرهما على نظام ولا يتسق على إحكام، ولا بد أن يلحقهما العجز أو واحدًا منهما؛ لأن أحدهما إذا أراد أن يُحيي إنساناً وأراد الآخر أن يُميتَه لم يخل أن يتم مرادهما جميعاً أو لا يتم مرادهما، أو يتم (مراد أحدهما دون الآخر، ويستحيل أن يتم) مرادهما جميعاً؛ لأنه يستحيل أن يكون الجسم حيّاً ميتاً في حال واحدة، وإن لم يتم مرادهما جميعاً وجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً، (وإن تم مراد أحدهما دون الآخر وجب عجز من لم يتم مراده منهما والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً) فدل ما قلناه على أن صانع الأشياء واحد¹، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَهَسَدَتَا²﴾.

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي بعد أن عرض جملة من النصوص القرآنية المتضمنة لبديع صنع الله تعالى في الكون والمخلوقات: "فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات، وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات، وبدائع فطرة الحيوان والنبات، أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يديره، وفاعل يحكمه ويقدره، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيرهِ ومصرفة بمقتضى تديرهِ، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ³﴾،

¹ أبو الحسن الأشعري، اللمع، ص: 20 - 21 ويُنظر أيضاً: الباقلاني، الإنصاف، ص: 33 والجويني، لمع الأدلة، ص: 98

² سورة الأنبياء: 22

³ سورة إبراهيم: 13

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا: (لا إله إلا الله)، وما
أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله، فإن ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوئهم
وفي عنفوان شبابهم¹.

أي أن معرفة الله تعالى من خلال النظر في مخلوقاته في الكون هي مسألة فطرية، ولا
تحتاج إلى بذل جهد عقلي كبير، وكل إنسان يقدر على الاهتداء إلى معرفة ربه الخالق، لأن
الكون وما فيه من عجائب المخلوقات يدل على أنه مخلوق، والذي خلقه يتصف بصفات
الكمال والحكمة والتدبير، وهو الله سبحانه، وإنما كان القصد من بعثة الأنبياء والرسل عليهم
السلام هو لإثبات وحدانيته تعالى، وبيان أنه وحده المستحق للعبادة.

وانسجامًا مع منهجهم الكلامي، تميز الأشاعرة بالوسطية والاعتدال في معالجة القضايا
الإيمانية، ولا سيما قضية الصفات الإلهية، فما هو موقفهم من هذه القضية؟

موقف الأشاعرة من الصفات الإلهية:

فيما يتعلق بمسألة الصفات، يرى الأشاعرة أن الذات الإلهية قديمة أبدية بسيطة - غير
مشابهة للحوادث- ورفضوا التشبيه أو التجسيم، ولكنهم أثبتوا لله تعالى الصفات المعنوية، ولم
يذهبوا في التنزيه الإلهي إلى حد الوقوع في التعطيل كما وقع المعتزلة، بل التزموا حدود السلف
الصالح في التنزيه².

¹ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1426 هـ - 2005 م، ص: 124

² محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، علم الكلام ومدارسه مع تحليل لأهم قضايا الفلسفة، م. س، ص: 81

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وقد أثبت جمهور الأشاعرة سبع صفات أزلية، أسموها صفات المعاني وهي: العلم والقدرة والإرادة والحياة والكلام والسمع والبصر، ويقول الإمام الأشعري في بيان صفة العلم: "فإن قال قائل: لِمَ قلت إن الله تعالى عالم؟ قيل له: لأن الأفعال المحكمة لا تتسق في الحكمة إلا من عالم، وذلك أنه لا يجوز أن يحوك الديباج النفارير¹ ويصنع دقائق الصنعة من لا يحسن ذلك ولا يعلمه، فلما رأينا الإنسان على ما فيه من اتساق الحكمة، كالحياة التي ركبها الله فيه والسمع والبصر، وكمجاري الطعام والشراب وانقسامهما فيها وما هو عليه من كماله وتمامه، والفلك وما فيه من شمس وقمر وكواكب ومجاريها، دلَّ ذلك على أن الذي صنع ما ذكرناه لم يكن يصنعه إلا وهو عالم بكيفيته وكنهه"²

وعن صفتي القدرة والحياة يقول الإمام الأشعري: "لا يجوز أن تحدث الصنائع إلا من قادر حي؛ لأنه لو جاز حدوثها ممن ليس بقادر ولا حي لم ندر لعل سائر ما يظهر من الناس يظهر منهم وهم عجزة موتى؛ فلما استحال ذلك دلَّت الصنائع على أن الله تعالى حيٌّ قادر"³.

وعن صفتي السمع والبصر يقول: "فإن قال قائل: لِمَ قلت إن الله سميع بصير؟ قيل له: لأن الحي إذا لم يكن موصوفاً بآفة تمنعه من إدراك المسموعات والمبصرات إذا وجدت فهو سميع بصير، فلما كان الله تعالى حيًّا لا تجوز عليه الآفات من الصميم والعمى وغير ذلك -إذا كانت الآفات تدل على حدوث من جازت عليه- صحَّ أنه سميع بصير"⁴.

¹ النفارير جمع نفرور وهو العصفور، وقد كُتبت في الأصل "النقاوير" وقام المحقق بتصحيحها. (هامش كتاب اللمع

لأبي الحسن الأشعري، ص: 24)

² أبو الحسن الأشعري، اللمع، ص: 24

³ المرجع نفسه، ص: 25

⁴ نفسه، ص: 25

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

ويقول في صفة الإرادة: "إنَّ الحي إذا كان غير مريد لشيء أصلاً، وجب أن يكون موصوفاً بضد من أضداد الإرادات كالسهو، والكراهة، والإيذاء¹ والآفات، كما وجب أن الحي إذا كان غير عالم بشيء أصلاً، (كان) موصوفاً بضد من أضداد العلوم كالجهل والسهو، والغفلة أو الموت أو أشبه ذلك من الآفات، فلما استحال أن يكون الباري تعالى لم يزل موصوفاً بضد الإرادة، لأن هذا يوجب أن لا يريد شيئاً على وجه من الوجوه، وذلك أن ضد الإرادة إذا كان الباري تعالى لم يزل موصوفاً به يوجب قِدَمه، ومحال عدم القديم، كما محال حدوث القديم، فإذا استحال عدمه وجب أن لا يريد الباري شيئاً ويقصد فعله على وجه من الوجوه، وذلك فاسد، وإذا فسد هذا صحَّ وثبت أن الباري تعالى لم يزل مريداً²".

ويقول رحمه الله عن صفة الإرادة أيضاً: "فإن قال قائل: لِمَ قلتم إن الله تعالى مريد لكل شيء يجوز أن يراد؟ قيل له: لأن الإرادة إذا كانت من صفات الذات بالدلالة التي ذكرناها وجب أن تكون عامة في كل ما يجوز أن يراد على حقيقته كما إذا كان العلم من صفات الذات وجب عمومها لكل ما يجوز أن يُعلم على حقيقته³".

وأما صفة الكلام فيقول عنها: "إن قال قائل: لِمَ قلتم إنَّ الله تعالى لم يزل متكلماً وإنَّ كلام الله تعالى غير مخلوق؟ قيل له: قلنا ذلك لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁴ فلو كان القرآن مخلوقاً لكان الله تعالى قائلاً له: (كن)

1 من أنى إذا أخر ومنه الحديث "أنيت وآذيت" أي أخرت المجيء عن وقته (كتاب اللمع، ص: 37) .

2 أبو الحسن الأشعري، اللمع، م. س، ص: 38

3 المرجع نفسه، ص: 47

4 سورة النحل: 40

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والقرآن قوله، ويستحيل أن يكون قوله مقولا له؛ لأن هذا يوجب قولاً ثانياً، والقول في القول
الثاني وفي تعلقه بقول ثالث كالحال في القول الأول وتعلقه بقول ثانٍ، وهذا يقتضي ما لا نهاية
له من الأقوال وهذا فاسد، وإذا فسد ذلك فسد أن يكون القرآن مخلوقاً، ولو جاز أن يقول
لقوله لجاز أن يريد إرادته، وذلك فاسد عندنا وعندهم، وإذا بطل هذا استحال أن يكون
مخلوقاً¹.

وقد برهن القاضي الباقلاني على إثبات الأشاعرة لهذه الصفات بقوله: "فإن قال قائل:
ولمَ قلتم إنَّ للقديم تعالى حياةً وعِلماً وقُدرةً وسمعاً وبصراً وكلاماً وإرادةً؟ قيل له: من قَبْلَ أنَّ
الحي العالم القادر منَّا إنما كان حيّاً عالمّاً قادراً متكلِّماً مُريدًا من أجل أنَّ له حياةً وعِلماً وقُدرةً
وإرادةً وكلاماً وسمعاً وبصراً، وأنَّ هذا فائدة وصفه بأنه حيٌّ عالمٌ قادرٌ مُريدٌ، يدل على ذلك أنَّ
الحيَّ منَّا لا يجوز أن يكون حيّاً عالمّاً قادراً مُريدًا مع عدم الحياة والعلم والقدرة، ولا توجد به
هذه الصفات إلا وجب بوجودها به أن يكون حيّاً عالمّاً قادراً، فوجب أنها علة في كونه كذلك،
كما وجب أن تكون علة كون الفاعل فاعلاً والمريد مُريدًا وجود فعله وإرادته التي يجب كونه
فاعلاً مُريدًا لوجودهما وغير فاعل مريد لعدمهما، فوجب أن يكون الباري سبحانه ذا حياةٍ
وعلمٍ وقُدرةٍ وإرادةٍ وكلامٍ وسمعٍ وبصرٍ، وأنه لو لم يكن له شيء من هذه الصفات، لم يكن حيّاً
ولا عالمّاً ولا قادراً ولا مُريدًا ولا متكلِّماً ولا سميعاً ولا بصيراً- يتعالى عن ذلك- كما أنه لو لم تكن
له إرادة وفعل، لم يكن عندنا وعندهم فاعلاً ولا مُريدًا²."

¹ أبو الحسن الأشعري، اللمع، م. س، ص ص: 33 - 34

² الباقلاني، التمهيد، م. س، ص ص: 197 - 198

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ويستدل الأشاعرة على أن صفات الذات قديمة بقولهم: "إنها لو كانت محدثة لأحدثها الله
في ذاته، وهذا محال لأنه ليس محلاً للحوادث، ومن المحال أيضاً أن يحدث الله صفاته في غير
ذاته، ويبقى احتمال أخير وهو أن تكون الصفات محدثة قائمة بذاتها، وهذا أيضاً محال لأن
الصفة لا يمكن أن تقوم بذاتها بدون موصوف، وعلى هذا فصفت الله قديمة في ذاته وهي غير
منفصلة بعضها عن البعض الآخر وغير مباينة لبعضها الآخر ولا مغايرة لذات الله"¹.

وبذلك يكون المذهب الأشعري قد سلك مسلكاً وسطاً في موضوع الصفات الإلهية، بين
المعطلة والمشبهة أو المجسمة، فالمعتزلة قالوا بنفي وتعطيل الصفات الإلهية، وبالغوا في تنزيه
الله تعالى حتى سقطوا في معضلات عقدية كبيرة، وأما المشبهة فقاموا صفات الله تعالى على
صفات المخلوقين حتى وقعوا في التشبيه والتجسيم.

أقسام الصفات عند الأشاعرة:

قسّم الأشاعرة الصفات الواجبة لله تعالى إلى أربعة أقسام وهي: الصفة النفسية
والصفات السلبية وصفات المعاني والصفات المعنوية.

أ-الصفة النفسية:

صفة واحدة وهي الوجود، والوجود صفة تقوم بوجود، ومعناه الثبوت والكون والتحقق
والشيئية ونحو ذلك، وقد جرى خلاف بين الأشعري وغيره في كون الوجود عين الموجود أو هو
وصف زائد على الذات، فذهب الأشعري إلى أن الوجود عين الذات وليس بشيء زائد عليها.

¹ محمد أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، م. س، ص: 293

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

ب-الصفات السلبية:

وهي كل صفة سلبت ونفت عن الله تعالى أمراً لا يليق به، وذكر منها علماء العقائد خمس صفات وهي: القَدَم، البقاء، مخالفته للحوادث، الغنى المطلق، الوجدانية.

ج-صفات المعاني:

هي كل صفة قائمة بذاته سبحانه وتعالى، تستلزم حكماً معيناً له، كصفة العلم مثلاً فهي تستلزم أن يكون المتصف بها عليمًا، وصفات الكمال لله تعالى كثيرة، ولكنها تجتمع في سبع صفات رئيسية معينة قام عليها الدليل التفصيلي من الكتاب¹.

وصفات المعاني هي:

1-الحياة: وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى مغايرة للحياة الحادثة التي هي كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الإرادية، وتصحح لمن قامت به أن يتصف بالإدراك، والحياة لا تتعلق بشيء، لأنها لا تقتضي أمراً زائداً على الذات كما في العلم والإرادة والقدرة وغيرها².

2-العلم: وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها كشف الأمور والإحاطة بها على ما هي عليه في الواقع أو على ما ستكون عليه في المستقبل³.

3-الإرادة: قال الأشاعرة: هي صفة ثالثة مغايرة للعلم والقدرة؛ توجب تخصيص أحد المقدورين بالوقوع¹ وهي عند أهل الكلام صفة قديمة بذات واجب الوجود زائدة عليها².

¹ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، م. س، ص: 119

² العربي اللوه، الرائد في علم العقائد، م. س، ص: 126

³ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، م. س، ص: 120

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

4-القدرة: وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه وتكييفه³ وتتعلق بجميع الممكنات، إذ كلها واقعة بقدرته طبقاً لإرادته، ولا تأثير لغيره في شيء منها، فلا يمكن أن يوجد أي ممكن بغير قدرته⁴.

5-الكلام: وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت، منزه عن التقديم والتأخير والإعراب والبناء، وعن السكوت وجميع الآفات، هو بها أمرناه مُخبر إلى غير ذلك⁵.

6-السمع: وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالمسموعات، أو بالموجودات، فتُدرك إدراكًا تامًا لا على طريق التخيل والتوهم ولا على طريق تأثير حاسة ووصول هواء⁶.

7-البصر: وهو أيضًا صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالمبصرات أو الموجودات فتُدرك إدراكًا تامًا لا على طريق التخيل والتوهم ولا على طريق تأثير حاسة ووصول شعاع⁷.

علاقة الذات بالصفات عند الأشاعرة:

يعتقد الأشاعرة أن الصفات زائدة عن الذات الإلهية، قال أبو الحسن الأشعري: "تعالى عالمٌ بعلم، قادرٌ بقدره، حيٌّ بحياة، مُريدٌ بإرادة، مُتكلّمٌ بكلام، سميعٌ بسمع، بصيرٌ وله في البقاء اختلاف رأي، قال: وهذه صفات أزلية قائمة بذاته، لا يقال هي هو ولا غيره، ولا لا هو ولا لا

1 عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، م. س، ص: 291

2 الرائد في علم العقائد، م. س، ص: 129

3 كبرى اليقينيّات الكونية، ص: 122

4 العربي اللوه، الرائد في علم العقائد، م. س، ص: 131

5 المرجع نفسه، ص: 133

6 كبرى اليقينيّات الكونية، م. س، ص: 122

7 المرجع نفسه، ص: 122

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
غيره¹ "أي أنها ليست ذاته، ولا غير ذاته، إذ لا يتصور أن يكون الذات حيًا بغير حياة، أو عالمًا
بغير علم، أو قادرًا بغير قدرة، أو مُريدًا بغير إرادة² ولذلك نجد كبار أعلام المذهب الأشعري
يؤكدون هذا الاعتقاد في الصفات الإلهية، فهذا القاضي الباقلاني يقول: "ويجب أن يُعلم: أنَّ
الباري عالم بعلم قديم متعلق بجميع المعلومات، ولا يوصف علمه بأنه مكتسب ولا ضروري،
وأنه قادر بقدرة قديمة شاملة لجميع المقدورات، مُريد بإرادة قديمة متعلقة بجميع الكائنات
سميع بسمع قديم متعلق بجميع المسموعات، بصير ببصر قديم متعلق بجميع المبصرات، متكلم
وكلامه قديم متعلق بجميع المأمورات والمنهيات، والمخبرات³".

وهذا الإمام الشهرستاني يقول: "لا معنى للعالم حقيقة إلا أنه ذو علم، ولا للقادر إلا أنه ذو
قدرة، ولا للمريد إلا أنه ذو إرادة، فيحصل بالعلم الإحكام والإتقان، ويحصل بالقدرة الوقوع
والحدوث، ويحصل بالإرادة التخصيص بوقت دون وقت، وقَدَر دون قَدَر، وشَكْل دون شَكْل⁴".

ويتبين مما سبق أن الأشاعرة يعتقدون بأن الصفات الإلهية زائدة عن الذات، لكنها غير
منفصلة عن ذاته تعالى، ولا يُتصور عندهم وجود صفة دون موصوف بها، ولذلك يُميّزون بين
صفات الله وبين ذاته تعالى، فالذات الإلهية واحدة والصفات متعددة.

لقد سبق الذكر أن المعتزلة اشتهروا بتأويل الصفات الإلهية كالأستواء والكلام والصفات
الخبرية كالوجه واليد والعينين، إضافة إلى تأويلهم صفات أخرى كالنزول والمجيء... إلخ، وهذا
ما يستدعي معرفة موقف الأشاعرة من هذه الصفات نفسها.

1 الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، م. س، ص: 82

2 عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، م. س، ص: 545

3 الباقلاني، الإنصاف، م. س، ص: 36

4 الملل والنحل، ج1، م. س، ص: 81 – 82

1-صفة الاستواء:

يعتقد الأشاعرة أن الله تعالى استوى على عرشه استواء يليق به من غير طول استقرار¹ ويستدلون على ذلك بجملة من النصوص القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى²﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ³﴾، وقوله: ﴿بَلْ رَّبَّعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ⁴﴾ وغيرها من الآيات الكريمة.

ويجيب القاضي الباقلاني عن سؤال: هل الله في كل مكان؟ بقوله: " معاذ الله، بل هو مستو على العرش"⁵، مستدلا على ذلك بالنصوص القرآنية السالفة الذكر، ويقول أيضاً: "ولو كان في كل مكان، لكان في جوف الإنسان وفمه وفي الحشوش والمواضع التي يُرغب عن ذكرها، تعالى عن ذلك، ولوجب أن يزيد بزيادة الأماكن إذا خلق منها ما لم يكن خلقه، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان؛ وَلَصَحَّ أَنْ يُرْغَبَ إِلَيْهِ إِلَى نَحْوِ الْأَرْضِ وَإِلَى وَرَاءِ ظَهْرِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَشِمَائِلِنَا، وهذا ما قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله"⁶.

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي في الأصل الثامن من أصول معرفة ذات الله سبحانه: "العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي

¹ يُنظر: أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، م. س، ص: 105

² سورة طه: 4

³ سورة فاطر: 10

⁴ سورة النساء: 157

⁵ الباقلاني، التمهيد، م. س، ص: 260

⁶ المرجع نفسه، ص: 260

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء، وهو الذي أُريد بالاستواء إلى السماء
حيث قال: "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ"¹، وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء².

ولا بد من التفريق في هذا الباب بين الأشاعرة المتقدمين أي الذين ظلوا محافظين على
الفكر العقدي الذي سار عليه مؤسس المذهب أبو الحسن الأشعري، وبين الأشاعرة المتأخرين
أي الذين ابتعدوا عن خط الإمام الأشعري في بعض المباحث العقدية، وأصبحوا على مسافة
قريبة من تصور المعتزلة.

ولذلك يُنسب إلى بعض الأشاعرة المتأخرين القول بتأويل الصفات الخيرية على غرار ما
فعل المعتزلة، وإن كانت بعض الآراء تنفي هذا الادعاء، وتعتبر أن الرازي هو من قال بالتأويل من
بين الأشاعرة المتأخرين، لكن تبقى هذه الآراء نسبية إلى حين تأكيدها بالأدلة الصريحة.

2-صفة الكلام:

سبقت الإشارة إلى أن الأشاعرة يثبتون صفة الكلام لله، وأنه سبحانه متكلم بكلام غير
مخلوق، وقد عرضت سابقاً الأدلة التي استند إليها الإمام أبو الحسن الأشعري في إثبات هذه
الصفة لله تعالى.

وأورد ابن فورك ما ذهب إليه الإمام الأشعري بخصوص هذه الصفة قائلاً: "إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ
تعالى صفة له قديمة، لم يزل قائماً بذاته رافعاً للسكوت، والخرس، والآفة عنها، وإنَّ ذلك ليس
بصوت، ولا حرف، ولا متعلق بمخارج وأدوات، وإنه مسموع على الحقيقة لله تعالى، ولمن سمعه،

¹ سورة فصلت: 10

² أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، م. س، ص: 126

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
مفهوم لمن فهمه، وعرف معانيه، من المؤمنين الذين خصَّهم بما خصَّهم به من اللطف،
والتأييد، والتوفيق¹.

موقف المذهب الأشعري من بعض الصفات الخيرية:

هناك نصوص قرآنية تضمنت ألفاظاً كالوجه واليدين والعينين "نجد أن الأشعري قد قال
بإثبات هذه الصفات التي ورد بها الخبر، دون تكييف لها، أو تأويل لمعناها، فقوله تعالى:
﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ²﴾، فأخبر أن له وجهًا لا يفنى ولا يلحقه الهلاك،
وقوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَفْتُ بِيَدَيَّ³﴾ فيه إثبات يدين ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين، لا
يوصفان إلا بأن يقال إنهما ليستا كالأيدي، وعلى هذا فالأشعري لا يؤول تلك الصفات⁴.

وللأمانة العلمية، فإن المتأخرين من الأشاعرة سلكوا مسلك المعتزلة في رؤيتهم للصفات
الخيرية، كالوجه والعين واليد، وفي هذا الصدد، يقول ابن تيمية رحمه الله: "لكن المتأخرين من
أتباعه أي أتباع أبي الحسن كأبي المعالي وغيره لا يثبتون إلا الصفات العقلية، وأما الخيرية
فمنهم من ينفيها، ومنهم من يتوقف فيها كالرازي والآمدي وغيرهما⁵".

1 ابن فورك، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة، م. س، ص: 60

2 سورة الرحمن: 25

3 سورة ص: 74

4 علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، م. س، ص: 280

5 ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، الجزء الأول، ص: 204

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وعليه، وجب التأكيد على أن آراء الإمام أبو الحسن الأشعري هي غير ما نُسب إليه لاحقاً،
لاسيما في باب الصفات، فالمشهور عنه أنه أثبت الصفات كما وردت بلا كيف ولا حد، وذلك
واضح من خلال كتبه الثلاثة "الإبانة" و"الرسالة إلى أهل الثغر" و"مقالات الإسلاميين"¹.
وبقي أن نتعرف على طبيعة رؤية مذهب الماتريدي للتوحيد، هذه المذهب الكلامي الذي
ظهر في بلاد ما وراء النهر.

ثالثاً: التوحيد عند المذهب الماتريدي

بناء على ما ورد في أدبيات المذهب الماتريدي، وبالاطلاع على ما سطره الإمام الماتريدي في
مصنفاته الكلامية، يمكن القول إن مفهوم التوحيد عند الماتريدي يرتكز على توظيف العقل
بتوجيه من الشرع، وقد يكون السبب في ذلك راجع إلى ما شهده عصر الإمام الماتريدي من
انحرافات عقدية، لا سيما من الفرق المشبهة التي كانت تشبه الخالق بالمخلوقين، ولذلك كان
الماتريدي ينزع نحو استخدام المنهج العقلي في الرد على المنحرفين في العقيدة.

وفي هذا الصدد يقول الإمام الماتريدي: "والأصل في حرف التوحيد أن ابتداءه تشبيه
وانتهاءه توحيد، دفعت ذلك الضرورة إذ بالمدرك المفهوم يستدل على ما قصرت الأفهام من
إدراك ما عن الأوهام؛ نحو ما يدرك ثواب الآخرة وعقابها بلذات الدنيا والأذيات التي فيها، وكذا
وصف الله تعالى بالمدرك من خلقه للدلالة والعبارة، فقليل عالم وقادرونحو ذلك"².

¹ عبد العزيز حليم، العقيدة الأشعرية في الصحراء المغربية من خلال العقائد الست والستين للشيخ ماء العينين، دراسة
وتحقيق، م. س، ص: 76

² الماتريدي، التوحيد، م. س، ص: 43

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
لأن العقول البشرية عاجزة عن إدراك الذات الإلهية وما تتصف به، وبما أنها عاجزة عن
ذلك، فهي تحاول أن تجمع بين ما هو مجرد وغير مدرك، وبين ما هو محسوس وسهل التناول
عقليًا، لتصل من خلال ذلك إلى مفاهيم تقرب من العقل الإنساني، وتخلع على الذات الإلهية
الصفات اللائقة بمقامها في غير تشبيه ولا تعطيل أيضًا¹.

والماتريدي -من خلال النص السابق- يريد أن يصل بنا إلى نتيجة، وهي أن "الإنسان
مضطرب إلى استخدام الصفات البشرية لينتهي من خلالها إلى إثبات الصفات الإلهية"².

ويقول الماتريدي بخصوص التوحيد: "والله واحد لا شبيه له، دائم قائم، لا ضد له ولا ند،
وهذا تأويل قوله (ليس كمثله شيء) ، وأصل ذلك أن كل ذي مثل واقع تحت العدد، فيكون
أقله اثنين، وكل ذي ضد تحت الفناء إذ يهلك ضده، فحاصل تأويل قوله (واحد) أي في العظمة
والكبرياء وفي القدرة والسلطان، وواحد بالتوحيد عن الأشباه والأضداد"³.

ويؤكد ذلك ما جاء في كتاب (بحر الكلام): "ومعنى الواحد الموجود الذي لا بعض ولا
انقسام لذاته، فإن الله تعالى واحد لا من جهة العدد، يدل عليه أنه لو لم يكن واحدًا إلا من
جهة العدد لكان أبعاضًا، فامتنع أن يكون إلهًا واحدًا من جهة العدد؛ لأنه يحصل (التعطيل)

¹ بلقاسم الغالي، أبو منصور الماتريدي، حياته وآراؤه العقيدة، م. س، ص: 138

² المرجع نفسه والصفحة نفسها.

³ الماتريدي، التوحيد، م. س، ص: 23

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
والإحداث والتخليق والاختراع لكل جزء منه، فيؤدي إلى أن يكون كل جزء خالقًا قادرًا وهذا
محال¹.

ولعل هذا التعريف يشبه إلى حد ما تعريف الأشاعرة للتوحيد، إذ أن الأشاعرة يعرفون
الواحد بأنه الذي لا يقبل الانقسام.

والإمام أبو حنيفة الذي يعتبر قدوة للماتريدية في مجال العقيدة، يقرر وحدانية الله تعالى،
"فلقد ذكر في الفقه الأكبر بأن الله واحد أي منزّه الذات عن المشاركة، وهو واحد لا عن طريق
العدد، لأن الوحدة عن طريق العدد غير مختص به تعالى، ولكنه واحد من طريق أنه لا شريك
له في حقيقة الألوهية وخواصها، ويعتمد أبو حنيفة في إثبات الوحدة على سور الإخلاص
الجامعة لأصول التنزيه عن تنزيهه تعالى عن الكثرة والتعدد المفاد بقوله: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"
وعن النقص والقلّة المفاد بقوله: ﴿لِلَّهِ الصَّمَدُ﴾ وعن العلة المادية والمعلومية بقوله ﴿لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وعن الشبيه والنظير في الحقيقة المفاد بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ﴾^{2,3}.

¹ ميمون بن محمد النسفي، بحر الكلام، دراسة وتعليق: ولي الدين محمد صالح الفرفور، مكتبة دار الفرفور، دمشق،

ط2: 1421 هـ - 2000 م، ص: 96

² سورة الإخلاص: 4

³ يُنظر: علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، م. س، ص: 343

الاستدلال على وحدانية الله تعالى عند الماتريدية:

سلك الماتريدية في الاستدلال على وحدانية الله تعالى مسلك المتكلمين، فاعتمدوا دليل التمانع، يقول الإمام أبو البركات النسفي: "إن فرض إلهين قادرين متمثلين في صفات الألوهية، يؤدي إلى اجتماع الضدين، أو عجز القادرين المتمثلين، أو عجز أحدهما، والكل محال، وما يؤدي إلى المحال فهو محال، وهذا لأننا إن فرضنا إلهين قادرين على جميع المقدورات، فإن أراد أحدهما أن يخلق في شخص حياة، والآخر أراد أن يخلق فيه موتًا، فإن حصل مرادهما لزم الجمع بين الضدين، وإن تعطلت إرادتهما، ولم يحصل في المحل لا هذا ولا ذاك، ثبت عجز كل واحد منهما لتعطل إرادته، وامتناع ما يريد إثباته بمنع صاحبه إياه، إذ لولا إرادة صاحبه ضد مراده لحصل مراده ونفذت مشيئته، وإن نفذت إرادة أحدهما دون الآخر، كان الذي تعطلت إرادته عاجزًا، والعاجز مستحيل أن يكون إلهًا؛ لأن العجز من أمارات الحدوث"¹.

وبالتالي فإن الماتريدية لم يخرجوا عن الإطار الكلامي في الاستدلال على وحدانية الله سبحانه، حيث اعتمدوا الدليل المتفق عليه بين المتكلمين وهو دليل التمانع.

لكن بالمقابل، هل حافظ المذهب الماتريدي على منهجه العقدي في مقارنة موضوع الصفات الإلهية؟ أم أنه تأثر بمنهج أخرى؟

¹ أبو البركات النسفي، شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة، م. س، ص: 142

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

موقف المذهب الماتريدي من الصفات الإلهية:

خلافًا للمعتزلة، أثبت الماتريدية الصفات الإلهية¹ والماتريدية يتفقون مع ابن كلاب ومع الأشعرية في القول إن الله تعالى موصوف بصفات الكمال²، ولذلك نجد الإمام الماتريدي يجمع صفات الله تعالى في قوله: "والمحدث للعالم هو الله الواحد القديم الحي القادر العليم السميع البصير الشافي المريد ليس بعرض ولا جسم ولا جوهر ولا مصور ولا محدود ولا معدود ولا يتمكن في مكان ولا يجري عليه زمان ولا يشبهه شيء ولا يخرج عن علمه وقدرته شيء وله صفات أزلية قائمة بذاته، وهي لا هو ولا غيره وهي العلم والقدرة والحياة والقوة والسمع والبصر والإرادة والمشيئة وهو متكلم للكلام هو صفة أزلية"³.

فهو يثبت لله تعالى صفات الوجدانية والقدم والحياة والقدرة والعلم والسمع والبصر والإرادة والسمع والبصر والكلام، وغير ذلك من صفات الكمال.

ومن هنا، نجد أن الماتريدي يقسم الصفات الإلهية إلى قسمين: الصفات الذاتية والصفات الفعلية، وهو تقسيم مشهور عند المتكلمين.

أقسام الصفات الإلهية عند الماتريدية:

يقسم الماتريدية صفات الله تعالى إلى قسمين: صفات الذات وصفات الفعل:

¹ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، م. س، ص: 173

² محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، علم الكلام ومدارسه مع تحليل لأهم قضايا الفلسفة، م. س، ص: 141

³ محمد خليل الزين، تاريخ الفرق الإسلامية، م. س، ص: 200

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أما صفات الذات فهي الحياة والقدرة والسمع والبصر والعلم والكلام والمشئنة والإرادة.
وأما صفات الفعل، فهي التخليق¹ والترزيق² والإفضال والإنعام والإحسان والرحمة والمغفرة³.

وأعرض فيما يلي أقوال الماتريدية حول بعض صفات الله تعالى:

1-صفة القدم:

يقولون: "صانع العالم قديم، إذ لو لم يكن قديمًا لكان حادثًا، لعدم الوساطة بين القديم والحادث، إذ القديم ما لا ابتداء لوجوده، والحادث ما لوجوده ابتداء، ولا واسطة بين السلب والإيجاب، ولو كان حادثًا لافتقر إلى مُحْدِث، لكونه جائز الوجود والعدم، وكذا الثاني والثالث فيؤدي إلى التسلسل"⁴.

2-صفة الكلام:

يقولون: "صانع العالم متكلم بكلام واحد أزلي، وهو صفة قائمة بذاته ليس من جنس الحروف والأصوات، غير متجزئ، مناف للسكوت، والآفة من الطفولية والخرس، وهو به أمرناه مُخْبِر ولا يُبْعَد؛ لأن مرجع بيان الجميع إلى الإخبار"⁵.

والماتريدية كغيرهم من أهل السنة والجماعة لا يقولون بخلق القرآن، وقد أشار إلى ذلك صاحب كتاب (تبصرة الأدلة في أصول الدين) ، مستندًا في إبطال الأقسام الثلاثة المتعلقة

¹ من الخلق، ويُعبر عنها الماتريدية بالتكوين.

² من الرزق، أي توزيع الأرزاق.

³ ميمون بن محمد النسفي، بحر الكلام، م. س، ص: 90

⁴ أبو البركات النسفي، شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة، م. س، ص: 148

⁵ المرجع نفسه، ص: 183

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
بكلام الله تعالى التي وضعها كفرضيات وهي: (إما أن يكون حادثاً في ذات الله تعالى، وإما أن
يكون حادثاً في محل آخر سوى ذاته تعالى، وإما أن يكون حادثاً لا في محل) ، واعتبر أن هذه
الأقسام كلها ممتنعة¹.

وموقف الماتريدية من كلام الله يشوبه نوع من الغموض، حيث نجد الماتريدي يصرح "أن
كلام الله هو المعنى القائم بذاته، سبحانه وتعالى، وهو بهذا صفة من صفاته متصلة بذاته،
قديمة بقدم الذات العلية، غير مؤلف من حروف ولا كلمات، لأن الحروف والكلمات محدثة لا
تقوم بالقديم الواجب الوجود، لأن الحادث عرض، والعرض لا يقوم بذاته سبحانه وتعالى،
وعلى ذلك تكون الحروف والعبارات الدالة على هذا المعنى حادثاً، والنتيجة لهذا أن القرآن
الكريم الذي هو حروف وألفاظ وعبارات دالة على المعنى القديم يكون حادثاً²."

وهذا الرأي يتلاقى فيها الماتريدية مع المعتزلة، ذلك أن قول الماتريدي بحدوث حروف
وكلمات القرآن الكريم يعادل قول المعتزلة بخلق القرآن.

3-صفة الإرادة:

وقيل: صفة ينتفي عن قامت به الجبر والاضطرار، ففائدتها على هذا الحد كون
الموصوف بها مختاراً فيما فعله غير مضطر إليه³.

¹ أبو المعين ميمون النسفي، تبصرة الأدلة في أصول الدين، تحقيق وتعليق: محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة
الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1: 2011م، ج1، ص ص: 442 – 443

² محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، م. س، ص: 174

³ شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة، م. س، ص: 204

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
يقول أبو البركات النسفي عن رؤية الماتريديّة لهذه الصفة: "وعندنا هو مريد بإرادة قديمة
قائمة بذاته، وهي صفة توجب تخصيص المفعولات بوجه دون وجه، ووقت دون وقت، إذ لولا
الإرادة لوقعت المفعولات كلها في وقت واحد على صفة واحدة خصوصاً عند تجانس المفعولات،
ولما كان وقت لوجوده أولى من وقت ولا كمية ولا كيفية أولى مما سواهما، فإذا أُخرجت على
الترتيب والتوالي على حسب ما تقتضيه الحكمة البالغة كان ذلك دليلاً على اتصاف الفاعل
بالإرادة"¹.

علاقة الصفات بالذات عند الماتريديّة:

لم يشر الماتريدي إلى هذه المسألة في كتابيه الوحيدين المطبوعين "التوحيد" و"تأويلات أهل
السنة"، غير أن الماتريديّة يعدّون الوجود ليس أمراً زائداً على ذات واجب الوجود² وهو ما ذهب
إليه الإمام الأشعري نقلاً عن أحد تلاميذه وهو البغدادي في قوله: "إن الوجود ليس زائداً على
الماهية"³.

فالماتريديّة يرون أن الصفات الإلهية ليست خارجة عن الذات، أي أنهم يقولون باتحاد
الذات مع الصفات، وفي هذا الصدد يقول صاحب (العمدة في شرح عقيدة أهل السنة
والجماعة): "الصفات ليست بأغيار الذات؛ لأن حد الغيرين موجود لن يتصور وجود أحدهما
مع عدم الآخر، ولم يوجد، فلم يوجد للمغايرة ضرورة"⁴.

¹ أبو البركات النسفي، شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 206

² أبو منصور الماتريدي: حياته وآراؤه العقديّة، م. س، ص: 151

³ البغدادي، أصول الدين، م. س، ص: 88

⁴ شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة، م. س، ص: 180

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وما دام الحديث عن الصفات الإلهية، فلا بد من الإشارة إلى أن الماتريديّة اعتمدوا
التقسيم نفسه الذي سار عليه الأشاعرة، أي توزيع الصفات على الأقسام الثلاثة، ونقص
بذلك؛ الصفات السلبية، والصفات المعنوية، وصفات المعاني.

الصفات الخبرية عند الماتريديّة:

ما ذكره أبو منصور في كتابه "التوحيد" يعرب بوضوح عن كون منهجه هو التنزيه ظاهراً
وباطناً، فهو بعدما نقل الآراء المختلفة صار بصدد تفسير الآية: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"¹
فقال: إنّ الله سبحانه كان ولا مكان، وجائز ارتفاع الأمكنة، وبقاؤه على ما كان، فهو على ما كان،
وكان على ما عليه الآن. جلّ عن التغيّر والزوال، والاستحالة والبطلان، إذ ذلك أمارات الحدث
التي بها عرف حدث العالم².

والأمر نفسه ينطبق على الصفات الخبرية الأخرى كالوجه واليد والقدم والمحيي والنزول،
فالماتريديّة نهجوا منهج السلف في تفويض المراد بهذه الصفات إلى الله تعالى، ولم يؤوّلوها كما
فعل المعتزلة وبعض المتأخرين من الأشاعرة.

واليد من صفاته الأزلية بلا كيف ولا تشبيه كالسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والحياة،
والإرادة، والكلام³ ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالمحيي والذهاب؛ لأن المحيي والذهاب من
صفات المخلوقين وأمارات المحدثين، وهما صفتان منفيتان عن الله تعالى¹.

¹ سورة طه : 4

² الماتريدي، التوحيد، م. س، ص: 20

³ بحر الكلام، م. س، ص: 105

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
يقول ابن الهمام-وهو أحد كبار علماء المذهب الماتريدي- في بيان موقفهم من الصفات
الخبرية المتعلقة بالجسمية:"كل ما ورد مما ظاهره الجسمية في الشاهد كالإصبع والقدم، واليد.
وغيره، صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به، وهو سبحانه أعلم به، وقد تؤول
اليد والإصبع بالقدرة والقهر، ولا يجزم بإرادته خصوصاً على قول أصحابنا، أنها من
المتشابهات، وحكم المتشابه، انقطاع رجاء معرفة المراد منه في هذه الدار"².

وهكذا يظهر الماتريدي، رافضاً للتأويل، أخذاً بما ورد في القرآن، نافياً الشبه عن الله
بالخلق، غير قائل بتفسير على وجه القطع³ إلا أن بعض الدارسين رأوا أن الماتريديّة اختلفوا
بعد وفاة الماتريدي، "فمنهم من رجح التأويل، ومنهم من رجح التفويض، ومنهم من أجاز الأمرين،
ومنهم من رأى التأويل عند الحاجة"⁴.

خلاصة:

أخلص إلى القول بأن المذاهب العقيدة الإسلامية حرصت على الحفاظ على جوهر
العقيدة الإسلامية، والتصدي للتيارات المنحرفة في الاعتقاد، واتضح ذلك، من خلال جهود كبار
علماء ومؤسسي هذه المذاهب، وما بذلوه في سبيل الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة،
بغض النظر عن اختلافهم في بعض المسائل التي لم يكن لها تأثير كبير على التصور العقدي
العام.

1 المرجع نفسه، ص: 110

2 الكمال بن أبي شريف الهمام، المسامرة شرح المسامرة، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى: 1347هـ،
ص ص: 33 - 35

3 أبو منصور الماتريدي: حياته وآراؤه العقيدة، م. س، ص: 179

4 أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي، الماتريديّة دراسة وتقويماً، م. س، ص: 281

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ومن هذا المنطلق، يتضح بأن التصور الإسلامي عن وجود الله تعالى ووحدانيته له آثاره
على باقي القضايا الإيمانية؛ ومن ذلك قضية خلق الكون، فما هي نظرة المذاهب العقيدة
الإسلامية لقضية خلق الكون ونشأته وتطوره

الفرع الثاني: خلق الكون ومراحل نشأته وتطوره

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون بما فيه من مكونات (سماوات، أراض، ماء، هواء،
جمادات، نباتات، حيوانات، . . إلخ) ، وأوجد سبحانه كل مقومات الحياة على ظهره، وسخر
ذلك لخدمة الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ
لَكُمْ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ¹﴾.

إن الكون ليس مخلوقاً من ذاته أو موجوداً بذاته، فالله يوجد الأشياء بقوله "كن" كخلق
أول ثم يعيد خلقها بتأثير قوانينه في ذوات هذه الأشياء²، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ³﴾ ولذلك فإن خالق الكون بكل ما فيه
هو الله عز وجل، وهو المتصرف فيه بحكمته.

¹ سورة إبراهيم: 34 - 35

² سيد وقار أحمد حسيني، القرآن الكريم والعلوم الفلكية واستكشاف الأرض من الفضاء، فصلت للدراسات والترجمة
والنشر، حلب، ط2: 1994م، ص: 43

³ سورة الروم: 26

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وتشير كثير من الأبحاث العلمية إلى أن الكون نشأ نتيجة ما يسمى بالانفجار الكبير The big bang، وهذه النظرية التي يعتقدها علماء هذا العصر نجد أن القرآن الكريم قد تحدث عنها في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْفًا فَفَتَفَنَّهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ¹﴾.

جاء في تفسير الطبري: "أو لم ينظر هؤلاء الذين كفروا بالله بأبصار قلوبهم، فيروا بها، ويعلموا أَنَّ السماوات والأرض كانتا رَتْفًا: يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين، وقوله: (ففتقناهما)، يقول: فصعدناهما وفرجناهما"².

ويرى أحد العلماء المسلمين المتخصصين في هذا المجال أن الكون تَشَكَّلَ في بداية الأمر بِجُرم واحد (مرحلة الرتق) ثم انفجر ذلك الجُرم الأولي (مرحلة الفتق) ³ ثم أخذ الكون يتوسع منذ تلك اللحظة⁴ وهذا ما تؤكد الآية الكريمة: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ⁵﴾.

غير أن هناك حقيقة كونية سابقة على ذلك، تحدث عنها الله تعالى في كتابه المجيد "فقد بيّن القرآن الكريم في سورة "فصلت" أَنَّ الكون (السما) كانت دخانًا قبل أن تتحد لتكوّن

¹ سورة الأنبياء: 30

² محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج5، م. س، ص: 249

³ زغلول النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ص: 288 – 289

⁴ سيد وقار أحمد حسيني، القرآن الكريم والعلوم الفلكية واستكشاف الأرض من الفضاء، م. س، ص: 46

⁵ سورة الذاريات: 47

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

الأجرام السماوية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ¹﴾، وهذا ما يُثبت العلم الحديث، وهو ما يسمى الغيوم أو السديم أو الغبار، وهو منتشر في الفضاء، وكان مصدر إزعاج لرواد الفضاء لمنعه لهم من رؤية الأشياء بوضوح² عُرِفَت هذه الحقيقة قبل عشر سنوات، حينما عرف الإنسان الغلاف الجوي واقتحمه، وألغى تناثر الضوء، ودخل في ظلام دامس، عرف كيف أنَّ الفضاء الخارجي مُظلم ظلامًا داكنًا، ولا يُرى في الفضاء إلا كوكب متألّق من دون أن ينثر الضوء قال تعالى³: ﴿وَلَوْ بَتَخْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ⁴﴾.

وثمة مسألة بالغة الأهمية صرّح بها القرآن الكريم ألا وهي توقف الحياة في هذا الكون على وجود الماء، وأنَّ الماء هو أصل كل شيء، وهذا ما تنص عليه الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَا مِزَاجَ كُلِّ شَيْءٍ مَّاءً⁵﴾.

¹ سورة فصلت: 10

² صالح عبد الرحمن العليان، ماهية الإيمان بالله من النجوم إلى الجينوم، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1: 2016م، ص: 69

³ محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الآفاق، دار المكتبي، دمشق، ط2: 1426هـ - 2005م، ص: 52

⁴ سورة الحجر: 14 - 15

⁵ سورة الأنبياء: 30

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

المسألة الأولى: وكان عرشه على الماء

قبل أن يخلق الله سبحانه السماوات والأرض وباقي المخلوقات الكونية، كان عرشه على الماء، وهذا ما تنص عليه الآية الكريمة: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ¹﴾.

وقد وردت في شأن هذه الآية عدة تفاسير، منها:

-تفسير وهبة الزحيلي الذي يقول فيه: "أي كان العرش وهو أعظم المخلوقات فوق الماء، وكان موجودا قبل أن يخلق الله شيئا²".

-تفسير الموسوعة القرآنية الميسرة: "أي كان عرشه قبل خلق السماوات والأرض على الماء، والعرش مخلوق عظيم يليق به تعالى لا تُعرف حقيقته، نؤمن به من غير تشبيه كما ورد³".

-تفسير الطبري: "وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض وما فيهن⁴".

-تأويلات أهل السنة: "إن كان العرش اسم الملك والسلطان على ما قال بعض أهل التأويل، فتأويله، والله أعلم، كان أَظْهَرَ مُلْكِهِ عن الماء (وعلى) بمعنى عن، وذلك جائز في اللغة، لأنه بالماء ظهور كل شيء، وبدؤه كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِزَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ⁵﴾".

¹ سورة هود: 7

² وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، المجلد 2، ص: 1024

³ الموسوعة القرآنية الميسرة، تأليف: وهبة الزحيلي وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط1: 1423 هـ- 2002 م، ص: 222

⁴ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج4، م. س، ص: 258

⁵ سورة الأنبياء: 30

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وقد وردت بعض الأحاديث النبوية التي تضمنت أخبار الخلق ونشأة الكون، من ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل
شيء، وخلق السماوات والأرض"²، وقوله صلى الله عليه وسلم: "لما فرغ الله من خلقه استوى
على عرشه"³.

ونقل ابن حجر عن أبي العلاء الهمداني أَنَّ للعلماء قولين في أيهما خُلِقَ أولاً؛ العرش أو
القلم، قال: والأكثر على سبق خلق العرش، واختار ابن جرير ومن تبعه الثاني⁴.

فهذه النصوص الشرعية وما أجمع عليه علماء المسلمين تؤكد حقيقة أن الله تعالى هو
خالق كل شيء، وأن العرش الإلهي هو أول ما خُلِقَ، وأنه كان موجوداً قبل أن يخلق الله تعالى
السماوات والأرض وبقية المخلوقات، وأن عرشه سبحانه كان على الماء.

المسألة الثانية: خلق السماوات والأرض

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالذِّمَّةِ خَلَقَ الْآرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ
أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَفْوَاقَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ثُمَّ إِنْسَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْآرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً

¹ أبو منصور الماتريدي، تفسير القرآن العظيم المسمى تأويلات أهل السنة، تحقيق: فاطمة يوسف الخمي، مؤسسة
الرسالة ناشرون، بيروت، ط1: 1425هـ - 2004م، مج 2، ص: 510

² صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: "وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه"،
رقم الحديث: 3191.

³ رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري.

⁴ ابن حجر، فتح الباري، ج6، ص: 289

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أَوْ كَرَهَا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ بَفَضِيلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْجَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَرَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ¹.

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة يقول: إنه خلق الأرض في يومين وقدر فيها
أقواتها في أربعة أيام، ثم قضى سبع سماوات في يومين، فيصبح المجموع ظاهرياً (8) ثمانية
أيام، والله سبحانه وتعالى يقول في كثير من الآيات القرآنية إنه (خلق السماوات والأرض في ستة
أيام)².

عندما تحدثت آيات القرآن عن نشأة الكون ذكرت أن الله خلق السماوات والأرض في ستة
أيام، وكان حديثها مجملاً بدون تفصيل، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ³﴾ ولا يراد بالأيام الستة المذكورة في
القرآن أيام الأسبوع الستة⁴ بل إن مفهوم "اليوم" في القرآن الكريم يختلف حسب سياق الآية.
فتقدير مدة خلق السماوات والأرض حسب التصور الإسلامي وقع حوله اختلاف،
وانقسمت حوله الآراء إلى قسمين:

الرأي الأول: أن أيام الخلق كأيام الدنيا (قول مروي عن الحسن البصري)⁵.

1 سورة فصلت: 8 - 11

2 الموسوعة الكونية الكبرى، ج 3 - 4، ص: 109

3 سورة الأعراف: 53

4 سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم، ص: 26 - 27

5 يُنظر: تفسير القرطبي، ج14، ص: 86 وتفسير ابن عطية، ج3، ص: 104

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

الرأي الثاني: مقدار اليوم من أيام خلق السماوات والأرض بألف سنة من أيامنا، قال ابن عباس رضي الله عنه: "خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام، فكل يوم من هذه الأيام كألف سنة مما تعدُّون أنتم (قول زيد بن أرقم والضحاك ومجاهد وكعب واختاره الطبري) ¹"، ودليل قول هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ²﴾.

ولعل الرأي الثاني هو الأقرب إلى الصواب، وذلك لأن مفهوم اليوم في اللفظ القرآني يختلف تماما عن اليوم الدنيوي في إدراكنا المجرد.

ويصنف التصور الإسلامي عملية خلق السماوات والأرض في خانة أعظم المخلوقات الإلهية، بل ويرى أنها أكبر من خلق البشر أنفسهم، وهذا ما تنص عليه الآية الكريمة: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ³﴾.

وليس غريباً أن يرشدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى التفكير في خلق السماوات والأرض، "والتفكر في خلق السماوات والأرض نوع من العبادات، بل هو من أرقى العبادات⁴ ففي صحيح ابن حبان عن عطاء أن عائشة رضي الله عنها قالت: (أتاني النبي صلى الله عليه وسلم في ليلتي، وقال: ذريني أتعبد ربي عز وجل، فقام إلى القربة، فتوضأ، ثم قام يصلي، فبكى حتى بلَّ لحيته، ثم سجد حتى بلَّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه، حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله ما يبكيك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما

¹ يُنظر: تاريخ الطبري، ج1، ص: 35 - 43 - 44 والدر المنثور، ج3، ص: 472

² سورة الحج: 45

³ سورة غافر: 56

⁴ محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الأفاق، م. س، ص: 14

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
تأخر؟ فقال: ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى في هذه الليلة: ﴿لَخَلْقُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹ 2.

وإن اعتقاد المذاهب الإسلامية في خلق السماوات والأرض يقوم على أساس القرآن
والسنة، ومن قولهم: "إن السماوات السبع طباق بعضهن فوق بعض مسطحات³، قال الله
تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾⁴، وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾⁵، وقال: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ)⁶ 7.

وترى معظم الاتجاهات الإسلامية بأن شكل السماوات مستدير، ويستدلون في قولهم بما
ورد في القرآن الكريم، ومن ذلك "قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁸ دليل على استدارة

1 سورة آل عمران: 190

2 صحيح ابن حبان (دون رقم) .

3 يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن السماوات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكى إجماع المسلمين على ذلك غير
واحد من العلماء (مجموع الفتاوى 586/6) .

4 سورة نوح: 15

5 سورة الطلاق : 12

6 سورة المؤمنون: 17

7 الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقاد وأصول الديانات، م. س، ص: 212

8 سورة يس: 39

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
السماوات واحتوائها للأرض ما يحيط بها من الكواكب، لأن (الفلك) يعني الاستدارة في كلام
العرب¹، قال الخليل: الفلك؛ دوران السماء، وهو اسم للدوران خاصة².

ويقول صاحب كتاب (عقيدة التوحيد الكبرى) ما نصه: "عُلِمَ من صريح النصوص أنَّ
السماوات محيطة بعالم الكواكب التي من بينها الأرض والشمس والقمر والنجوم، فقد أخبر عز
وجل بأن الليل والنهار والشمس والقمر تسبح في الفلك الذي يحيط بها وهو السماوات، وعلمنا
ضرورة وحسًا بأن هذه المخلوقات تدور حول الأرض فاقتضى ذلك بأن الأرض مُحاطة
بالسما³."

أولاً: خلق السماء

جاءت لفظة "السماء" بالإفراد والجمع في ثلاثمائة وعشرة (310) مواضع من القرآن
الكريم منها مائة وعشرون (120) موضعًا جاءت الإشارة فيها إلى "السماء" بصيغة الإفراد، ومائة
وتسعون (190) موضعًا جاءت بصيغة الجمع "السماوات أو سماوات" (معرفة وغير معرفة) ،
وصيغ الجمع تشير في غالبيتها إلى السماوات السبع⁴.

¹ محمد المكي بن عزوز البرجي المالكي، عقيدة التوحيد الكبرى، تحقيق وتعليق: محمد رشيد علي بوغزالة السوفي
الجزائري، ص: 123

² الخليل الفراهيدي، العين، ج5، م. س، ص: 374

³ محمد المكي بن عزوز البرجي المالكي، عقيدة التوحيد الكبرى، م. س، ص: 121

⁴ زغلول النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، م. س، ص: 279

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

في القرآن الكريم هي سماء ولكن الله سبحانه وتعالى سواها سبع سماوات¹ يقول تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ بِسَوِيٍّ لَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ²﴾، وكذلك في كثير من الآيات القرآنية عندما يتحدث الله سبحانه وتعالى عن خلق السماوات أنها سبع سماوات³، كما أن الأدعية التي تضمنتها بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تشير إلى وجود سبع سماوات، "فعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يرى قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: "اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أظللن، ورب الرياح وما ذرين، ورب الشياطين وما أضللن، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها"⁴.

وبناء على ما ورد ذكره في النصوص المشار إليه سابقًا، يمكن القول إن عدد السماوات هو سبعة.

وتسمى السماء الأولى بالسماء الدنيا، وهذا ما ورد في الحديث النبوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"⁵.

1 الموسوعة الكونية الكبرى، ج 3 - 4، ص: 265

2 سورة البقرة: 28

3 الموسوعة الكونية الكبرى، ج 3 - 4، م. س، ص: 265

4 رواه ابن حبان "2709" والطبراني في الكبير "7299"، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب "179".

5 صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم الحديث: 1145

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وتوجد بين السماء الدنيا والسماء التي تليها مسافة لا يستطيع الإنسان العادي أن يحدها،
وهي المسافة نفسها التي توجد بين كل سماء وأخرى، ولهذا جاء في الحديث الشريف: "بين
السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام"¹ ودلّ حديث
المعراج المشهور على أنّ بين السماوات مسافات، الله عز وجل أعلم بمقدارها².

ومن الحقائق العلمية التي أشارت إليها الآيات القرآنية "أنّ السماء بناء مُحكم وليست
فراغًا كما درج الناس على الاعتقاد بذلك"³، كما أنها مركزًا تعود إليه بقية الأجرام والكواكب،
مصدقًا لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾⁴، فالقمري سير في مدار حول الأرض، يذهب،
ثم يرجع إلى مكانه الأول، والشمس تجري لمستقر لها في مدار حول نجم آخر، وتعود إلى مكانها
السابق، والمذنبات أيضًا⁵، ومن هذه الحقائق أيضًا "تأكيد أنّ السماوات مرفوعة بقدرة الله
تعالى بغير عمد مرئية، وقد يكون في ذلك إشارة إلى قوى الجاذبية الحاكمة للأجرام المرئية في
السماء الدنيا كما يتصورها علماء الفلك والفيزياء الفلكية"⁶ وقد وردت هذه الحقيقة في قوله
تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾⁷.

¹ رواه البيهقي في كتاب شعب الإيمان.

² عقيدة التوحيد الكبرى، م. س، ص: 120

³ زغلول النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ص: 283

⁴ سورة الطارق : 11

⁵ محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الآفاق، م. س، ص: 43

⁶ زغلول النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ص: 285

⁷ سورة الرعد: 2

ثانياً: خلق الأرض

جاءت لفظة (الأرض) معرفة ومنكرة، مفردة ومضافة في أربعمئة واثنين وستين (462) موضعاً من كتاب الله لتشير إلى الكواكب في مقابلة السماء أو في مقابلة غيره من أجرامها أو لتشير إلى اليابسة التي نحيا عليها كلها، أو إلى جزء منها أو لتشير إلى قطاع التربة الذي يغطي صخور الغلاف الصخري للأرض¹.

ولم ترد في القرآن الكريم صيغة الجمع للفظ (الأرض) ما عدا تلميح لهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾²، وقال كثير من العلماء والمفسرين إن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ أي سبع طبقات أرضية³ في حين نجد هذه الصيغة واضحة في كتب السنة، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: "من ظلم قيد شبر طوّقه من سبع أرضين"⁴، فضلاً على أن هذا الحديث يتضمن عدد الأرضين الذي هو سبعة، مثله مثل عدد السماوات.

فالأرض هي إحدى الكواكب التي لا تُعد ولا تُحصى، هيأها الله سبحانه وتعالى لنا وجعلها قراراً وسكناً، فأصبحت هي الكوكب الذي نلمسه بأيدينا ونراه بأعيننا، فهو الوحيد الذي من

¹ مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، م. س، ص: 288

² سورة الطارق: 12

³ الموسوعة الكونية الكبرى، ج 3 - 4، ص: 85

⁴ صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، رقم الحديث: 3195

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الممكن أن نعرف عنه الكثير، لأننا نعيش عليه، ونلمس معجزات الله سبحانه وتعالى فيه، من
جبال ووديان وصحراء وبحار وأنهار¹.

والأرض في اعتقاد المسلمين شكلها كروي، غير أن هناك آراء تعتبرها "كرة ومسطحة،
فالأرض جُرمٌ كبير، لا ينافي تسطحها كرويتها لتباعد أكناف بعضها من بعض²"، والدلائل على
كروية الأرض من النقل والعقل واكتشافات العلم الحديث كلها تصبُّ في مصبِّ اليقين، وقد
قطع بكرويتها السلف والخلف من أئمة الإسلام، وحكى الكثير منهم الإجماع على ذلك³.

وتسطيح الأرض – كما ثبت في القرآن- لا ينافي القول بكرويتها، فقوله عز وجل: ﴿وَإِلَى
الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾⁴، وكذا قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَرَشْنَهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾⁵، وقوله عز
وجل: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْفَيْنَا بِهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾⁶،
فالتسطيح والفرش والمدُّ لا ينافي التكوير لعظم حجمها وتباعد أكنافها، إذ لو لم تكن الأرض
كروية لَعُرِفَ ذلك في حَوَاف التربع أو التثليث، ولم نجد لذلك أصلاً لا من العقل ولا من النقل
ولا من اكتشافات العلم الحديث، بل كلُّ الأصول على خلافه⁷.

¹ الموسوعة الكونية الكبرى، ج 3 – 4، م. س، ص: 72

² عقيدة التوحيد الكبرى، م. س، ص: 128

³ المرجع نفسه، ص: 128

⁴ سورة الغاشية : 20

⁵ سورة الذاريات: 48

⁶ سورة الحجر: 19

⁷ عقيدة التوحيد الكبرى، م. س، ص ص: 128 – 129

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

بيد أن هناك من العلماء من استند إلى ما ورد في القرآن الكريم من إشارات علمية، تثبت كروية الأرض، "في القرآن الكريم إشارات تلفت النظر، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ¹﴾، قد يسأل سائل: لم قال: "من كل فج عميق" ولم يقل: "من كل فج بعيد"؟ قال العلماء: إن في استعمال هذه الكلمة "عميق" مكان كلمة "بعيد" إشارة إلى كروية الأرض، فالخطوط على سطح الأرض ليست مستقيمة، ولكنها منحنية، والخط المنحني يحتاج إلى بُعد ثالث، يحتاج إلى سطح، وإلى عمق، لذلك أشار ربنا سبحانه وتعالى في هذه الآية إلى أن هذه الأرض التي نحن عليها هي أرض كروية الشكل²."

ثالثاً: خلق الأرض قبل السماء

الحكمة من خلق الأرض قبل السماء أنها كالأساس للبناء كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَرَّكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ³﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا

¹ سورة الحج: 25

² موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الأفاق، م. س، ص: 121

³ سورة غافر: 64

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا¹، كما أَنَّ السَّقْفَ لَا بَدَ لَهُ مِنْ بِنَاءٍ يَرْتَكِزُ عَلَيْهِ،
قال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْحًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ²﴾³.

كما أَنَّ الله تعالى ذكر لفظ "السموات" قبل لفظ "الأرض" في كثير من الآيات القرآنية، منها
قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي
الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ⁴﴾، وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ⁵﴾ وقوله
سبحانه: ﴿وَآنْتُمْ أَشَدُّ خَلْفًا أَمْ السَّمَاءُ بَنِيهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ
ضَحِيَّهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحِيَّهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعِيَّهَا⁶﴾.

¹ سورة النبأ: 6 - 12

² سورة الأنبياء: 32

³ ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص: 15 - 16

⁴ سورة البقرة: 163

⁵ سورة الأنعام: 1

⁶ سورة النازعات: 27 - 31

رابعاً: خلق الجبال

يقول ربنا سبحانه في القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتاً¹﴾ ويقول عز وجل: ﴿أَقْلَافًا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِفَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُوِفَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ²﴾ ويقول أيضاً: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا³﴾.

الجبل وتد، ثلثاه مغروس في الأرض عبر طبقاتها المتعددة، وفي أثناء الدوران لا تُزاح الطبقات المتباينة بعضها عن بعض بسبب أن وتدًا، وهو الجبل يربطها جميعًا، ومعنى آخر للآية السابقة، أن هذا الجبل الذي تراه عينك إنما ترى منه الثلث الظاهر، وله ثلثان تحت الأرض، فكل جبل ثلثه فوق الأرض، وثلثاه تحتها⁴ فالجبال هي أوتاد للأرض حسب التعبير القرآني البليغ، وهذا الأمر "يدركه الإنسان من الناحية الشكلية بنظره المجرد، فهي أشبه شيء بأوتاد الخيمة التي تشد إليها، أما حقيقتها فنلتقاها من القرآن، وندرك منه أنها تُثَبِّتُ الأرض وتحفظ توازنها⁵".

والجبال أنواع مختلفة ذكرها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ⁶﴾، قال أبو عبيدة رضي الله عنه: الغريب الشديد

¹ سورة المرسلات: 27

² سورة الغاشية: 17 - 19

³ سورة النبأ: 6 - 7

⁴ محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الأفق، م. س، ص: 141

⁵ زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم، م. س، ص: 205

⁶ سورة فاطر: 27

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
السود؛ ففي الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: ومن الجبال سود غرايبب والعرب تقول للشديد
السود الذي لونه كلون الغراب: أسود غريبب، والمتدبر للمعاني اللطيفة في الآية الشريفة يرى
توازن الألوان في نعوت أنواع الجبال المختلفة، ودقة تدرجها فتبدأ بالبيض وتنتهي بالسود،
ويتوسط هذه وتلك حُمر متدرجة الألوان¹.

كما أن هذه الجبال بالرغم من ضخامتها وشموخها، فإنها ستزول وتفنى بقدره الله تعالى
القائل: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾² أي تراها كأنها ثابتة باقية
على ما كانت عليه، وهي تمر مر السحاب أي تزول عن أماكنها³ وهناك حقيقة علمية وهي دوران
الأرض حول نفسها، وهذا ما تحدث عنه القرآن الكريم، ونكتشفه بشكل واضح من خلال الآية
الكريمة السابقة ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ الآية، بحيث "تدور الأرض بمن عليها من
مخلوقات بنفس السرعة، لذلك نحسب أي نظن خطأ أن الجبال ثابتة، بينما هي في الحقيقة
متحركة تحرك السحاب، ولتقريب الصورة من ذهن القارئ يكفي أن نتصور قطارين انطلقا في
نفس الوقت والاتجاه والسرعة، فالراكب في واحد منهما إذا نظر إلى الراكب الموازي له في القطار
الأخر يظنه جامدا لا يتحرك"⁴.

¹ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، م. س، ص: 29

² سورة النمل: 90

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج3، م. س، ص: 498

⁴ عدنان الشريف، من علم الفلك القرآني: الثوابت العلمية في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، ط1: 1991،

إعادة طبع: 6 مايو 2004، ص: 111

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

المسألة الثالثة: خلق النورين (الشمس والقمر)

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِّيْنِ¹﴾، فالشمس والقمر آيتين من آيات الله تعالى، خلقهما وسخرهما للإنسان، جاء في تفسير هذه الآية: يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار، لصلاح أنفسكم ومعاشكم "دائبين" في اختلافهما عليكم، وقيل: معناه: أنهما دائبان في طاعة الله².

ولعظمة خلق الشمس والقمر، فالله تعالى أقسم بهما في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحِيحًا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَيَّهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّىهَا³﴾، قال مجاهد: "وضحاها" أي: ضوءها وإشراقها وقوله تعالى: "تلاها" أي: تبعها، وذلك إذا سقطت رية الهلال⁴ وهذه حقيقة علمية ثابتة، إذ توصلت الأبحاث الفلكية إلى "متابعة القمر للشمس في عملية شروقها وغروبها"⁵.
وقد بين الحق سبحانه أن الشمس تجري، ولها موضع تستقر فيه بإذن ربها، فقال جل شأنه: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ⁶﴾، ومستقر الشمس هو أجلاها المسمى والمقدر لها من العزيز العليم، أي الوقت الذي فيه ينفد وقودها فتنتطفئ⁷.

¹ سورة إبراهيم: 35

² الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج4، م. س، ص: 455

³ سورة الشمس: 1-3

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص: 72-73

⁵ يُنظر: مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، م. س، ص: 286

⁶ سورة يس: 37

⁷ عدنان الشريف، من علم الفلك القرآني: الثوابت العلمية في القرآن الكريم، م. س، ص: 75

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

لقد أثبتت الدراسات الفلكية الحديثة أن "الشمس نجم عادي يقع في الثلث الخارجي لشعاع قرص المجرة اللبنية، وهي تجري بسرعة 230 مليون كلم في الثانية حول مركز المجرة اللبنية الذي تبعد عنه ثلاثين ألف سنة ضوئية ساحبة معها الكواكب السيارة التي تتبعها بحيث تكمل دورة كاملة حول مجرتها كل مائتين وخمسين مليون سنة"¹.

وقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ²﴾، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم، والعرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريح، وإنما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس، لأن ذلك من العذق، لا يكاد يوجد إلا متقوسًا منحنيًا إذا قديم ويَبُس، ولا يكاد أن يصاب مستويًا معتدلاً، كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمر إذا كان في آخر الشهر قبل استساراه، صار في انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون"³.

وغالبًا ما يُربط بين ذكر الشمس والقمر في القرآن، وأحيانًا مع بعض النجوم الأخرى، حول حركتها في السماوات، فالشمس والقمر والأجرام الأخرى تَسْبَحُ في السماء، فهي تسرع وتجري باستمرار، وقد وُصفت حركة الشمس والقمر بـ (دائبين) أي أن كلا منها يعمل ويكده بجد واستمرار دون ملل أو تعب⁴.

¹ المرجع نفسه، ص: 75

² سورة يس: 38

³ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، م. س، ص ص: 276 – 277

⁴ سيد وقار أحمد حسيني، القرآن الكريم للعلوم الفلكية واستكشاف الأرض من الفضاء، م. س، ص: 76

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
ويُستنبط من الآية السابقة "أن كلا من الشمس والقمر لا يجتمعان معًا بحال، لأن كلا
منهما يجري في مداره الذي يوازي مدار الآخر، ولا يمكن بل يستحيل تمامًا أن يلتقي كلاهما"¹.

المسألة الرابعة: خلق المجرات والنجوم

إن المجرات جزر كونية هائلة، تُكوّن وحدات الكون الأساسية، فالمجرات غبار كوني،
وسُدم، ونجوم، وكواكب، ومُذنبات، ونيازك، وشُهب، ومجالات مغناطيسية كهربية عنيفة، كل
هذا في المجرة الواحدة، والشئ الغريب أن أكبر مرصد على وجه الأرض رصد ألف مليون مجرة،
غير أننا لا نرى بالعين المجردة إلا ثلاث مجرات، إذا نظرنا إلى قبة السماء نرى درب التبانة،
ومجرة ماجلان الصغرى، والكبرى، أما المراصد الكبيرة فقد رصدت ما يزيد على ألف مليون
مجرة، بل إن تقديرات العلماء أن في السماء مليون مليون مجرة، وإن عدد النجوم في كل منها
يقارب من مليون نجم²، لذلك قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَسِمَ بِمَوَافِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَفَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ
عَظِيمٌ³﴾.

والنجوم هي أجرام سماوية منتشرة بالسماء الدنيا، كروية الشكل أو شبه كروية، غازية،
ملتهبّة، مضيئة باستعار عملية الاندماج بداخلها وانطلاق الطاقة الكهرومغناطيسية منها،
والنجوم مرتبطة مع بعضها البعض بقوى الجاذبية على الرغم من بنائها الغازي، وهي عظيمة
الكتلة والحجم، عالية الحرارة، وتشع كلا من الضوء غير المرئي والمرئي، بجميع موجاته،
والنجوم تمر في دورة حياتها بمراحل من الميلاد إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة والوفاة

¹ السيد الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن، دار ومكتبة الهلال، دار الوسام، بيروت، ط2: 1992م، ص: 23

² محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الأفاق، م. س، ص: 61

³ سورة الواقعة: 78 - 79

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
بالانفجار والتحول إلى الدخان الكوني، أو تتكدر على ذاتها فتتكدر ثم تطمس، ثم تنفجر بعد
ذلك فتعود إلى دخان السماء لتدخل في دورة ميلاد نجم جديد¹.

كان علماء الفلك فيما مضى يَعُدُّون النجوم بالألوف، وبعد حقبة من الزمن أصبحوا
يَعُدُّونها بالملايين، وقبل سنوات عدة أصبح العلماء يَعُدُّونها بالمليارات، وفي تقدير مبدئي لعدد
نجوم مجرتنا، وهي مجرة متوسطة، درب التبانة، عدَّ العلماء فيها ثلاثين مليون نجم، والمجموعة
الشمسية إحدى نجومها، وفي مجرة أخرى بدأ العلماء يَصِلون في عدِّهم لهذه النجوم إلى رقم
خيالي، مليون مليون نجم، فالتقدير الحديث أنه تم اكتشاف مليون مليون مجرة رقم تقديري
قد يصل إلى مليون مليون نجم².

ونظرًا لضخامة كتل النجوم فإنها تهيمن بقوى جديها على كل ما يدور في فلكها من
كواكب، وكويكبات، وأقمار، ومذنبات وغير ذلك من صور المادة بين النجوم، والنجوم ترتبط
فيما بينها بالجاذبية، وتتجمع في وحدات كونية أكبر فأكبر مرتبطة فيما بينها بالجاذبية أيضًا،
فإذا انفرط عقد هذه القوى انهارت النجوم، وانهارت السماء الدنيا بانهيائها وانهار الكون كله
بانهييار السماء الدنيا، وهنا تتضح روعة التعبير النبوي الشريف: "النجوم أمانة للسماء، فإذا
ذهبت النجوم أتى السماء ما توعده"³.

¹ زغلول النجار، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، م. س، ص: 136

² محمد راتب النابلسي، آيات الله في الآفاق، م. س، ص: 69

³ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه
أمان لأمتهم، رقم الحديث: 2531

⁴ زغلول النجار، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، م. س، ص: 137

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ قَدْ بَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ¹﴾. جاء في تفسير الطبري قوله: "والله الذي جعل لكم،

أيها الناس، النجوم أدلة في البر والبحر إذا ضللتكم الطريق، أو تحيرتكم فلم تهتدوا فيها ليلاً،

تستدلون بها على المحجة، فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة، فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات

ذلك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَعَلَّمَكُم بِالنُّجُومِ هُمْ يَهْتَدُونَ²﴾، أي: من ضلال الطريق في البر

والبحر، وعنى بالظلمات، ظلمة الليل، وظلمة الخطأ والضلال، وظلمة الأرض أو الماء³.

وهذه النجوم من فضل الله سبحانه وتعالى ورحمته وكرمه على عباده، خلقها وأوجدها

وسخرها للإنسان منذ أن خلقه ليهتدي بها في سفره وحله وترحاله، ولتكون له توقيتاً زمنياً، فلو

أن الله سبحانه وتعالى جعل هذه السماء خالية من تلك النجوم، ولا يرى الإنسان وهو على

الأرض ليلاً سوى سواد حالك، لضاع في زمانه ومكانه، وعاش حياة سوداء مظلمة كظلمة الليل

الهييم، فجعل الله سبحانه وتعالى تلك النجوم مؤنساً له في حياته على الأرض، وهادية له أينما

توجه سواء كان الطريق برّاً أو بحرّاً أو في مجاهل اليابسة ومجاهل البحار، فهذه النجوم

علامات لمعرفة الاتجاه شرقاً أو غرباً أو شمالاً أو جنوباً، وأيضاً لمعرفة المكان أو البلدة أو المدينة

المتوجه إليها⁴.

¹ سورة الأنعام: 98

² سورة النحل: 16

³ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، م. س، ص: 310

⁴ الموسوعة الكونية الكبرى، ج 3 - 4، م. س، ص: 460

المسألة الخامسة: خلق النبات

يقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ¹﴾.

فالله سبحانه يسوق دليلا على وحدانيته، ويلفت نظر الناس إليه، ذلك هو دليل الخلق، خلق السماوات وخلق الأرض وإنزال المطر على الأرض، وإنبات النبات به، وخروج النباتات المتنوعة لآثار لقدرة الله ودليل واضح على إحكام تديره، وأيضا فهي دليل على أن هناك قوة وقدرة عليا واحدة فقط هي التي تستطيع أن تتكفل بكل أنواع الخلق، وتنجز كل أنماط الجمال الذي ينتشر في أرجاء الكون، وليس هناك من قدرات أخرى تنازعها هذه الهيمنة المطلقة على الكائنات².

وإخراج كل هذه النباتات والزرع المتباينة في صفاتها، وكلها يُسقى بماء واحد يشير إلى ما أعطاه الله تعالى- لكل نبتة من قدرة فائقة على اختيار ما يناسبها من عناصر الأرض ومركباتها، ولولا هذه القدرة الإلهية المبدعة في بناء الشيفرة الوراثية³ لكل نوع من أنواع النبات، بل لكل فرد منها، ما أنبتت الأرض على الإطلاق، ولولا إنزال الماء من السماء ما نشطت تلك الشيفرة الوراثية، ولولا ما أعطى الله سبحانه وتعالى للبذرة النباتية من قدرة على امتصاص الماء،

¹ سورة النمل: 62

² كارم السيد غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1: 1415هـ-1995م، ص: 348

³ تُعرف الشيفرة الوراثية بأنها سلسلة من قواعد النوكليوتيدات في الأحماض النووية، حيث تُرمز الأحماض النووية إلى سلاسل الأحماض الأمينية في البروتينات بنوعيهما؛ وهما: الحمض النووي (اختصاره: DNA)، والحمض النووي الريبوزي (اختصاره: RNA) (يُنظر موقع: <https://mawdoo3.com/> ما_المقصود_بالشيفرة_الوراثية)

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
والازدياد في الحجم، وإحداث ضغوط هائلة على أغلفتها حتى تتشقق وتنفجر، ما أنبتت تلك
البذور، ولا كانت تلك النباتات¹.

فإخراج هذه الأنواع المختلفة من النباتات والثمار يعد من أوضح الدلائل على عظمة
خالقها سبحانه، الذي أبدع صنعها، وأتقن نظام حياتها، ونموها وتكاثرها.

المسألة السادسة: خلق الأسماك

سَخَّرَ الله تعالى البحر للإنسان، وجعله مكاناً لنمو عدد هائل من الكائنات المائية التي أبدع
سبحانه خلقها، كالأسماك والحيتان بمختلف أنواعها، وهذه الأسماك والحيتان تعتبر غذاء
ورزقاً من الله لعباده.

يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا²﴾، واللحم الطري
كما ورد في التفاسير هو السمك الذي يُصطاد منه³، وقد وردت إشارات في كتب الحديث
النبوي تنص على إباحة ميتة البحر، ومنه السمك والحوت الكبير الذي يسمى العنبر⁴ كما أن
النبي صلى الله عليه وسلم تحدث عن البحر وما يخرج منه من ميتة، فقال: "هو الطهور ماؤه
الحل ميتته"⁵.

¹ زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم، م. س، ص ص: 481 – 482

² سورة النحل: 14

³ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج4، م. س، ص: 507

⁴ يُنظر: صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ميتة البحر، رقم الحديث: 1935

⁵ رواه الإمام مالك في الموطأ، باب الطهور للوضوء، رقم: 45.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
من آيات الله الدالة على عظمته هذه الحيتان التي تجوب المحيطات، والشيء اللافت
للنظر أن نوعاً واحداً منها، وهو الحوت الأزرق يزيد عدده على مئة وخمسين ألف حوت، كما
قدّره بعض العلماء، والحوت الأزرق يزن مئة وثلاثين طنّاً، ويبلغ طوله خمسة وثلاثين متراً¹.

المسألة السابعة: خلق الحيوانات والطيور

يقول الله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾²، ويقول تعالى:
﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْعٌ مِنْهَا تَاْكُلُونَ﴾³.

جاء في تفسير الآية الكريمة الأولى: "يقول تعالى ذكره: وفي خلق الله إياكم أيها الناس،
وخلقه ما تفرّق في الأرض من دابة تدب عليها من غير جنسكم (آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) يعني: حججاً
وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء، فيقرّون بها، ويعلمون صحتها"⁴.

وجاء في تفسير الآية الثانية: "يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها الناس ما خلق لكم
من الأنعام، فسخرها لكم، وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس تدفنون بها ،
ومنافع من ألبانها ، وظهورها تركبونها (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) يقول: ومن الأنعام ما تأكلون لحمه كالإبل
والبقر والغنم، وسائر ما يؤكل لحمه ، وحذفت ما من الكلام لدلالة من عليها"⁵.

1 محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الآفاق، م. س، ص: 341

2 سورة الجاثية: 3

3 سورة النحل: 5

4 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، م. س، ص: 559

5 جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج4، ص: 502

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
لقد اهتم القرآن الكريم بذكر الدواب والأنعام، وقد سميت بعض سور القرآن الكريم
بأسماء بعضها، وتعددت الآيات الكريمة التي تحدث الله سبحانه فيها عن الدواب بصورة عامة،
حيث تشمل كثيرًا من الأنواع: الطير، الوحوش، الحشرات. . . إلخ، وذلك ليلفت الله سبحانه
نظر الإنسان إلى عظيم خلق الله سبحانه لهذه الدواب، وتسخيرها لبني الإنسان على هذه
الأرض¹.

وبين الله تعالى أصل خلق الحيوانات والدواب، فقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ
مَّاءٍ²﴾ فالماء إذن، هو المادة التي تكونت منها الأنعام والدواب بشكل عام، وهو عنصر أساسي
لنموها وعيشها.

بعد خلق الكون بما فيه من كائنات، شاءت حكمة الله عز وجل أن يخلق الإنسان، وهو
أعظم الكائنات الموجودة في هذا الكون وأشرفها على الإطلاق.

فكيف تتحدد نظرة المذاهب العقيدة الإسلامية لعملية خلق الإنسان؟ وما هي مواقفها من
العلاقة بين خلق الكون وخلق الإنسان؟

¹ الموسوعة الكونية الكبرى، ج11، م. س، ص: 83

² سورة النور: 43

الفرع الثالث: خلق الإنسان

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي فَرْجِ
مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْقَةَ عِلْفَةً فَبَخَلْنَا الْعِلْفَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا
الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْفًا - آخَرَ فَتَبَرَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِفِينَ¹﴾.

جاء في التفسير أن السلالة هي المستلة من كل تربة، ولذلك كان آدم خُلق من تربة أُخذت
من أديم الأرض²، والطين هو مزيج من التراب والماء، وفي الآيات إشارة إلى أصل الإنسان ومعدنه
الأساسي إنما هو من طينة هذه الأرض ومن معدنها³.

إن المعنى الروحاني الأولي لأصل الإنسان هذا بدءًا بالتراب، لا ينفي المبدأ المذكور في القرآن
الكريم، لما نسميه نحن اليوم العناصر المكونة لجسم الإنسان من وجهة النظر الكيميائية، هذه
العناصر الموجودة على الأرض، ومن أجل إدراك هذا المبدأ-المعترف به علميًا في أيامنا هذه على
أنه صحيح- من قبل الناس في العصور الغابرة، كان على القرآن الكريم استخدام هذه التعابير
التي تتناسب ودرجة المعرفة⁴.

¹ سورة المومنون: 12 - 14

² الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج5، م. س، ص: 352

³ الموسوعة الكونية الكبرى: آيات الله في خلق الإنسان وبعثه وحسابه، ج14، ص: 49

⁴ موريس بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، ترجمة: فوزي شعبان، المكتبة العلمية، نشر عام

1981م، (د.ط)، ص: 186

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وهذا المعنى تؤكدته مجموعة من النصوص القرآنية، كقول الله تبارك وتعالى: "هُوَ الَّذِي

خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ"¹، وقوله تعالى: "هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ"²، وقوله سبحانه: "وَبَدَأَ خَلْقَ

الْإِنسَانِ مِّن طِينٍ"³، وقوله جل شأنه: "إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّزِبٍ"⁴، وقوله تعالى: "الْإِنسَانَ

مِّن صَلَاسِلٍ كَالْعَجَّارِ"⁵، وقوله أيضاً: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِّن صَلَاسِلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ"⁶.

وبعد ذلك يتحول هذا الكائن إلى نطفة⁷ ثم تستقر هذه النطفة في القرار المكين وهو

الرحم⁸ والمراد بالقرار، موضع القرار، وهو المستقر، فسمّاه "بالمصدر" ثم وصف "الرحم"

بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها⁹ ثم تصير هذه النطفة علقة¹⁰ ثم مضغة¹¹.

1 سورة الأنعام: 3

2 سورة هود: 60

3 سورة السجدة: 6

4 سورة الصافات: 11

5 سورة الرحمن: 12

6 سورة الحجر : 26

7 النطفة: القليل من الماء، والنطف: القطر (ابن منظور، لسان العرب، مادة: نطف، ج14، ص: 187) .

8 أسرار خلق الإنسان، ص: 6، (بلا مؤلف ولا طبعة) تم تحميله من الرابط التالي:

<https://www.pdf-books.org/book/6313/>

9 عبد الحليم عبد الرحمن خضر، الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط1:

1403 هـ - 1983 م، ص: 52

10 المقصود بالعلقة وهي الدم الجامد.

11 وقد سميت بالمضغة لأنها تشبه قطعة اللحم الممضوغة (الموسوعة الكونية الكبرى، ج14، ص: 58) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وفي التفسير: جاء في معنى قوله "ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْبَةَ عَلَقَةً" يقول: ثم صَيَّرْنَا النطفة التي

جعلناها في قرار مكين علقه، وهي القطعة من الدم، "فَخَلَقْنَا أَلْعَلَقَةَ مُضْغَةً"، يقول: فجعلنا

ذلك الدم مضغاً، وهي القطعة من اللحم، وقوله: "فَخَلَقْنَا أَلْمُضْغَةَ عِظْماً"، يقول: فجعلنا

تلك المضغ من اللحم عظماً، وقوله: "بَكَسَوْنَا أَلْعِظْمَ لَحْماً"، يقول: فألبسنا العظام

لحمًا، وقوله: "ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ"، يقول: ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقًا آخر¹.

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان ومراحل نشأته، وإنما نشير

إلى بعضها، يقول الحق سبحانه وتعالى: "يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا

خَلَقْنَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّفَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّفَةٍ لِّنَّبِّئِ

لَكُمْ وَنُفِرْ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ

وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلٍ أَلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً"².

فكأنه سبحانه وتعالى قال: إن كنتم في ريب مما وعدناكم من البعث، فتذكروا في خلقكم

الأولى لتعلموا أن القادر على خلقكم أول مرة، قادر على خلقكم ثانيًا³.

1 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، م. س، ص: 353

2 سورة الحج: 5

3 يُنظر: الموسوعة الكونية الكبرى، ج14، م. س، ص: 61

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وفي الحديث الشريف، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات ويقال له: أكتب عمله ووزقه وشقي أو سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح"¹ الحديث.

لقد خلق الله سبحانه هذا الإنسان جنيناً في بطن أمه على أطوار مختلفة، كما قال جل شأنه: "يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ"²، والظلمات الثلاث المقصود منها: بطن الأم وغشاء الرحم، والغشاء المشيمي المحيط بالجنين³، "لقد حفظه الله تعالى في مكان أمين وقرار مكين، بحيث لا تصل إليه أي إصابة من الخارج، فهو في أكثر أماكن الجسم حماية له"⁴.

وبعد التأمل والنظر في النصوص الشرعية السابقة، نستطيع أن نؤكد أن كلمة "الإنسان" لها مدلولان، خاص وعام، أما الخاص فهو آدم أبو البشر، وأما العام فهو سائر ذريته من بعده. وبوسعنا أن نتساءل عن كيفية خلق آدم عليه السلام وزوجه حواء، باعتبارهما أصل النوع البشري المستمر، وكيف صوّر القرآن الكريم أحداث هذه القصة.

¹ صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم الحديث: 3208 وقد ورد هذا الحديث بصيغة أخرى في صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، رقمه: 2643.

² سورة الزمر: 6

³ يُنظر: إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: 284

⁴ أحمد شوقي إبراهيم، أطوار الخلق في تاريخ الإنسان، سلسلة القرآن والعلم (1)، (د.ط)، ص: 68

خلق آدم

تناول القرآن الكريم قصة آدم عليه السلام وزوجه حواء في مواضع مختلفة، شملت سور: البقرة، آل عمران، المائدة، الأعراف، الحجر، الإسراء، الكهف، طه، ص.

وما يعيننا في هذا المقام، هو تفاصيل خلق آدم وزوجه حواء، لذلك سنقتصر على ذكر النصوص القرآنية التي تضمنت الإشارة إلى كيفية خلق آدم عليه السلام، وخلق زوجته حواء، وما يتصل بهذه القصة من أحداث أخرى، كسجود الملائكة لآدم عليه السلام، ورفض إبليس للسجود، والأكل من الشجرة... إلخ.

لقد شاءت قدرة الله تعالى أن يخلق آدم ليكون خليفته في الأرض، من أجل إعمارها وإصلاحها، وقد حكى لنا القرآن الكريم عن الحوار الذي دار بينه وبين ملائكته في هذا الشأن فقال: "إِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"¹.

يقول الشيخ رشيد رضا تعليقاً على هذه الآية: "إن للمفسرين في (الخليفة) مذهبين: ذهب بعضهم إلى أن هذا اللفظ يُشعر بأنه كان في الأرض صنف أو أكثر من نوع الحيوان الناطق، وأنه انقرض، وأن هذا الصنف الذي أخبر الله الملائكة بأن سيجعله خليفة في الأرض سيحل محله ويخلفه، كما قال تعالى بعد ذكر إهلاك القرون "ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ

¹سورة البقرة: 29

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ¹، وقالوا: إن ذلك الصنف البائد قد أفسد في الأرض وسفك الدماء وأن
الملائكة استنبطوا سؤالهم بالقياس عليه، لأن الخليفة لابد أن يناسب من يخلفه ويكون من
قبيله كما يتبادر إلى الفهم؛ ولكن لما لم يكن دليل على أنه يكون مثله من كل وجه وليس ذلك
من مقتضى الخلافة؛ أجاب الله الملائكة بأنه يعلم ما لا يعلمون مما يمتاز به هذا الخليفة على
من قبله، وما له سبحانه في ذلك من الحكمة البالغة².

وعن كيفية خلق آدم عليه السلام، يقول الله تعالى: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ
بَشَرًا مِّن طِينٍ³"، فالطين كما صرحت به هذه الآية هو الأصل الذي نشأ منه الإنسان، وإن يكن
هذا الطين قد تقلّب في أطوار عديدة حتى ظهر منه الإنسان، والطين كما هو معروف هو التراب
المختلط بالماء⁴.

لقد كان أساس خلق آدم من تراب فهو مصدر نشأته، وهو أول عنصر خُلق منه الإنسان
قال تعالى: "وَمِن - أَيْتِيهِ - أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ⁵" وقال: "خَلَقَكُمْ
مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا⁶"، وقال: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن

1 سورة يونس: 14

2 رشيد رضا، تفسير المنار، الجزء الأول، ص ص: 257 - 258

3 سورة ص: 70

4 عفيف عبد الفتاح طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم: قصص ودروس وعبر من حياتهم، م. س، ص: 46

5 سورة الروم: 19

6 سورة فاطر: 11

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
نُطْبِقَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا¹، وقال: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تُرَابٍ²، فهذه الآيات تؤكد بجلاء ووضوح أن الإنسان خلق من تراب، ثم بُلِّ هذا التراب
بالماء فأصبح طينًا فإذا اختلط وامتزج مع بعضه البعض أصبح طينًا لازبًا، أي يلزق بعضه
ببعض³.

وبعد ذلك، تأتي الخطوة الأكثر أهمية وهي نفخ الروح في آدم عليه السلام، فقد تكفل الله
سبحانه بنفخ الروح فيه مباشرة، قال الله تعالى مخاطبًا ملائكته الكرام: "إِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَبَخْتُ
فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"⁴ ولعل هذه ميزة امتاز بها أبونا آدم من دون الأنبياء والرسل
عليهم الصلاة والسلام، ففي خلق الله له بيده "لَمَّا خَلَفْتُ يَدَيَّ"⁵ ونفخه من روحه
فيه⁶ "وَنَبَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي"، وأمر الملائكة بالسجود له "فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" علامة تكريم له
ولذريته من بعده، ويؤكد ذلك ما ورد في حديث الشفاعة عندما يأتي الناس يوم القيامة

¹ سورة غافر: 67

² سورة آل عمران: 58

³ آدم عليه السلام بين اليهودية والنصرانية والإسلام: دراسة مقارنة، رسالة لنيل درجة الماجستير في العقيدة، أعدها
الطالب: أحمد جابر محمود العمصي، تحت إشراف الدكتور: شوقي بشير عبد المجيد، جامعة أم درمان الإسلامية،
كلية أصول الدين، السودان، 1415هـ - 1994م، ص: 38 - 39

⁴ سورة الحجر: 29

⁵ سورة ص: 74

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
ويلتمسون من يشفع لهم عند الله تعالى، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: "أنت آدم أبو
الخلق، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك"¹ الحديث.

خلق حواء

بعد أن خلق الله تعالى آدم وأسكنه جنته، شاء سبحانه أن يخلق له من نفسه زوجًا
يسكن إليها وتسكن إليه، ومن هذا الزواج ستتكاثر ذريته من بعده.

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً"²، وفي خلق حواء ترد بعض الروايات من ذلك ما
حكاه السدي عن أبي صالح، وأبي مالك، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس
من الصحابة أنهم قالوا: أخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحشي
ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من
ضلعه فسألها من أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولما خلقت؟ قالت: لتسكن إلي، فقالت له الملائكة
ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء. قالوا: ولم كانت حواء؟ قال: لأنها خلقت
من شيء حي³.

¹ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث: 322

² سورة النساء: 1

³ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ص: 28 - 29

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير

وقال تعالى في آية أخرى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا"¹، فالآية الأولى والآية الثانية تشيران إلى أن "النفس الواحدة هي آدم، وخلق من

هذه النفس زوجها وهي حواء، فإنها أُخرجت من آدم، أي من ضلعه، كما يدل عليه ظاهر الآية

في قوله "وَحَلَقَ مِنْهَا"، وقوله في الآية الثانية "وَجَعَلَ مِنْهَا"، وهذا القول هو قول جمهور

المفسرين للقرآن الكريم"².

ومناقشة موضوع خلق الإنسان في التصور الإسلامي، تؤثر على وجود إشكال عقدي

يتمثل في المراد من حديث: "إن الله خلق آدم على صورته"³، لاسيما أن هذا الاعتقاد منصوص

عليه في الكتاب المقدس، ومُسلّم به عند طوائف المسيحيين، فما حقيقة هذا الاعتقاد؟ وكيف

فسّر المسلمون هذا الحديث النبوي؟

يأتي هنا كلام الإمام أبو حامد الغزالي وهو يبين مدلول هذا الحديث، يقول رحمه الله:

"فإنه لما كان تعالى وتقدّس موجودًا قائمًا بنفسه حيًّا سميعًا بصيرًا عالمًا قادرًا متكلمًا، فالإنسان

كذلك، ولو لم يكن الإنسان بهذه الأوصاف موصوفًا لم يعرف الله تعالى، ولذلك قال النبي عليه

¹ سورة الأعراف: 189

² ماجد سليمان، قصة أبينا آدم، سلسلة الإسلام الصافي، (4)، 1435هـ - 2014م، (د. ط)، ص: 9

³ صحيح البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: بدء السلام، رقمه (6227) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الصلاة والسلام: "من عرف نفسه فقد عرف ربه"¹، فإن كل ما لم يجد الإنسان له من نفسه
مثالاً يعسر عليه التصديق به والإقرار².

ويقول أيضاً: "فإن كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله خلق آدم على
صورته)، الصورة الظاهرة المدركة بالبصر، فكن مشياً مطلقاً، كما يقال: كن يهودياً صرفاً وإلا
فلا تلعب بالتوراة، وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تُدرك بالبصائر لا بالأبصار، فكن مُنْزَهاً
صرفاً ومُقَدِّساً فحلاً، واطو الطريق فإنك بالواد المقدس طوى، واستمع بسر قلبك لما يوحى،
فلعلك تجد على النار هدى، ولعلك من سرادقات العرش تُنادى بما نودي به موسى (إني أنا
ربك) ³."

فالمراد من الحديث حسب ما ذهب إليه أبو حامد الغزالي هو أن الله تعالى خلق الإنسان،
وأودع فيه صفات السمع والبصر والقدرة والكلام وغيرها من الصفات التي يدرك بها ما حوله
من الحقائق والأشياء، ومنحه العقل ليفكر به، غير أنه لا يجوز تشبيه صفات الله تعالى بصفات
مخلوقاته.

وهناك أحاديث كثيرة تدل على أن آدم خلقه الله على صورته، وللعلماء في تفسير ذلك على
قولين:

¹ هذا حديث غير صحيح، ومن العلماء من حكم بأنه موضوع، وقيل إنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي. (تخريج
العراقي لكتاب "إحياء علوم الدين"، وكذا كتب الموضوعات والأحاديث المشتهرة) .

² أبو حامد الغزالي، المصنوع به على غير أهله، مخطوطة قديمة، طبع ملك الكتاب لميرزا محمد شيرازي، بومباي،
(الهند) ، ص: 132

³ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب التوحيد والتوكل، ج4، م. س، ص: 333

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

الأول: قال قوم الهاء عائدة إلى آدم ومعناه على صورته التي خلقها الله عليه منذ خلقه إلى يوم القيامة¹ قال ابن حجر: "إن آدم خلقه الله على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات دفعا لتوهم من يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى، أو ابتداء خلقه كما وُجد ولم يتنقل في النشأة كما يتنقل ولده من حال إلى حال"².

الثاني: قال قوم، الضمير راجع لله وتمسكوا بما ورد في بعض طرق الحديث (على صورة الرحمن) ، وقال العلماء³: "إن المراد بالصورة هنا الصفة، ويكون المعنى: إن الله خلقه على صفة من العلم والحياة والسمع والبصر، وغير ذلك وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء، فالله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"⁴.

وهذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقًا، من أن المعنى المقصود من الحديث هو الصفات الروحية للإنسان، وليس الصورة المادية، إذ أن الله تعالى يستحيل في حقه مشابهة المخلوقات.

تعليم الله تعالى آدم الأسماء كلها

أراد الله سبحانه إظهار شرف هذا المخلوق العظيم (آدم) لملائكته، فعلمه أسماء الأشياء كلها، يقول الله تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي

1 أحمد جابر محمود العمصي، آدم عليه السلام بين اليهودية والنصرانية والإسلام: دراسة مقارنة، ص: 44

2 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج11، ص: 3

3 آدم عليه السلام بين اليهودية والنصرانية والإسلام: دراسة مقارنة، م. س، ص: 45

4 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج11، م. س، ص: 3

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
بِأَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ¹، قال ابن عباس: "هي هذه الأسماء التي يتعارف بها
الناس، إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وجمل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم
وغيرها"².

وقيل: "عُلِّم اللغات، قالوا إن الله عز وجل علّم آدم جميع اللغات، ثم تكلم كل واحد من
أولاده بلغة فتفرقوا في البلاد واختصت كل فرقة منهم بلغة، قال ابن منداد: في هذه الآية دليل
على أن اللغة مأخوذة توقيفياً وأن الله علّمها آدم جملة وتفصيلاً"³.

سجود الملائكة لآدم وتمرد إبليس

بعد أن أمر الله سبحانه ملائكته الكرام بالسجود⁴ لآدم عليه السلام، سجدوا جميعاً، إلا
إبليس اللعين الذي رفض السجود، يقول الله تعالى في هذا الشأن: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"⁵.

وقد كان عصيان إبليس لأمر الله تعالى بالسجود لآدم نابغاً من تكبره وحسده لآدم عليه
السلام، حيث استخدم إبليس قياساً فاسداً بمقارنة عنصره بالعنصر الذي خُلق منه آدم، وقد

¹ سورة البقرة: 30

² ابن كثير، قصص الأنبياء، م. س، ص: 23

³ آدم عليه السلام بين اليهودية والنصرانية والإسلام: دراسة مقارنة، م. س، ص: 50

⁴ سجود تكريم وتشريف لا سجود عبادة لأن العبادة لا تجوز إلا لله وحده (آدم عليه السلام بين اليهودية والنصرانية
والإسلام: دراسة مقارنة، م. س، ص: 53).

⁵ سورة البقرة: 33

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
حكى القرآن الكريم احتجاج إبليس في قوله: "قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ"¹ ومعلوم أن إبليس خلقه الله من نار لقوله تعالى على لسان إبليس: "خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ"،
وقوله أيضًا: "وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ"².

فكان جزاء إبليس هو الهبوط الأبدي من الجنة، والطرده من رحمة الله، قال تعالى مخاطبًا
هذا اللعين: "قَالَ بَاھِطْ مِنْهَا بَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ"³، وقال في آية أخرى: "فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ"⁴.

ومن هنا بدأت العداوة والصراع بين إبليس اللعين وآدم عليه السلام، وكان من أولى
الخطوات التي نفذها إبليس هي إغواء آدم وزوجه حواء بالأكل من الشجرة.

الأكل من الشجرة

عندما أسكن الله تعالى آدم وزوجه حواء في الجنة، أعطاهما الإذن في التمتع فيها والأكل
من ثمارها، ولم يتركهما دون توجيه وإرشاد، بل أوصاهما بعدم الاقتراب من الشجرة المحرمة،

¹ سورة ص: 75

² سورة الرحمن: 13

³ سورة الأعراف: 12

⁴ سورة ص: 76 - 77

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والأكل منها، ثم حذرهما من عدوهما إبليس وإغوائه، فقال سبحانه: "وَلَنَّا يَتَذَكَّرُ أَشْكُرَ
أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ"¹.

لكن إبليس اللعين استطاع أن يوسوس لآدم وحواء، ويخدعهما بالأمانى حتى أوقعهما في
معصية الله تعالى، فأكلا من الشجرة التي حرمها عليهما الله، قال تعالى: "بَأْكُلًا مِنْهَا فَبَدَتْ
لَهُمَا سَوْءُ اثْنُمَا وَطَهِفَا يَخْصِبَلِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَى الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى"².

بمجرد أن تذوق آدم وحواء الشجرة بدت وظهرت العورة، لم يكررا الأكل بل بمجرد أن
ظهرت العورة عرفا أنهما قد ارتكبا المعصية، لذلك عندما رأى كل منهما عورة الآخر غلب عليهما
الحياء، فأسرعا إلى أوراق شجرة من أشجار الجنة وبدأ في حياكة وخياطة مآزر لهما ليسترا
عوراتهما التي انكشفت³ وفي ذلك يقول الله تعالى: "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ اثْنُمَا
وَطَهِفَا يَخْصِبَلِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَى الْجَنَّةِ"⁴، وعندئذ عاتبهما ربهما سبحانه على مخالفة أمره،

¹ سورة البقرة: 34

² سورة طه: 118

³ آدم عليه السلام بين اليهودية والنصرانية والإسلام: دراسة مقارنة، م. س، ص: 104

⁴ سورة الأعراف: 21

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والسقوط في مصيدة إبليس بالأكل من تلك الشجرة قائلا: "أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ
وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ".¹

بعد أن أدرك آدم وحواء أنهما اقترفا المعصية، نَدِمَا نَدَمًا شَدِيدًا، وطلبا من الله تعالى أن
يغفر لهما: "قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ".²

التوبة الإلهية

تضرع آدم وزوجه حواء إلى الله تعالى وتابا إليه بقلب متذل، فقبل سبحانه توبتهما،
٢، "قَتَلَفِيَّ ءَادَمُ مِنْ رَبِّيهِ كَلِمَتٍ قَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"³، وهذه الكلمات⁴
الربانية المؤثرة التي تلقاها آدم ورددها مع زوجه، جاء العفو الإلهي والمغفرة الماحية لهذه الزلة،
واختار سبحانه آدم للرسالة وتاب عليه، مصداقًا لقوله: "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ قَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى"⁵.

وقد يتساءل البعض، لماذا ذكر القرآن الكريم اسم آدم وحده في قضية "التوبة الإلهية"؟
ولماذا لم يذكر زوجه، بصيغة "فتاب عليهما" معًا؟

¹ سورة الأعراف: 21

² سورة الأعراف: 22

³ سورة البقرة: 36

⁴ اختلف العلماء في تحديد الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، فمنهم من قال بأنها: "سبحانك اللهم لا إله إلا أنت ربي ظلمت نفسي فاغفر لي أنك أنت الغفور الرحيم، ومنهم من قال بأنها: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، ومنهم من رجح أن تكون قوله: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين" (آدم بين اليهودية والنصرانية والإسلام: دراسة مقارنة، م. س، ص: 110) .

⁵ سورة طه: 119

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

فالحكمة في ذلك ما ذكره العلماء من أن المرأة تابعة للرجل في غالب الأمر، لذلك لم تذكر، وقال الحسن أنه دلّ بذكر التوبة عليه أنه تاب عليهما إذ أمرهما سواء¹، وقال بعضهم إن المرأة حرمة مستورة، فأراد الله الستر عليهما، ولذلك لم يذكرها في المعصية² بل قال سبحانه: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى"³، ولم يذكرها في التوبة ستراً لها وصوناً لحرمتها وكرامتها⁴.

التكريم الإلهي لبني آدم

لقد كرم الله تعالى بني آدم بأن خلقهم في أحسن صورة، ورفع شأنهم، وميّزهم عن بقية المخلوقات بنعمة العقل والإدراك، وتكريمهم إنما يستمد مشروعيته من تكريم أبيهم آدم الذي خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، يقول الله تعالى: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"⁵ ويقول سبحانه: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"⁶. وهذا التكريم عام يشمل كل بني آدم بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم وألسنتهم... إلخ.

¹ يُنظر: الجامع للقرطبي، ج 1، ص: 177 وفتح القدير للشوكاني، ج 1، ص: 69

² آدم عليه السلام بين اليهودية والنصرانية والإسلام: دراسة مقارنة، ص: 108

³ سورة طه: 118

⁴ آدم عليه السلام بين اليهودية والنصرانية والإسلام: دراسة مقارنة، م. س، ص: 108

⁵ سورة التين: 4

⁶ سورة الإسراء: 70

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
لا ريب في أن هذه الكرامة العامة، ذاتية وليست مكتسبة والمقصود من "الكرامة الذاتية"
هو أن الإنسان تكوينيًا قد خُلق على صورة، توجد في ذاته أهليات وقدرات مميزة، قد أهلتها
لنيل مكانة أرفع من معظم خلائق الله¹.

وبالمقابل، هناك كرامة خاصة، لا ينالها إلا من انخرط في سلك العابدين المتقين مصداقًا
لقوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ"² فالمعيار الإلهي في التفاضل بين الناس هو
التقوى.

علاقة الإنسان بالكون في التصور الإسلامي

إن الإدراك العميق لقصة خلق آدم وسجود الملائكة له، واصطفائه ليكون خليفة الله
سبحانه، يساعدنا على تكوين صورة واضحة عن العلاقة بين الإنسان والكون، ومعرفة
الوظيفة التي سيقوم بها هذا الكائن باعتباره خليفة لله تعالى في كونه.

فعلاقة الإنسان بالكون من المنظور القرآني هي علاقة استخلاف، أي أن الله الخالق جعل
هذا المخلوق (الإنسان) خليفة له، يتصرف في ما استخلفه فيه (الكون وما عليه)، وهذا
الاستخلاف يتم بحسب ما أمر به الخالق والمالك الحقيقي وهو الله تعالى.

ولتحقيق هذه الوظيفة السامية المتمثلة في الاستخلاف في الكون، "جهَّز هذا المخلوق
بمجموعة من الملكات والصفات، لا بد منها، لتتكامل لديه القدرة على إدارة شأن هذا الكون

¹ أحمد واعظي، الإنسان من منظور الإسلام، ترجمة: عبد الله البوغيش، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،
سلسلة الدراسات الحضارية، مكتبة مؤمن قريش، (د.ط)، ص: 175

² سورة الحجرات: 13

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وتعميره واستخدامه، فبث فيه صفة العقل وما يتفرع عنها من العلم والإدراك والقدرة على
تحليل الأشياء وسبر أغوارها والوصول إلى ما وراءها، وبث فيه معنى الأنانية، وما يتفرع عنها من
النزوع إلى الأثرة والتملك، وبث فيه أسباب القوة ومقومات التدبير، وما يتفرع عنها من النزوع
إلى السيطرة والعظمة والجاه، ثم بث فيه مجموعة من العواطف والأشواق والانفعالات تعد
متممة لقيمة تلك الصفات وفوائدها، كالحب والكرهية والغضب وما إلى ذلك¹.

كما أن هناك قاعدة ثابتة في علاقة الإنسان بالكون تتجلى في مبدأ التسخير، وقد نص
القرآن الكريم على هذا المبدأ في مواضع متعددة منها قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي
اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ"².

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم حيثما ذكر شيئاً عن التسخير، فإننا نجده يذكره في
سياق الخلق العام للسموات والأرض، فالتسخير المقصود إذن مرتبط بمسألة الخلق، ومعناه
ترتيب الخلق ليفضي إلى كونه مُسَخَّرًا للإنسان، أي أن التسخير مبدأ من مبادئ الخلق
الأساسية، فالله خَلَقَ لكي يُسَخِّرَ الخلق لعيش الإنسان³.

¹ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، م. س، ص: 65

² سورة لقمان: 19

³ محمد باسل الطائي، صيرورة الكون: مدارج العلم ومعارج الإيمان، عالم الكتب الحديث، إربد (الأردن)، ط: 1:

1431هـ-2010م، ص: 235

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
سَخَّرَ الله عز وجل للإنسان الشمس والقمر والنجوم والبحار والأنهار والنبات والأحياء
والمعادن والأرض، وكل ما على الأرض من عناصر وكل ما تحت الثرى من ثروات، سَخَّرَ كل ذلك
وجعله جميعًا قابلاً لتأثير الإنسان وفاعليته بحيث يتمكن الإنسان من تحقيق خلافته¹.

وبالتالي، فإن وجود الإنسان في هذا الكون قائم على مدى نهوضه بالمهمة التي كُلِّفَ الله عز
وجل بها، وهي الخلافة في الأرض، وإعمارها بالخير والصلاح، وإذا ما أخل بهذا الشرط، فقد
نقض الميثاق الذي يربطه بخالقه سبحانه وهو ميثاق العبودية.

الغاية الكبرى من خلق الإنسان

لو تأملنا كثيرًا في خلق الإنسان، وما زوّده به الحق تبارك وتعالى من مدارك وصفات، وما
أنعم به عليه من النعم والخيرات، وما سخر له من كائنات في الأرض وفي السماوات، لوجدنا أن
هذا المخلوق الفريد لم يخلقه الله تعالى عبثًا، بل خلقه لغاية كبرى، "وحيثما نبحت عن هذه
الغاية، ينكشف لنا أن الغاية من خلق الناس مُزَوِّدين بالصفات التي تؤهلهم للامتحان، إنما هو
امتحانهم في ظروف هذه الحياة الدنيا، فخصائص العمل المصنوع تدل على الغاية من صنعته،
وخصائص الكائن المخلوق تدل على الغاية من خلقه"².

وهذا الامتحان الذي يجتازه الإنسان يتلخص في مدى خضوعه لمولاه وعبوديته له، لذلك

نجد القرآن الكريم يصرح بهذه الحقيقة في قوله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

¹ استخلاف الإنسان في الأرض، م. س، ص ص: 10 - 11

² عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الوجيزة في العقيدة الإسلامية، م. س، ص: 22

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
لِيَعْبُدُوا¹، فالعبادة هي الغاية التي من أجلها وُجد هذا الإنسان، وبين بداية حياة الإنسان
ونهاية وجوده توجد محطات للابتلاء والاختبار، وتمحيص الأبرار من الأشرار، مصداقاً لقوله
تعالى: "الَّذِينَ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا"².

ومن مقتضيات هذا الامتحان الدنيوي أن يعقبه جزاء أخروي "فالجزاء أمر لازم لحكمة
الابتلاء ضرورة أن الحكيم الذي قرر بحكمته أن يبتلي، لابد أن يكون قد رتب في خطته أن
يجازي الممتحنين بحسب أعمالهم³ تماشيًا مع ما قرره القرآن الكريم في قاعدة الثواب
والعقاب: "لِيَجْزِيََ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيََ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى"⁴.

والحديث عن موضوع الخلق في الفكر الكلامي الإسلامي، يحيلنا على نظريات الخلق التي
صاغها بعض رواد المعتزلة، ولعل أشهرها نظرية الظهور والكمون ونظرية الطفرة عند النظام،
ونظرية قدم الأجسام عند الخياط.

1- نظرية الظهور والكمون:

أشار النظام إلى مسألة العدم بشكل غير مباشر في نظريته الظهور والكمون⁵، وقوله بأن
الخلق كان دفعة واحدة، وهذا يدل عنده على أن ظهور الأشياء كان ذاتيًا من مكانها ووجودها

¹ سورة الذاريات: 56

² سورة الملك: 2

³ الوجيزة في العقيدة الإسلامية، م. س، ص: 24

⁴ سورة النجم: 30

⁵ معناه الخفاء والتستر في الشيء وضده الظهور.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير باختلاف أجناسها، وأن التمييز بين الأشياء كان بظهورها إلى الوجود لا بوجودها في العدم، وهذا يفسر بعدم ملموسية المعدوم وأنه مجرد قوة كامنة في اللا وجود¹.

وهذا يعني حسب رأيه "بأن الله تعالى خلق العالم دفعة واحدة، فلم يسبق إنسان في حدوثه إنساناً آخر سبقت أو تأخرت زمانياً في الخلق، بل التقدم والتأخر يتمثل في ظهور الأشياء من مكانها فلم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده، غير أن الله أكرم بعضها في بعض، فالله خلق صفات المادة وأكرمها فيها دفعة واحدة بحيث أن ظهورها أمامنا بعد ذلك لا يصبح متعلقاً بذواتنا المدركة ولا حتى بخلق الله لها في لحظة الإدراك بل بظهور الصفات من مكانها بعد أن كان قد خلقها الله أول الأمر، ثم أخذت بعد ذلك تتوالى في الظهور عندما هيأت لها الظروف المناسبة وزالت الموانع التي كانت تمنع ظهورها"².

ويعني النظام بـ "الكمون" أنه إمكانية مستترة في جسم فالظهور جسم جديد، ويشرح هذه المقالة عن طريق مثال كمون النار في العود أو الحجر، ثم ظهورها كنار عن طريق الاحتكاك أو التماس مع نار أخرى، فهو يعتبر قابلية الأجسام على الاشتعال ناراً كامنة فيها³.

2- نظرية الطفرة:

ومن أغرب نظريات النظام التي لاقت رفضاً جامعاً، كانت "الطفرة"¹، أي أن الجسم الواحد قد يكون في مكان ثم يصير إلى المكان الثالث من غير أن يمر بالمكان الثاني².

¹ رشيد الخيون، مذهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة، م. س، ص: 163

² رجاء أحمد علي، الكمون والفكر الإسلامي: موقف متكلمي وفلاسفة الإسلام من مذهب الكمون، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1: 2010م، ص: 7 - 8

³ رشيد الخيون، معتزلة البصرة وبغداد، دار الحكمة، لندن، ط1: 1997، ص: 125

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ومثل لذلك بالدوامة "النحلة" التي يتحرك أعلاها أكثر من حركة أسفلها، ويقطع الحز
أعلاها أكثر مما يقطع أسفلها وقطعها، وكل ذلك في زمان واحد، ولا يمكن تفسير ذلك إلا
بالطفرة³.

كما يقرر الشهرستاني هذه النظرية بقوله: "تقطع النملة بعض أجزاء الصخرة بالمشي
وتقطع بعضها الآخر بالطفرة"، ويشير إلى مثال آخر في بيان هذه النظرية حيث "شبه النظام ذلك
بحبل شدَّ على خشبة معترضة وسط البئر، طوله-أي الحبل- خمسون ذراعًا، وعليه دلو معلق،
وحبل (آخر) طوله خمسون ذراعًا علق عليه معلاق (أي جسم صلب معقوف) فيجربه الحبل
المتوسط، فإن الدلو يصل إلى رأس البئر وقد قطع مائة ذراع بحبل طوله خمسون ذراعًا في زمان
واحد، وليس ذلك إلا لأن بعض القطع بالطفرة⁴".

3-نظرية قدم الأجسام:

يعتقد الخياط أحد كبار المعتزلة بقدم الأجسام في الوجود، وفي هذا الصدد يقول عبد
الوهاب الجبائي: "قول الخياط بأن المعدوم جسم فإنه يقول بقدم الأجسام⁵"، وهذا شك
صريح بأن الأشياء ليست محدثة، وإذا لم يتقرر أن الله هو القديم لا سواه، فمعنى ذلك بأنه

¹ الطفرة في اللغة: الوثبة، والمراد هنا انتقال جسم من أجزاء المسافة إلى أجزاء أخرى منها من غير أن يحاذي ما
بينهما من أجزائها (الملل والنحل، ج1، إحالة رقم 2، ص: 49).

² سهيل قاشا، المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي الحر، م. س، ص: 296

³ أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، م. س، ص: 324 و346

⁴ الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، م. س، ص: 58

⁵ المصدر نفسه، ج1، ص: 86

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
متزامن الوجود مع الأشياء¹، ويلخص أبو المعين النسفي مقالة الخياط بقوله: "إنه من كان في
حالة الوجود جسمًا يكون في حالة العدم أيضًا جسمًا"²، كما يبين الشهرستاني "أن الخياط
غالى في إثبات المعدوم شيئًا، وقال الشيء ما يعلم ويخبر عنه، والجوهر جوهر في العدم،
والعرض عرض، وكذلك أطلق جميع أسماء الأجناس والأصناف حتى قال: السواد سواد في
العدم فلم يبق إلا صفة الوجود والصفات التي تلزم الوجود والحدوث، وأطلق على المعدوم
لفظ الحدوث"³.

ويبدو من خلال مضامين هذه النظريات أن أصحابها قد تأثروا كثيرًا بالمذاهب الفلسفية
اليونانية⁴ حتى وصل الأمر بهم إلى خلط الكلام بالفلسفة، فصارت النظريات الفلسفية
والكلامية مندمجة فيما بينها ويصعب الفصل بينها.

وعلى العموم، يمكن القول إن التصور الإسلامي لموضوع الخلق بشكل عام، لم يتأثر بهذه
النظريات الكلامية، حيث ظلت المذاهب العقدية الإسلامية متفقة على رؤية واحدة مستمدة
من الكتاب والسنة.

وخلق الكون بما فيه من كائنات وتسخيرها للإنسان كان لغاية أسمى، وهي عبادة الله
الواحد الأحد، ولتحقيق هذه الغاية، أرسل الله تعالى رسله وأنبيائه لتبليغ الوحي للناس، ومن

¹ رشيد الخيون، مذهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة، م. س، ص: 168

² يُنظر: سهيل قاشا، المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي الحر، م. س، ص: 325

³ الملل والنحل، ج 1، م. س، ص: 66

⁴ يراجع في هذا الإطار كتاب (الكمون والفكر الإسلامي: موقف متكلمي وفلاسفة الإسلام من مذهب الكمون، ص: 9)

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية..... البشير أسعير
أجل القيام بهذه المهمة العظيمة، أكرمهم الله سبحانه بصفات وخصال عالية؛ كالعصمة
والتأييد بالمعجزات، وكل هذا يدخل في إطار ما يسمى بالنبوات.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

المبحث الثاني: قضايا النبوات عند المدارس المسيحية والمذاهب الإسلامية: دراسة وتحليل

توطئة:

سأناقش في هذا المبحث ثلاث قضايا إيمانية تندرج ضمن مبحث النبوات، وهي الوحي والعصمة والمعجزات؛ باعتبارها قضايا مركزية في الأديان السماوية، وستركز هذه الدراسة على إبراز مواقف وتصورات المدارس المسيحية والمذاهب الإسلامية من هذه القضايا، إذ من المعلوم بالضرورة أن المسيحية والإسلام باعتبارهما رسالتين سماويتين مصدرهما الوحي الإلهي، تجمع بينهما نقاط متعددة، وهذا يدفعني إلى القول إن المصادر الدينية- لاسيما الكتب المقدسة عند المسيحيين أو القرآن الكريم عند المسلمين- تضمنت بعض القضايا الإيمانية المشتركة، غير أنه وبفعل عوامل تاريخية ودينية، حدث تحول كبير أدى إلى اتساع الهوة بين المسيحيين والمسلمين.

المطلب الأول: قضايا النبوات¹ عند المدارس المسيحية

الفرع الأول: قضية الوحي

1- تعريفه

أ- لغة:

يُعرّف المسيحيون (الوحي) بأنه "المكتوب أو الرسالة وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه كيف
كانتم غلب استعمال الوحي فيما يُلقى إلى الإنسان من عند الله"² فكلمة (أوحى) تعني كَشَفَ
الغطاء أو القناع، أو بعبارة أوضح، تبيان ما كان مخفياً، فعَرَفَ به³.

ب- شرعاً:

جاء في قاموس الكتاب المقدس: "الوحي هو إبلاغ الحق الإلهي للبشر بواسطة بشر، وهو
عمل روح الله، أو بعبارة أدق عمل الروح القدس"⁴ ويُعرّف أيضاً بأنه "كلام الله الذي أوحى به إلى

¹ مفردتها نبوة وهي "واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه وسفارة بين الملك وعبده، ودعوة من الرحمن الرحيم-تبارك وتعالى- لخلقه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة (ابن تيمية، كتاب النبوات، ص: 19).

² ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج1، م. س، ص: 19

³ منير خوام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، م. س، ص: 91

⁴ قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 1020

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
كتبة الكتاب المقدس، بغرض الإعلان عن وصايا وتعاليم وحقائق إلهية للبشر، وذلك بصورة
خالية من كل نقص أو خطأ¹.

ونقرأ في قاموس الكتاب المقدس أيضاً: "الوحي هو إبلاغ الحق الإلهي للبشر بواسطة
البشر، وهو عمل روح الله، أو بعبارة أدق عمل الروح القدس، فالروح القدس يعمل في أفكار
أشخاص مختارين وفي قلوبهم، ويجعلهم أداة للوحي الإلهي"².

وفي دائرة المعارف الكتابية: "الوحي هو كلام الله الذي يوحي به إلى أنبيائه، فسجلوه في
الكتاب المقدس"³.

ويرى أحد الباحثين المسيحيين أن "الوحي يرتبط بتسجيل الحق والحقيقة"⁴، ثم يقول:
" لقد كتب أناس مسوقين من الروح القدس الستة والستين سفرًا في الكتاب المقدس،
إن الأسفار موحى بها لفظاً بكاملها، فهي موحى بها من الله"⁵.

فالوحي هو إعلان الله نفسه أو كلمته بواسطة البشر مستخدمًا في ذلك اختباراتهم
وطاقتهم العقلية واستجاباتهم للغاية الإلهية⁶.

1 بيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 35

2 قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 680

3 دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، المجلد الأول، ص: 194

4 هنري ثيسن، محاضرات في علم اللاهوت النظامي، م. س، ص: 111

5 المرجع نفسه، ص: 111

6 قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 680

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
ومن ناحية أخرى، نجد من اللاهوتيين المسيحيين من يجعل (الوحي والإلهام) بمعنى
واحد، غير أن هناك من مَيَّزين المفهومين، "فالوحي مداره على النبوات والأسرار، والإلهام يجري
على الأمور التاريخية التي سبق معرفتها بغير الوحي".

لذلك، يمكن القول إن مفهوم الوحي في اللاهوت المسيحي يعني أمرين اثنين، أولهما: كلام
الله إلى الأنبياء عن طريق الروح القدس، وثانيهما: إلهام الله أناساً أفكاراً أو خواطر فيكتبونها،
وهؤلاء الصنف من الناس يُطلق عليهم كتبة أسفار الكتاب المقدس.

2- صور الوحي

يعتقد المسيحيون أن الوحي الإلهي يكون:

أ- إما بوحي شفاهي كأن يخاطب الله نبيه فمألفم كما خاطب موسى كلمه².

ب- أو بحلم نبوي يلقيه الله على قلب عبده كالحلم الذي أوقعه على قلب يوسف فأشار به
إلى ما سوف يرقى إليه من ذرى المجد والرفعة³.

ج- أو برؤى يراها النبي وهو بين يقظان ونائم فتؤتيه معرفة الغيب أو بغير ذلك من
الوسائل المتنوعة التي يختارها جل شأنه حسب قصد نعمته لإعلان مشيئته الصالحة لبني
الإنسان (أنظر عدد 6: 12 و2: 24-16 ويو 28: 2 وواع 11: 10 ورؤ 10: 1)⁴.

¹ علم اللاهوت، ج1، م. س، ص: 19

² سفر العدد 8: 12

³ سفر التكوين 5: 27

⁴ علم اللاهوت، ج1، م. س، ص: 19 - 20

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

ويقسمون طرق الوحي إلى قسمين:

1-الإعلان: هو اتصال سري وجهري بين الله والإنسان¹، ويندرج تحت هذا الصنف

النماذج الثلاثة (أ) و (ب) و (ج) التي سبقت الإشارة إليها.

2-الإلهام: بالإلهام الداخلي فقط ودون اتصال خارجي، وهذا هو الحال عند عدد كبير

من كتبة أسفار الكتاب المقدس أثناء الكتابة، إذ أوحى الله إليهم داخليا فقط بما كتبوا².

3- تجليات الوحي

يتجلى الوحي حسب التصور المسيحي في إعلان الله عن ذاته، وهذا المعنى نجده يتكرر في أدبيات المدارس اللاهوتية المسيحية بشكل واضح، بل يعتبر نقطة مركزية في الاعتقاد المسيحي، وهذا الإعلان الإلهي -حسب اعتقادهم- يبرز أكثر في العهد الجديد، وذلك من خلال إرسال الله ابنه الوحيد يسوع المسيح لخلاص البشرية.

ولهذا نجدهم يقولون: "الله الذي خلق ويحفظُ بالكلمة جميع الأشياء، يُقدّم للبشر في الأشياء المخلوقة شهادةً على ذاته لا تنقطع، وإذا أراد فوق ذلك أن يفتح الطريق نحو خلاص أسمى، أظهر أيضاً ذاته، منذ البدء، لأبويننا الأولين، لقد دعاهما إلى شركة حميمة مع ذاته مُلبساً إياهما نعمةً واستقامةً مُتألفتين"³.

بل ويؤكدون على أن "هذا الوحي لم ينقطع بسبب خطيئة أبويننا الأولين، فإنّ الله، بعد عثرتهما، وعدهما بفداء، وبعث فيهما الشجاعة عندما أحيا فيهما الأمل بالخلاص، وبغير انقطاع

1 عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 35

2 المرجع نفسه، ص: 36

3 التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ج1، م. س، ص: 14

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
أظهر اهتمامه بالجنس البشري، حتى يمنح الحياة الأبدية لجميع الذين يلتمسون الخلاص
بثباتهم في الصلاح¹.

فهذا الفداء الموعود الذي يركز عليه اللاهوت المسيحي، ينبني على قيام العلاقة اللاهوتية
الناسوتية، أي أن "الله يتّصل بالإنسان تدريجيّاً، يُعدّه مرحليّاً لتقبّل الوحي الفائق الطّبيعة
الذي يكشف فيه عن ذاته والذي سيبلغ أوجه في شخص الكلمة المتجسد، يسوع المسيح، وفي
رسالته²"، بل الأكثر من ذلك، يعتقد المسيحيون أن الوحي الإلهي سيأخذ صورته النهائية مع
إرسال الله لابنه - أي السيد المسيح حسب ما يعتقدون - وهو بمثابة عهد أقامه الله فيه للأبد،
بحيث لا يكون بعده وحي آخر³.

وبناء على ما سبق، يمكن القول إن تجليات الوحي في اللاهوت المسيحي تنطلق من حقيقة
مؤكدة وهي إعلان الله عن ذاته، وهذا الإعلان قد يأخذ صورة وحي أوصورة ظهورات⁴، أو
أشكال أخرى، فمفهوم الوحي عند المسيحيين من ناحية هو محصور في إرسال الله لابنه -
حسب اعتقادهم- ولن يكون هناك وحي بعده، ومن ناحية ثانية، فالوحي عندهما يزال ممتداً
في الخلفاء الذين جاءوا بعد المسيح، وهم آباء الكنيسة والقديسين ومن بعدهم الأساقفة
والباباوات وهكذا فالسلسلة غير منقطعة.

1 المرجع نفسه، ج1، ص: 14

2 التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ج1، ص: 13

3 المرجع نفسه، ج1، ص: 17

4 يقصدون بها تجلي الله في صورة المسيح.

4- طرق نقل الوحي

هناك طريقتان لنقل الوحي عند المدارس المسيحية وهما:

الكتاب المقدس الذي "هو كلمة الله من حيث إنها مدونة كتابة بإلهام من الروح القدس، والتقليد المقدس الذي يحمل كلمة الله التي ألقى بها السيد المسيح والروح القدس إلى الرسل، وينقلها بحذافيرها إلى خلفائهم، حتى إذا كرزوا بها¹، وهم في غمرة أنوار روح الحق، يحافظون عليها، ويعرضونها وينشرونها بأمانة²".

وثمة إشكالية دار حولها الجدل بين المسيحيين وخصومهم، وهي "هل الوحي لفظي أم غير لفظي؟" بمعنى هل كتبة الأسفار المقدسة أوحى إليهم بالأفكار فقط دون الألفاظ؟ أم أوحى إليهم بهما معاً؟، وللإجابة عن هذه الإشكالية الكبرى، يقول أحد الباحثين المسيحيين وهو أنور يسي منصور مستشهداً بما ورد في الكتاب المقدس: "قال الرب يسوع المسيح: (إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ³) ، فلم يقل الرب بعدم زوال معاني الناموس، بل تحدّث أيضاً عن عدم زوال حروف كلماته ونقطتها⁴"، ويضيف قائلاً: (لَيْسَ بِالْخُبْرِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ⁵) أي بكل كلمة موحى بها

¹ وعظوا بها غيرهم.

² التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ج1، م. س، ص: 19

³ إنجيل متى 5: 18

⁴ أنور يسي منصور، آراء أساتذة لاهوت وقسوس وعلمانيين في قضايا مسيحية، ص: 14

⁵ إنجيل متى 4: 4

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وتُحي الإنسان، وسُمي الكتاب المقدس "أقوال الله" و"أقوال حية" مما يدل على لفظية
الوحي¹.

بمعنى أنه يؤكد لنا على أن الوحي في الاعتقاد المسيحي هو لفظي، فكل ما يكتبه مؤلفو
أسفار الكتاب المقدس يعتبر من الوحي الإلهي.

5- خصائص الوحي المسيحي

حسب ما يصرح به الباحثون المسيحيون، فإن للوحي في العقيدة المسيحية مميزات خاصة
لا توجد في باقي المعتقدات، وفي هذا الصدد يقول الكاتب المسيحي جوزف قزي: "يتميز الوحي في
المسيحية بكونه وحيًا تاريخيًا، أي يقوم على أسس تاريخية، وينطلق من التاريخ، ويرتبط
بأحداث التاريخ، ويتفاعل معها، ويتحدد في مكان وزمان، ويتتبع ظروف الأشخاص وتغيراتهم،
ويُنقل بواسطة شهود، شفاهة وكتابة، ويتكيف بتكيف الثقافات والحضارات والتقاليد، ويتميز
بمختلف الفنون الأدبية، ويتميز بأساليب ناقلية²".

ويرى أيضًا أن "الوحي في المسيحية لا يستند إلى تعليم مؤسسٍ واحدٍ بعينه، بل ينمو نموًا
مطردًا خلال خمسة عشر أو عشرين قرنًا، قبل أن يصل إلى ملئه في ظهور المسيح الذي هو
صاحب الوحي الأساسي³".

1 آراء أساتذة لاهوت وقسوس وعلمانيين في قضايا مسيحية، م. س، ص: 14

2 جوزف قزي، بين المسيحية والإسلام، م. س، ص: 9

3 المرجع نفسه، ص: 12

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
بمعنى أن الوحي المسيحي كان يحتوي على ثقافات وحضارات الأمم القديمة، وتكيف مع
خصوصيات الشعوب الأخرى، واشتمل على ألوان من الفنون الأدبية،" من نثرٍ وشعر، وأخبار
وقصص، وأمثال وحكم وأناشيد، ومزامير، ورؤى ورسائل وأعمال"¹.

وبذلك، فإن المسيحيين لا يرون مانعاً من تصرف البشر في كلام الله، بل ويذهبون أكثر من
ذلك إلى إضفاء العصمة والقداسة على أناس عاديين، ويعتبرونهم جزءاً لا يتجزأ من منظومة
الوحي الإلهي، وفي هذا الصدد يقولون: "وجود الأسلوب البشري أو الطابع الشخصي في الأسفار
المقدسة لا يلغي كون أنها بكل ما فيها موحى بها من الله، وقد عصم الوحي الإلهي من أي خطأ
(فالروح القدس هو بمثابة الفنان والأنبياء والرسل بمثابة الآلات المختلفة لاختلاف أساليبهم)
التي ينفخ فيها أو يعزف عليها، فمع اختلاف الآلات الموسيقية في نوعها ومعدنها، فهذا لا يمنع أن
الفنان هو الذي يعزف"².

خلاصة:

الوحي عند المسيحيين ليس له حدود مرسومة وواضحة، بل هو عبارة عن ثوب يتسع
للجميع، ويمكن أن يتصرف فيه كل شخص، وهذا الوحي يتفاعل مع الأحداث التاريخية زماناً
ومكاناً، علاوة على أنه يظل مستمراً إلى ما لا نهاية، وهذا الاعتقاد عند المسيحيين هو الذي أفرز
لنا ما يسمى بظاهرة تقديس كتبة الأسفار، وهي الفكرة التي سادت لقرون طويلة من تاريخ
المسيحية، وذلك راجع إلى اعتقادهم أن هؤلاء الكتبة أو الملهمين يُوحى إليهم بواسطة الروح
القدس.

¹ نفسه، ص: 13

² آراء أساتذة لاهوت وقسس وعلمانيين في قضايا مسيحية، م. س، ص: 16

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
والحديث عن الوحي في المعتقد المسيحي، يفتح باب النقاش حول قضية أخرى مرتبطة به،
ولا تقل أهمية عنه، ألا وهي قضية العصمة، فما حقيقة العصمة عند المدارس المسيحية؟

الفرع الثاني: قضية العصمة

إن قضية العصمة لا وجود لها في المصادر والأدبيات المسيحية ما عدا بعض الإشارات
العابرة فقط، وليس في الأمر مبالغة إذا قلت إن المسيحيين لا يعرفون من العصمة إلا ما يتعلق
بصفات السيد المسيح حسب اعتقادهم فيه، فهو في تصورهم معصوم من الخطيئة بخلاف
آدم أبو البشر الذي يعتبرونه سبباً لتردي ذريته في الخطيئة، ولذلك لا يوجد نقاش أو جدل بين
المسيحيين حول هذا الموضوع، ما إلا ما يتعلق بلاهوت المدرسة الكاثوليكية التي أضفت
العصمة على الباباوات، ومنحتهم حق غفران الذنوب.

وبإلقاء نظرة على الكتاب المقدس الذي هو المصدر الأول من مصادر العقيدة عند
المسيحيين، نجد أن نصوصه لا سيما في العهد القديم، تنزع صفة العصمة عن أنبياء ورسل الله
تعالى، بل وتصفهم بأبشع الأوصاف، وتتهمهم بأفظع التهم التي يعف اللسان عن إلصاقها بالبشر
العادي، فما بالكم بصفوة خلق الله وهم الأنبياء والرسل عليهم السلام.

صورة أنبياء الله في الكتاب المقدس

الكتاب المقدس باعتباره المصدر الأول للعقيدة المسيحية، يقدم لنا صورة بشعة عن نبي
الله لوط، إذ يظهر في شكل الشيخ السكران الذي يشرب الخمر ويزني ببنااته وينجب منهم أبناء
زنى، جاء في النص: "وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوعَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ
فِي صُوعَرَ، فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ، وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ، هَلَمْ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعَ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَيْبِنَا
نَسْلًا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ
بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا، وَحَدَّثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ
مَعَ أَبِي، نَسَقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَيْبِنَا نَسْلًا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا
خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا،
فَحَبَلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَيْبِهِمَا¹.

ويتهم الكتاب المقدس نبي الله داود بالزنا، جاء في نصه: "أَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَّالَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ
وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هَذِهِ بَثْشَبَعُ بِنْتُ أَلِيعَامَ امْرَأَةِ أُورِيَا الْحِثِّيِّ؟»، فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلًا وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ
إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمَئِهَا ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا، وَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ
دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى»².

والنماذج من الكتاب المقدس على الانتقاص من قدر الأنبياء والرسل كثيرة ومتعددة،
ويصعب حصرها في هذا المقام، غير أن ثمة إشكال جوهري يتمثل في معرفة الأسرار وراء عرض
أنبياء ورسول الله بهذه الصورة المخزية في الكتاب المقدس، لذلك حري بنا التساؤل: لماذا صوّر
المسيحيون الأنبياء بهذه الأوصاف القبيحة؟ وما الغاية من ذلك؟

¹ سفر التكوين 19: 30 - 36

² سفر صموئيل الثاني 11: 3 - 5

أسرار نزع العصمة عن الأنبياء في الكتاب المقدس

يظهر أن الفساد الذي يعتري مفهوم عصمة الأنبياء في المسيحية، مرده إلى اعتقاد المسيحيين بتلوث الجنس البشري بالخطيئة، وصعوبة تخلصه منها، إذ يعتقدون أنه لم يسلم أحد من البشر من هذه الخطيئة إلا السيد المسيح، ليس لأنه بشر معصوم فحسب، بل لأنه نصف إله أو تحديدًا ثلث إله. وفي هذا الصدد يصف أحد العلماء المسيحيين سيرة السيد المسيح بقوله: "إنه لا يستطيع أحد مهما أوتي من دقة الوصف أن يُعبر عن جلال وسمو صفات المسيح العجيبة، فإنها بتمامها فريدة لم تتصور مثلها أسمى عقول القدماء، ولم يسمع العالم بما يحاكمها من عصره إلى الآن، ولن يسمع حتى منتهى الزمان، فكما تفردت الشمس بين أنوار السماء بصفاتها الخاصة، كذلك تفرد يسوع المسيح في تاريخ العالم بصفاته الطاهرة الخالية من كل عيب التي لا يمكننا أن نستوفي مدحها لأنها تجل عن مدح البشر"¹.

ويعتقد المسيحيون أن الأنبياء والرسل أخطأوا كما يخطئ بقية البشر، ويحصرون عصمتهم فقط فيما يتعلق بتبليغ الوحي عن الله تعالى²، أما فيما يتعلق بأحوالهم العادية، فإن النبي أو الرسول-حسب التصور المسيحي- يعد إنسانًا كسائر البشر يمكنه أن يرتكب المعاصي والخطايا.

وبالمقابل، يعتقدون أن المسيح يتمتع بمجموعة من الصفات اللاهوتية التي تمنحه طابع القداسة، وبذلك، يصبح معصومًا، ومنزهًا عما يصيب البشر العادي من أعراض وحالات

¹ علم اللاهوت، ج1، م. س، ص: 263

² عوض سمعان، غفران الذنوب: فلسفة الغفران في المسيحية، م. س، ص: 20

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الضعف والخطأ والنسيان، فالمسيحي يتصور "المسيح أزلي، والمسيح قدوس بلا خطية وحده
وكامل في قداسته"¹.

ووصف المسيح بالقدوس، وردت فيه نصوص متعددة من كتاب العهد الجديد، من ذلك
أن ملاك الرب حينما بشر العذراء قال لها: "الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَظَلِّلُكَ،
فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمُؤَلُّودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ"²، ومنها قول بولس الرسول عن السيد
المسيح: "قُدُّوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدْ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ"³، وشهادة
الرسل عنه بقولهم: "مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلَا خَطِيئَةٍ"⁴.

وعلاوة على ذلك، فالعقيدة المسيحية تنبني على فكرة الخلاص في المسيح، وتعني أن مجيء
المسيح إلى الأرض كان بهدف فداء كل البشر وتخليصهم من الخطيئة الموروثة، وهذا ما عبّرت
عنه تعاليم إحدى الطوائف المسيحية بقولهم: "نؤمن أن يسوع المسيح هو المعطى لنا من الآب
لكي نستعيد به كل ما هو ناقص فينا، ونعتقد بما فعله يسوع المسيح، وبما تألمه من أجل
فدائنا، كما هو مدون في قانون الإيمان الذي يتلى في الكنيسة، أي (أؤمن بالله الآب القادر على
كل شيء.)"⁵.

¹ شنودة الثالث، التجسد والمساواة مع المسيح والآب، الكلية الإكليريكية بالعباسية، القاهرة، ط3: أغسطس 2009،
ص ص: 11 - 12

² إنجيل لوقا 1: 35

³ الرسالة إلى العبرانيين 7: 26

⁴ الرسالة إلى العبرانيين 4: 15

⁵ العقائد للكنائس الإنجيلية المصلحة، ترجمة وتقديم: جورج صبرا، عن موقع:

www.lutherinarabic.org/nu2menwana3taref.htm

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ومن أجل هذا المبتغى، نجد أن كتبة أسفار العهد القديم والعهد الجديد تصرفوا في
الوحي المكتوب، وحذفوا كل ما من شأنه أن يرفع الأنبياء إلى مقام أسمى، وعملوا على وضع
حكايات وقصص غريبة تنتقص من قدرهم، وتسيء إلى مكانتهم كوسطاء بين الله والبشر.

ولعل القصد من ذلك كله، هو تبرير ما سيقوم به الأتباع من انحرافات أخلاقية في
المستقبل، وإضفاء الشرعية على تلك الممارسات، ولسان حالهم يقول: "ما دام أنبياء ورسل الله
قد صنعوا هذه الأفعال، فلا حرج علينا في الاقتداء بهم، والسير على طريقهم".

المعصومون حسب الفكر اللاهوتي المسيحي

ينظر المسيحيون نظرة إجلال وتقديس لمن نالوا شرف العصمة، وهذه المنزلة العالية
مُنحت بنصوص الكتاب المقدس لمن تحققت فيهم بعض الشروط، وكانوا متميزين بصفات
خاصة عن بقية البشر، ولم تقتصر العصمة -حسب التصور المسيحي- على الأشخاص
فحسب، بل امتدت لتشمل جوانب أخرى ذات صلة بالإيمان المسيحي.

وعلى الرغم من وجود اختلاف بين المسيحيين حول منح العصمة لبعض الأشخاص، إلا
أن هناك جوانب مشتركة بينهم في هذه القضية، وسأتطرق إلى بعض هذه الجوانب عند ذكر
المعصومين حسب الفكر اللاهوتي المسيحي.

وقد مُنحت العصمة لبعض الأطراف التي لها منزلة عالية في الفكر المسيحي، ويمكن عرض
هؤلاء المعصومين على النحو الآتي:

أولاً: السيد يسوع المسيح

يعتقد المسيحيون أن السيد يسوع المسيح شخص مقدس ومبجل، ويعتبرونه كلمة الأب الوحيدة والكاملة والتي لا يمكن أن يفوقها شيء، ولن تكون كلمة أخرى غير هذه¹ ويستدلون على ذلك بما ورد في الرسالة إلى العبرانيين: "الله، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْأَبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بِهَاءٍ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعِزَّةِ فِي الْأَعَالِي، صَائِرًا أَكْثَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِمَقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ"².

وكما سبقت الإشارة، فهناك اعتقاد سائد عند المسيحيين بأن السيد يسوع المسيح هو الوحيد المعصوم من الخطأ والذي لا يخطئ في تعليمه وشخصيته³ وأيضًا أنه الكائن البشري الوحيد الذي لم يتنجس بخطيئة آدم عليه السلام، فالبشر جميعهم يحملون في عروقهم دم آدم الأثيم إلا المسيح⁴.

وقد وردت نصوص متعددة من الكتاب المقدس تشهد بعصمة وقداسة السيد المسيح،

منها:

¹ يُنظر: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، م. س، ص: 16

² الرسالة إلى العبرانيين 1: 1-4

³ هنري ثيسن، محاضرات في علم اللاهوت النظامي، م. س، ص: 367

⁴ علي الشيخ، لاهوت المسيح في المسيحية والإسلام، م. س، ص: 74-75

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

- "لأنَّه جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِّاجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللَّهِ فِيهِ".¹

- "وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ أَظْهَرَ لِي يَرْفَعُ خَطَايَانَا، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيئَةٌ".²

- "الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً، وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ".³

بالإضافة إلى ذلك، يستند المسيحيون في إثبات عصمة المسيح على شهادات خصومه من خلال ما جاء في نصوص العهد الجديد، فأحد تلاميذه وهو يهوذا الأسخريوطي الذي خانهُ وسَلَّمهُ للجنود قال: "قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا"⁴، وبيلاطيس النبطي الذي حكم عليه بالصلب قال: "إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارِّ"⁵، وامرأة بيلاطيس أرسلت إليه تحذره من قتله وهي تقول: "إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارِّ، لِأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ"⁶.

كما أن هناك شهادات عن عصمة السيد المسيح وهي لفلاسفة ومفكرين اشتهروا بدفاعهم عن المسيحية، يقول الفيلسوف يوستينوس: "إن المسيح لم يتكلم بالكذب مطلقًا، ولا همَّ بخطية أبدًا، ولا اقترف ذنبًا، ولا ارتكب إثماً، ولا أعاب أحدًا ولا آذاه، ولا منع طالبًا، ولا ردَّ سائلا، ولا أعرض عن مستغيث"⁷.

¹ رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس 5: 21

² رسالة يوحنا الرسول الأولى 3: 5

³ رسالة بطرس الرسول الأولى 2: 22

⁴ إنجيل متى 27: 4

⁵ إنجيل متى 27: 24

⁶ إنجيل متى 27: 19

⁷ يُنظر: ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج 1، م. س، ص: 264

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ويقول الفيلسوف ميل: "ولقد أحسن الدين في اختيار هذا الشخص (المسيح) كنموذج
كمال الإنسانية، ومرشد البشرية لأنه يصعب الآن حتى على غير المؤمن أن يقتفي آثار الفضيلة،
ويتزين بجمالها بدون أن يحيا حياة يحبها المسيح، وتقع موقع الاستحسان عنده".

ثانيًا: مريم العذراء أم المسيح

تحظى مريم العذراء -باعتبارها أم السيد المسيح- بمكانة كبرى عند المسيحيين، وبما أنها
والدة الإله كما يعتقدون، وبما أن التجسد الذي يؤمنون به لم يتم إلا عن طريقها، حيث كانت
جسدًا حصلت فيه عملية التجسد على حد قولهم، فإن ذلك أدى بهم إلى تقديسها.

وقد بدأت بوادر النقاش حول شخص مريم العذراء منذ مجمع أفسس، حيث كان السبب
في انعقاده هو إنكار نسطور لألوهية مريم، واعتبارها أمًا ليسوع الإنسان، مما دفع الكنيسة إلى
لعنه وطرده، وتقرير ألوهيتها، وتسميتها بوالدة الإله.

وإن كان الإجماع المسيحي حاصلًا حول ألوهية مريم العذراء، إلا أن موضوع عصمتها، وقع
حوله خلاف كبير بين المدارس المسيحية، وكان الخلاف على أشده بين مدرستين وهما
الأرثوذكسية والكاثوليكية، ولهذا فإن المقام يقتضي إبراز موقف هاتين المدرستين من هذه
القضية.

1-موقف المدرسة الأرثوذكسية:

¹ المرجع نفسه، ص ص: 265 - 266

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
تعتقد المدرسة الأرثوذكسية أن مريم العذراء "وُلدت ككل البشر بالخطيئة الجدية،
وتطهرت عند بشارتها بالميلاد، وصارت أم الإله بالجسد (ثيوتوكوس Θεοτόκος)¹ ، وظلت بتولا
بعد ولادتها للمسيح كما كانت من قبل حتى نياحتها، وتُكرّمها الكنيسة وتشفع بصلواتها، وتعيد
لها تذكارات عديدة"².

ويعترض الأرثوذكس على عقيدة "الحبل بلا دنس"³ التي يؤمن بها الكاثوليك، ومضمونها أن
مريم العذراء وُلدت مُنزهة من الخطيئة الأصلية، ويبررون اعتراضهم هذا، بما ورد في إنجيل لوقا
عند قولها: " فَقَالَتْ مَرْيَمُ: نُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبِّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخَلِّصِي"⁴، فقولها "مخلصي"
هو اعتراف منها باحتياجها للخلاص كسائر البشر، مما يدل على حملها الخطيئة الأصلية⁵.

2-موقف المدرسة الكاثوليكية:

تنظر المدرسة الكاثوليكية إلى مريم العذراء نظرة تقديس منقطعة النظير، ويعتمد
الكاثوليك في تقديسها على ما جاء في النص الكاثوليكي لإنجيل لوقا، وفيه⁶: "فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهَا
الْمَلَكُ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُمْتَلِئَةٌ نِعْمَةً، أَلَرَّبُّ مَعَكَ، مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ"¹.

¹ كلمة من أصل يوناني تعني أم الإله.

² إبراهيم عبد السيد، الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، م. س، ص: 32

³ أدخلت عقيدة الحبل بلا دنس التي تبرئ مريم من الخطيئة الأصلية في العام 1854 (سعد رستم، الفرق والمذاهب
المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص: 73) .

⁴ إنجيل لوقا 1: 46-47

⁵ أبو عبد الرحمن غنيم عبد العظيم، مريم ابنة عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام: دراسة إسلامية مقارنة،

(د.ط)، ص: 35

⁶ المرجع نفسه، ص: 35

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والمدرسة الكاثوليكية"تبالغ في تكريمها، وتعتقد أنها قد وُلدت بلا دنس الخطية الجديدة،
وتعيد لها خصيصًا بذلك، وتتشفع بقلبها عدة مرات لنوال غفران الخطايا لعدد من الأيام
والسنين"².

وفي هذا الإطار، يصور أحد الآباء القديسين نجاة نفس مريم العذراء من الخطيئة الموروثة
فيقول: "إن البشر جميعًا يولدون في مجرى سيل مياهه ملوثة، فحينما تُخلق نفس في هذا
المجرى، تصلها مياه السيل القذرة فتلوثها، ولما خُلقت نفس العذراء وسالت مياه السيل
باتجاهها، رفعها الله قبل أن تَمَسَّها، فمَرَّت المياه دونها، وهكذا أصبحت مريم العذراء الخليقة
الوحيدة بين البشر معصومة من التلوث إذ تَمَّ الحبل بها بدون الخطيئة الأصلية، فهي بريئة
ومعصومة"³.

في حين نجد بعض الطوائف الموالية للمدرسة البروتستانتية"تبالغ في تحقيرها فينكرون
عليها لقب أم الإله اكتفاء بأنها أم المسيح، كما ينكرون دوام بتوليئتها بعد ولادتها له"⁴.

ثالثًا: بطرس الرسول

نال بطرس شرف حمل رسالة السيد المسيح، وهو من تلاميذه المخلصين، ومن الرسل
البارزين الذين تناولت الكتب التاريخية المسيحية سيرتهم بإسهاب.

¹ ورد النص بهذه الصيغة عند الكاثوليك، لكن ورد بصيغة مختلفة في إنجيل لوقا 28: 1

² الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، ص: 33

³ يواكيم منم، مريم العذراء، (مقال إلكتروني)، ص ص: 11- 12

⁴ الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، م. س، ص: 33

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وبطرس هو اسم يوناني، معناه صخر أو حجر وهو رئيس جماعة من يسمى بالرسل، وكان
يسمى سمعان، واسم أبيه يونا، وقد أطلق عليه المسيح لقب الصخرة، وكانت مهنة بطرس صيد
السماك¹.

يقول إشعيا ميخائيل: "إن بطرس كان واحدًا من الذين حلَّ الروح القدس عليهم، وابتدأ
يشهد ويكرز بإمكانيات الروح القدس، وهكذا نستطيع أن نقول إن ميلاد الكنيسة يوم
الخمسين هو ميلاد أيضًا لشخصيات التلاميذ التي اتحدت بإمكانيات ومواهب الروح القدس،
وأصبح سر القوة وسر الثمر المتكاثر هو في عمل الروح القدس وليس في أشخاص التلاميذ²،
هذا إضافة إلى ما كان يتميز به بطرس عن بقية التلاميذ الاثني عشر من صفات ومميزات، وما
كان يحظى به من مكانة عند المسيح، جاء في قاموس الكتاب المقدس: "وقد ساعد حماس
بطرس ونشاطه وغيرته على أن يبرز كالمقدم بين التلاميذ من البداية، فيُذكر اسمه دائما أولا
عند ذكر أسماء الرسل، وكذلك عند ذكر أسماء التلاميذ الثلاثة المقربين جدًا إلى يسوع، كان
اسمه يُذكر أولا، وعند إقامة ابنة بايرس، وفي بستان جثسيماني³".

ويعتقد المسيحيون أن أهم ما يميز بطرس عن الرسل الآخرين، أنه أول من اعترف بحقيقة
يسوع المسيح، "فَأَجَابَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ». فَأَجَابَ يَسُوعُ

¹ قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 174

² إشعيا ميخائيل، سحابة من الشهود: صياد الجليل بطرس الرسول، دار يوسف كمال للطباعة، (د. ط)، ص: 143
*كلمة آرامية معناها "معصرة الزيت" وهي مكان يصفه متى ومرقس بأنه كان "ضيعة" أي مكانًا محاطًا بسيج، ويقول
عنه يوحنا إنه "بستان"، ويكتفي لوقا بوصفه "بالمكان"، وكان يقع على جبل الزيتون، عبر وادي قدرون (دائرة
المعارف الكتابية، ص: 501).

³ قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 175

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وَقَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانُ بْنُ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنَ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي
السَّمَاوَاتِ»¹.

وأن يسوع المسيح منحه سلطانه، وأعطاه مفاتيح ملكوت السماوات فقال له: "أَنْتَ
بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيَّهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ
مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرِبُطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى
الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ"².

إن سلطان الربط والحل هو سلطان الكهنوت الذي أعطاه الرب يسوع المسيح لبطرس
الرسول ولكل رجال الكهنوت، هذا السلطان هو سلطان الرب نفسه ولا يصح استخدامه إلا
لحساب مجد الرب، أي لا يُستخدم لأهواء شخصية أو نوازع ذاتية³.

وقوله: "فَمَا رَبَطْتَهُ فِي الْأَرْضِ رُبُطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَمَا حَلَلْتَهُ فِي الْأَرْضِ حُلًّا فِي السَّمَاوَاتِ"،
يشير إلى سلطان الربط والحل، أي التحريم والتحليل، المنع وإعلان السماح، والفصل من
الجماعة الدينية أو القبول فيها ثانية⁴.

كما يضيف الأنبا يوانس بالقول⁵: "إن بطرس الرسول قد جرت على يده بعض المعجزات
مثل: شفاء المرضى، وإحياء الموتى. إلخ، يقول صاحب كتاب (الكنيسة المسيحية في عصر

¹ إنجيل متى 16: 16 - 17

² إنجيل متى 16: 18 - 19

³ إشعياء ميخائيل، سحابة من الشهود: صياد الجليل بطرس الرسول، م. س، ص: 73

⁴ هوية يسوع ورئاسة بطرس للكنيسة، مقال منشور على موقع: <http://www.abouna.org/content/>

⁵ الأنبا يوانس، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، م. س، ص: 412

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
(الرسل) : "وكان الرب يتمجد على يديه ببعض الآيات كشفاء المقعد عند باب الهيكل الجميل¹،
وشفاء إينياس في مدينة اللد²، وإقامة طابيثا بعد موتها في يافا³".

إن المسيحيين-لأسيما الكاثوليك منهم- يعتقدون عصمة بطرس الرسول، وحجتهم في ذلك، ما تميز به بطرس من مزايا عن بقية الرسل الاثني عشر، كاعترافه بحقيقة المسيح، وإيمانه به كمخلص، وإعلان المسيح أن بطرس هو خليفته، وأنه مؤيد بالروح القدس، وجرت على يديه معجزات، الشيء الذي جعله يتسلم السلطان من يسوع المسيح والذي بموجبه أصبح له الحق في التحليل والتحرير، وغفران الخطايا.

رابعًا: الكتاب المقدس

يطلق المسيحيون على مجموع أسفار العهدين القديم والجديد اسم "الكتاب المقدس"، وكلمة المقدس -كما هو معلوم- تحمل معاني الطهر والعصمة والنزاهة، ولذلك يعتقدون أن هذا الكتاب معصوم وسالم من التحريف.

ويعتقد المسيحيون أن أسفار الكتاب المقدس كتبها الله بواسطة مؤلفين من البشر، وعليه، فإنهم يقولون بأن للأسفار المقدسة مؤلفًا إلهيًا ومؤلفًا بشريًا؛ أو بعبارة أخرى، يعتقدون

¹ أعمال الرسل 1: 3-7

² كانت قديمًا مدينة شهيرة واقعة على مسافة 11 ميلا إلى الجنوب الشرقي من يافا على طريق أورشليم، وقد تأصلت جذور الإنجيل فيها، وحوالي سنة 153ق.م. كانت المدينة مع المنطقة المحيطة بها تؤلف ولاية تابعة للسامرة، ولكن في السنة 145ق.م. ألحقت باليهودية، وقد زارها بطرس وشفى فيها إينياس.(قاموس الكتاب المقدس، تأليف: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، ص: 7) .

³ أعمال الرسل 32: 9-41

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أن الله أَلَفَ الكتاب المقدس بواسطة إلهامات الروح القدس، دافعًا المؤلفين البشر إلى الكتابة،
وَمُوفِّرًا لهم العون في الكتابة بحيث عَبَّرُوا عن كل ما عناه الله دون سواه¹.

ولعل هذه الاعتقادات هي التي أفضت بالمسيحيين إلى القول بعصمة الكتاب المقدس،
واعتباره محفوظًا من عند الله، لم يتعرض للتبديل سواء بالزيادة أو النقص، وفي هذا الصدد
يقول القس بسام نورة: "وعد الله بحفظ كتابه المقدس على مدى التاريخ البشري، أي أن
الكتاب المقدس بقي كما هومند أن أوحى به إلى اليوم، فالله الذي أوحى بالكتاب المقدس، وعد
بالحفاظ عليه"².

ويستدلون على اعتقادهم هذا بمجموعة من النصوص في الكتاب المقدس، منها:

1- "كُلُّ الْكَلَامِ الَّذِي أُوصِيَكُمْ بِهِ احْرِصُوا لِتَعْمَلُوهُ. لَا تَزِدْ عَلَيْهِ وَلَا تُنْقِصْ مِنْهُ"³.

2- "إِلَى الْأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ"⁴.

3- "كُلُّ كَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ نَقِيَّةٌ. تُرْسٌ هُوَ لِلْمُحْتَمِينَ بِهِ لَا تَزِدْ عَلَى كَلِمَاتِهِ لِئَلَّا يُوبَخَكَ
فَتُكَذَّبَ"⁵.

¹توماس ميشال اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية: محاضرات أُلقيت في كلية الشريعة الإسلامية بأنقرة (تركيا)،
دار المشرق، بيروت، نقلها عن الإنجليزية: كميل حشيمة اليسوعي، الطبعة الثانية: 1995، ص: 18

² بسام نورة، الكتاب المقدس: دراسة موجزة في معرفة وحي وعصمة الكتاب المقدس، منشورات نداء الرجاء،
شتوتغارت، ألمانيا، ط1: 2003م، ص: 6

³ سفر التثنية 12: 32

⁴ مزمور 119: 89

⁵ سفر الأمثال 30: 5

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير

4- "يَسِ الْعُشْبُ، ذَبَلِ الزَّهْرُ. وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلَهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ".

5- "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكَمِّلَ. فَإِنِّي

الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ"².

6- "السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ، وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ"³.

7- "وَلَكِنَّ زَوَالَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ"⁴.

8- "إِنْ قَالَ إِلَهٌ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُنْقَضَ

الْمَكْتُوبُ"⁵.

9- "مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لَا مِنْ زَرْعٍ يَفْتَى، بَلْ مِمَّا لَا يَفْتَى، بِكَلِمَةِ اللَّهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى

الْأَبَدِ. لِأَنَّ كُلَّ جَسَدٍ كَعُشْبٍ، وَكُلَّ مَجْدٍ إِنْسَانٍ كَزَهْرِ عُشْبٍ. الْعُشْبُ يَبِسَ وَزَهْرُهُ سَقَطَ، وَأَمَّا كَلِمَةُ الرَّبِّ فَتَثْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ. وَهَذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي بُشِّرْتُمْ بِهَا"⁶.

10- "لَأَنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالَ نُبُوءَةِ هَذَا الْكِتَابِ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هَذَا،

يَزِيدُ اللَّهُ عَلَيْهِ الضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالَ

¹ سفر إشعياء 8: 40

² إنجيل متى 5: 17-18

³ إنجيل مرقس 31: 13

⁴ إنجيل لوقا 17: 16

⁵ إنجيل يوحنا 35: 10

⁶ رسالة بطرس الرسول الأولى 1: 23-25

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
كِتَابُ هَذِهِ النُّبُوءَةِ، يَحْذِفُ اللَّهُ نَصِيبَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَمِنْ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمِنْ
الْمَكْتُوبِ فِي هَذَا الْكِتَابِ¹.

خامسًا: الكنيسة

تعتبر الكنيسة المؤسسة الدينية والنواة الأولى للتجمع المسيحي، وبغض النظر عن عدم
التنصيب على هذا المفهوم في التراث المسيحي، إلا أن العديد من المؤرخين يرون أن للكنيسة
جذورًا ممتدة في التاريخ، وفي هذا الصدد يقول مؤلف كتاب (بين المسيحية والإسلام) : "منذ
البدء، وقبل إنشاء العالم، أسس الله الكنيسة؛ لأنه، منذ البدء، دعا الإنسان إلى أن يعيش في
جماعة، ولما وقعت الخطيئة، وفرقت ما بين الناس، فرط عقد الجماعة؛ فكان لا بدّ، لجمع
شمل أبناء الله المشتتين، من إعادة الألفة والمصالحة والوحدة في جماعة جديدة واحدة، هي
الكنيسة"².

وترد بعض النصوص الكتابية التي تتحدث عن مفهوم "الكنيسة"، من ذلك قوله: "أَيُّهَا
الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا"³، وكذلك قوله
عند تمييز جماعة المسيحيين عن الأمم الأخرى: "كُونُوا بِلَا عَثْرَةٍ لِلْيَهُودِ وَلِلْيُونَانِيِّينَ وَلِلْكَنِيسَةِ
اللَّهِ"⁴ ومخاطبة يسوع المسيح لبطرس قائلا له: "أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي"⁵،
إضافة إلى الأحداث التي وقعت يوم الخمسين⁶ وحلول الروح القدس على الحاضرين⁷.

¹ رؤيا يوحنا اللاهوتي 22: 18-19

² جوزف قزي، بين المسيحية والإسلام، م. س، ص: 254

³ رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس 5: 25

⁴ رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 10: 32

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

ويعتقد المسيحيون بمختلف مدارسهم أن الكنيسة هي جسد* المسيح أي هي محضر المسيح ومكان تجليه⁴ وأنها عبارة عن شركة رأسها* المسيح⁵ وما زالت هذه الشركة بين الله والإنسان تتم كل يوم في الكنيسة من خلال الإفخارستيا⁶ Evcharista، إذ ترك السيد المسيح جسده ودمه الأقدسين كل يوم على المذبح ليتناولهما المؤمن فيتحده به، ويثبت فيه ويعيش ملكوت الله وهو على الأرض⁷.

ولهذه الاعتبارات أصبحت الكنيسة-في نظر المسيحيين- ترمز إلى كل ما هو مقدس، حيث أن ما يصدر عنها من قرارات يمثل كلام المسيح، ولعل هذا الاعتقاد هو الذي حدا بالكاثوليك إلى اعتبار الكنيسة سلطة دينية تحظى بالعصمة، جاء في الوثائق الكاثوليكية قولهم: "وهذه

¹ إنجيل متى 16: 18

² كان يوم الخمسين عيداً يهودياً مقدساً، وهو يقع في يوم الخميس بعد عيد الفصح، وكان أتباع المسيح مجتمعين معاً بعد صعود ربهم إلى السماء، وإذا بإحساس جديد قد غمرهم، وحماس قد استبد بهم، وتقول القصة (السنة من نار) استقرت عليهم، وسمعهم الواقفون يتكلمون، كل في لغته، وقد يرمز هذا المظهر إلى وحدة عميقة في المسيح، ارتفعت فوق حواجز الجنس والقومية واللغة (حبيب سعيد، أديان العالم، ص: 242) .

³ أعمال الرسل 1: 2- 4

* يُنظر: رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس 23: 1 و 4: 4 - 6

⁴ المدخل إلى العقيدة المسيحية، م. س، ص: 219

* يُنظر: رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس 22: 1

⁵ حبيب سعيد، أديان العالم، م. س، ص: 244

⁶ كلمة من أصل يوناني وتعني الشكر، ويقصد بها في هذا السياق، العشاء الرباني الذي هو عبارة عن "ذبيحة يقدمها الكاهن إلى الله، ويطلب من الله النعمة للأحياء والأموات" (جون لوريير، تاريخ الكنيسة، ج2، ص: 98) .

⁷ بيشوى حلمي إبراهيم، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 297

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
السلطة الحية والمعصومة لا توجد إلا في الكنيسة التي بناها المسيح الرب على بطرس، رأس
الكنيسة جمعاء، وزعيمها وراعها، الذي وعده بأن إيمانه لن يتزعزع¹.

سادسًا: بابا الكنيسة

انفردت المدرسة الكاثوليكية من بين المدارس اللاهوتية المسيحية الأخرى بإضفاء العصمة
على باباوات الكنيسة، ويعتقد الكاثوليك أن عصمة البابا لها سند في الكتاب المقدس، حيث
يبررون اعتقادهم هذا؛ بأن السيد المسيح أعطى أحد تلاميذه وهو بطرس مفاتيح ملكوت
السماوات قائلا له: "أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، فَكُلُّ مَا تَرَبِّطُهُ عَلَى الْأَرْضِ
يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ"².

ومن الجدير بالذكر أن عصمة البابا-كما عرّفها وحدّدها المجمع الفاتيكاني الأول عام
1870- إنما تكون عندما يتكلم البابا بصفته ككاهن ومعلم، ويُصرّح بأن التعليم الذي يقوله
ملزم للكنيسة ككل، ويكون الموضوع متعلقًا بالإيمان والأخلاق التي تدخل كجزء من الوحي
الإلهي المُسلّم من الرسل إلى خلفائهم (التسليم الرسولي)، أما وجهات نظر البابا وأراؤه
الشخصية أو الخصوصية، أو التي لها علاقة بالأمر الدنيوية؛ فلا تدخل في موضوع العصمة،
ولا يعتبر فيها معصومًا أبدًا³.

¹ الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، م. س، ص: 603

² إنجيل متى 18: 16 – 19

³ سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، م. س، ص: 78

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وخلاصة القول، فإن العصمة في التصور المسيحي تمتد إلى أبعد مدى، وتشمل -علاوة
على المسيح- بعض الشخصيات الأخرى التي حظيت بالتقديس عند المسيحيين كمريم العذراء
أم المسيح، وبطرس الرسول، كما يدخل في نطاق العصمة أيضاً الكتاب المقدس والكنيسة.
وتتجلى العصمة أيضاً في ما أجراه الله على يد هذه الشخصيات من خوارق ومعجزات، فما
حقيقة المعجزات عند المدارس المسيحية؟

الفرع الثالث: قضية المعجزات

1- تعريف المعجزة

جاء في دائرة المعارف الكتابية: "الأعجوبة أو المعجزة هي عمل أو ظاهرة خارقة للطبيعة،
وفي لحظة حاسمة أو مرحلة فاصلة في التاريخ، والعجائب أو المعجزات الحقيقية هي من فعل
الله، إله الطبيعة وخالقها، والقادر على كل شيء"¹.

وورد لفظ آخر مرادف للمعجزة وهو "عجيبة" وتعني: "حادثة تحدث بقوة إلهية تخرق
مجرى الطبيعة العادي وتثبت إرسالية من كان سبب الحادثة أو من جرت على يديه، وهي فوق
الطبيعة المألوفة، ولكنها ليست ضدها، وهي تحدث بتوقيف نظم الطبيعة، ولكنها لا تلغي تلك
النظم، ويقصد بها إظهار النظام الذي هو أعلى من الطبيعة الذي يخضع له نظام الطبيعة
نفسه"².

¹ دائرة المعارف الكتابية، م. س، ص: 192

² قاموس الكتاب المقدس، ص: 601

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وقد استعمل العهد الجديد ثلاثة أوصاف للعجائب:

آية (متى 38: 12 و39 و16 و4 ومر11: 8 ولو16: 11 و8: 23 ويو11: 2 واع 8: 6 و1كو 22: 1) وعجيبة (يو8: 4 واع 22: 43-2 و36: 7 ورو19: 15) وقوة أو قوات (مت 22: 7 و20: 11 و23 ولو13: 10)¹.

إذن يظهر من خلال التعريفات السابقة أن المعجزة في التصور المسيحي هي كل حادثة تخرق نوااميس الطبيعة، وتكون من فعل الله، والقصد منها إثبات رسالة من جرت على يديه من الرسل، وإظهار عظمة مجريها وهو الخالق سبحانه.

2- مدلول المعجزة في العقيدة المسيحية

يصعب إيجاد مدلول ثابت وواضح للمعجزة في التصور المسيحي، فبالعودة إلى المصادر المسيحية خاصة (كتاب العهد الجديد)، نجد خلطاً كبيراً بين المعجزات والكرامات والعجائب والظهورات²، مع أن الفروق بينها معلومة، ولهذا تم حشو الأناجيل الأربعة (مرقس، متى، لوقا، يوحنا) بكم هائل من القصص التي تظهر وقوع الخوارق على يد بعض الأشخاص، وأكثر هذه الخوارق والعجائب نُسبت إلى أناس عاديين، وبعضها نُسب إلى الرهبان والقديسين.

¹ قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 601.

² الظهور هو حدث فوقى تتصل به الشخصيات السماوية مع بني البشر، كظهور الرب يسوع أو العذراء مريم أو أحد القديسين، ويلتمس المشاهد هذا الظهور بالنظر أو السمع فقط أو كليهما . فشاؤل الطرسوسي رأى النور الساطع "وسمع الصوت، أما رفاقه فكانوا يسمعون الصوت ولا يرون أحداً" أعمال الرسل 6: 9. المصدر <http://f.mangish.net/forum.php?action=view&id=3792#ixzz5ZwYzG0NW> (تاريخ الزيارة: 2019-07-01)

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وبذلك يصبح مفهوم "المعجزة" في التصور المسيحي شاملا لكل ألوان الخوارق والكرامات
والعجائب وحتى الظهورات التي تحدث لشخصيات مسيحية، مما يدل على أن المدارس
اللاهوتية المسيحية تجمع كل الحوادث العجيبة في سلة واحدة، وتجعلها تحت
مسمى "المعجزات".

3- المعجزات في المصادر المسيحية

إن المتأمل في نصوص الكتاب المقدس، سيلاحظ وجود تفاوت كبير بين عهديه القديم
والجديد في ذكر المعجزات، فبينما لا توجد سوى بضعة نماذج من المعجزات في العهد القديم
خاصة تلك التي تُنسب للأنبياء، يلفت نظرنا وجود عدد هائل من المعجزات في العهد الجديد،
بعضها حدث على يد المسيح عيسى، والبعض الآخر يُنسب لشخصيات مسيحية أخرى، ومنها ما
يُنسب للقديسين الذين عاشوا في عصر الرسل.

وتتوزع المعجزات التي يؤمن بها المسيحيون على نصوص العهد القديم والعهد الجديد،
علماً أن العهد الجديد قد فاق العهد القديم في ذكر عدد المعجزات والخوارق.

أولاً: المعجزات في العهد القديم

يمكن تقسيم معجزات العهد القديم إلى ثلاث مراحل رئيسية: مرحلة النبي موسى ويشوع،
مرحلة إيليا وأليشع، ومرحلة النبي دانيال.

أ- مرحلة النبي موسى ويشوع:

جرت معجزات كثيرة للنبي موسى مع بني إسرائيل، وقد تحدث عنها الكتاب المقدس، وكان
سفر الخروج هو أكثر الأسفار سرداً لهذه المعجزات، يليه أسفار التثنية والعدد ومزمور بدرجات

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أقل، كما حكى لنا الكتاب المقدس عن بعض معجزات يشوع بن نون تلميذ النبي موسى، وقد
تَسَمَّى سفر كامل باسمه وهو سفر يشوع حيث تطرق هذا السفر لقصة حياته ومعجزاته.

-معجزات النبي موسى:

في ما يخص النبي موسى، يذكر الكتاب المقدس بعض معجزاته التي أظهرها الله على يديه،
وهذه المعجزات يمكن تقسيمها إلى قسمين: ما حدث للنبي موسى في مصر زمن فرعون، وما
حدث أثناء خروجه مع بني إسرائيل بعد حملة الاضطهاد والتنكيل التي قام بها فرعون.

-معجزات النبي موسى في مصر زمن فرعون:

شكَّلت العصا أداة فعَّالة في كل المعجزات التي حدثت على يد النبي موسى "واستخدم الله
عصا موسى في كثير من الضربات التي حلَّت بأرض مصر، فهي التي ضربت النهر، فتحوّلت المياه
دُمًا، وهي التي ارتفعت إلى السماء لتدعو العاصفة، وضرب موسى بها تراب الأرض فصار بعوضًا
يلدغ المصريين، وهي التي استخدمها فيما بعد لكسب الحرب ضد عماليق، وهي التي استُخدمت
لتفجّر ينابيع من الصخر، ولذلك كانوا يسمونها عصا الله¹.

ومن جملة هذه المعجزات:

تحويل العصا إلى حية:

حدثت هذه المعجزة في مواجهة النبي موسى لفرعون وسحرته، حيث أمر الله موسى بإلقاء
عصاه على الأرض، فتحوّلت العصا إلى حية تمشي، وفي ذلك يحكي الكتاب المقدس ما نصه:

¹مَنيس عبد النور، موسى كليم الله، منشورات نداء الرجاء، شتوتغارت، ألمانيا، ط1: 1989م، ص: 30

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

"فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصَا». فَقَالَ: «اطْرَحْهَا إِلَى الْأَرْضِ». فَطَرَحَهَا إِلَى الْأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً، فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنَبِهَا». فَمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهَا، فَصَارَتْ عَصَا فِي يَدِهِ"¹.

وأرسل الله نبيه موسى وأخيه هارون إلى فرعون قائلاً لهما: "إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلًا: هَاتِيَا عَجِيبَةً، تَقُولُ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَاطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرُ ثُعْبَانًا". فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفَعَلَا هَكَذَا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. طَرَحَ هَارُونُ عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عِبِيدِهِ فَصَارَتْ ثُعْبَانًا. فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَيْضًا الْحُكَمَاءَ وَالسَّحَرَةَ، فَفَعَلَ عَرَّافُو مِصْرَ أَيْضًا بِسِحْرِهِمْ كَذَلِكَ. طَرَحُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ فَصَارَتْ الْعِصِيُّ ثُعَايِينَ. وَلَكِنْ عَصَا هَارُونَ ابْتَلَعَتْ عِصِيَهُمْ"².

فكانت المعجزة هي التهام الحية التي كانت أول الأمر عصا لكل ثعابين سحرة فرعون، وبذلك تمت الغلبة لنبي الله موسى وأخيه هارون.

اليد البرصاء:

من المعجزات الباهرة التي أعطاها الله للنبي موسى خروج يده من جيبه بيضاء، حيث أطلق عليها كُتَّاب العهد القديم "اليد البرصاء"، وقد ورد في ذلك ما نصه: "ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَيْضًا: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُيْبِكَ». فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُيْبِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا، وَإِذَا يَدُهُ بَرَصَاءٌ مِثْلَ الثَّلْجِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: «رُدَّ يَدَكَ إِلَى عُيْبِكَ». فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى عُيْبِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنْ عُيْبِهِ، وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ"³.

¹ سفر الخروج 4: 2-4

² سفر الخروج 7: 9-12

سفر الخروج 4: 6³-7

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

وقد حاول مفسرو الكتاب المقدس التأكيد على أن يد النبي موسى خرجت من جيبه برصاء، ثم عادت سليمة مثل لون جسده كما كانت، وهذا ما نجده في التفسير بقولهم: "كان البرص أحد الأمراض الخطيرة في ذلك العصر، إذ لم يكن له علاج، وكان الموت يتبع آلامه الشديدة وكان موسى يعلم أن الله يقدر أن يسمح بأي نوع من المشاكل، كما يقدر أن يعالجها، ورأى موسى أن لله كل القدرة، وقد أرسله لاستخدام هذه القوة لإخراج العبرانيين من مصر".

تحويل الماء إلى دم:

تندرج هذه المعجزة ضمن ما يسميه المسيحيون "الضربات العشر"² وهي من المعجزات التي أجراها الله على يد النبي موسى، وهذه الضربات كانت بمثابة إنذار لفرعون المستكبر وقومه، وإظهار قوة الله عليهم، وقد جاء فيها ما نصه: "ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قَلْبُ فِرْعَوْنَ غَلِيظٌ. قَدْ أَبَى أَنْ يُطَلِّقَ الشَّعْبَ. إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ فِي الصَّبَاحِ. إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى الْمَاءِ، وَقِفْ لِلِقَائِهِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَالْعَصَا الَّتِي تَحَوَّلَتْ حَيَةً تَأْخُذْهَا فِي يَدِكَ. وَتَقُولُ لَهُ: الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ قَائِلًا: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي فِي الْبَرِّيَّةِ. وَهُوَذَا حَتَّى الْآنَ لَمْ تَسْمَعْ. هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: هَذَا تَعْرِفُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ: هَا أَنَا أَضْرِبُ بِالْعَصَا الَّتِي فِي يَدِي عَلَى الْمَاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَيَتَحَوَّلُ دَمًا. وَيَمُوتُ السَّمَكُ الَّذِي فِي النَّهْرِ وَيَنْتِنُ النَّهْرُ. فَيَعَاظُ الْمِصْرِيُّونَ أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنَ النَّهْرِ»"³.

1 التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 136

2 الضربات العشر وردت تفاصيلها في سفر الخروج وتشمل: تحويل الماء إلى دم-ضربة الضفادع-ضربة البعوض-ضربة الذباب-ضربة الوباء في المواشي-ضربة الدامل-ضربة البرد-ضربة الجراد-ضربة الظلام الدامس-ضربة موت الأبقار.

3 سفر الخروج 7: 14 - 18

-معجزات أثناء خروج النبي موسى مع بني إسرائيل:

حدثت معجزات عظيمة في خروج النبي موسى وبني إسرائيل من أرض مصر، وقد ذكر الكتاب المقدس هذه المعجزات بشيء من التفصيل، ومن ذلك:

عمود السحاب:

قاد الرب شعب بني إسرائيل بعمود السحاب نهارًا وعمود النار ليلاً، وقد ورد تفصيل ذلك في سفر الخروج حيث يقول: "وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُوتٍ وَنَزَلُوا فِي إِثْنَامَ فِي طَرْفِ الْبَرِّيَّةِ. وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودٍ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلًا فِي عَمُودٍ نَارٍ لِيُضِيَّ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلًا. لَمْ يَبْرُحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلًا مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ"¹.

ويرى بعض مفسرو الكتاب المقدس أن عمود السحاب والنار يرمزان إلى ظهور الله في صورة منظورة، وهي الصورة التي أضاء الله بها طريق بني إسرائيل وحماهم من أعدائهم، وأعطاهم اليقين، وهيمن على تحركاتهم².

المن والسلوى:

وصل الشعب إلى برية سين³ بعد شهر من خروجهم من مصر، وكان الطعام قد نفذ منهم فلم يجدوا ما يأكلونه، وكعادتهم فإن أول ما يفعلونه هو إلقاء اللوم على موسى والتذمر عليه⁴.

¹ سفر الخروج 13: 20-22

² التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص ص: 158 – 159

³ المقصود بها أول برية سيناء، وصل إليها العبرانيون بعد أن عبروا البحر الأحمر من إيليم (الخروج: 1: 16) إلى ريفيديم (قاموس الكتاب المقدس، ص: 497) .

⁴ داود لمعي، موسى العظيم في الأنبياء، كنيسة مار مرقس، مصر الجديدة، ط1: مايو 2009، ص: 101

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
تدمير الشعب ولم يكن لدى موسى خزائن مادية لتشبع جوعهم¹، عندما سمع الله تدمير بني
إسرائيل قال لموسى²: "هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ. فَيَخْرُجُ الشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُونَ حَاجَةَ الْيَوْمِ
بِیَوْمِهَا. لِكَيْ أُمْتَحِنَهُمْ، أَيْسَلُكُونَ فِي نَامُوسِي أَمْ لَا"³.

فتمتثلت لهم معجزة الله بنزول الطعام "المن والسلوى"، وهذا ما ورد ذكره في الكتاب
المقدس: "فَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّ السَّلْوَی صَعِدَتْ وَغَطَّتِ الْمَحَلَّةَ. وَفِي الصَّبَاحِ كَانَ سَقِیْطُ النَّدَى
حَوَالِی الْمَحَلَّةِ. وَلَمَّا ارْتَفَعَ سَقِیْطُ النَّدَى إِذَا عَلَى وَجْهِ الْبَرِّيَّةِ شَيْءٌ دَقِیقٌ مِثْلُ قُشُورٍ. دَقِیقٌ كَالْجَلِيدِ
عَلَى الْأَرْضِ. فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ؟» لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ.
فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي أَعْطَاكُمْ الرَّبُّ لِتَأْكُلُوا. هَذَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ.
إِلْتَقِطُوا مِنْهُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أَكْلِهِ. عُمَرًا لِلرَّأْسِ عَلَى عَدَدِ نَفُوسِكُمْ تَأْخُذُونَ، كُلُّ وَاحِدٍ
لِلَّذِينَ فِي خِيَمَتِهِ»⁴.

وكان تحقق هذه المعجزة امتحاناً من الله لشعب بني إسرائيل، سبقته امتحانات كثيرة، غير
أن طبيعة الشخصية الإسرائيلية بقيت على عنادها ونكرانها لنعم الله.

تفجير ينابيع الماء من الصخرة:

كعادة شعب بني إسرائيل مع النبي موسى، فقد أبدوا تدميرهم عليه بعدما أحسوا بشدة
العطش، واستشعروا هلاك أنفسهم وأولادهم ومواشيهم، وهذا ما حكاه النص: "وَعَطِشَ هُنَاكَ

¹ تادرس يعقوب ملطي، تفسير وتأملات الآباء الأولين (سفر الخروج) ، ص: 29

² منيس عبد النور، موسى كليم الله، م. س، ص: 37

³ سفر الخروج 16: 4

⁴ سفر الخروج 16: 13-16

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: «لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِنُتِمِّينَا وَأَوْلَادَنَا
وَمَوَاشِينَا بِالْعَطَشِ؟»¹

وعندئذ جاء أمر الله لنبيه موسى ليأخذ معه شعب بني إسرائيل، ويذهب إلى الصخرة في
حوريب²، ثم يضرب بعصاه الصخرة فيخرج منها الماء ليشرب الشعب، فقام النبي موسى منفذاً
أوامر ربه، وقد وردت تفاصيل هذه المعجزة في النص كما يلي: "قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَرِّ قَدَّامَ
الشَّعْبِ، وَخُذْ مَعَكَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ. وَعَصَاكَ الَّتِي ضَرَبْتَ بِهَا النَّهْرَ خُذْهَا فِي يَدِكَ وَاذْهَبْ. هَا
أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ
الشَّعْبُ». فَقَعَلَ مُوسَى هَكَذَا أَمَامَ عُيُونِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ»³.

وقد جاء التأكيد على تحقق هذه المعجزة في موضع آخر من الكتاب المقدس: "شَقَّ
صُخُورًا فِي الْبَرِّيَّةِ، وَسَقَاهُمْ كَأَنَّهُ مِنْ لُجَجٍ عَظِيمَةٍ"⁴.

شق البحر بالعصا:

كان موسى يصرخ في أعماقه صراخاً صامتاً، ولم يذكر الكتاب أنه قال شيئاً، ولكن الله
قد سمع أنات قلبه وقال له لماذا تصرخ؟ ثم كشف له عن طريق النجاة الذي يتمثل في أن يمد
عصاه على البحر ويشقه فيعبر بنو إسرائيل ويهلك فرعون وجيشه⁵.

¹ سفر الخروج 17: 3

² اسم جبل ويطلق أيضاً على برية سيناء (قاموس الكتاب المقدس، ص: 498).

³ سفر الخروج 17: 5-6

⁴ مزمور 78: 15

⁵ داود لمعي، موسى العظيم في الأنبياء، م. س، ص: 89

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ومن الواضح أن صراخ النبي موسى كان تعبيراً عن استشهاده للخطر الداهم من خلفه،
والمتمثل في ملاحقة فرعون وجنوده لهم، لكن الله استجاب لنداء نبيه موسى، وأرسل ملاكه
الذي كان يسير أمام شعب بني إسرائيل لينتقل إلى الخلف، ويحميهم من عدوهم.

وهذه المعجزة العظيمة التي أيد الله بها نبيه موسى وشعب بني إسرائيل جاءت تفاصيلها في
الكتاب المقدس كما يلي: "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَا لَكَ تَصْرُخُ إِلَيَّ؟ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْحَلُوا.
وَارْفَعْ أُنْتِ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ وَشَقَّهُ، فَيَدْخُلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ عَلَى
الْيَابِسَةِ. وَهَآ أَنَا أَشَدُّ قُلُوبَ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى يَدْخُلُوا وَرَاءَهُمْ، فَاتَّعَجَّدَ بِفِرْعَوْنَ وَكُلِّ جَيْشِهِ،
بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ. فَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ اتَّعَجَّدَ بِفِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ».
فَانْتَقَلَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ السَّائِرُ أَمَامَ عَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ وَسَارَ وَرَاءَهُمْ، وَانْتَقَلَ عَمُودُ السَّحَابِ مِنْ أَمَامِهِمْ
وَوَقَفَ وَرَاءَهُمْ. فَدَخَلَ يَمْنَنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَعَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ، وَصَارَ السَّحَابُ وَالظَّلَامُ وَأَضَاءُ
اللَّيْلِ. فَلَمْ يَقْتَرِبْ هَذَا إِلَى ذَلِكَ كُلِّ اللَّيْلِ".¹

عبور البحر الأحمر:

هذه المعجزة مرتبطة بالمعجزة التي سبقتها (شق البحر بالعصا)، وقد حدثت بعدها
مباشرة، وتتلخص تفاصيلها في نجاة النبي موسى وبني إسرائيل من فرعون وجنوده بعد عبورهم
للبحر الأحمر.

وفي هذا الصدد يقول الكتاب المقدس: "وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ
بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَأَنْشَقَ الْمَاءُ. فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ

¹ سفر الخروج 14: 20-15

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الْبَحْرِ عَلَى الْيَابَسَةِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ. وَتَبِعَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَدَخَلُوا وَرَاءَهُمْ.
جَمِيعُ خَيْلِ فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى وَسْطِ الْبَحْرِ. وَكَانَ فِي هَزِيعِ الصُّبْحِ أَنَّ الرَّبَّ أَشْرَفَ
عَلَى عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ فِي عَمُودِ النَّارِ وَالسَّحَابِ، وَأَزْعَجَ عَسْكَرَ الْمِصْرِيِّينَ، وَخَلَعَ بَكَرَ مَرْكَبَاتِهِمْ حَتَّى
سَاقُوهَا بِثِقَلَةٍ. فَقَالَ الْمِصْرِيُّونَ: «تَهْرُبُ مِنْ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّ الرَّبَّ يُقَاتِلُ الْمِصْرِيِّينَ عَنْهُمْ». فَقَالَ
الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ لِيَرْجِعَ الْمَاءُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ». فَمَدَّ
مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى
لِقَائِهِ. فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ. فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ
فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلَا وَاحِدٌ. وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى
الْيَابَسَةِ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ¹.

هلاك فرعون وجنوده:

بالرغم من ضخامة قوات فرعون وكثرة عتاده العسكري، وضعف شعب بني إسرائيل وقلة
حيلة النبي موسى في مواجهة هذا الجبروت الفرعوني، إلا أن عناية الله تدخلت فأنقذت النبي
موسى ومن معه من بني إسرائيل، وبالمقابل أهلك الله فرعون وجنوده غرقاً في اليم، فكانت هذه
معجزة كبرى من معجزات النبي موسى.

وقد تضمن الكتاب المقدس إشارات عن نجاة موسى مع بني إسرائيل وهلاك فرعون
وجنوده، حيث جاء فيه: "فَخَلَّصَ الرَّبُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ. وَنَظَرَ إِسْرَائِيلُ

¹ سفر الخروج 14: 21-29

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
المُصْرِيَيْنَ أَمْوَاتًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. وَرَأَى إِسْرَائِيلُ الْفِعْلَ الْعَظِيمَ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ بِالْمُصْرِيِّينَ،
فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَأَمَنُوا بِالرَّبِّ وَبِعَبْدِهِ مُوسَى¹.

معجزة البقرة:

عند تصفح الكتاب المقدس لا نجد تفاصيل مهمة عن قصة ذبح البقرة أو معجزة إحياء
قتيل بني إسرائيل، ما عدا بعض الفقرات في سفر التثنية وفي سفر العدد، وما نجده لا يسرد
لنا هذه المعجزة كما حدثت بالفعل في زمن النبي موسى، بقدر ما يحكي لنا عن التشريع اليهودي
في حالة ارتكاب جريمة قتل ولم يُعرف المجرم. جاء في هذا الصدد قوله: "إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي
الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ لَتَمْتَلِكَهَا وَاقِعًا فِي الْحَقْلِ، لَا يُعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ، يَخْرُجُ شُيُوخُكَ
وَقُضَاتُكَ وَيَقْسِمُونَ إِلَى الْمَدْنِ الَّتِي حَوْلَ الْقَتِيلِ. فَالْمَدِينَةُ الْقُرْبَى مِنَ الْقَتِيلِ، يَأْخُذُ شُيُوخُ تِلْكَ
الْمَدِينَةِ عِجْلَةً مِنَ الْبَقَرِ لَمْ يُحَرِّثْ عَلَيْهَا، لَمْ تَجَرَّ بِالْبَيْرِ. وَيَنْحَدِرُ شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِالْعِجْلَةِ إِلَى
وَادٍ دَائِمِ السَّيْلَانِ لَمْ يُحَرِّثْ فِيهِ وَلَمْ يُزْرَعْ، وَيَكْسِرُونَ عُنُقَ الْعِجْلَةِ فِي الْوَادِي. ثُمَّ يَتَقَدَّمُ الْكَهَنَةُ
بَنُو لَآوِي، لِأَنَّهُ إِيَّاهُمْ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلَهَكَ لِيَخْدِمُوهُ وَيُبَارِكُوا بِاسْمِ الرَّبِّ، وَحَسَبَ قَوْلِهِمْ تَكُونُ كُلُّ
خُصُومَةٍ وَكُلُّ ضَرْبَةٍ، وَيَغْسِلُ جَمِيعُ شُيُوخِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْقَرِيبِينَ مِنَ الْقَتِيلِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْعِجْلَةِ
الْمَكْسُورَةِ الْعُنُقُ فِي الْوَادِي، وَيُصْرِحُونَ وَيَقُولُونَ: أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هَذَا الدَّمَ، وَأَعَيْنُنَا لَمْ تُبْصِرْ.
اغْفِرْ لَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي قَدَيْتَ يَا رَبُّ، وَلَا تَجْعَلْ دَمَ بَرِيٍّ فِي وَسْطِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ. فَيُغْفَرُ
لَهُمُ الدَّمَ. فَتَنْزَعُ الدَّمَ الْبَرِيَّ مِنْ وَسْطِكَ إِذَا عَمِلْتَ الصَّالِحَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ².

¹ سفر الخروج 14: 30-31

² سفر التثنية 21: 9-1

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وفي سفر العدد نقرأ هذه الفقرات: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: «هَذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَهَا الرَّبُّ قَائِلًا: كَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا إِلَيْكَ بَقْرَةً حَمْرَاءَ صَحِيحَةً لَا عَيْبَ فِيهَا، وَلَمْ يَغْلُ عَلَمُهَا نِزْرًا، فَتُعْطُونَهَا لِأَعَاذَارِ الْكَاهِنِ، فَتُخْرَجُ إِلَى خَارِجِ الْمُحَلَّةِ وَتُذْبَحُ قُدَّامَهُ. وَيَأْخُذُ أَعَاذَارُ الْكَاهِنُ مِنْ دَمِهَا بِإَصْبَعِهِ وَيَنْضِجُ مِنْ دَمِهَا إِلَى جِهَةِ وَجْهِ خَيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. وَتُحْرَقُ الْبَقْرَةُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ. يُحْرَقُ جِلْدُهَا وَلَحْمُهَا وَدَمُهَا مَعَ فَرَثِهَا. وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ خَشَبَ أَرْزٍ وَزَوْفًا وَقِرْمَزًا وَيَطْرَحُهُنَّ فِي وَسْطِ حَرِيقِ الْبَقْرَةِ، ثُمَّ يَغْسِلُ الْكَاهِنُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ الْمُحَلَّةَ. وَيَكُونُ الْكَاهِنُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. وَالَّذِي أَحْرَقَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ بِمَاءٍ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. وَيَجْمَعُ رَجُلٌ طَاهِرٌ رَمَادَ الْبَقْرَةِ وَيَضَعُهُ خَارِجَ الْمُحَلَّةِ فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ، فَتَكُونُ لَجَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي حِفْظٍ، مَاءَ نَجَاسَةٍ. إِنَّهَا ذَبِيحَةُ خَطِيئَةٍ. وَالَّذِي جَمَعَ رَمَادَ الْبَقْرَةِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. فَتَكُونُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ فِي وَسْطِهِمْ فَرِيضَةُ دَهْرِيَّةً¹».

غير أن ما يمكن ملاحظته عن مضمون هذه الفقرات هو غياب الإشارة إلى معجزة إحياء قتيل بني إسرائيل، بل على العكس من ذلك نجد أن الفقرات تتحدث فقط عن أحكام لمس جثة ميت في الشريعة اليهودية، وما يتصل بذلك من النجاسة وكيفية التطهر منها، وهذا ما تؤكد الفقرات الموالية من السفر نفسه: "مَنْ مَسَّ مَيِّتًا مَيِّتَةً إِنْسَانٍ مَا، يَكُونُ نَجَسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. يَتَطَهَّرُ بِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ يَكُونُ طَاهِرًا. وَإِنْ لَمْ يَتَطَهَّرْ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ لَا يَكُونُ طَاهِرًا. كُلُّ مَنْ مَسَّ مَيِّتًا مَيِّتَةً إِنْسَانٍ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يَتَطَهَّرْ، يُنَجِّسُ

¹ سفر العدد 19: 2-10

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
مَسْكَنَ الرَّبِّ. فَتُقَطَّعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ. لِأَنَّ مَاءَ النَّجَاسَةِ لَمْ يُرَشَّ عَلَيَّهَا تَكُونُ نَجِسةً.
نَجَاسَتُهَا لَمْ تَزَلْ فِيهَا¹.

جاء في التفسير: "عندما كان يلمس شخص جثة ميت، كان يعتبر نجسًا (أي لا يستطيع
الاقتراب إلى الله للعبادة) ، وكان هذا الطقس يطهر الشخص النجس، حتى يستطيع، مرة أخرى،
أن يقدم ذبائح وأن يعبد الله، وكان الموت هو أشد أنواع النجاسات، لأنه النتيجة النهائية
للخطية، لذلك كان الأمر يستلزم ذبيحة خاصة، بقرة (عجلة) حمراء، وكان يجب أن يقدمها
شخص غير نجس، وعندما تُحرق على المذبح، يجمع رمادها ويُستخدم كمرشح يمر فيه الماء
ليصبح طاهرًا، رمزًا أكثر منه حرفيًا، وكان على الشخص النجس أن يغتسل، وكثيرًا ما كان عليه
أن يغسل ثيابه وأمتعته بهذا الماء المطهر، ليصبح طاهرًا مرة أخرى².

وعلى العموم، يمكن القول إن أسفار الكتاب المقدس لم تشر إلى حدوث هذه المعجزة
بالرغم من وجود بعض الإشارات عنها في أسفاره، في حين نجد أن القرآن الكريم أشار إلى قصة
ذبح البقرة وربطها بمعجزة إحياء الموتى، لكن تبقى الفوارق بين قصة البقرة في الكتاب المقدس
والقرآن الكريم هي أن سفر التثنية يقول أنها بقرة حمراء اللون بينما يقول القرآن الكريم بأنها
بقرة صفراء اللون.

تلکم كانت أبرز معجزات النبي موسى سواء قبل خروجه مع بني إسرائيل من مصر أو بعد
الخروج، وبانتهاء عصر النبي موسى سيأتي خليفته يشوع الذي جرت بعض المعجزات على يده.

¹ سفر العدد 19: 11-13

² التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 314

ب-معجزات يشوع:

يشوع هو الذي خلف النبي موسى في قيادة بني إسرائيل، ويحكي الكتاب المقدس (العهد القديم) عن بعض العجائب (المعجزات) التي حدثت له مع شعب بني إسرائيل، وقد وردت إشارة إلى ذلك في قول يشوع للشعب: "تَقَدَّسُوا لِأَنَّ الرَّبَّ يَعْمَلُ غَدًا فِي وَسْطِكُمْ عَجَائِبًا".

الاستعداد لعبور الأردن:

هياً يشوع شعب بني إسرائيل للرحيل صوب الأردن، وأعدَّ العدة، وحشد كل الجهود، استكمالاً للرحلة التي كان قد بدأها النبي موسى، وهذا ما تضمنته نصوص من العهد القديم، حيث نقرأ في سفر التكوين: "ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلَادَهُ الْأَحَدَ عَشَرَ وَعَبْرَ مَخَاضَةَ يَبُوق²"، وكذلك في سفر يشوع: "فَبَكَرَ يَشُوعُ فِي الْغَدِ وَارْتَحَلُوا مِنْ شِطِّيمَ وَأَتَوْا إِلَى الْأُرْدُنِّ، هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَاتُوا هُنَاكَ قَبْلَ أَنْ يَغْبُرُوا³".

معجزة عبور نهر الأردن:

ينسب كُتَّاب العهد القديم هذه المعجزة ليشوع، ويقولون إن الرب كما نصر النبي موسى على فرعون، وأيده بمعجزات كبرى، فإن هذا الأمر انطبق أيضاً على يشوع بصفته خليفة لموسى، وفي هذا الصدد نقرأ قول الرب ليشوع: "الْيَوْمَ أَبْتَدِئُ أُعْظِمُكَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ

¹ سفر يشوع 5: 3

² سفر التكوين 22: 32

³ سفر يشوع 3: 1

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

لِكَيْ يَعلَمُوا أَنِّي كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ¹، ثم أيده بمعجزة عبور نهر الأردن مع بني إسرائيل، ونقل تابوت العهد الذي يحتوي على التوراة، وتفاصيل هذه المعجزة تضمنها سفر يشوع، حيث جاء فيه: "وَلَمَّا ارْتَحَلَ الشَّعْبُ مِنْ خِيَامِهِمْ لِكَيْ يَعبُرُوا الأُرْدُنَّ، وَالْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ الْعَهْدِ أَمَامَ الشَّعْبِ، فَعِنْدَ إِنْثِيَانِ حَامِلِي التَّابُوتِ إِلَى الأُرْدُنِّ وَانْغِمَاسِ أَرْجُلِ الْكَهَنَةِ حَامِلِي التَّابُوتِ فِي ضَفَّةِ المِيَاهِ، وَالأُرْدُنُّ مُمْتَلئٌ إِلَى جَمِيعِ شَطْوَطِهِ كُلِّ أَيَّامِ الْحَصَادِ، وَقَفَّتِ المِيَاهُ الْمُتَحَدِرَةُ مِنْ فَوْقُ، وَقَامَتْ نَدًا وَاحِدًا بَعِيدًا جِدًّا عَنْ «أَدَامَ» الْمَدِينَةِ الَّتِي إِلَى جَانِبِ صَرْتَانِ، وَالْمُتَحَدِرَةُ إِلَى بَحْرِ الْعَرَبَةِ «بَحْرِ الْمَلْحِ» انْقَطَعَتْ تَمَامًا، وَعَبَرَ الشَّعْبُ مُقَابِلَ أَرِيحَا²، ونقرأ في السفر نفسه كيف تحققت معجزة عبور كهنة بني إسرائيل لنهر الأردن حاملين تابوت العهد: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ يَشُوعَ قَائِلًا: «مُرِ الْكَهَنَةَ حَامِلِي تَابُوتِ الشَّهَادَةِ أَنْ يَصْعَدُوا مِنَ الأُرْدُنِّ». فَأَمَرَ يَشُوعُ الْكَهَنَةَ قَائِلًا: «اصْعَدُوا مِنَ الأُرْدُنِّ». فَكَانَ لَمَّا صَعِدَ الْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ مِنْ وَسْطِ الأُرْدُنِّ، وَاجْتَذِبَتْ بَطُونُ أَقْدَامِ الْكَهَنَةِ إِلَى الْيَابِسَةِ، أَنَّ مِيَاهَ الأُرْدُنِّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا وَجَرَتْ كَمَا مِنْ قَبْلُ إِلَى كُلِّ شَطْوَطِهِ. وَصَعِدَ الشَّعْبُ مِنَ الأُرْدُنِّ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنَ الشَّهْرِ الأوَّلِ، وَحَلُّوا فِي الْجَلْجَالِ فِي تُخْمِ أَرِيحَا الشَّرْقِيِّ³، كما نصَّت فقرة أخرى على وقوع هذه المعجزة، حيث جاء فيها: "وَمَعَهُ أَلْفُ رَجُلٍ مِنْ بَنِيَامِينَ، وَصِيبَا غَلَامٍ بَيْتِ شَاوُلَ وَبَنُوهُ الْخَمْسَةَ عَشَرَ وَعِيبُدُهُ الْعِشْرُونَ مَعَهُ، فَخَاضُوا الأُرْدُنَّ أَمَامَ الْمَلِكِ⁴".

1 سفر يشوع 3: 7

2 سفر يشوع 3: 14-16

3 سفر يشوع 4: 15-19

4 سفر صموئيل الثاني 17: 19

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

فهذه الفقرات تحكي تفاصيل حدوث هذه المعجزة، وهي معجزة عبور يشوع وشعب بني إسرائيل نهر الأردن، خصوصاً وأن هذا النهر الضخم كان ممتلاً بالمياه في ذلك الوقت، ويصعب عبوره، ولكن المعجزة هنا هي تدخل الله ومنعه للمياه المنحدرة من الأعلى، وبذلك انقطع تزويد النهر بالمياه، وكان ذلك تسهيلاً من الله لعبور يشوع والشعب الإسرائيلي النهر، وفي هذا إشارة إلى أن هناك تشابه بين هذه المعجزة ومعجزة عبور موسى وبني إسرائيل للبحر.

معجزة انتصار يشوع وبني إسرائيل على الأموريين:

وردت تفاصيل معجزة انتصار يشوع وبني إسرائيل على الأموريين في سفر يشوع، قال الرب ليشوع: "لَا تَخَفُهُمْ، لِأَنِّي بِيَدِكَ قَدْ أَسْلَمْتُهُمْ. لَا يَقِفُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِوَجْهِكَ. فَأَتَى إِلَيْهِمْ يَشُوعُ بَغْتَةً. صَعِدَ اللَّيْلَ كُلَّهُ مِنَ الْجُلْجَالِ. فَأَزْعَجَهُمُ الرَّبُّ أَمَامَ إِسْرَائِيلَ، وَضَرَبَهُمْ ضَرْبَةً عَظِيمَةً فِي جِبْعُونَ، وَطَرَدَهُمْ فِي طَرِيقِ عَقَبَةِ بَيْتِ حُورُونَ، وَضَرَبَهُمْ إِلَى عَزِيقَةٍ وَإِلَى مَقِيدَةٍ. وَبَيْنَمَا هُمْ هَارِبُونَ مِنْ أَمَامِ إِسْرَائِيلَ وَهُمْ فِي مُنَحْدَرِ بَيْتِ حُورُونَ، رَمَاهُمُ الرَّبُّ بِحِجَارَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى عَزِيقَةٍ فَمَاتُوا. وَالَّذِينَ مَاتُوا بِحِجَارَةِ الْبَرْدِ هُمْ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالسَّيْفِ"¹.

وفي هذا الصدد يقول صاحب كتاب (حياة يشوع): "إنَّ العاصفة التي هَبَّتْ عصر ذلك اليوم على منحدر بيت حورون لم تكن عادية، وحجارة البرد في تلك البلاد كبيرة الحجم، حتى أنه يقال إنه في بعض الأحيان تزن قطعة الثلج الواحدة التي تتساقط في البرد نحو رطل أو أكثر، وهذه بطبيعة الحال تكفي لقتل أي رجل تسقط عليه، ولكن العجيب في الأمر أن العاصفة هَبَّتْ في لحظة، وأنَّ غضبها انصبَّ كله على الأموريين دون أن يلحق أي أذى بإسرائيل، وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل وهم في منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من

¹ سفر يشوع 10: 11-8

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
السماء إلى عزيمة فماتوا، والذين ماتوا بحجارة البرد هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل
بالسيف¹.

معجزة رد يشوع للشمس:

من بين المعجزات التي يذكرها الكتاب المقدس للنبي يشوع، معجزة رده للشمس، وتتلخص
أحداث هذه المعجزة في أن الله هيا للنبي يشوع وجيشه أسباب النصر على الأموريين، حيث أمر
الشمس بالتوقف في كبد السماء ليوم كامل، من أجل السيطرة على جيش الأموريين والانتقام
منهم، وفي هذا الصدد يقول السفر:

"حِينَئِذٍ كَلَّمَ يَشُوعُ الرَّبَّ، يَوْمَ أَسْلَمَ الرَّبُّ الْأَمُورِيِّينَ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ أَمَامَ عُيُونِ
إِسْرَائِيلَ: «يَا شَمْسُ دُومِي عَلَى جِبْعُونَ، وَيَا قَمَرُ عَلَى وَادِي أَيْلُون». فَدَامَتِ الشَّمْسُ وَوَقَفَ الْقَمَرُ
حَتَّى انْتَقَمَ الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ. أَلَيْسَ هَذَا مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ يَاشَرَ؟ فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ فِي كَبِدِ
السَّمَاءِ وَلَمْ تَعْجَلْ لِلْغُرُوبِ نَحْوَ يَوْمٍ كَامِلٍ. وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ سَمِعَ فِيهِ
الرَّبُّ صَوْتَ إِنْسَانٍ، لِأَنَّ الرَّبَّ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ²."

معجزة انتصار يشوع في معارك أخرى:

يخصص سفر يشوع حيزًا كبيرًا لذكر تفاصيل حروب يشوع وبني إسرائيل مع الشعوب
المجاورة، وفي هذا الصدد نقرأ عن المواجهات العسكرية الشرسة التي خاضها يشوع وبني
إسرائيل مع ملوك الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين. . . إلخ، وكيف أيده

¹ ف. ب. ماير، حياة يشوع وأرض الموعد، ترجمة: مرقص داود، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، القاهرة،

ص: 147

² سفر يشوع 10: 12-14

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الرب بمعجزة الانتصار عليهم جميعًا بالرغم من قلة عدد بني إسرائيل وضخامة أعداد الشعوب
الأخرى.

وجاء في تفاصيل هذه المعجزة قوله: "فَلَمَّا سَمِعَ يَابِينُ مَلِكُ حَاصُورَ، أَرْسَلَ إِلَى يُوَبَابَ مَلِكِ
مَادُون، وَإِلَى مَلِكِ شِمْرُونَ، وَإِلَى مَلِكِ أَكْشَافَ، وَإِلَى الْمُلُوكِ الَّذِينَ إِلَى الشِّمَالِ فِي الْجَبَلِ، وَفِي
الْعَرَبَةِ جَنُوبِيَّ كَنْزُوتَ، وَفِي السَّهْلِ، وَفِي مُرْتَفَعَاتِ دُورَ غَرْبًا، الْكَنْعَانِيِّينَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ،
وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ فِي الْجَبَلِ، وَالْحَوِّيِّينَ تَحْتَ حَرْمُونَ فِي أَرْضِ الْمُصَفَاةِ.
فَخَرَجُوا هُمْ وَكُلُّ جِيُوشِهِمْ مَعَهُمْ، شَعْبًا غَفِيرًا كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي الْكَثْرَةِ، بِخَيْلٍ
وَمَرْكَبَاتٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا. فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ بِمِيعَادٍ وَجَاءُوا وَنَزَلُوا مَعًا عَلَى مِيَاهِ مَيْرُومَ لِكَيْ
يُحَارِبُوا إِسْرَائِيلَ. قَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: «لَا تَخَفْهُمْ، لِأَنِّي غَدًا فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ أَدْفَعُهُمْ جَمِيعًا
قَتْلَى أَمَامَ إِسْرَائِيلَ، فَتُعَرِّقُ خَيْلُهُمْ، وَتُحْرِقُ مَرْكَبَاتُهُمْ بِالنَّارِ». فَجَاءَ يَشُوعُ وَجَمِيعُ رِجَالِ الْحَرْبِ
مَعَهُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مِيَاهِ مَيْرُومَ بَغْتَةً وَسَقَطُوا عَلَيْهِمْ. فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ بِيَدِ إِسْرَائِيلَ، فَضَرَبُوهُمْ
وَطَرَدُوهُمْ إِلَى صِيدُونِ الْعَظِيمَةِ، وَإِلَى مِسْرَفُوتَ مَائِمَ، وَإِلَى بُقْعَةِ مِصْفَاةَ شَرْقًا. فَضَرَبُوهُمْ حَتَّى
لَمْ يَبْقَ لَهُمْ شَارِدٌ. فَفَعَلَ يَشُوعُ بِهِمْ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ. عَرَقَ خَيْلَهُمْ، وَأَحْرَقَ مَرْكَبَاتَهُمْ بِالنَّارِ¹.

وبعد انقضاء زمن يشوع، سيظهر النبي إيليا وتلميذه أليشع، حيث ستظهر على أيديهما
بعض المعجزات الباهرة.

¹ سفر يشوع 11: 9-1

مرحلة إيليا وأليشع

أ-معجزات النبي إيليا:

يتحدث الكتاب المقدس خاصة في سفر الملوك الثاني عن معجزات النبي إيليا، ومعجزات تلميذه أليشع، وهي معجزات إلهية جاءت في زمن كثر فيه الشر، وضعفت فيه عبادة الله الواحد، إلا أن النبي إيليا كان متشبعًا بروح الله، وواثقًا في مشيئته، لذلك نجده يستقبل أوامر الله بالاستجابة الفورية، ويتجلى ذلك في المعجزات التي أجراها الله على يديه، ومن هذه المعجزات:

صعود النبي إيليا إلى السماء:

تحدث هذه المعجزة عن صعود النبي إيليا إلى السماء وتسليم العمل النبوي لتلميذه أليشع الذي تمنى أن يحل روحين من معلمه حتى يستطيع أن يحقق رسالته، ويواجه تيار الفساد العارم، فكان له ذلك، وتحققت هذه المعجزة¹.

ويذكر الكتاب المقدس تفاصيل هذه المعجزة كما يلي: "وَكَانَ عِنْدَ إِصْعَادِ الرَّبِّ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ، أَنَّ إِيلِيَّا وَأَلِيشَعَ ذَهَبَا مِنَ الْجَلْجَالِ. فَقَالَ إِيلِيَّا لِأَلِيشَعَ: «امْكُثْ هُنَا لَأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى بَيْتِ إِيلَ». فَقَالَ أَلِيشَعَ: «حَيُّ هُوَ الرَّبُّ، وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ، إِنِّي لَا أَتْرُكُكَ». وَنَزَلَ إِلَى بَيْتِ إِيلَ. فَخَرَجَ بَنُو الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ إِيلَ إِلَى أَلِيشَعَ وَقَالُوا لَهُ: «أَتَعْلَمُ أَنَّهُ الْيَوْمَ يَأْخُذُ الرَّبُّ سَيْدَكَ مِنْ عَلَى رَأْسِكَ؟» فَقَالَ: «نَعَمْ، إِنِّي أَعْلَمُ فَاصْمُتُوا». ثُمَّ قَالَ لَهُ إِيلِيَّا: «يَا

¹ ف. ب. ماير، حياة إيليا وسر قوته، ترجمة: القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، ط3: يونيو 1966،

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

أَلِيشَعُ، اْمُكْتُ هُنَا لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى أَرِيحَا». فَقَالَ: «حَيُّ هُوَ الرَّبُّ، وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ، إِنِّي لَا أَتْرُكَكَ». وَأَتَيَا إِلَى أَرِيحَا. فَتَقَدَّمَ بَنُو الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ فِي أَرِيحَا إِلَى أَلِيشَعَ وَقَالُوا لَهُ: «أَتَعْلَمُ أَنَّهُ الْيَوْمَ يَأْخُذُ الرَّبُّ سَيْدَكَ مِنْ عَلَى رَأْسِكَ؟» فَقَالَ: «نَعَمْ، إِنِّي أَعْلَمُ فَاصْمُتُوا». ثُمَّ قَالَ لَهُ إِيلِيَّا: «اْمُكْتُ هُنَا لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى الْأُرْدُنِّ». فَقَالَ: «حَيُّ هُوَ الرَّبُّ، وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ، إِنِّي لَا أَتْرُكَكَ». وَانْطَلَقَا كِلَاهُمَا. ذَهَبَ خَمْسُونَ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْأَنْبِيَاءِ وَوَقَفُوا قُبَالَتَهُمَا مِنْ بَعِيدٍ. وَوَقَفَ كِلَاهُمَا بِجَانِبِ الْأُرْدُنِّ. وَأَخَذَ إِيلِيَّا رِدَاءَهُ وَلَفَّهُ وَضَرَبَ الْمَاءَ، فَانْفَلَقَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ، فَعَبَّرَا كِلَاهُمَا فِي الْيَبَسِ¹.

معجزة توقف المطر:

في ظل الظروف التي أحاطت بحياة النبي إيليا، لعل أشدها طغيان تيار الوثنية وعبادة بعل، ونكوص اليهود عن طريق الله، أتى النبي إيليا متسلحًا بالشجاعة والإيمان، ليمهد الطريق للمسيح، وكان ممتلئًا بالروح القدس، ذلك الملاك العظيم جبرائيل، ليؤيده في تنفيذ مهمته النبيلة التي جاء من أجلها، وهي مقاومة تيار الشر²، ولما رأى تفشي تلك العبادة الوثنية السيئة، أدرك أن عقاب الله لا بد سيحلُّ على البلاد التي بُعدت عنه، كانت الظلمة حالكة في تلك الأيام، وقلَّ عدد الذين يعبدون الرب بإخلاص، وارتفع مذبح للصنم يكفي لكثيرين من العابدين، وانتشرت الهياكل الوثنية في كل أرجاء مملكة بني إسرائيل³.

¹ سفر الملوك الثاني 2: 1 - 8

² يُنظر: حياة إيليا وسر قوته، م. س، ص: 150 وما بعدها

³ منيس عبد النور، سيرة النبي إيليا، م. س، ص: 6

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدية الإسلامية البشير أسعير
بعد طغيان قومه وتماديهم في البعد عن طريق الله الواحد، توجه النبي إيليا إلى ربه
بالصلاة والدعاء ليمنع عنهم المطر عقاباً لهم على كفرهم، جاء في هذا الصدد ما نصه: " وَقَالَ
إِيلِيَّا التَّشِيُّ مِنْ مُسْتَوَظِنِي جِلْعَادَ لِأَخَابَ: «حَيَّ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لَا
يَكُونُ ظُلٌّ وَلَا مَطَرٌ فِي هَذِهِ السِّنِينَ إِلَّا عِنْدَ قَوْلِي»¹."

ووقف إيليا ينظر إلى هذه الحالة الشريفة وقد امتلأت نفسه بالغيرة لعبادة الرب، ويقول
إنجيل إن إيليا "صلى صلاة"² بمعنى أنه رفع لله صلاة حارة من أجل شعبه، فاشتعل غضب
الرب عليهم، وأغلق السماء عنهم فلا تعود تعطي مطراً³.

تحققت نبوءة إيليا لأنه كان واثقاً من استجابة الله لدعائه، ومؤمناً بقرب نصر الله
لدعوته، فحدثت المعجزة فانقطع المطر والغيث عن الأرض، وأصيب القوم بالجذب والجفاف.
وتأتي بعد هذه المعجزة معجزة أعظم منها، وهي أنه بعد انقطاع المطر وحدث الجفاف،
وإصابة القوم بالمجاعة، كان النبي إيليا في موقف صعب جداً، ترى من سيطعمه ويتكفل برزقه
طيلة هذه الفترة القاسية؟ فكان أمر الله تعالى الرزاق بأن يرسل للنبي إيليا الغربان لتجلب له
الطعام، فكيف حدثت هذه المعجزة؟

¹ سفر الملوك الأول 17: 1

² سفر يعقوب 17: 5

³ سيرة النبي إيليا، م. س، ص ص: 6 - 7

معجزة إعالة الغربان للنبي إيليا:

جاءت أوامر الله تعالى للنبي إيليا بالتوجه صوب المشرق، وتنفيذ ما أمره به، وهذا ما جاء في النص: " وَكَانَ كَلَامُ الرَّبِّ لَهُ قَائِلًا: «انْطَلِقْ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَاخْتِئِ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثَ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الْأُرْدُنِّ، فَتَشْرَبْ مِنَ النَّهْرِ. وَقَدْ أَمَرْتُ الْغُرَبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَاكَ»"¹.

فانطلق النبي إيليا وعمل حسب كلام الرب، وذهب فأقام عند نهر كريث الذي هو مقابل الأردن (ولعله هو باسم فصيل، شرق الأردن)، كانت الغربان تأتي للنبي إيليا بخبز ولحم صباحًا وبخبز ولحم مساءً، وكان يشرب من النهر... يا للمعجزة².

ب-معجزات النبي أليشع:

من بين أهم معجزات النبي أليشع:

قصة صعود إيليا إلى السماء:

وردت هذه المعجزة في سفر الملوك الثاني، وقد سبقت الإشارة إليها ضمن معجزات النبي إيليا، ولكن بما أن أليشع وهو تلميذه كان حاضرًا لوقائعها، فإنها تعتبر من معجزاته أيضًا، ومن ضمن ما جاء فيها: "وَكَانَ عِنْدَ إِصْعَادِ الرَّبِّ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِيفَةِ إِلَى السَّمَاءِ، أَنَّ إِيلِيَّا وَأَلِيشَعَ ذَهَبَا مِنَ الْجَلْجَالِ. فَقَالَ إِيلِيَّا لِأَلِيشَعَ: «امْكُثْ هُنَا لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى بَيْتِ إِيلَ». فَقَالَ أَلِيشَعُ: «حَيُّ هُوَ الرَّبُّ، وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ، إِنِّي لَا أَتْرُكُكَ». وَنَزَلَا إِلَى بَيْتِ إِيلَ. فَخَرَجَ بَنُو الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ إِيلَ إِلَى أَلِيشَعَ وَقَالُوا لَهُ: «أَتَعْلَمُ أَنَّهُ الْيَوْمَ يَأْخُذُ الرَّبُّ سَيِّدَكَ مِنْ عَلَى رَأْسِكَ؟» فَقَالَ: «نَعَمْ،

¹ سفر الملوك الأول 17: 2-4

² منيس عبد النور، سيرة النبي إيليا، م. س، ص: 8

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
إِنِّي أَعْلَمُ فَاصْصُوتُوا». ثُمَّ قَالَ لَهُ إِيلِيَّا: «يَا أَلِيشَعُ، اْمْكُثْ هُنَا لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى أَرِيحَا». فَقَالَ: «حَيُّ هُوَ الرَّبُّ، وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ، إِنِّي لَا أَتْرُكُكَ». وَأَتَيَا إِلَى أَرِيحَا. فَتَقَدَّمَ بَنُو الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ فِي أَرِيحَا إِلَى أَلِيشَعِ وَقَالُوا لَهُ: «أَتَعْلَمُ أَنَّهُ الْيَوْمَ يَأْخُذُ الرَّبُّ سَيْدَكَ مِنْ عَلَى رَأْسِكَ؟» فَقَالَ: «نَعَمْ، إِنِّي أَعْلَمُ فَاصْصُوتُوا». ثُمَّ قَالَ لَهُ إِيلِيَّا: «اْمْكُثْ هُنَا لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى الْأُرْدُنِّ». فَقَالَ: «حَيُّ هُوَ الرَّبُّ، وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ، إِنِّي لَا أَتْرُكُكَ»¹.

جاء في تفسير هذه الواقعة أن "أليشع طلب اثنين من القوة التي كانت لإيليا، وكان ذلك طلباً جريئاً، وقد منحه الله ذلك الطلب، لأن أليشع لم يكن قصده هو التفوق على النبي إيليا، بل كان قصده أن يعمل أكثر من أجل الله"²، ومن خلال الفقرات السابقة يظهر أن النبي إيليا قال لتلميذه أليشع: "اْمْكُثْ هُنَا لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى الْأُرْدُنِّ" فأصرَّ أليشع أن يصحبه في تلك الرحلة، فذهبا معاً، واجتمع خمسون رجلاً من بني الأنبياء ووقفوا يراقبون إيليا وأليشع من بعيد³.

معجزة شق نهر الأردن برداء إيليا:

هذه معجزة حدثت لأليشع بعد صعود إيليا في المركبة إلى السماء، وقد جاءت تفاصيلها في سفر الملوك الثاني كالآتي: "وَكَانَ أَلِيشَعُ يَرَى وَهُوَ يَصْرُخُ: «يَا أَبِي، يَا أَبِي، مَرْكَبَةُ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَاتُهَا». وَلَمْ يَرَهُ بَعْدُ، فَأَمْسَكَ ثِيَابَهُ وَمَزَقَهَا قِطْعَتَيْنِ، وَرَفَعَ رِدَاءَ إِيلِيَّا الَّذِي سَقَطَ عَنْهُ، وَرَجَعَ وَوَقَفَ عَلَى شَاطِئِ الْأُرْدُنِّ. فَأَخَذَ رِدَاءَ إِيلِيَّا الَّذِي سَقَطَ عَنْهُ وَضَرَبَ الْمَاءَ وَقَالَ: «أَيْنَ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ

¹ سفر الملوك الثاني: 2: 11-1

² التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص ص: 779 – 780

³ منيس عبد النور، سيرة النبي إيليا، م. س، ص: 45

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
إِيلِيَّا؟» ثُمَّ ضَرَبَ الْمَاءَ أَيْضًا فَانْفَلَقَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ، فَعَبَّرَ أَلِيشَعُ. وَلَمَّا رَأَى الْبَنُو الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ فِي
أَرِيحَا قُبَالَتَهُ قَالُوا: «قَدْ اسْتَقَرَّتْ رُوحُ إِيلِيَّا عَلَى أَلِيشَعِ». فَجَاءُوا لِلِقَائِهِ وَسَجَدُوا لَهُ إِلَى الْأَرْضِ¹.
ورد في تفسير هذه الفقرة: "وأخذ النبي إيليا رداءه ولفه وضرب به ماء نهر الأردن، فانفلق
النهر، وعبر إيليا وتلميذه أليشع على اليبس"²، وجاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس:
"عندما ضرب أليشع الماء، لم يكن ذلك عن قلة احترام لإله إيليا، بل كان توسلا لله لكي يثبت
تعيينه خليفة لإيليا"³.

معجزة إبراء ماء أريحا:

هذه من معجزات أليشع المذكورة في الكتاب المقدس، وقد وردت تفاصيلها في سفر الملوك
الثاني كما يلي: "وَقَالَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ لِأَلِيشَع: «هُوَ ذَا مَوْقِعِ الْمَدِينَةِ حَسَنٌ كَمَا يَرَى سَيِّدِي، وَأَمَّا
الْمِيَاهُ فَزِدِّيَّةٌ وَالْأَرْضُ مُجْدِبَةٌ». فَقَالَ: «انْتُونِي بِصَحْنٍ جَدِيدٍ، وَضَعُوا فِيهِ مِلْحًا». فَأَتَوْهُ بِهِ. فَخَرَجَ
إِلَى نَبْعِ الْمَاءِ وَطَرَحَ فِيهِ الْمِلْحَ وَقَالَ: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قَدْ أَبْرَأْتُ هَذِهِ الْمِيَاهُ. لَا يَكُونُ فِيهَا أَيْضًا
مَوْتُ وَلَا جَدْبٌ». فَبَرِئَتِ الْمِيَاهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، حَسَبَ قَوْلِ أَلِيشَع الَّذِي نَطَقَ بِهِ"⁴.

¹ سفر الملوك الثاني: 2: 15-12

² سيرة النبي إيليا، م. س، ص: 46

³ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص: 780

⁴ سفر الملوك الثاني: 2: 19-22

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وعن هذه المعجزات التي منحها الله لأليشع، يقول المفسرون للكتاب المقدس: "كانت هذه
الأحداث الثلاثة شهادة لأليشع بأنه نبي مرسل من الله، وقد سُجِّلَتْ لإثبات قوة أليشع الجديدة
وسلطانه بصفته النبي الرئيسي لإسرائيل تحت سلطان الله المطلق وقوته الفريدة".¹

معجزة إبراء الطعام المسموم:

جاء في هذه المعجزة ما يلي: "وَرَجَعَ أَلِيشَعُ إِلَى الْجَلْجَالِ. وَكَانَ جُوعٌ فِي الْأَرْضِ وَكَانَ بَنُو
الْأَنْبِيَاءِ جُلُوسًا أَمَامَهُ. فَقَالَ لِغُلَامِهِ: «ضَعْ الْقَدْرَ الْكَبِيرَةَ، وَاسْلُقْ سَلِيقَةً لِبَنِي الْأَنْبِيَاءِ». وَخَرَجَ
وَاحِدٌ إِلَى الْحَقْلِ لِيَلْتَقِطَ بُقُولًا، فَوَجَدَ يَقْطِينًا بَرِّيًّا، فَالْتَقَطَ مِنْهُ قُتْنًا بَرِّيًّا مِلءَ ثَوْبِهِ، وَآتَى
وَقَطَّعَهُ فِي قَدْرِ السَّلِيقَةِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا. وَصَبُّوا لِلْقَوْمِ لِيَأْكُلُوا. وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ مِنَ السَّلِيقَةِ
صَرَخُوا وَقَالُوا: «فِي الْقَدْرِ مَوْتُ يَا رَجُلَ اللَّهِ». وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْكُلُوا. فَقَالَ: «هَاتُوا دَقِيقًا».
فَأَلْقَاهُ فِي الْقَدْرِ وَقَالَ: «صَبِّ لِلْقَوْمِ فَيَأْكُلُوا». فَكَانَتْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ رَدِيٌّ فِي الْقَدْرِ»².

وهذه المعجزة تكشف عن القدرة التي جعلها الله في يد النبي أليشع، فبعد اكتشاف
الجموع بأن الطعام الموجود في القدر يحتوي على السم، صرخ الجميع متوجهين لأليشع لكي
ينقذهم، "وكان عند أليشع الحل الشافي، فقد وضع دقيقًا في القدر، فزال السم نهائيًا".³

معجزة إشباع الجموع:

هذه معجزة أخرى من معجزات أليشع وهي إطعام الجموع الغفيرة بعشرين رغيفًا، وقد
وردت تفاصيلها كما يلي: "وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَعْلِ شَلِيشَةَ وَأَحْضَرَ لِرَجُلِ اللَّهِ خُبْزَ بَاكُورَةِ عِشْرِينَ

¹ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص ص: 780 - 781

² سفر الملوك الثاني 4: 38-41

³ داود لمعي، حياة أليشع النبي، كنيسة مار مرقس، مصر الجديدة، ط1: ديسمبر 2009، ص: 60

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
رَغِيْفًا مِنْ شَعِيرٍ، وَسَوِيْقًا فِي جِرَابِهِ. فَقَالَ: «أَعْطِ الشَّعْبَ لِيَأْكُلُوا». فَقَالَ خَادِمُهُ: «مَاذَا؟
هَلْأَجْعَلُ هَذَا أَمَامَ مِئَةِ رَجُلٍ؟» فَقَالَ: «أَعْطِ الشَّعْبَ فَيَأْكُلُوا، لَأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: يَأْكُلُونَ
وَيَفْضِلُونَ عَنْهُمْ». فَجَعَلَ أَمَامَهُمْ فَأَكَلُوا، وَفَضَلَ عَنْهُمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ¹.

جاء في تفسير وقائع هذه المعجزة أنه " ليس للخبز طعم ما لم نأكله سويًا، هكذا فكّر أليشع
في نفسه وهو يرجو خادمه أن يضع العشرين رغيفًا أمام الجمع، أما الخادم ففكّر بالمنطق
البشري واستنكر أن يدعو مئة رجل لهذه الوليمة الهزيلة فيحصل كل منهم على كسرة خبز لا
تشبع طفلًا، فنَبّه معلمه للموقف المحرج الذي هو مزعم أن يتورط فيه، أما أليشع فلم يتأثر
بهذا الرأي المتعقل، بل أمر خادمه ثانية أن يضع أمام القوم ليأكلوا مؤكدًا أن الرب سيبارك
فيأكلون ويشبعون، بل ويفضل عنهم²."

معجزة الحديد الطافي على الماء:

يحكي الكتاب المقدس عن حدوث هذه المعجزة كالآتي: "وَقَالَ بَنُو الْأَنْبِيَاءِ لِأَلِيشَع: «هُوَ ذَا
الْمَوْضِعُ الَّذِي نَحْنُ مُقِيمُونَ فِيهِ أَمَامَكَ ضَيْقٌ عَلَيْنَا. فَلْنَذْهَبْ إِلَى الْأُرْدُنِّ وَنَأْخُذْ مِنْ هُنَاكَ كُلَّ
وَاحِدٍ خَشَبَةً، وَنَعْمَلْ لَأَنْفُسِنَا هُنَاكَ مَوْضِعًا لِنُقِيمَ فِيهِ». فَقَالَ: «اذْهَبُوا». فَقَالَ وَاحِدٌ: «اقْبَلْ
وَإِذْهَبْ مَعَ عَبِيدِكَ». فَقَالَ: «إِنِّي أَذْهَبُ». فَأَنْطَلَقَ مَعَهُمْ. وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْأُرْدُنِّ قَطَعُوا خَشَبًا. وَإِذْ
كَانَ وَاحِدٌ يَقْطَعُ خَشَبَةً، وَقَعَ الْحَدِيدُ فِي الْمَاءِ. فَصَرَخَ وَقَالَ: «أِهْ يَا سَيِّدِي! لَأَنَّهُ عَارِيَةٌ». فَقَالَ رَجُلٌ

¹ سفر الملوك الثاني 4: 42 - 44

² داود لمعي، حياة أليشع النبي، م. س، ص: 62

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
الله: «أَيْنَ سَقَطَ؟» فَأَرَاهُ الْمَوْضِعَ، فَقَطَعَ عُودًا وَأَلْقَاهُ هُنَاكَ، فَطَفَا الْحَدِيدُ. فَقَالَ: «ارْفَعُهُ
لِنَفْسِكَ». فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهُ¹.

وتتلخص وقائع هذه المعجزة في أن أحد تلاميذ أليشع، وبينما هو منهمك في قطع الأخشاب
بفأس²، إذا برأس البلطة الحديدية تطير من مكانها لتستقر في أعماق النهر بغير رجعة، ووقف
الرجل متحسراً، يستصرخ نبي الله أليشع ليرجعها له، لأنها ليست له بل استعارها من جاره
ليتم بها العمل³.

وكان تدخل أليشع في تلك اللحظة، مُظهرًا القدرة التي منحه الله، والمعجزة الخارقة التي
أجراها على يده، "لقد تمت المعجزة بطريقة غريبة فقد قطع أليشع عودًا وألقاه في الماء فطفا
الحديد"⁴، وبذلك استطاع الرجل استرجاع الفأس التي استقرت في أعماق النهر.

معجزة بركة دهنة الزيت:

معجزة أخرى تُضاف إلى معجزات النبي أليشع التي ذكرها الكتاب المقدس، وهي معجزة
الأرملة ودهنة الزيت، وجاء فيها: "وَصَرَخَتْ إِلَى أَلِيشَعِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَنْبِيَاءِ قَائِلَةً: «إِنَّ
عَبْدَكَ زَوْجِي قَدْ مَاتَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ عَبْدَكَ كَانَ يَخَافُ الرَّبَّ. فَأَتَى الْمُرَابِّي لِيَأْخُذَ وَلَدِي لَهُ
عَبْدَيْنِ». فَقَالَ لَهَا أَلِيشَعُ: «مَاذَا أَصْنَعُ لَكَ؟ أَخْبِرِينِي مَاذَا لَكَ فِي الْبَيْتِ؟». فَقَالَتْ: «لَيْسَ لِي جَارِيَتِكَ
شَيْءٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا دُهْنَةٌ زَيْتٍ». فَقَالَ: «اذْهَبِي اسْتَعِيرِي لِنَفْسِكَ أَوْعِيَةً مِنْ خَارِجٍ، مِنْ عِنْدِ جَمِيعِ

1 سفر الملوك الثاني: 6: 7-1

2 قطع الأخشاب كان من أجل بناء موضع في الأردن يقيم فيه التلاميذ مع النبي أليشع، وهو طلب منهم لنبي الله بعدما
رأوا ضيق المكان الذي كانوا فيه.

3 داود لمعي، حياة أليشع النبي، م. س، ص: 80

4 المرجع نفسه، ص: 82

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
جِيرَانِكَ، أَوْعِيَّةً فَارِغَةً. لَا تُقْلَلِي. ثُمَّ ادْخُلِي وَأَغْلِقِي الْبَابَ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلَى بَنِيكَ، وَصَبِّي فِي جَمِيعِ
هَذِهِ الْأَوْعِيَّةِ، وَمَا امْتَلَأَ انْقُلِبِيهِ». فَذَهَبَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَأَغْلَقَتِ الْبَابَ عَلَى نَفْسِهَا وَعَلَى بَنِيهَا. فَكَانُوا
هُمْ يُقَدِّمُونَ لَهَا الْأَوْعِيَّةَ وَهِيَ تَصُبُّ. وَلَمَّا امْتَلَأَتِ الْأَوْعِيَّةُ قَالَتْ لِابْنِهَا: «قَدِّمِ لِي أَيْضًا وِعَاءً». فَقَالَ
لَهَا: «لَا يُوْجَدُ بَعْدُ وِعَاءٌ». فَوَقَفَ الزَّيْتُ. فَاتَتْ وَأَخْبَرَتْ رَجُلَ اللَّهِ فَقَالَ: «أَذْهَبِي بِبَيْعِي الزَّيْتَ وَأَوْفِي
دَيْنَكَ، وَعِيشِي أَنْتِ وَبَنُوكِ بِمَا بَقِيَ»¹.

هذه قصة معجزة حدثت لأرملة لها ولدين، وكان على زوجها ديون ثقيلة، وبما أنها امرأة
ضعيفة لا تستطيع تسديد ديون زوجها، فقد استغاثت بالنبي أليشع ليساعدها، وقد جاء في
تفسير هذه الفقرات: "كان يجوز للفقراء والمديونين أن يبيعوا أنفسهم أو أولادهم عبيدًا، لسداد
ديونهم، وقد أمر الله الأغنياء والدائنين بعدم استغلال أولئك الناس في وقت حاجتهم
الشديدة"².

وخلاصة هذه المعجزة، أن نبي الله أليشع بعدما سأل الأرملة عما تملكه في بيتها، قالت إنها
لا تملك سوى دهنه الزيت، فأمرها بأن تستعير أواني من جيراتها، وتملأها بالزيت مستحضرة
بركة الله في هذا العمل، فأحضرت الأواني وملأها هي وابنيها، "وأخذت الأرملة تصب الزيت من
الدهنة حتى ملأت كل الأوعية، وهنا فقط وقف انسكاب الزيت، فذهبت إلى رجل الله³ تستشير
ماذا تفعل بتلك البركة التي أغدقها الله عليها، وكما هو متوقع فقد نصحتها أليشع أن تبيع الزيت
لثوفي الدين وتعيش بما تبقى"⁴.

1 سفر الملوك الثاني: 4: 7-1

2 التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 789

3 لقب يطلقه الكتاب المقدس على النبي.

4 داود لمعي، حياة أليشع النبي، م. س، ص: 44

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
إحدى الغرائب في هذه المعجزة أن أليشع لم يقم بها بنفسه، بل يصدر توجيهاته للأرملة
التي تطيعه فتدسكب نعمة الله عليها داخل الأبواب المغلقة، وكان أليشع قد طلب منها أن تغلق
الباب على نفسها وابنيها، لأن عمل الله ليس للاستعراض أو الافتخار بل هو قدس أقدس
علاقتنا معه¹.

معجزة إقامة ابن المرأة الشونمية:

معجزة إحياء النبي أليشع لابن المرأة الشونمية بعد موته، قصة طويلة جاءت تفاصيلها في
سفر الملوك الثاني كما يلي: "وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ عَبَرَ أَلِيشَعُ إِلَى شُونَمَ. وَكَانَتْ هُنَاكَ امْرَأَةٌ عَظِيمَةٌ،
فَأَمْسَكَتُهُ لِيَأْكُلَ خُبْزًا. وَكَانَ كُلَّمَا عَبَرَ يَمِيلُ إِلَى هُنَاكَ لِيَأْكُلَ خُبْزًا. فَقَالَتْ لِرَجُلِهَا: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ
رَجُلٌ لِلَّهِ، مُقَدَّسٌ الَّذِي يَمُرُّ عَلَيْنَا دَائِمًا. فَلْنَعْمَلْ عَلَيَّ عَلَى الْحَائِطِ صَغِيرَةً وَنَضْعَ لَهُ هُنَاكَ
سَرِيرًا وَخَوَانًا وَكُرْسِيًا وَمَنَارَةً، حَتَّى إِذَا جَاءَ إِلَيْنَا يَمِيلُ إِلَيْهَا». وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ جَاءَ إِلَى هُنَاكَ وَمَالَ
إِلَى الْعُلَيَّةِ وَاضْطَجَعَ فِيهَا. فَقَالَ لِحِيزِي غُلَامِهِ: «ادْعُ هَذِهِ الشُّونَمِيَّةَ». فَدَعَاها، فَوَقَفَتْ أَمَامَهُ.
فَقَالَ لَهُ: «قُلْ لَهَا: هُوَذَا قَدْ انْزَعَجَتْ بِسَبَبِنَا كُلِّ هَذَا الانْزِعَاجِ، فَمَاذَا يُصْنَعُ لَكَ؟ هَلْ لَكَ مَا
يُتَكَلَّمُ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ أَوْ إِلَى رَئِيسِ الْجَيْشِ؟» فَقَالَتْ: «إِنَّمَا أَنَا سَاكِنَةٌ فِي وَسْطِ شَعْبِي». ثُمَّ قَالَ:
«فَمَاذَا يُصْنَعُ لَهَا؟» فَقَالَ حِيزِي: «إِنَّهُ لَيْسَ لَهَا ابْنٌ، وَرَجُلُهَا قَدْ شَاخَ». فَقَالَ: «ادْعُهَا». فَدَعَاها،
فَوَقَفَتْ فِي الْبَابِ. فَقَالَ: «فِي هَذَا الْمِيعَادِ نَحْوُ زَمَانِ الْحَيَاةِ تَحْتَضِنِينَ ابْنًا». فَقَالَتْ: «لَا
يَا سَيِّدِي رَجُلَ اللَّهِ. لَا تَكْذِبْ عَلَيَّ جَارِيَتِكَ». فَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا فِي ذَلِكَ الْمِيعَادِ نَحْوُ زَمَانِ
الْحَيَاةِ، كَمَا قَالَ لَهَا أَلِيشَعُ. وَكَبِرَ الْوَلَدُ. وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ خَرَجَ إِلَى أَبِيهِ إِلَى الْحَصَادِينَ، وَقَالَ لِأَبِيهِ:
«رَأْسِي، رَأْسِي». فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «احْمِلْهُ إِلَى أُمِّهِ». فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ إِلَى أُمِّهِ، فَجَلَسَ عَلَى رُكْبَتَيْهَا إِلَى

¹ حياة أليشع النبي، م. س، ص: 44

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

الظُّهْر وَمَاتَ. فَصَعِدَتْ وَأَضْجَعَتْهُ عَلَى سَرِيرِ رَجُلِ اللَّهِ، وَأَغْلَقَتْ عَلَيْهِ وَخَرَجَتْ. وَنَادَتْ رَجُلَهَا وَقَالَتْ: «أَرْسِلْ لِي وَاحِدًا مِنَ الْعِلْمَانِ وَإِحْدَى الْأُتْنِ فَأَجْرِي إِلَى رَجُلِ اللَّهِ وَأَرْجِعَ». فَقَالَ: «لِمَذَا تَذْهَبِينَ إِلَيْهِ الْيَوْمَ؟ لَا رَأْسُ شَهْرٍ وَلَا سَبْتُ». فَقَالَتْ: «سَلَامٌ». وَشَدَّتْ عَلَى الْأُتْنِ، وَقَالَتْ لِعُلاَمِهَا: «سُقِ وَسِرْ وَلَا تَتَعَوَّقْ لِأَجْلِي فِي الرُّكُوبِ إِنْ لَمْ أَقُلْ لَكَ». وَانْطَلَقَتْ حَتَّى جَاءَتْ إِلَى رَجُلِ اللَّهِ إِلَى جَبَلِ الْكَرْمَلِ. فَلَمَّا رَأَاهَا رَجُلُ اللَّهِ مِنْ بَعِيدٍ قَالَ لِحِجْزِي غُلَامِهِ: «هُوَذَا تِلْكَ الشُّونَمِيَّةُ. ارْكُضِ الْآنَ لِلِقَائِهَا وَقُلْ لَهَا: أَسَلَامٌ لَكَ؟ أَسَلَامٌ لِرُجُوكِ؟ أَسَلَامٌ لِلْوَلَدِ؟» فَقَالَتْ: «سَلَامٌ». فَلَمَّا جَاءَتْ إِلَى رَجُلِ اللَّهِ إِلَى الْجَبَلِ أَمْسَكَتْ رِجْلَيْهِ. فَتَقَدَّمَ حِجْزِي لِيَدْفَعَهَا، فَقَالَ رَجُلُ اللَّهِ: «دَعَهَا لَأَنْ نَفْسَهَا مُرَّةٌ فِيهَا وَالرَّبُّ كَتَمَ الْأَمْرَ عَنِّي وَلَمْ يُخْبِرْنِي». فَقَالَتْ: «هَلْ طَلَبْتُ ابْنًا مِنْ سَيِّدِي؟ أَلَمْ أَقُلْ لَا تَخْدَعْنِي؟» فَقَالَ لِحِجْزِي: «أَشْدُدْ حَقْوَيْكَ وَخُذْ عُكَّازِي بِيَدِكَ وَانْطَلِقْ، وَإِذَا صَادَفْتَ أَحَدًا فَلَا تُبَارِكْهُ، وَإِنْ بَارَكَكَ أَحَدٌ فَلَا تُجِبْهُ. وَضَعْ عُكَّازِي عَلَى وَجْهِ الصَّبِيِّ». فَقَالَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ: «حَيُّ هُوَ الرَّبُّ، وَحَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ، إِنِّي لَا أَنْتَرُكَ». فَقَامَ وَتَبِعَهَا. وَجَارَ حِجْزِي قُدَّامَهُمَا وَوَضَعَ الْعُكَّازَ عَلَى وَجْهِ الصَّبِيِّ، فَلَمْ يَكُنْ صَوْتُ وَلَا مُصْغٍ. فَارْجَعَ لِلِقَائِهِ وَأَخْبَرَهُ قَائِلًا: «لَمْ يَنْتَبِهِ الصَّبِيُّ». وَدَخَلَ أَلِيشَعُ الْبَيْتَ وَإِذَا بِالصَّبِيِّ مَيِّتٌ وَمُضْطَجِعٌ عَلَى سَرِيرِهِ. فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى نَفْسَيْهِمَا كِلَيْهِمَا، وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. ثُمَّ صَعِدَ وَاضْطَجَعَ فَوْقَ الصَّبِيِّ وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ، وَعَيْنَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَيَدَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَسَخُنَ جَسَدُ الْوَلَدِ. ثُمَّ عَادَ وَتَمَشَّى فِي الْبَيْتِ تَارَةً إِلَى هُنَا وَتَارَةً إِلَى هُنَاكَ، وَصَعِدَ وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ. فَدَعَا حِجْزِي وَقَالَ: «أُدْعُ هَذِهِ الشُّونَمِيَّةَ» فَدَعَاَهَا. وَلَمَّا دَخَلَتْ إِلَيْهِ قَالَ: «أَحْمِلِي ابْنَكَ». فَاتَتْ وَسَقَطَتْ عَلَى رِجْلَيْهِ وَسَجَدَتْ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ حَمَلَتْ ابْنَهَا وَخَرَجَتْ¹.

¹ سفر الملوك الثاني 4: 37-8

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

هذه المعجزة تُظهر كيف استطاع النبي أليشع إحياء ابن المرأة الشونمية، هذه المرأة التي لم يكن لها ولد من زوجها الشيخ الكبير، وكان النبي أليشع قد جاء إلى بلدة شونم، فأمسكته المرأة ليأكل خبزًا، وكان كلما مرَّ من هناك جلس عندها ليأكل الخبز، وفكَّرت بعد استشارة زوجها في أن تقيم موضعًا على سطح بيتها حتى إذا جاء النبي أليشع يستريح فيه، وكان أليشع يقيم في ذلك المكان بصحبة غلامه جيحزي، وذات مرة دعا غلامه لأن يذهب إلى المرأة الشونمية ويعتذر لها عن الإزعاج الذي سببه جلوسهما بالقرب من بيتها، فسألها ماذا تطلبين أن نصنع لك؟ فأجابته أنها بلا ولد، وزوجها قد شاخ، فأخبرها أليشع أنها ستحمل ابنًا، وقد حصل لها ما أخبرها به نبي الله، فأنجبت ولدًا، لكن بعد أن بدأ يكبر الولد، وبينما هو ذاهب إلى الحقل مع أبيه وقت الحصاد، أحس بوجع في رأسه بسبب ضربة الشمس الحارة، فسقط مريضًا ثم لم يلبث طويلًا حتى باغته الموت وهو في أحضان أمه، فجاءت المرأة الشونمية مرة أخرى إلى النبي أليشع حاملة جثمان ابنها لتضعه على سريرته، فأقبل أليشع إلى موضع مرقد الصبي في البيت فأغلق عليه الباب، وصلى للرب وقام بمعالجته، فتمت المعجزة وهي عودة الصبي إلى الحياة.

هذه باختصار بعض معجزات النبي أليشع تلميذ النبي إيليا، وقد اشتهر أليشع بمعجزاته الكثيرة، ولعل السر في ذلك أن العصر الذي عاش فيه هذا النبي، كان يتميز بانتشار عبادة الأوثان، والبعد عن طريق الله، لذلك جاءت هذه المعجزات لإيقاظ قومه الضالين من غفلتهم، وإظهار قدرة الله الواحد.

ت-مرحلة النبي دانيال:

دانيال هو واحد من أنبياء بني إسرائيل، عاش في السبي البابلي زمن الملك نبوخذ نصر الذي سبى مملكة يهوذا، واستطاع أسر عدد من اليهود، "وكان دانيال من ضمن المسبيين إلى

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
بابل وقد استمرت نبواته لمدة 70 سنة، من 535 إلى 605 ق. م، وعاصر المملكة البابلية،
ومملكة مادي وفارس، وتنبأ عن نهاية الأزمنة، ويعد سفر دانيال أحد أسفار الأنبياء الكبار،
ويتكون من 14 إصحاحًا¹.

معجزات النبي دانيال:

حدث للنبي دانيال معجزات باهرة أثبتت قوة صلته بالله، وكانت مدة سببه مع رفاقه
الثلاثة في بابل تجربة روحية فريدة من نوعها، يمكن أن يستخلص منها المؤمن دروس كثيرة،
منها: أن العلاقة القوية بالله تُخَلِّصُ صاحبها وقت الشدائد من كل المحن التي تواجهه، وتجعله
قدوة حياة للناس الذين عاينوا تجربته، وتأثروا بشخصيته، وهذا ما حدث مع النبي دانيال
الذي كان يلقب بالرجل المحبوب.

معجزة أكل البقول:

من المعلوم أن النبي دانيال كان في السبي البابلي، وكان قد عيّنه الملك نبوخذنصر مع ثلاثة
من رفاقه كخدام في القصر، وكان هناك في قصر الملك أطايب الطعام يأكله الفتية حتى يتدربوا
على الخدمة الملكية، وكان دانيال يرفض أكل طعام الملك، ويفضل الأكل البسيط، "لقد طَبَّقَ
مشيئة الله على حياته الشخصية وتشبث بعدم تغيير العادات الحلوة التي كوَّنها، فكان كل من
غذائه الجسدي والروحي جزءًا هامًا من علاقته بالله"²، وكان للنبي دانيال شأن عظيم عند
الملك البابلي الذي قرَّبه إليه، واستعمله في تأويل الرؤى والأحلام، وقصة المعجزة التي وقعت

¹ داود لمعي، دانيال الرجل المحبوب، كنيسة مار مرقس، مصر الجديدة، ط1: ديسمبر 2009، ص: 12

² التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 1681

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

للنبي دانيال مع رئيس السقاة جاءت تفاصيلها في الكتاب المقدس كما يلي: "أَمَّا دَانِيَالُ فَجَعَلَ فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ لَا يَتَنَجَّسُ بِأَطْيَابِ الْمَلِكِ وَلَا بِخَمَرٍ مَشْرُوبِهِ، فَطَلَبَ مِنْ رَئِيسِ الْخَصِيَّانِ أَنْ لَا يَتَنَجَّسَ. وَأَعْطَى اللَّهُ دَانِيَالَ نِعْمَةً وَرَحْمَةً عِنْدَ رَئِيسِ الْخَصِيَّانِ. فَقَالَ رَئِيسُ الْخَصِيَّانِ لِدَانِيَالٍ: «إِنِّي أَخَافُ سَيِّدِي الْمَلِكَ الَّذِي عَيْنَ طَعَامِكُمْ وَشَرَابِكُمْ. فَلِمَذَا يَرَى وُجُوهَكُمْ أَهْزَلَ مِنَ الْفِتْيَانِ الَّذِينَ مِنْ جِيلِكُمْ، فَتُدَيِّنُونَ رَأْسِي لِلْمَلِكِ؟». فَقَالَ دَانِيَالُ لِرَئِيسِ السُّقَاةِ الَّذِي وَلَّاهُ رَئِيسُ الْخَصِيَّانِ عَلَى دَانِيَالٍ وَحَنَنْيَا وَمِيشَائِيلَ وَعَزَرِيَا: «جَرِّبْ عِبِيدَكَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ. فَلْيُعْطُونَا الْقَطَانِيَّ لِنَأْكُلَ وَمَاءً لِنَشْرَبَ. وَلْيَنْظُرُوا إِلَى مَنَاظِرِنَا أَمَامَكَ وَإِلَى مَنَاظِرِ الْفِتْيَانِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ مِنْ أَطْيَابِ الْمَلِكِ. ثُمَّ اصْنَعْ بِعَبِيدِكَ كَمَا تَرَى». فَسَمِعَ لَهُمْ هَذَا الْكَلَامَ وَجَرَّبَهُمْ عَشْرَةَ أَيَّامٍ. وَعِنْدَ نَهَايَةِ الْعَشْرِ الْأَيَّامِ ظَهَرَتْ مَنَاظِرُهُمْ أَحْسَنَ وَأَسْمَنَ لَحْمًا مِنْ كُلِّ الْفِتْيَانِ الْآكِلِينَ مِنْ أَطْيَابِ الْمَلِكِ. فَكَانَ رَئِيسُ السُّقَاةِ يَرْفَعُ أَطْيَابَهُمْ وَخَمَرَ مَشْرُوبَهُمْ وَيُعْطِيهِمْ قَطَانِيَّ".

يقول القمص عبد المسيح بسيط: "كان دانيال ورفاقه الثلاثة شدرخ وميشخ وعبدناغو، نموذجاً للقديسين الأمناء لإلههم وشريعتهم ودينهم في أرض سبيهم، وفي وسط شعب صاحب سطوة عليهم ويعبد الأوثان، وكانت ثقتهم في الله الواحد بلا حدود، لقد رفضوا كما يقول السفر أن يتنجسوا" بأطياب الملك ولا بخمر مشروبه² حتى لا يقعوا في مخالفة شريعة الله، وأصرروا على أكل البقول فقط، وفي ثقة كاملة، في الله، طلبوا من رئيس السقاة أن يجربهم لمدة عشرة

¹ سفر دانيال 1: 8-16

² سفر دانيال 1: 8

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أيام فقط بعدها كانت مناظرهم "أحسن وأسمن لحماً من كل الفتیان الآكلین من أطایب
الملك"¹.

فالقصة التي حدثت للنبي دانيال ورفاقه الثلاثة تجلت في الاختبار الذي عرض لهم داخل
قصر الملك البابلي، فقد رفضوا طعام وشراب الملك، وطلبوا من رئيس السقاة المكلف بإحضار
الطعام والشراب، أن يعطيهم البقول فقط، ويجربهم لمدة عشرة أيام، وسيكونون أفضل حالا
من فتية الملك الذين يأكلون ما لذ وطاب من الطعام، وكانت ثقة النبي دانيال ورفاقه في الله،
ويقينهم فيها كبير جداً، فبعد مرور المدة المحددة، كانت المفاجأة، وهي أن النبي دانيال ورفاقه
كانوا في أحسن منظر، وأسمن جسم، وأجمل من الفتية الذين تناولوا طعام الملك، فاندesh
رئيس السقاة لهذه المعجزة الإلهية.

معجزة نجات النبي دانيال من الأسود المفترسة:

وفي موقف آخر كاد فيه دانيال النبي أن يفقد حياته، رفض في إصرار أن يخفى إيمانه،
ورفض أن يصلى لغير الله، ورفض أن يطلب من غير الله ما يخص الله، وبسبب ذلك ألقى في
جب الأسود الجائعة والشرهة والتي لم تأكل من مدة ومنتظرة التهام أي فريسة تلقى إليها،
ووضع على الجب حجر، وختم الحجر بخاتم الملك، ولكن الله الذي اتكل عليه دانيال النبي
ووثق فيه، لم يخذله، بل أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضره³ وقد كان الملك البابلي يظن
أن الأسود الجائعة ستفترس النبي دانيال، لكن خاب ظنه بعدما عرف الحقيقة، وهذا ما جاء

¹ سفر دانيال 1: 15

² عبد المسيح بسيط، إعجاز النبوة والوحي في سفر دانيال، ص: 19 - 20

³ المرجع نفسه، ص: 20

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
في النص: " ثُمَّ قَامَ الْمَلِكُ بَاكِراً عِنْدَ الْفَجْرِ وَذَهَبَ مُسْرِعاً إِلَى جُبِّ الْأُسُودِ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى الْجُبِّ
نَادَى دَانِيَالَ بِصَوْتِ أَسِيفٍ. أَجَابَ الْمَلِكُ وَقَالَ لِدَانِيَالَ: «يَا دَانِيَالَ عَبْدَ اللَّهِ الْحَيِّ، هَلْ إِلَهَكَ
الَّذِي تَعْبُدُهُ دَائِماً قَدِرَ عَلَى أَنْ يُنَجِّيكَ مِنَ الْأُسُودِ؟» فَتَكَلَّمَ دَانِيَالُ مَعَ الْمَلِكِ: «يَا أَيْهَا الْمَلِكُ، عِشْ
إِلَى الْأَبَدِ! إِلَهِي أَرْسَلَ مَلَائِكَةً وَسَدَّ أَفْوَاهَ الْأُسُودِ فَلَمْ تَضُرَّنِي، لِأَنِّي وَجِدْتُ بَرِيئاً قُدَّامَهُ، وَقُدَّامَكَ
أَيْضاً أَيْهَا الْمَلِكُ، لَمْ أَفْعَلْ ذَنْباً»¹.

فكانت معجزة النبي دانيال هي نجاته من الأسود المفترسة بعد أن أرسل الله ملاكه الذي
سدَّ أفواهها، فلم تصب نبي الله دانيال بأذى، لأن يقينه بالله كان قوياً، وكان توكله عليه عظيماً.

معجزة تنبؤات دانيال:

اشتهر النبي دانيال بالرؤى والقدرة التي منحه الله على تفسيرها، ولذلك عندما كان في فترة
السبي مع رفاقه (حننيا وميشائيل وعزريا)، رأى الملك نبوخذنصر أحلاماً أزعجته وقضت
مضجعه، فجمع السحرة والمنجمين والعرافين لكي يخبروه عن معنى هذه الأحلام، وهددهم
بالقتل إذا لم ينجحوا في تفسير أحلامه، كما وعدهم بمنحهم الهدايا إذا نجحوا في تفسيرها.

وهذه القصة وردت تفاصيلها في النص التالي: "وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِ نَبُوخَذْنَصَّرَ،
حَلَمَ نَبُوخَذْنَصَّرُ أَحْلَامًا، فَانْزَعَجَتْ رُوحُهُ وَطَارَ عَنْهُ نَوْمُهُ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِأَنْ يُسْتَدْعَى الْمَجُوسُ
وَالسَّحَرَةُ وَالْعَرَّافُونَ وَالْكَلدَانِيُّونَ لِيُخْبِرُوا الْمَلِكَ بِأَحْلَامِهِ. فَاتُّوا وَوَقَفُوا أَمَامَ الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُمْ
الْمَلِكُ: «قَدْ حَلَمْتُ حُلُمًا وَانْزَعَجَتْ رُوحِي لِمَعْرِفَةِ الْحُلُمِ». فَكَلَّمَ الْكَلْدَانِيُّونَ الْمَلِكَ بِالْأَرَامِيَّةِ: «عِشْ
أَيْهَا الْمَلِكُ إِلَى الْأَبَدِ. أَخْبِرْ عَبِيدَكَ بِالْحُلُمِ فَتُبَيِّنَ تَعْبِيرَهُ». فَأَجَابَ الْمَلِكُ وَقَالَ لِلْكَلدَانِيِّينَ: «قَدْ خَرَجَ

¹ سفر دانيال 6: 19-22

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
مِي الْقَوْلُ: إِنْ لَمْ تُنْبِئُونِي بِالْحُلْمِ وَتَغْيِيرِهِ، تُصَيِّرُونَ إِرْبًا إِرْبًا وَتُجْعَلُ بُيُوتُكُمْ مَزْبَلَةً. وَإِنْ بَيَّنْتُمْ
الْحُلْمَ وَتَغْيِيرَهُ، تَنَالُونَ مِنْ قِبَلِي هَدَايَا وَحَلَاوِينَ وَإِكْرَامًا عَظِيمًا. فَتَبَيَّنُوا لِي الْحُلْمَ وَتَغْيِيرَهُ»¹.

جاء في تفسير هذه الفقرات: "كانت الأحلام تعتبر رسائل من الآلهة يقوم بتفسيرها الرجال
الحكماء، وعادة كان هؤلاء يُقَدِّمون تفسيرات معينة طالما كانوا يعلمون قصة ومحتوى الحلم،
إلا أنه في هذه المرة، طلب نبوخذنصر أن يقصوا عليه الحلم نفسه، فقد أرسل الرب إلى
نبوخذنصر سلسلة من الأحلام برسائل نبوية لا يقدر على إعلانها وفهمها إلا خادم للرب"².

في نهاية المطاف لم يكن أحد قادرًا على تفسير حلم الملك سوى النبي دانيال، فهو خادم
الرب، لذلك يواصل السفر سرد القصة وكيف طلب النبي دانيال من رفاقه الثلاثة الصلاة
للرب ودعاؤه لمنحهم القوة والقدرة على الفهم وتفسير حلم الملك، فكانت المعجزة أن الله
استجاب لطلبه، ورأى في منامه الحلم، ثم ذهب إلى الملك لمقابلته، وهذا ما نقرأه في النص
التالي: "فَدَخَلَ دَانِيَالُ وَطَلَبَ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَهُ وَقْتًا فَيَبَيِّنَ لِلْمَلِكِ التَّغْيِيرَ. حِينَئِذٍ مَضَى دَانِيَالُ
إِلَى بَيْتِهِ، وَأَعْلَمَ حَنَنْيَا وَمِيشَائِيلَ وَعَزْرِيَا أَصْحَابَهُ بِالْأَمْرِ، لِيَطْلُبُوا الْمَرَاحِمَ مِنْ قِبَلِ إِلَهِ السَّمَاوَاتِ
مِنْ جِهَةِ هَذَا السِّرِّ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ دَانِيَالُ وَأَصْحَابُهُ مَعَ سَائِرِ حُكَمَاءِ بَابِلَ. حِينَئِذٍ لِدَانِيَالُ كُشِفَ
السِّرُّ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ. فَبَارَكَ دَانِيَالُ إِلَهَ السَّمَاوَاتِ. أَجَابَ دَانِيَالُ وَقَالَ: «لِيَكُنْ اسْمُ اللَّهِ مُبَارَكًا مِنْ
الْأَزَلِ وَإِلَى الْأَبَدِ، لِأَنَّ لَهُ الْحِكْمَةَ وَالْجَبْرُوتَ. وَهُوَ يُغَيِّرُ الْأَوْقَاتَ وَالْأَزْمَنَةَ. يَعَزِلُ مُلُوكًا وَيُنْصِبُ مُلُوكًا.
يُعْطِي الْحُكَمَاءَ حِكْمَةً، وَيُعَلِّمُ الْعَارِفِينَ فَهْمًا. هُوَ يَكْشِفُ الْعَمَائِقَ وَالْأَسْرَارَ. يَعْلَمُ مَا هُوَ فِي

¹ سفر دانيال 2: 1-6

² التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 1680

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الظُّلْمَةِ، وَعِنْدَهُ يَسْكُنُ النُّورُ. إِيَّاكَ يَا إِلَهَ آبَائِي أَحْمَدُ، وَأُسَبِّحُ الَّذِي أَعْطَانِي الْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ
وَأَعْلَمَنِي الْآنَ مَا طَلَبْنَاهُ مِنْكَ، لِأَنَّكَ أَعْلَمْتَنَا أَمْرَ الْمَلِكِ»¹.

وجاءت اللحظة الحاسمة عندما دخل النبي دانيال على الملك، ودار بينهما حوار طويل،
وقد سجّل الكتاب المقدس تفاصيل هذا الحوار، وما جرى فيه من تنبؤات دانيال، يقول النص:
"حِينَئِذٍ دَخَلَ أَرْيُوخُ بِدَانِيَالَ إِلَى قُدَّامِ الْمَلِكِ مُسْرِعًا وَقَالَ لَهُ هَكَذَا: «قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا مِنْ بَنِي سَبْيِ
يَهُوذَا الَّذِي يُعْرِفُ الْمَلِكَ بِالتَّعْيِيرِ». أَجَابَ الْمَلِكُ وَقَالَ لِدَانِيَالَ، الَّذِي اسْمُهُ بَلُطَشَاصَرُّ: «هَلْ
تَسْتَطِيعُ أَنْتَ عَلَى أَنْ تُعَرِّفَنِي بِالْحُلُمِ الَّذِي رَأَيْتُ، وَبِتَعْيِيرِهِ؟» جَابَ دَانِيَالَ قُدَّامَ الْمَلِكِ وَقَالَ:
«السِّرُّ الَّذِي طَلَبَهُ الْمَلِكُ لَا تَقْدِرُ الْحُكَمَاءُ وَلَا السَّحَرَةُ وَلَا الْمَجُوسُ وَلَا الْمُنْجَمُونَ عَلَى أَنْ يُبَيِّنُوهُ
لِلْمَلِكِ. لَكِنْ يُوجَدُ إِلَهٌ فِي السَّمَاوَاتِ كَاشِفُ الْأَسْرَارِ، وَقَدْ عَرَفَ الْمَلِكُ نَبُوخَذَنْصَرَّ مَا يَكُونُ فِي
الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ. حُلُمُكَ وَرُؤْيَا رَأْسِكَ عَلَى فِرَاشِكَ هُوَ هَذَا: أَنْتَ يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَفْكَارُكَ عَلَى فِرَاشِكَ
صَعِدَتْ إِلَى مَا يَكُونُ مِنْ بَعْدِ هَذَا، وَكَاشَفَ الْأَسْرَارَ يُعَرِّفُكَ بِمَا يَكُونُ. أَمَّا أَنَا فَلَمْ يُكْشَفْ لِي هَذَا
السِّرُّ لِحِكْمَةٍ فِي أَكْثَرِ مَنْ كُلِّ الْأَحْيَاءِ، وَلَكِنْ لَكِي يُعْرِفَ الْمَلِكُ بِالتَّعْيِيرِ، وَلَكِي تَعْلَمَ أَفْكَارَ قَلْبِكَ»².

اعترف النبي دانيال أن رؤيا الملك لا يقدر على تفسيرها لا الحكماء ولا السحرة ولا المجوس
ولا المنجمون، وإنما إله السماوات هو وحده القادر على كشف أسرارها، وكأن النبي دانيال
بحكمته يريد أن يدل الملك على الإله الواحد الذي يستحق العبادة دون غيره من الآلهة.

ويواصل النص سرد قصة تفسير النبي دانيال لرؤيا الملك، ومما جاء فيه: "أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ
كُنْتَ تَنْظُرُ وَإِذَا بَتَمَثَالٍ عَظِيمٍ. هَذَا التَّمَثَالُ الْعَظِيمُ الْبَهِيُّ جِدًّا وَقَفَ قُبَالَتِكَ، وَمَنْظَرُهُ هَائِلٌ.

¹ سفر دانيال 2: 16-23

² سفر دانيال 2: 25-30

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
رَأْسُ هَذَا التِّمْتَالِ مِنْ ذَهَبٍ جَيِّدٍ. صَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ. بَطْنُهُ وَفَخْدَاهُ مِنْ نُحَاسٍ. سَاقَاهُ مِنْ
حَدِيدٍ. قَدَمَاهُ بَعْضُهُمَا مِنْ حَدِيدٍ وَالبَعْضُ مِنْ خَرْفٍ. كُنْتُ تَنْظُرُ إِلَى أَنْ قُطِعَ حَجَرٌ بَغَيْرِ يَدَيْنِ،
فَضَرَبَ التِّمْتَالُ عَلَى قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَخَرْفٍ فَسَحَقَهُمَا. فَانْسَحَقَ حِينَئِذٍ الْحَدِيدُ
وَالْخَرْفُ وَالنُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ مَعًا، وَصَارَتْ كَعَصَافَةِ الْبَيْدَرِ فِي الصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ
فَلَمْ يَوْجَدْ لَهَا مَكَانٌ. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التِّمْتَالُ فَصَارَ جَبَلًا كَبِيرًا وَمَلَأَ الْأَرْضَ كُلَّهَا. هَذَا هُوَ
الْحَلْمُ. فَتَخَبَّرْ بِتَغْيِيرِهِ قَدَامَ الْمَلِكِ¹.

كانت الرأس الذهبية للتمثال في الحلم تمثل نبوخذنصر حاكم الإمبراطورية البابلية، أما
الصدر والذراعان الفضيتان فكانت تمثل إمبراطورية مادي وفارس التي هزمت بابل في سنة 539
ق. م، وكانت البطن والفخذان من نحاس هما اليونان ومقدونيا بقيادة الإسكندر الأكبر الذي
هزم إمبراطورية مادي وفارس في سنة 334-330 ق. م، ورمزت الساقان من الحديد إلى روما التي
هزمت اليونانيين سنة 63 ق. م، أما القدمان من الخزف والحديد فمثلت انهيار الإمبراطورية
الرومانية عندما انقسمت مستعمرات روما إلى خليط من الدول القوية والضعيفة، وقد بين
نوع المعدن في كل جزء مدى قوة السلطة السياسية التي يمثلها، أما الحجر المقطوع من الجبل
فيشير إلى ملكوت الله الذي يحكمه المسيا ملك الملوك إلى الأبد وقد أعلن الحلم عن إله دانيال
أنه القوة التي تقف وراء كل الممالك الأرضية².

وبعد أن فسّر النبي دانيال الحلم، ما كان من الملك إلا أن خرَّ ساجدًا لدانيال وأمر الخدم
أن يمنحوه عطايا، ثم جعل له سلطانًا على كل بابل، جاء في النص: "حِينَئِذٍ خَرَّ نَبُوحْدَنْصَرُ عَلَى

¹ سفر دانيال 2: 31-36

² التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 1684

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
 وَجْهِهِ وَسَجَدَ لِدَانِيَالَ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُقَدِّمُوا لَهُ تَقْدِيمَةً وَرَوَائِحَ سُرُورٍ. فَأَجَابَ الْمَلِكُ دَانِيَالَ وَقَالَ:
 «حَقًّا إِنَّ إِلَهَكُمْ إِلَهُ الْآلِهَةِ وَرَبُّ الْمُلُوكِ وَكَاشَفَ الْأَسْرَارَ، إِذِ اسْتَطَعْتَ عَلَى كَشْفِ هَذَا السِّرِّ». ¹
 حِينَئِذٍ عَظَّمَ الْمَلِكُ دَانِيَالَ وَأَعْطَاهُ عَطَايَا كَثِيرَةً، وَسَلَّطَهُ عَلَى كُلِّ وَلَايَةِ بَابِلَ وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الشَّحَنِ
 عَلَى جَمِيعِ حُكَمَاءِ بَابِلَ. فَطَلَبَ دَانِيَالَ مِنَ الْمَلِكِ، فَوَلَّى شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنُغُو عَلَى أَعْمَالِ وَلَايَةِ
 بَابِلَ. أَمَّا دَانِيَالَ فَكَانَ فِي بَابِ الْمَلِكِ ².

وفي موضع آخر من هذا السفر، نقراً رسالة نبوخذنصر إلى كل الشعوب وساكني الأرض
 عن العجائب والمعجزات التي صنعها الله له، وجاء فيها ما نصه: "مَنْ نَبُوخَذْنَصَّرَ الْمَلِكُ إِلَى كُلِّ
 الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ السَّاكِنِينَ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا: لِيَكُنْزُ سَلَامُكُمْ. الْآيَاتُ وَالْعَجَائِبُ الَّتِي صَنَعَهَا
 مَعِيَ اللَّهُ الْعَلِيُّ، حَسُنَ عِنْدِي أَنْ أُخْبِرَ بِهَا. آيَاتُهُ مَا أَعْظَمَهَا، وَعَجَائِبُهُ مَا أَقْوَاهَا! مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتُ
 أَبَدِيٍّ وَسُلْطَانُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ ²".

الملك يطلع دانيال على حلم جديد:

بدأت القصة بحلم عجيب رآه الملك في منامه، فاستيقظ فزعاً، وطلب من السحرة
 والمنجمين والحكماء تفسير هذا الحلم، لكن بعد فشلهم في هذه المهمة، استدعى النبي دانيال لما
 له من تجربة سابقة في تفسير الرؤى والأحلام.

وقد خاطب الملك البابلي النبي دانيال باسم أحد الآلهة قائلاً له: "يَا بَلْطَشَاصَّرُ، كَبِيرُ
 الْمَجُوسِ، مَنْ حَيْثُ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ فِيكَ رُوحَ الْآلِهَةِ الْقُدُّوسِينَ، وَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ سِرٌّ، فَأَخْبِرْنِي بِرُؤْي
 حُلْمِي الَّذِي رَأَيْتُهُ وَتَبَعِيْرِهِ. فَرُؤْي رَأْسِي عَلَى فِرَاشِي هِيَ: أَنِّي كُنْتُ أَرَى فَإِذَا بِشَجَرَةٍ فِي وَسَطِ

¹ سفر دانيال 2: 46-49

² سفر دانيال 4: 1-3

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

الأَرْضِ وَطُولُهَا عَظِيمٌ. فَكَبُرَتِ الشَّجَرَةُ وَقَوِيَتْ، فَلَبَغَ عَلْوُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَمَنْظَرُهَا إِلَى أَقْصَى كُلِّ
 الْأَرْضِ. أَوْزَاقُهَا جَمِيلَةٌ وَثَمَرُهَا كَثِيرٌ وَفِيهَا طَعَامٌ لِلْجَمِيعِ، وَتَحْتَهَا اسْتَقَلَّ حَيَوَانُ الْبَرِّ، وَفِي أَغْصَانِهَا
 سَكَنَتِ طُيُورُ السَّمَاءِ، وَطَعِمَ مِنْهَا كُلُّ الْبَشَرِ. كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْي رَأْسِي عَلَى فِرَاشِي وَإِذَا بِسَاهِرٍ
 وَقُدُوسٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَصَرَخَ بِشِدَّةٍ وَقَالَ هَكَذَا: اقْطَعُوا الشَّجَرَةَ، وَأَقْضِبُوا أَغْصَانَهَا، وَانْثُرُوا
 أَوْزَاقَهَا، وَابْذُرُوا ثَمَرَهَا، لِيَمْرُبَ الْحَيَوَانُ مِنْ تَحْتِهَا وَالطُّيُورُ مِنْ أَغْصَانِهَا. وَلَكِنْ اتْرْكُوا سَاقَ
 أَصْلِهَا فِي الْأَرْضِ، وَبَقِيْدٍ مِنْ حَدِيدٍ وَنَحَاسٍ فِي عُشْبِ الْحَقْلِ، وَلِيَبْتَلَّ بِبَدَى السَّمَاءِ، وَلِيَكُنْ
 نَصِيبُهُ مَعَ الْحَيَوَانِ فِي عُشْبِ الْحَقْلِ. لِيَتَغَيَّرَ قَلْبُهُ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلِيُعْطَ قَلْبَ حَيَوَانٍ، وَلِيَتَمَاضِ
 عَلَيْهِ سَبْعَةُ أَزْمَنَةٍ. هَذَا الْأَمْرُ بِقَضَاءِ السَّاهِرِينَ، وَالْحُكْمُ بِكَلِمَةِ الْقُدُوسِينَ، لِكَيْ تَعْلَمَ الْأَحْيَاءُ أَنَّ
 الْعَلِيِّ مُتَسَلِّطٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ، فَيُعْطِيهَا مَنْ يَشَاءُ، وَيُنْصِبُ عَلَيْهَا أَدْنَى النَّاسِ. هَذَا الْحُلْمُ رَأْيُهُ
 أَنَا نَبُوحَذَنْصَرَ الْمَلِكِ. أَمَّا أَنْتَ يَا بَلَطَشَاصَّرُ فَبَيِّنْ تَغْيِيرَهُ، لِأَنَّ كُلَّ حُكَمَاءِ مَمْلَكَتِي لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ
 يُعَرِّفُونِي بِالتَّغْيِيرِ. أَمَّا أَنْتَ فَتَسْتَطِيعُ، لِأَنَّ فِيكَ رُوحَ الْإِلَهِ الْقُدُوسِينَ»¹.

كان التفسير واضحاً أمام دانيال ففزع من هول القضاء الذي أعده الله للملك، وتغيرت
 هيئته، ولاحظ الملك هذا التغير وطلب منه أن يخبره بالحقيقة كيفما كانت، وتعاطف دانيال
 مع الملك وتمنى في لباقة أن يكون هذا الحلم لأعدائه وليس له، ثم بدأ بتفسير الحلم، واضطر
 دانيال أن يخبر الملك بالحقيقة المرة، وهي أنه هو المقصود بهذه الشجرة، وأن القضاء الإلهي
 سيأتي عليه لمدة 7 أزمنة (في الغالب هي 7 سنوات) ولكنه أوضح له رحمة الله الذي سمح بترك

¹ سفر دانيال 4: 9-18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أصل الشجرة ليعود نبوخذنصر إلى مملكته بعد أن يكون قد عرف أن الله العلي هو الملك
الحقيقي الذي له السلطان، وليس أي إنسان مهما علا شأنه¹.

من خلال النصوص السابقة، أخلص إلى القول إن حلم الملك نبوخذنصر قد تحقق طبقاً
لما جاء في تفسير النبي دانيال، فأتى عليه قضاء الله الملك الحق، وتم تنفيذ حكمه عليه، وقضى
تلك الفترة الزمنية مطروداً من بين الناس، حتى أكل العشب مثل الحيوانات، وتغيرت حاله من
حال المجد والجاه إلى حال الذل والانكسار، وعند انتهاء المدة المحددة له في الحلم، رفع عينيه
نحو السماء، واسترجع وعيه، وبدأ يمجّد الرب إلى الأبد، ويعترف بقوته وسلطانه، عندئذ عاد
إليه مجده وسلطانه.

وبعد مرحلة النبي دانيال، سيظهر النبي يونان الذي اشتهر بمعجزة مكوثه في بطن الحوت
ثلاثة أيام وثلاث ليال، فمن هو يونان؟ وكيف عرض الكتاب المقدس قصتهم قومهم ومعجزته؟

ث-معجزة النبي يونان:

وردت تفاصيل هذه المعجزة في سفر يونان، ومما جاء فيها:

"وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمْتَايَ قَائِلاً: «قُمْ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ
عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي». فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرَبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، فَتَنَزَّلَ إِلَى يَافَا
وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشَ، فَدَفَعَ أَجْرَهَا وَنَزَلَ فِيهَا، لِيَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ
الرَّبِّ. فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ، فَحَدَّثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ
تَنْكَسِرُ. فَخَافَ الْمَلَأُحُونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلَهِهِ، وَطَرَحُوا الْأَمْتَعَ الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ

¹ دانيال ذلك الرجل المحبوب، م. س، ص: 54

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ. وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلًا. فَجَاءَ إِلَيْهِ رَئِيسُ النُّوتِيَّةِ وَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ نَائِمًا؟ قُمْ اصْرُخْ إِلَى إِلَهِكَ عَسَى أَنْ يَفْتَكِرَ إِلَهُهُ فِينَا فَلَا نَهْلِكَ». وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نُلْقِي قُرْعًا لِنَعْرِفَ بِسَبَبِ مَنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ». فَالْقُوا قُرْعًا، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونَانَ. فَقَالُوا لَهُ: «أَخْبِرْنَا بِسَبَبِ مَنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ عَلَيْنَا؟ مَا هُوَ عَمَلُكَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ مَا هِيَ أَرْضُكَ؟ وَمِنْ أَيِّ شَعْبٍ أَنْتَ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا عِبْرَانِيٌّ، وَأَنَا خَائِفٌ مِنَ الرَّبِّ إِلَهِ السَّمَاءِ الَّذِي صَنَعَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ». فَخَافَ الرِّجَالُ خَوْفًا عَظِيمًا، وَقَالُوا لَهُ: «لِمَذَا فَعَلْتَ هَذَا؟» فَإِنَّ الرِّجَالَ عَرَفُوا أَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، لِأَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ. فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَصْنَعُ بِكَ لِيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنَّا؟» لِأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابًا. فَقَالَ لَهُمْ: «خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنْكُمْ، لِأَنِّي عَالِمٌ أَنَّهُ بِسَبَبِي هَذَا النَّوْءُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ»¹.

ويواصل السفر سرد هذه القصة:

"وَلَكِنَّ الرِّجَالَ جَذَفُوا لِيُرْجِعُوا السَّفِينَةَ إِلَى الْبَرِّ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا، لِأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابًا عَلَيْهِمْ. فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ وَقَالُوا: «آه يَا رَبُّ، لَا تَهْلِكْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِي هَذَا الرَّجُلِ، وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا دَمًا بَرِيئًا، لِأَنَّكَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ كَمَا شِئْتَ». ثُمَّ أَخَذُوا يُونَانَ وَطَرَحُوهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَقَفَ الْبَحْرُ عَنْ هَيْجَانِهِ. فَخَافَ الرِّجَالُ مِنَ الرَّبِّ خَوْفًا عَظِيمًا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَةً لِلرَّبِّ وَنَذَرُوا نَذُورًا. وَأَمَّا الرَّبُّ فَأَعَدَّ حُوتًا عَظِيمًا لِيَبْتَلِعَ يُونَانَ. فَكَانَ يُونَانُ فِي جَوْفِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ»².

ثم ينتقل السفر ليحكي لنا كيف كان رد فعل النبي يونان بعد إلقائه في البحر:

¹ سفر يونان 1: 12-1

² سفر يونان 1: 13-17

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير

"فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِ مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ، وَقَالَ: «دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّبَّ، فَاسْتَجَابَنِي. صَرَخْتُ مِنْ جَوْفِ الْهَاطِيَةِ، فَسَمِعْتَ صَوْتِي. لِأَنَّكَ طَرَحْتَنِي فِي الْعُمُقِ فِي قَلْبِ الْبَحَارِ، فَأَحَاطَ بِي نَهْرٌ. جَازَتْ فَوْقِي جَمِيعُ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ. فَقُلْتُ: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ. وَلَكِنِّي أَعُودُ أَنْظُرُ إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ. قَدْ اكْتَنَفْتَنِي مِيَاهُ إِلَى النَّفْسِ. أَحَاطَ بِي غَمْرٌ. التَفَّ عُشْبُ الْبَحْرِ بِرَأْسِي. نَزَلْتُ إِلَى أَسَافِلِ الْجِبَالِ. مَغَالِيقُ الْأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الْأَبَدِ. ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيْهَا الرَّبُّ إِلَهِي. حِينَ أُعْيِتَ فِي نَفْسِي ذَكَرْتُ الرَّبَّ، فَجَاءَتْ إِلَيْكَ صَلَاتِي إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ. الَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةٍ يَتْرَكُونَ نِعْمَتَهُمْ. أَمَّا أَنَا فَبِصَوْتِ الْحَمْدِ أَذْبِجُ لَكَ، وَأُوفِي بِمَا نَذَرْتُهُ. لِلرَّبِّ الْخَلَاصُ». وَأَمَرَ الرَّبُّ الْحُوتَ فَقَدَفَ يُونَانَ إِلَى الْبَرِّ¹.

تفسير قصة النبي يونان:

يونان رجل يهودي من فلسطين، أرسله الله يوماً ليعظ مدينة نينوى²، كانت نينوى أهم مدينة في آشور ثم ما لبثت أن أصبحت عاصمة الإمبراطورية الآشورية، لكنها كانت أيضاً مدينة شريرة جداً، دعا الله يونان الذي كان يكره الآشوريين الأقوياء الأشرار، ليحذرهم من قصاص الله إذا لم يتوبوا، لم يرد يونان الذهاب إلى يونان، فحاول الهروب من الله³.

¹ سفر يونان 2: 10-1

² فنسان مورا، سفر يونان، نقله عن الفرنسية: الخوري حليم ريشا، دار المشرق، بيروت، ط1: 1993، ص: 11

³ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 1775

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

يهرب النبي من وجه الله وينزل في سفينة إلى ترشيش¹، بحارتها من الوثنيين، وتثور عاصفة هوجاء، ويزعم البحارة أن الآلهة غاضبة عليهم، ثم يكتشفون أن يونان هو علة هذا الهياج، ويحاولون إنقاذه والإبقاء على حياته وهو الغريب عنهم، ولكنهم يضطرون في آخر الأمر إلى إلقائه في قاع اليم، فتبتله سمكة كبيرة قيل إنها حوت، وفي جوف الحوت يرفع يونان صلاة، فيقذفه الحوت إلى الأرض اليابسة².

إن معجزة النبي يونان تتلخص في تدخل الله في إنقاذه بعدما أُلقي في البحر، حيث سخر له الله العظيم مخلوقاً من مخلوقاته وهو الحوت، فابتله وبقي في بطنه ثلاثة أيام وثلاث ليال يصلي لله ويسبح بعظمته معترفاً بذنبه، فكانت عناية الله لنبيه يونان أن أمر الحوت بإلقائه إلى اليابسة.

ويُستنتج أيضاً من هذه القصة، معجزة أخرى تمثلت في إيمان أهل نينوى وتوبتهم إلى الله، وكانت معجزة إلهية فائقة للتوقعات، فكأن الله أراد أن يعاتب نبيه يونان على تمرده على أمره، ويظهر هذا الأمر في إلغاء الله للعذاب الذي توعدهم به يونان إذا لم يتوبوا، لكن الله أراد أن يعلم النبي يونان أن الهداية بيده وحده، وليس بيد أحد غيره.

¹ ومعناها في العبرية "الزبرجد" وهي اسم بلاد أو مدينة تُذكر دائماً بالارتباط بالسفن، مما يدل على أن ترشيش كانت تقع على البحر، ويرى البعض أنها كلمة فينيقية بمعنى "معمل تكرير"، والأرجح أنها كانت بلاداً في غربي البحر المتوسط (دائرة المعارف الكتابية، ص: 362) .

² حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، م. س، ص: 128

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير

ثانيًا: العهد الجديد

تضمن كتاب العهد الجديد العديد من المعجزات والعجائب والخوارق، أكثرها يُنسب ليسوع المسيح بصفته مؤيدًا بالمعجزات الإلهية كشفاء المرضى، وإحياء الموتى، وتكثير الطعام، والمشي على الماء... إلخ.

وقد ورد ذكر هذه المعجزات بتفصيل في الأناجيل الأربعة، ونظرًا لكثرتها، وعدم اتساع المجال لعرضها، سأكتفي بالإحالة على أرقام الإصحاحات والفقرات التي تضمنتها.

1-معجزات ورد ذكرها في إنجيل متى:

- شفاء المقعد في كفرناحوم (5: 8) .
- شفاء مجنون كورة الجديدين (8: 8) .
- شفاء ذي اليد اليابسة في السبت (9: 12-13) .
- شفاء كثيرين عند بحر الجليل (14: 12-21) .
- شفاء أعميين وأخرس (27: 9-34) .

2-معجزات ورد ذكرها في إنجيل مرقس:

- شفاء أصم أقعد (31: 7-37) .
- الممسوس في مجمع كفرناحوم (23: 1-27) .
- شفاء حماة بطرس (29: 1-31) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية..... البشير أسعير

-أشفية وتعزيم عند المساء في كفر ناحوم (32: 1-34) .

-الأبرص (40: 1-45) .

-مُقعد كفر ناحوم (مناظرة) (1: 2-12) .

-الرجل الأثل اليد (مناظرة) (1: 3-6) .

-تسكين العاصفة (35: 4-41) .

-ممسوس الجراسين (1: 5-20) .

-المنزوفة وابنة يايرس (21: 5-43) .

-ما أجرى الاثني عشر من معجزات (7: 6-13) .

-الصبي المصاب بالصرع (14: 9-29) .

-شفاء أعمى أريحا (46: 10) .

3-معجزات ورد ذكرها في إنجيل لوقا:

-معجزة الصيد العجائبي (1: 5-2) .

-ثلاث معجزات (تعزيمات) (33: 4-41) .

-استعادة زكرياء للكلام (64: 1) .

-المرأة القوساء (11: 13) ، (10: 13-17) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية..... البشير أسعير

-شفاء العشرة البرص (11: 17-19) .

-إحياء ابن أرملة نائين (11: 7-17) .

-شفاء الصبي المصاب بالصرع (37: 9-43) .

-إحياء ابنة يايرس (40: 8-56) .

-شفاء ابن خادم الملك (43: 4-54) .

-شفاء مستسق في بيت الفريسيين (1: 14-14) .

4-معجزات ورد ذكرها في إنجيل يوحنا:

-عرس قانا الجليل (1: 2-11) .

-شفاء ابن موظف الملك (43: 4-54) .

-شفاء مُقعد بركة باب الغنم (1: 5-9) .

-شفاء مريض بيت حسدا (1: 5-47) .

-تكاثر الأرغفة (1: 6-15) .

-المشي على البحر (16: 6-21) .

-شفاء الأعمى منذ مولده (1: 9-7) .

-إعادة لعازر إلى الحياة (1: 11-44) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

-الصيد العجائي (3: 21-13) .

ويلاحظ من خلال ما تم عرضه سابقًا، أن الأناجيل الأربعة تتفق على ذكر بعض المعجزات منها:

-شفاء المرضى (ابن موظف أو خادم الملك)، إحياء ابنة يايرس، الممسوس أو المقعد في كفرناحوم، الصيد العجائي، تكثير الأرغفة.

والمعجزات في التعليم المسيحي تسعى إلى خدمة مقاصد وغايات محددة، فما هي أهم هذه المقاصد؟

4- مقاصد المعجزات في التصور المسيحي

حسب التعليم اللاهوتي المسيحي، تأتي المعجزات الإلهية لخدمة مقاصد وأغراض محددة، وهي الدلالة على وجود الله وعظمته، وتحذير الأشرار من عقاب الله الأليم، وهي في الوقت نفسه علامات يرسلها الله بين الفينة والأخرى لتثبيت المؤمنين، كما أن المعجزات تكون لغرض إثبات رسالة من يجريها الله على يديه من الرسل.

والمعجزة والإيمان هما وجهان لعملة واحدة في المعتقد المسيحي، وفي هذا الصدد يقول الأنبا رفاييل: "وهناك ارتباط بين المعجزة والإيمان، أحدهما يقود إلى الآخر، ولا يجوز أن يتباهى أحد بأنه صانع معجزات، فهناك قديسون لم يصنعوا معجزات، وهناك أشرار صنعوها بفعل الشيطان ليضلوا البشر"¹.

¹الأنبا رفاييل، مفهوم المعجزة، الأحد سبتمبر 27، 2009 عن موقع:

<http://fr-samaan-st-paul.yoo7.com/t53-topic>

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
إن المعجزات في التصور المسيحي، ما هي إلا وصفات علاجية لمن هم في حاجة إليها،
واختبارات لدرجة إيمان من تُرسل إليهم، إذ أن الجيل الشرير لا يعترف بالعلامات، والبارين كما
يُعبّر عنهم كتاب العهد الجديد، وهم الصالحون ليسوا في حاجة للعلامات¹.

خلاصة:

يظهر أن مفهوم المعجزة في المعتقد المسيحي يتعدى كونها خارقة للطبيعة، وعلامة على
النبوة والرسالة، إلى معاني أخرى؛ حيث شملت الكرامات والأعاجيب التي جرت على يد
شخصيات مسيحية كتلاميذ المسيح والقديسين...إلخ، والمعجزات لا حصر لها في الكتاب
المقدس، إذ نجد أن عددها في العهد الجديد قد فاق ما هو منصوص عليه في العهد القديم،
والمعجزات لها صلة وطيدة بالإيمان المسيحي، لأن الغرض منها هو الدلالة على وجود الله،
وتثبيت المؤمنين، غير أن المعجزة ارتبطت في أذهان المسيحيين بأنها علامة على ألوهية المسيح،
بما يتمتع به من قدرات خارقة؛ فهو يشفي المرضى ويطعم الجياع ويحيي الموتى.

بعد هذا، سأعرض مواقف المذاهب العقدية الإسلامية من قضايا النبوات التي تمت
الإشارة إليها سابقاً، وذلك بهدف معرفة أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين التصورات المسيحية
والإسلامية.

¹ المعجزات في الإنجيل، مجموعة من الباحثين، ص: 16

المطلب الثاني: قضايا النبوات عند المذاهب الإسلامية

الفرع الأول: قضية الوحي

1- تعريف الوحي

أ- لغة:

من أوحى إليه وأومى بمعنى، وَوَحِيْتُ إِلَيْهِ وَأَوْحَيْتُ إِذَا كَلَّمْتَهُ بِمَا تَخْفِيهِ عَنْ غَيْرِهِ¹ وقال الراغب الأصفهاني: أصل الوحي الإشارة السريعة، وَلِتَضْمُنَ السَّرْعَةَ قِيلَ: أَمْرٌ وَحِيٌّ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتاب² والوحي: الإشارة، والكتابة، والمكتوب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقته إلى غيرك، والصوت يكون في الناس وغيرهم³، يقال: وَحَيْتُ إِلَيْهِ الْكَلَامَ وَأَوْحَيْتُ، وَوَحَى وَحِيًّا وَأَوْحَى أَيْضًا أَي كَتَبَ⁴.

¹ الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1419 هـ - 1998 م، باب: الواو، ج2، ص: 324

² الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط4: 1430 هـ - 2009 م، حرف الواو، ص: 858

³ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (مادة وحى)، ص: 1342

⁴ ابن منظور، لسان العرب، (مادة وحى)، مج15، ص: 379

ب- شرعاً:

يأتي مفهوم الوحي شرعاً للدلالة على معان مختلفة، منها:

الإعلام الخفي السريع، والإلهام الفطري للإنسان كما في قوله تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِ مُوسَىٰ أَنِ اضْمُرُوا كُتُوبَكُمْ وَأَنفُسَكُمْ فِي الْمَقَابِلِ" وقوله تعالى: "وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنِ امْنُؤْا بِمِيسِرِ رَسُولِي"،¹ والإلهام الغريزي للحيوان كما في قول تعالى: "وَأَوْجِبْ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ"³، والإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيماء كما في قوله تعالى: "فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْجَىٰ إِلَيْهِمْ أَنِ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا"⁴5.

والوحي هو "كلام الله"⁶، وعرفه آخرون بأنه "كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه"⁷، وعرفه الإمام محمد عبده بأنه "عرفان يجده الشخص من نفسه، مع اليقين بأنه من الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت"⁸.

1 سورة القصص : 6

2 سورة المائدة: 113

3 سورة النحل: 68

4 سورة مريم : 10

5 صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط 10: أغسطس 1977، ص ص: 23 –

24

6 الرازي، التفسير الكبير، مج19، ص: 169

7 محمد عبده، رسالة التوحيد، م. س، ص: 102

8 رسالة التوحيد، م. س، ص: 102

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
وانطلاقاً من التعريفات السابقة، يمكن القول إن مفهوم الوحي يُقصد به الإعلام الخفي
السريع الخاص بمن يُوجّه إليه بحيث يخفى على غيره.

2- صور الوحي

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ¹﴾.

ويقطع هذا النص بأنه ليس من شأن إنسان أن يكلمه الله مواجهة، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها: "من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية"²، إنما يتم كلام الله للبشر بواحدة من ثلاث: "وحيًا" يلقي في النفس مباشرة فتعرف أنه من الله، "أو من وراء حجاب" كما كلم الله موسى -عليه السلام- وحين طلب الرؤية لم يُجب إليها، ولم يطق تجلي الله على الجبل³ "وَحَرَّ مُوسَىٰ صَعِفًا بَلَمَّا أَبَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ"³، أو يرسل رسولا "وهو الملك" فيوحي بإذنه ما يشاء" بالطرق التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم⁴.

¹ سورة الشورى: 48

² صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: "ولقد رآه نزلة أخرى، وهل رأى انبيى صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء؟"، رقمه: 177

³ سورة الأعراف: 143

⁴ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، أج 19-25، ص: 3169

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أَنَّ الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فَيَفْصِمُ¹ عني وقد وَعَيْتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول"، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فَيَفْصِمُ عنه وإنَّ جبينه لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا².

والطرق التي كان ينزل بها الوحي على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، يمكننا استخلاصها من هذا الحديث النبوي، وهي كالآتي:

الأولى: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال -صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ روح القدس نفث في رَوْعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب"³، والثانية: أنه كان -صلى الله عليه وسلم- يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول، والثالثة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه، حتى إنَّ جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وحتى إنَّ راحلته لتبرك به إلى الأرض إن كان راكبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها⁴، والرابعة: أنه يرى الملك في صورته

¹ ينكشف وينجلي.

² صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقمه: 2

³ حديث رواه ابن أبي شيبة، وغيره، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وفيه انقطاع؛ ولكن له شواهد عدة تقوِّيه، ذكر العلامة الألباني -رحمه الله- في «الصحيحة» بعضها، ثم قال: "وبالجملة؛ فالحديث حسن -على أقل الأحوال".

⁴ تكسرهما من شدة ثقل الوحي.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

التي خُلِقَ عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في سورة النجم¹.

3- تجليات الوحي

بين أيدينا حديث نبوي يتضمن تجليات الوحي الذي نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحديث الذي ورد في هذا الباب هو المروي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه - وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني الثالثة، ثم أرسلني فقال: "إِفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْيٍ إِفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ"² فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. . . إلخ³ الحديث.

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، أج 19 - 25، ص ص: 3169 - 3170

² سورة العلق: 1 - 3

³ صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 3

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

وقد يسمى هذا النوع من الرؤيا الصالحة إلهامًا "فتظهر الأحداث طبقًا لما رأى الملهم أو لما ألهم، وهذه مرحلة يصل إليها الأنبياء الذين لم تنزل عليهم كتب لتبليغها، فيلهمهم الله بذلك الخير والصواب والحكمة"¹.

وهناك حالات لنزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكيها بعض صحابته رضوان الله عليهم، قال عمر بن الخطاب وهو شاهد عيان: "كان رسول الله إذا أنزل عليه الوحي يُسمع عند وجهه مثل دوي النحل"، وزيد بن ثابت وهو صحابي ملازم للنبي، كان يستعمله النبي للكتابة يقول: "كنت أكتب الوحي لرسول الله بمجرد ما ينزل عليه، وكان إذا بدأه الوحي أخذته بُرحاء شديدة وعَرِقَ عَرَقًا شديدًا مثل (الْجُمَان²) وكنت أكتب وهو يملي عليّ، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل الوحي، حتى كنت أقول لن أمشي على رجلي أبدًا، وزاد يقول: ونزلت على رسول الله سورة المائدة وهو راكب على ناقته فكاد ينكسر عضدها لولا أن الوحي قد انتهى"³.

وهذه الحالات بعيدة كل البعد عما رمى به خصوم الإسلام من مستشرقين وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتهامهم له بالمتشنج أو الصرع "فإذا نظرنا إلى حالة النبي، وجدنا أن الوجه وحده هو الذي يحتقن، بينما يتمتع الرجل بحالة عادية، وبحرية عقلية ملحوظة من الوجهة النفسية، ليستخدم ذاكرته استخدامًا كاملاً خلال الأزمة نفسها، على حين يَمَحِي وعي المتشنج

¹ عبد الهادي بوطالب، حقيقة الإسلام، إفريقيا الشرق 1998، الدار البيضاء، (د.ط)، ص: 20

حب يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ (معجم المعاني).²

³ المرجع نفسه، ص: 22

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

وذاكرته خلال الأزمة، فالحالة بناء على هذه الملاحظات ليست حالة مرض كالتشنج¹، كما أن المصاب بالصرع يفقد وعيه، ولا يستطيع استرجاع ما حدث له بالضبط بعد التعافي من الصرع.

زد على ذلك زعمهم أنها حالة كشف أو إشراق روحي كما يحدث للمتصوفة، والعارفين بالله تعالى، مع أن هذه التهمة عارية عن الصحة أيضاً، فحالات الكشف الصوفي أو ما شابه ذلك، لا يشعر معها أصحابها بالخوف والرهبة الشديدة، وتغير لون الوجه "يدل على ذلك القياس اليقيني القائم على استقرار الحالات وجميع الظروف المشابهة، وليس ثمة أي انسجام بين التدرج في التفكير والتأمل من ناحية، ومفاجأة الخوف والرعب من ناحية أخرى، وإلا للزم من ذلك أن يعيش جميع المفكرين والمتأملين نهباً لدفعات من الرعب والخوف المفاجئة المتلاحقة"².

4- كيفية نزول الوحي وزمنه

نزل الوحي القرآني على مرحلتين -إن صح التعبير- فالمرحلة الأولى هي التي تلقاه فيها الملك جبريل من رب العزة سبحانه، والمرحلة الثانية هي التي تلقاه فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم من الملك جبريل.

والعلماء لهم آراء في كيفية تلقي جبريل للوحي من الله سبحانه، ومنها:

- أن جبريل تلقفه سماعاً من الله بلفظه المخصوص.

- أن جبريل حفظه من اللوح المحفوظ.

¹ مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4: 1987م، إعادة الطبع:

2000، ص: 154

² محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، م. س، ص: 190

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

-أن جبريل ألقى إليه المعنى والألفاظ لجبريل، أو لمحمد صلى الله عليه وسلم¹.

والرأي الأول هو الراجح، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة².

وهذا يعني أن الوحي المنزل على قلب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كان بلفظه من عند الله سبحانه، ولم يكن لرسوله تصرف فيه بالزيادة أو النقصان، وكما قال الدكتور صبحي الصالح:

" لا يسعنا إزاء هذه الحقائق إلا أن نعترف باستقلال ظاهرة الوحي عن ذات النبي استقلالاً مطلقاً، وتفرداً عن العوامل النفسية تفرداً كاملاً"³.

وأما عن كيفية وزمن نزول الوحي على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فقد وردت عدة أقوال:

أحدها أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك مُنْجَمًا في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة.

والقول الثاني: أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة، وقيل: في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة، وقيل: في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة، في كل ليلة بما يُقَدِّرُ الله سبحانه إنزاله في كل السنة، ثم ينزل بعد ذلك مُنْجَمًا في جميع السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

¹ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، (د.ت)، ص: 29

² المرجع نفسه، ص: 29

³ نفسه، ص: 33

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

والقول الثالث: أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك مُنَجَّمًا في أوقات مختلفة من سائر الأوقات¹.

والقول الذي رجَّحه العلماء "أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك مُنَجَّمًا في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين على حسب الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم في مكة بعد البعثة"².

5- خصائص الوحي

يتميز الوحي القرآني بخصائص ومميزات لا توجد في ما يعتقده اللاهوتيون المسيحيون في الوحي الإلهي، فالوحي الذي نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله تعالى المنقول إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام عبر الملك جبريل، مما ينفي ادعاءات خصوم الإسلام بأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بهذا الكلام من نفسه، أو أنه هو الذي ألَّف القرآن الكريم.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أمينًا في تبليغ الوحي الإلهي كما أنزل عليه، "وبهذا الوعي الكامل لم يخلط عليه السلام مرة واحدة- طيلة العصر القرآني الذي يضم كل مراحل التنزيل- بين شخصيته الإنسانية المأمورة المتلقية وشخصية الوحي الأمرة المتعالية، فهو واع أنه إنسان ضعيف بين يدي الله، يخشى أن يحول الله بينه وبين قلبه، ويبتهل إلى ربه في دعائه المأثور: (اللهم يا مُصَرِّف القلوب صَرِّف قلبي على طاعتك، اللهم يا مُقَلِّب القلوب ثَبِّت قلبي على دينك)"³.

¹ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 228

² يُنظر: الإتيان في علوم القرآن، ص: 268 والبرهان في علوم القرآن، ص: 228

³ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، م. س، ص: 28

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
فالوحي القرآني لا دخل للبشر فيه، ولا يحق للرسول أن يتصرف فيه من تلقاء نفسه،
مصادقا لقوله تعالى: "إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيِيُوجِي¹"، وقوله تعالى على لسان رسوله محمد عليه
الصلاة والسلام: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَفَآءٍ مَن نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوجِي إِلَى²﴾.

إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله إلى البشر كافة، فهو مبلغ لرسالة ربه، ولا
يمكنه أن يضيف في كلام الله تعالى ولو حرفاً واحداً، ولا أن يقول فيه ما ليس له به علم، إلا
فيما جاءه من ربه عز وجل باعتباره مصدراً للوحي، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو
الصادق الأمين، وهاتين الصفتين أي الصدق والأمانة اتصف بهما صلى الله عليه وسلم قبل
بعثته، وقد كان ذلك علامة على اصطفاء الله تعالى له لحمل رسالته وتبليغها، ويستحيل أن
يصطفي الله تعالى إنساناً لا يتصف بالصدق والأمانة، لأن ذلك يتنافى مع مهمة التبليغ.

وهناك شواهد عديدة من سيرته صلى الله عليه وسلم تحكي عن انتظاره لنزول الوحي
الإلهي، من أجل الفصل في القضايا التي تُعرض عليه، أو الأسئلة التي تُوجّه إليه، وأيضاً في
اجتهاده بصفته البشرية، ولعلنا نكتفي بذكر مثالين فقط على سبيل الإيضاح.

الأول: مثاله ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: "كنت أمشي مع النبي صلى الله
عليه وسلم بالمدينة، وهو يتوكأ على عسيب³، فمرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه،

¹ سورة النجم: 4

² سورة يونس: 15

³ جريدة النخل المستقيمة يُكشّط خوصها، ومعنى الخوص هو ورق النخل (معجم المعاني www.almaany.com)

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

فقالوا: حَدَّثْنَا عَنْ الرُّوحِ، فقام ساعة ورفع رأسه، فعرفتُ أنه يوحى إليه، حتى صَعِدَ الوحي ثم

قال: "الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"¹.

والثاني: مثاله ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي على

نحو ما أسمع، فمن قضيتُ له بحق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار"³.

فهذين الحديثين النبويين يدلان دلالة قاطعة على بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى أنه

كان مُؤَيِّدًا بالوحي الإلهي، فهو لم يكن يتكلم من تلقاء نفسه، بل كان يميز بين الوحي الإلهي من جهة،

وبين كلامه واجتهاده بصفته بشرًا قد يصيب وقد يُخطئ من جهة أخرى، حتى لا يعتقد الناس أن كل

ما يقوله الرسول محمد عليه السلام هو وحي من الله تعالى.

وعلاوة على ذلك، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نهى في أول الأمر أن يُكتب كلام غير

القرآن، وهذا ما يؤكد حديثه عليه الصلاة والسلام: "لا تكتبوا عني غير القرآن"⁴، فكان يُحاذر أن

يختلط كلام الله عز وجل الذي تلقاه من جبريل بكلامه هو⁵.

كما أن من خصائص الوحي القرآني مسابقتها للحوادث التاريخية¹ وتدرجه في التشريع، "فما

كان الناس لِيَسْلُسَ² قيادهم طفرة للدين الجديد لولا أن القرآن عالجهم بحكمة، وأعطاهم من

¹ سورة الإسراء: 85

² جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، م. س، ص: 217

³ صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، رقم الحديث: 7169

⁴ صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الثبوت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقمه: 3004

⁵ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، م. س، ص: 193

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

دوائه الناجع جرعات يستطبون بها من الفساد والرديلة، وكلما حدثت حادثة بينهم نزل الحكم فيها يُجَلِّي لهم صبحها ويرشدهم إلى الهدى، ويضع لهم أصول التشريع حسب مقتضيات أصلا بعد آخر فكان هذا طِبًّا لقلوبهم.

لقد كان القرآن الكريم بادئ ذي بدء يتناول أصول الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار، وقيم على ذلك الحجج والبراهين حتى يستأصل من نفوس المشركين العقائد الوثنية ويغرس فيها عقيدة الإسلام³.

وتوالى نزول الآيات القرآنية للأمر بالأخلاق الحميدة، والنهي عن الفحشاء والمنكر، وتقويم اعوجاج السلوك البشري، وهكذا تدرج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع الأول وتنقيته من الآفات الاجتماعية التي تفشيت فيه مثل الزنا وشرب الخمر والميسر... الخ، وكانت الآيات تنزل تبعاً للوقائع والأحداث، فعلى سبيل المثال نزلت آيات تتعلق بالأمم السابقة، مثل قصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الكهف، وأخبار الأقوام السابقة مثل عاد وثمود، وقصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع النمرود، وقصة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون، وقصة نبي الله المسيح عيسى عليه السلام مع بني إسرائيل... الخ، كما نزلت الآيات للإخبار عما وقع في الماضي، وما سيقع في المستقبل لبعض الأمم، مثل الروم في حربهم مع الفرس، إذ أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أن الروم خسروا في تلك الحرب، وأنهم سينتصرون على الفرس مرة أخرى، وهو ما ثبت بالفعل في التاريخ، قال تعالى: ﴿آلَمَ

¹ يعتقد بعض المؤلفين المسيحيين أن الوحي في الإسلام لا علاقة له بأحداث التاريخ، غير أن ما جاء به القرآن الكريم من قصص الأولين مع أقوامهم، وتفصيل للأحداث التاريخية التي مضت، ينفي هذا الزعم.

² لَيْسُهُلْ.

³ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، م. س، ص: 106

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ¹.

كما كان القرآن يتنزل وفق الحوادث التي تمر بالمسلمين في جهادهم الطويل لإعلاء كلمة الله² فهذه غزوة بدر الكبرى أول مواجهة عسكرية فاصلة بين المسلمين وكفار قريش، تنزل فيها الآيات لتصف تفاصيلها، وتبين الأحوال التي مر منها المسلمون أثناء المواجهة وبعدها، كما تُبين الحالة النفسية للفريقين (المسلمين والمشركين)، وتسجل الوقائع بشكل متسلسل وفريد، يقول الله تعالى: "إِذْ يُغَشِّيكُمُ الثُّغَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ"³، وأنزل الله عز وجل في تلك الليلة مطراً واحداً، فكان على المشركين وابلاً شديداً منعه من التقدم، وكان على المسلمين طلاً طهرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلب به الرمل، وثبتت الأقدام، ومهد به المنزل، وربط به على قلوبهم⁴.

وتتواصل آيات القرآن الكريم في وصف مشاهد هذه المعركة الكبرى في تاريخ الإسلام، فتتنزل الآيات تلو الأخرى تحمل بشرى للمؤمنين، وإنذاراً ووعيداً للكافرين، حيث يأمر الله تعالى

¹ سورة الروم: 1- 4

² مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، م. س، ص: 107

³ سورة الأنفال: 11

⁴ صفى الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1429 هـ - 2008 م، ص: 150

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ملائكته الكرام بتأييد المقاتلين المسلمين في هذه الغزوة، ومقاتلة الكافرين جنباً إلى جنب مع
المسلمين، وهذا ما حكى عنه القرآن الكريم: "إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا
الَّذِينَ ءَامَنُوا سَاءَ لِمَن فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِأَضْرِبُوا قِوَى الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ
كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"¹،
وهذا ما تحدثت عنه كتب السير والتاريخ، ويؤكد المنطق السليم من قدرة الله العلي القدير على
نصرة نبيه الخاتم الأمين، وعباده المؤمنين بجنود السماء الذين لا يعصون الله ما أمرهم
وفعلون ما يؤمرون.

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تتحدث عن الوقائع التاريخية التي جرت للأمم السابقة
للإسلام، وكذلك تلك التي حدثت بعد بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بل إن هناك
آيات فصلت في قصص وحكايات معروفة في كتب التاريخ، وأغلبها ورد في كتب اليهود والنصارى،
فهل يمكن بعد هذا التفصيل الزعم بأن الوحي القرآني لا يتضمن أية إشارات لأحداث تاريخية؟

خلاصة:

من خلال ما سبق، يتضح أن الوحي الإلهي عند المذاهب العقيدة الإسلامية ينفرد بميزات
وخصائص، وتحكمه ضوابط محددة، منها أنه كلام الله المنزل على رسله، ويختلف عن كلام البشر
العادي، كما أنه يتميز بطابع الخفاء بحيث يتعذر على غير النبي أو الرسول إدراكه، وله طرق وصور
متعددة، وليس للنبي أو الرسول حق التصرف في ألفاظه ولا معانيه.

¹ سورة الأنفال: 12 - 13

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

والوحي في التصور الإسلامي هو خاص بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم من اختارهم الله تعالى واصطفاهم لتبليغ كلامه إلى الناس، ومن أجل قيامهم بهذه المهمة الثقيلة، كان لابد أن يحيطهم الله بعنايته وحفظه، وهو ما يُعبّر عنه بالعصمة، فما حقيقة العصمة عند المذاهب الإسلامية؟

الفرع الثاني: قضية العصمة

1- تعريفها

أ- لغة:

جاء في القواميس اللغوية "العصمة في كلام العرب: المنع، وعِصْمَةُ الله عبده: أن يَعِصِمَهُ مما يُوبِقُهُ، عَصَمَهُ يَعِصِمُهُ عَصِمًا: مَنْعَهُ وَوَقَاهُ¹، وَعَصَمَ يَعِصِمُ: اكْتَسَبَ، وَمَنَعَ، وَوَقَى، وَالْعِصْمَةُ بالكسر: المنع والقِلادة، واعتَصَمَ بالله: امتَنَعَ بلطفه من المعصية²، وجاء فيها أيضا: العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساكٍ ومنعٍ وملازمةٍ، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، من ذلك العِصْمَةُ: أن يَعِصِمَ الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى إذا امتنع³."

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الثاني عشر، مادة (عصم)، ص: 403

² الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (مادة عصم)، ص: 1138

³ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1: 1411هـ - 1991م،

المجلد الرابع، ص: 331

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وجاء في معنى العصمة: مَلَكَةُ إلهية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليه¹ والعصمة أن يَعِصُمَكَ الله من الشر، أي: يدفع عنك، واعتصمتُ بالله، أي: امتنعتُ به من الشر، واستعصمتُ، أي: أَبَيْتُ، وَأَعَصَمْتُ، أي: لجأتُ إلى شيء اعتصمتُ به²، وعرفها الجرجاني بقوله: "ملَكَة اجتناب المعاصي مع التمكن منها"³.

ب- شرعاً:

عرّف الحافظ ابن حجر العصمة بقوله: "وعصمة الأنبياء - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - حفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفيسة، والنصرة والثبات في الأمور، وإنزال السكينة، والفرق بينهم وبين غيرهم أن العصمة في حقهم بطريق الوجوب، وفي حق غيرهم بطريق الجواز"⁴، وعرفها الراغب الأصفهاني بقوله: "عصمة الله الأنبياء: حفظه إياهم أولاً بما خصهم من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق"⁵.

¹ المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم أنيس، عطية الصوالحي، عبد الحليم منتصر، محمد خلف الله أحمد، القاهرة: 1392هـ - 1972م، الجزء الثاني، (مادة عَصَمَ)، ص: 605

² الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر: 1980، الجمهورية العراقية، الجزء الأول، (باب العين والصاد والميم)، ص: 313

³ الجرجاني، التعريفات، ص: 195

⁴ فتح الباري شرح صحيح البخاري، 454/18

⁵ المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد الكيلاني، دار الفكر العربي، ص: 17

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
وجاء في تعريفها أيضًا أنها "لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقًا للابتلاء"¹، وعرفها أحد الباحثين بقوله: "العصمة هي حفظ الله لأنبيائه ورسله من الوقوع في الذنوب والمعاصي، وارتكاب المنكرات والمحرمات"².

ومن خلال التعريفات السابقة، يتضح أن معنى العصمة هو المنع والحفظ من الوقوع في الشر، والمانع والحافظ والعاصم من المكروه والإثم هو الله سبحانه.

2- تجليات عصمة الله تعالى لأنبيائه ورسله عليهم السلام

إن المتتبع لتفاصيل حياة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وما لاقوه في سبيل تبليغ رسالة الله تعالى إلى أقوامهم، سيجد أن الله سبحانه قد هيأهم لحمل هذه الأمانة الثقيلة، وأعدَّهم أحسن إعداد، ويتجلى ذلك في جملة من الصفات والخصال الحميدة التي جبلهم عليها، وفي هذا الصدد يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله: "فاختار منّا-تفضلاً منه ورحمة-قومًا فطرهم على الفضائل والكمالات، وعصمهم من الرذائل والنقائص وهيأهم لملاقاة الملائكة الأطهار، ليتلقوا منهم وحى الله وبيانه للعباد، فيبليغوه إليهم، ويكونوا قدوة لهم في تنفيذه والعمل به، وهؤلاء هم الأنبياء

والمرسلون عليهم الصلاة والسلام الذين نؤمن بهم كلهم، من عرفنا منهم بتعريف الله ومن لم نعرف"³.

¹ شهاب الدين الخفاجي، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، دار الكتاب العربي، بيروت، 39/3

² محمد كاظم محمد خلف الدليمي، عصمة الأنبياء، 1437 هـ - 2016 م، (د.ط)، ص: 3

³ عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، 1427 هـ - 2006 م، (د.ط)، ص: 29

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
كما تتجلى عصمة الله لأنبيائه ورسله عليهم السلام من خلال حراستهم وحمايتهم من
الأخطار والصعاب التي تهددهم في طريق الدعوة، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت:
كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحَرِّسُ حتى نزلت هذه الآية: "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ"¹،
فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القُبَّة، فقال لهم: "يا أيها الناس انصرفوا،
فقد عصمني ربي عز وجل"²، وعلاوة على ذلك، فقد تجسدت العصمة الإلهية لأنبيائه ورسله
عليهم السلام في الواقع بالمعجزات الحسية التي أيدهم بها، وهو موضوع آخر سأناقشه في
موضعه من هذا البحث.

وبالتأمل في القصص القرآني، سنرى أنه حافل بالنماذج الحية على عصمة الله تعالى
لأنبيائه ورسله عليهم السلام سواء قبل نبوتهم وتكليفهم بالرسالة أو بعدها، وفي هذا السياق،
يمكن التمييز في عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام بين عصمتهم قبل النبوة أو البعثة،
وعصمتهم بعد النبوة أو البعثة، وللمذاهب العقيدة الإسلامية آراء متعددة في هذا الموضوع.
لقد عصم الله تعالى أنبياءه ورسله عليهم السلام من كل الأفعال والصفات التي تتنافى مع
مهمة التبليغ، كما ميَّزهم سبحانه عن سائر البشر بأخلاق سامية وجعل لهم همماً عالية، حتى
يكونوا قدوة وأسوة لغيرهم من البشر في فعل الخير والاستقامة.

¹ سورة المائدة: 69

² أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب: من سورة المائدة، رقمه: 3046 وقال هذا حديث غريب.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير

وعصمة الله تعالى لأنبيائه ورسله عليهم السلام على وجهين:

أ- عصمتهم من الوقوع في الذنوب والمعاصي:

فأما أخطرها وهو الكفر، فهم معصومون عنه قبل النبوة وبعدها بالإجماع، وأما تعمد ارتكاب الكبائر فهو أيضاً محال عليهم قبل النبوة وبعدها بالإجماع¹ وقد حكى الجرجاني إجماع الأمة على عصمة الأنبياء من الكفر والشرك قبل النبوة وبعدها، فقال: "وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها، ولا خلاف لأحد منهم في ذلك"²، وقال ابن تيمية رحمه الله: "ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله فهم متفقون على تنزيههم عنه"³، وزاد على بن محمد الأمدي: "فما كان منها كفراً فلا نعرف خلافاً بين أهل الشرائع في عصمتهم عنه"⁴.

وأما وقوع الأنبياء في الصغائر من الذنوب والمعاصي، فوقع حولها الخلاف بين العلماء، وذلك راجع إلى اجتهدهم في المسألة، وعدم توفر الأدلة القوية عليها.

ب- عصمتهم من الأذى عن طريق المعجزات:

يجب على كل مؤمن أن يعتقد أن الله تعالى قد أيد أنبياءه وأمدّهم من عنايته الإلهية بالمؤيدات التي لم تعهد لها العقول من قبل ليثبتوا بها للناس صدقهم فيما يدعون إليه، وأنهم مُرسلون من عند الله، وهذه المؤيدات يُطلق عليها لفظ معجزات أو آيات، أو بيّنات، لأنها أفعال

1 محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، م. س، ص: 203

2 الجرجاني، شرح المواقف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1419 هـ، ص: 134

3 ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، 1 ج، ص: 471.

4 على بن محمد الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1387 هـ، 170/1

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
فوق مقدور البشر وخارجة عن نطاق طاقاتهم وعلومهم ومعارفهم، كما أنها مخالفة للسنن
الخاصة بالمادة والقوانين الطبيعية المألوفة¹.

فالمعجزات علاوة على كونها علامة على صدق الأنبياء والرسل عليهم السلام، وأنهم
مرسلون من رب العالمين، فهي صورة من صور العصمة لهم، فالله تعالى قد عصمهم من كل
ألوان الأذى والمخاطر التي كانت ستصيبهم من أقوامهم الكافرين، وسأتطرق لبعض النماذج من
عصمة الله تعالى لأنبيائه ورسله عليهم السلام فيما سيأتي من هذا البحث.

3- مواقف المذاهب الإسلامية من عصمة الأنبياء عليهم السلام

إن عصمة الأنبياء والمرسلين عن كل ما ينفر أو يشين، هي عقيدة من العقائد الأساسية في
الإيمان الإسلامي، فهم الذين اصطفاهم الله- سبحانه وتعالى- من خيار خلقه، وصنعهم على
عينه، ليكونوا أشرف قومهم نسباً وخلُقًا، وجعل منهم المثل والقُدوة والأسوة والسيرة العطرة،
على امتداد تاريخ النبوات والرسالات، وهم عنوان كلمة الله، والمبلغون لها إلى أممهم وأقوامهم،
وهم النموذج المجسّد لمنظومة القيم والأخلاق الدينية في واقع الحياة، إنهم حلقة الوصل بين
الأرض والسماء بين الناس وبين الله، والمرآة التي تتجلى فيها – على نحو نسبي ورفيع- صفات
الكمال والجلال والجمال التي تفردت بها ذات الله- سبحانه وتعالى- على نحو مطلق ولا نهائي، بل
إن صفات الأنبياء، وعصمتهم من كل ما ينفر أو يشين، هي في العقيدة الإسلامية، دليل على
الحكمة الإلهية، وبعض من الإعجاز الدال على صدقهم في النبوة والرسالة والتبليغ عن
السماء².

¹ عفيف عبد الفتاح طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، م. س، ص: 21

² محمد عمارة، بين العصمة والازدراء الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس، ص: 12

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
ومع أن العصمة بوجه عام في حق أنبياء ورسول الله تعالى هي في الأصل قضية إيمانية
محسومة بنص الكتاب والسنة، ولا تستدعي الأخذ والرد والاجتهاد فيها، إلا أنه وبفعل ما حدث
في الأمة الإسلامية من تصدع في الصف، وابتعاد الناس عن التمسك بنصوص الوحي، وتأثر
بعض المذاهب العقدية بالتفسير الإسرائيلية والفلسفات الوضعية، وقصص الأقوام
السابقين، انقسمت الآراء الإسلامية إلى اتجاهات شتى، وحصل تباين في المواقف من هذه
القضية، تراوحت بين من يقر لهم بالعصمة من الكبائر والصغائر معاً، وبين من يجيز عليهم
الوقوع في الكبائر والصغائر دون الكذب في تبليغ الرسالة.

وفيما يلي أبرز هذه المواقف بتفصيل:

أ-موقف أهل السنة والجماعة:

يرون عصمتهم من الوقوع في الكبائر دون الصغائر، وفي هذا الصدد يقول شيخ الإسلام
ابن تيمية رحمه الله: "القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر
علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الأمدي أن
هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم يُنقل عن
السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول"¹.

وبالنسبة للأشاعرة فقد قالوا بعصمة الأنبياء بعد النبوة عن كل الذنوب، ولا يجوز عليهم
الكذب عمداً² وذكر القاضي أبو بكر في (الإيجاز) أن نبينا صلى الله عليه وسلم معصوم فيما
يؤديه عن الله تعالى وكذا سائر الأنبياء، وهذا المقدار مُجمع عليه أن العصمة من التحريف

¹ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج1، ص: 319

² علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، م. س، ص: 321

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والخيانة فيما يُبلغونه من الشرائع والأحكام وإن لم يكونوا معصومين من الصغائر ولا من
الخطايا والنسيان، غير أنهم عليهم السلام معصومون من كل ذلك كله¹.

وهذا الإمام فخر الدين الرازي يتصدى للشبهات التي أثرت حول عصمة الأنبياء عليهم
السلام، ويدافع عنهم في كتبه فيقول: " فهذه رسالة عملناها في النضح عن رسل الله وأنبيائه
والذب عن خلاصة خلقه وأتقيائه، ولإبانة ما أتى به أهل الحشر من إحالة الذنوب والجرائم
عليهم ونسبة الفضائح والقبايح إليهم وأنه زور وهتان² ثم يقول مُبينًا موقفه من عصمتهم:
"الأنبياء عليهم السلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر عمدًا، أما على سبيل
السهو فهو جائز، بشرط أن يتذكروه في الحال، ويُنبِّهوا غيرهم على أن ذلك كان سهواً³".

وقد أورد القاضي عياض -وهو من العلماء الكبار في المذهب الأشعرية- كلامًا في هذا
الباب جاء فيه: "والصواب أنهم معصومون- عليهم السلام- قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته
والشك في شيء من ذلك، وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتزهمهم عن هذه النقيصة
منذ وُلدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان؛ بل على إشراق أنوار المعارف، ونفحات ألطاف
السعادة"⁴.

¹ الحسن بن عبد الحسن أبي عتبة، الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، ص: 58

² فخر الدين الرازي، عصمة الأنبياء، منشورات الكتبي النجفي، مطبعة الشهيد، قم (إيران) ، 1406 هـ (د.ط.)،

ص: 1

³ يُنظر: فخر الدين الرازي، عصمة الأنبياء، م. س، ص: 40 والأربعين، ج2، ص: 117 والتفسير الكبير، ج3،
ص: 455 والمحصول في علم الفقه، ج3، ص: 228

⁴ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، ص: 623

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
ويقول السادة الماتريدية بعصمة الأنبياء من الكبائر والقبائح وخصوصاً فيما يتعلق بأمر
الشرع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأمة، ويذهب الماتريدية إلى أن الأنبياء معصومون من الصغائر،
وأوجبوا تأويل كل ما أوهم في حقهم عليهم السلام من الكتاب والسنة مما اغتربه بعض من
أجاز عليهم الصغائر، فالأنبياء منزهون عن الصغائر والكبائر ومن جميع المعاصي¹.

وأورد الإمام ابن حزم الأندلسي رأياً في هذه المسألة يقول فيه: "ذهبت طائفة إلى أن
الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلاً، وجوزوا عليهم الصغائر
بالعمد وهو قول ابن فورك الأشعري"².

وزاد ابن حزم بقوله: "إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضاً قصد
الشيء يريدون به وجه الله تعالى، والتقرب به منه، فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا أنه تعالى لا
يُقرُّ على شيء من هذين الوجهين أصلاً، بل يُنهيهم على ذلك ولا بد إثر وقوعه منهم، ويظهر عز
وجل ذلك لعباده، ويُبين لهم كما فعل نبيه صلى الله عليه وسلم في سلامه من اثنتين وقيامه من
اثنتين وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل نبيه عليه السلام في أمر زينب أم المؤمنين
وطلاق زيد لها رضي الله عنهما، وفي قصة ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وربما يبغض المكروه في
الدنيا كالذي أصاب آدم، ويونس عليهما الصلاة والسلام"³.

وخلاصة ما عليه أهل السنة والجماعة "أن الأنبياء والرسل أكمل الخلق من ناحية الأخلاق
والعمل، وأن الله سبحانه خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد من البشر، أما ما يستحيل

¹ أبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة: تفسير الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت،
الطبعة الأولى: 2005، ج1، ص ص: 169-178

² ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج4، م. س، ص ص: 5-6

³ المصدر نفسه، ج4، ص: 6

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير عليهم، ولا يجوز أن يتصفوا به ولا أن يقع منهم فأمور منها: الكذب، والخيانة، والكتمان، وعدم تبليغ الرسالة، كذلك يستحيل عليهم الكبائر كلها والصغائر، وقد تقع منهم بعض الزلات والخطايا اليسيرة، بالنسبة إلى ما هم عليه من علو المقامات¹.

ب- موقف مذهب المعتزلة:

أثبت المعتزلة العصمة للأنبياء والرسل عليهم السلام، واعتبروا أن من صفات الرسول التنزه عن كل النقائص المنفرة، وفي هذا الصدد يرى القاضي عبد الجبار "أن الرسول لا بد أن يكون مُنزهًا عن المنفرات جملة كبيرة أو صغيرة، لأن الغرض بالبعثة ليس إلا لطف العباد ومصالحهم، وما هذا سبيله فلا بد من أن يكون مفعولًا بالمكلف على أبلغ الوجوه، ومن ذلك ما ذكرنا من أنه تعالى لا بد أن يُجَنَّب رسوله عليه السلام ما يُنْفَر عن القبول منه"²، وقال أيضًا: "فقد ثبت أنه لا يجوز على الأنبياء الكبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها"³، ويحيي القاضي عبد الجبار أن أبا علي الجبائي قد خرج عن إجماع المعتزلة عندما جَوَّزَ على الأنبياء الكبيرة قبل البعثة، وإن كان لا يجوز بعدها⁴.

¹ فرج الله عبد الباري، النبوات بين الإيمان والإنكار، ص: 21

² القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 573

³ المرجع نفسه، ص: 573

⁴ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 573

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
وأورد الإمام ابن حزم اعتقاد بعض الطوائف الإسلامية في قضية عصمة الأنبياء، وذكر
منهم المعتزلة ثم حكى قولهم "أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلاً معصية بعمد لا صغيرة ولا
كبيرة"¹.

وبالتالي فإن موقف المعتزلة من عصمة الأنبياء عليهم السلام لم يبتعد عن موقف بقية
المذاهب الإسلامية، فكلهم مجمعون على عصمتهم من الكبائر والصغائر سواء قبل البعثة أو
بعدها.

4- نماذج من عصمة الله لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام

إن عصمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام سواء قبل البعثة أو بعدها، نالت نصيباً
كبيراً من التطاول والخوض فيها من خصوم الدين، لجهلهم بخصائص النبوة أو لمرض في
نفوسهم، فالأنبياء والرسل قبل كل شيء هم بشر يسري عليهم ما يسري على سائر البشر من
الأعراض كالجوع والتعب والنكاح، والأمراض غير المنفرة للنفوس، والموت، وكل ذلك مما قدره
الله تعالى على بني آدم في الأزل، وهذه الأعراض يشتركون فيها مع عامة الناس، أما ما يتعارض
مع مقتضيات الرسالة من طباع وأخلاق سيئة، فإنهم أبعد ما يكون عن الاتصاف بها.

سيرة الأنبياء التي أثرت عنهم قبل نبواتهم تشهد بأنهم من أبعد الناس عن المعاصي؛
كبائرها وصغائرها، ولئن وقع منهم شيء من ذلك فهفوات نادرة لا تطعن بعلو فطرتهم، وصفاء
نفوسهم، وسُمُو أرواحهم، والمهمة التي سيُكلّفونها فيما بعد، وإنما تقع منهم هذه الهفوات إثباتاً
لبشريتهم أمام الخلائق، لنلا يرفعونهم فوق المستوى البشري، ويُحمّلونهم من صفات الألوهية

¹ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 4، م. س، ص: 6

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ما لا يمكن أن يتصفوا به، فهُم عبيد مخلوقون لله تعالى، وليظهر الفرق بين أحوالهم قبل
النبوة وأحوالهم بعدها¹.

إلا أن ما خصَّ به الله تعالى هؤلاء الصفوة من خلقه هو العصمة التي هيأهم بها لتقبُّل
الوحي وحمل الرسالة للناس، ولذلك وردت شواهد تاريخية تحكي عن عصمتهم قبل النبوة
وبعدها، مما سجلته النصوص الدينية، ولعل هذه الشواهد كثيرة ومتعددة، لكن المقام لا
يسمح بسردها جميعاً، وإنما سأعرض بعض النماذج فقط.

أ-عصمة الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام:

بعد أن أوحى الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام بأن يصنع سفينة، ويركب فيها، ويحمل من
كل زوجين اثنين، جاء أمر الله الموعود وهو الطوفان الذي غطى الأرض، وأهلك الله به قوم نوح
الكافرين، ولم ينج من هذا الهلاك إلا نبي الله نوح عليه السلام، ومن كان معه في السفينة، قال
الله تعالى: "وَفِيلٌ يَتَّارِضُ إِبْلَعِ مَاءَ كَيْسَ وَيَسْمَاءَ أَفْلَحِ وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى
الْجُودِيِّ وَفِيلٌ بَعْدَ اللَّفْقُمِ. الظَّلِيمِ"².

وبعد أن رست السفينة على الجبل وابتلعت الأرض مياه الطوفان، أمر الله نوحاً أن ينزل
من السفينة إلى الأرض، فهبط بأرض الموصل بسلام محفوقاً ببركات من الله هو ومن آمن معه
وذرّياتهم ممن سيكوّنون أمماً مؤمنة صالحة³.

¹ عبد الرحمان حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، م. س، ص: 339

² سورة هود: 54

³ عفيف عبد الفتاح طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم: قصص ودروس وعبر من حياتهم، م. س، ص: 73

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

ب- عصمة الله تعالى للمسيح عيسى عليه السلام:

قال تعالى: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبُ بِيْنِي إِنَّهُ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا"¹ وقال تعالى: "وَإِذْ كَفَبْتُ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ عَنْكَ"².

يظهر من الآيتين الكريمتين؛ كيف عصم الله رسوله عيسى عليه السلام بعدما أن عزم أعداءه على قتله، وقد اختلف المفسرون المسلمون في معنى الآية الأولى، فقالوا إن لها ثلاثة معان: المعنى الأول للوفاة هنا هو القبض، والرفع من غير موت، والمعنى الثاني هو النوم لقوله تعالى: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا"³ فجعل النوم وفاة، وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف، والمعنى الثالث: أن المراد بالتوفي حقيقة الموت، قال ابن عباس: معناه إني مميتك، قال وهب بن منبه: إن الله توفي عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه إليه"⁴، وبالنسبة للآية الثانية فمعناها: عصمتك من بني إسرائيل أي اليهود حينما همُّوا بقتلك⁵.

¹ سورة آل عمران: 54

² سورة المائدة: 112

³ سورة الزمر: 39

⁴ مختصر تفسير القرآن الكريم للخباز المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، اختصره: محمد علي قطب، دار المسيرة، بيروت، ط1: 1987، مج 1، ص ص: 165 - 166

⁵ وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط10: 1430 هـ - 2009م، مج4، ص: 114

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وفي هذا الصدد، يقول المفكر المسلم عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني¹: "كَفَّ اللَّهُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ عَنْهُ حِينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ، وَأَلْقَى شَبْهَهُ عَلَى مِنْ دَلٍّ عَلَى مَكَانِهِ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ". مصداقاً
لقوله تعالى: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ"².

ت-عصمة الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم:

إقتضت حكمة الله تعالى ومشينته أن يكون محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء
 والمرسلين، وحتى يكون قدوة حسنة للبشرية، ونبراساً لها للسير نحو طريق الهداية والرشاد، كان
لابد أن يهيئه ربه عز وجل على أكمل وجه لحمل الرسالة، وتبليغ الأمانة، وتَحْمُلُ أعباء الدعوة،
والصبر على كل أنواع الأذى التي يمكن أن تعترض سبيله.

ولقد كان من وسائل هذا الإعداد الإلهي لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن عصمه
الله تعالى من كل ما يتنافى مع هذه المهمة السامية التي كلفه بتنفيذها، وهذه العصمة الإلهية
للنبي محمد صلى الله عليه وسلم تتجلى في مرحلتين:

المرحلة الأولى: ما قبل البعثة

لعل النماذج على عصمة الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته كثيرة،
وهو ما ذكرته كتب السيرة النبوية وفصّلت فيه، وإنما سأكتفي بذكر قصتين فقط على سبيل
المثال لا الحصر.

¹ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، م. س، ص: 317

² سورة النساء: 156

القصة الأولى:

أورد ابن هشام في السير والمغازي قصة حفظ الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في فترة طفولته، قائلا: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما ذُكر لي، يُحدِّث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال: "لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره فجعله على رقبتة يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لَكمَني لَكم ما أراه لكمه وجيعة؛ ثم قال: شُدَّ عليك إزارك، قال: فأخذته وشَدَدْتَه عَلَيَّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتني، وإزاري عَلَيَّ من بين أصحابي"¹.

القصة الثانية:

لقد عاش محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته حياته كغيره من فتيان مكة، حياة المراهقة التي تتميز بالحماس وحب الاستطلاع، وهذا أمر طبيعي في حياة الشباب العرب آنذاك، إذ أن فترة المراهقة غالبًا ما تكون مليئة بالتحديات، حيث الانسياق خلف مغريات الدنيا، والتعلق بمفاتها، وهذا ما كان يستهوي معظم فتيان مكة، غير أن الفتى محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه كان يشكل استثناء من بين أقرانه، فبالرغم مما كانت تحدثه به نفسه في بعض الأحيان، وتحاول جذبه للتمتع باللهو والترفيه الذي كان يميز حياة العرب في مكة، إلا أن عناية الله عز وجل كانت تحول بينه وبين هذه المغريات.

روى ابن الأثير هذه القصة التي يتحدث فيها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم عما وقع له في طفولته فيقول: "ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كل ذلك

¹ابن هشام، السيرة النبوية، م. س، ص: 87

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي
الغنم بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر كما يسمر الشباب، فقال: افعل،
فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً، فقلت ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان
بفلانة، فجلست أسمع، فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس، فعُدت إلى
صاحبي فسألني، فأخبرته، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت بمكة فأصابني مثل أول ليلة.
ثم ما هممت بسوء¹.

المرحلة الثانية: ما بعد البعثة

نستهل هذه المرحلة بحديث نبوي يبين ويؤكد البداية الفعلية للعصمة الإلهية للنبي محمد
صلى الله عليه وسلم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحَرِّسُ
حتى نزلت هذه الآية: "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ"²، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأسه من القبة، فقال لهم: يا أيها الناس، انصرفوا، فقد عصمني ربي عز وجل³.

وسأذكر في هذا الباب قصتين اثنتين توضحان كيف كانت عصمة الله تعالى لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم بعد البعثة، وكيف انكفأ أعداؤه خائبين مدحورين.

¹ صححه الحاكم والذهبي وضعفه ابن كثير في البداية والنهاية 2/ 287 (الرحيق المختوم، صفى الرحمن
المباركفوري، ص: 63) .

² سورة المائدة: 69

³ حديث سبق تخريجه.

القصة الأولى:

بلغ أذى المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم حدًا لا يُطاق، وكان من مؤامرتهم الخبيثة محاولة قتله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا السياق يروي ابن إسحاق حديثًا طويلًا يقول فيه: "قال أبو جهل: يا معشر قريش إنَّ محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإنِّي أعاهد الله لأجلسن له بحجر ما أطيق حمله، أو كما قال: فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني؛ فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، قالوا: والله ما نسلمك لشيء أبدًا، فامض لما تريد. فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجرًا كما وصف، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى، صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، وقد غدت قريش فجلسوا في أندية، ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزمًا منتقعًا لونه، مرعوبًا قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط؛ فهِمَّ بي أن يأكلني. قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ذلك جبريل عليه السلام، لو دنا لأخذه"¹.

¹ابن هشام، السيرة النبوية، م. س، ص: 136

القصة الثانية:

بعد أن خاب ظن المشركين في القبض على رسول اله صلى الله عليه وسلم حيًا في بيته، خرجوا في طلبه، وبحثوا عنه في كل مكان مستخدمين في ذلك كل الوسائل من فرسان ومشاة وقصاص الأثر، إلى أن وصل المطاردون إلى الغار الذي اختبأ فيه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ورفيقه في الرحلة سيدنا أبو بكر رضي الله عنه. "روى البخاري عن أنس عن أبي بكر قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رأنا، قال: اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما، وفي لفظ: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما"¹.

لكم إذن، كانت بعض تجليات عصمة الله تعالى لرسوله الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم، قبل بعثته الشريفة وبعدها، وهذه العصمة التي خصَّه الله بها هي علامة على اصطفاؤه من بين الناس.

4- المتصفون بالعصمة

إن موضوع العصمة من الموضوعات التي أثارت نقاشات واسعة في الساحة الفكرية الإسلامية، وكتب فيه العلماء والباحثون الشيء الكثير، وتعتبر مسألة "المتصفين بالعصمة" في نظر مجمل المذاهب العقدية الإسلامية، من المسائل الإيمانية التي لا تقبل الاختلاف حولها.

¹ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب "ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا"، رقمه:

4663 والقصة مذكورة في الرحيق المختوم لصفي الرحمان المباركفوري، ص: 166

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

أ- المتصفون بالعصمة عند أهل السنة والجماعة

يرى جمهور أهل السنة والجماعة من السلف والأشاعرة والماتريدية، أن المتصفين بالعصمة هم أنبياء الله ورسله عليهم السلام دون غيرهم من البشر، ولذلك نجد أن مذهب أهل السنة والجماعة تعتقد أن العصمة خاصة بالأنبياء والرسل عليهم السلام، وهم المتصفون بها فقط.

ب- المتصفون بالعصمة عند المعتزلة

سبقت الإشارة إلى أن القاضي عبد الجبار الذي يمثل الاتجاه المعتزلي، أثبت العصمة للأنبياء والرسل عليهم السلام، وهذه العقيدة متفق عليها بين جمهور المعتزلة ما عدا رأي أبو علي الجبائي الذي شذ عن إجماع المعتزلة، وقال بعدم عصمتهم قبل البعثة، ورأى عصمتهم بعدها فقط.

وهذا يمكن القول إن المتصفين بالعصمة عند مدرسة المعتزلة هم الأنبياء والرسل عليهم السلام دون غيرهم.

ومن مظاهر عصمة الله تعالى للأنبياء والرسل عليهم السلام ما أجراه على أيديهم من معجزات عظيمة، فما حقيقة المعجزات عند المذاهب العقيدة الإسلامية؟

الفرع الثالث: قضية المعجزات

1- تعريف المعجزة

أ- لغة:

تضمنت القواميس مختلف الأوجه اللغوية لمادة "عجز" ودلالاتها، ويمكن عرضها كالآتي:

أَعْجَزَهُ الشَّيْءُ: فَاتَهُ، وَأَعْجَزَ فُلَانًا: وَجَدَهُ عَاجِزًا، وَصَيَّرَهُ عَاجِزًا، وَالتَّعْجِيزُ: التَّثْبِيطُ، والنسبة إلى العجز، ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم: ما أعجز به الخصم عند التحدي¹ وَأَعْجَزَنِي فُلَانٌ إِذَا عَجَزْتُ عَنْ طَلْبِهِ وَإِدْرَاكِهِ، وَالْعَجْزُ نَقِيضُ الْحَزْمِ، وَعَجَزَ يَعْجِزُ عَجْزًا فَهُوَ عَاجِزٌ ضَعِيفٌ².

ويقول الفيروزآبادي بخصوص تعريف الإعجاز: "اعلم أن الإعجاز إفعال من العَجَز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشئ من عمل أو رأي أو تدبير"³.

وانطلاقاً من التعريفات اللغوية السابقة، يظهر أن معنى العجز هو عدم القدرة على فعل الشئ، ومنه يشتق لفظ المعجزة والإعجاز.

¹ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (عجز)، م. س، ص: 516

² الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، الجزء الأول، (باب العين والجيم والزاي)، م. س، ص: 215

³ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي مجد الدين، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط3: 1416 هـ - 1996 م، ج1، ص: 65

ب- شرعاً:

عرّفها العلماء بأنها: "الأمر الخارق للعادة يُجرّيه الله على يد رسول من عنده ليُقيم به الدليل على صدق نبوته"¹ وقال الفخر الرازي: "المعجزة عُرْفًا أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة"²

وهناك تعريفات أخرى منها:

-أنها "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، وهي إما حسية أو عقلية"³، وهذا التعريف يشبه إلى حد ما تعريف الإمام الرازي للمعجزة.

-أنها "الفعل الذي يدل على صدق المدعي للنبوة"⁴.

-أنها "فعل الله سبحانه الخارق للعادة المقارن لدعوى الرسالة، متحدي به قبل وقوعه، غير مكذب، يعجز من يبغي معارضته عن الإتيان بمثله"⁵.

-أنها "ما قصد به إظهار صدق من أدعى أنه رسول الله"⁶.

¹ عبد الفتاح عفيف طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، م. س، ص: 21

² فخر الدين الرازي، محصل أفكار المتقدمين، ص: 207 ومحمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضوية في عقد الفرقة المرضية، ص: 290

³ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج5، م. س، ص: 1873

⁴ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 578

⁵ السنوسي، شرح الكبرى، ص: 438

⁶ عضد الدين الإيجي، المواقف، م. س، ص: 339

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
ويظهر من التعريفات السابقة أن المعجزة ما كان فعلاً لله تعالى على يد نبيه أو رسوله
لتصديقه في دعواه، وهذا الفعل لا بد أن يكون خارقاً للعادة، مقروناً بالتحدي، سالمًا من
المعارضة.

2- حقيقة المعجزة في التصور الإسلامي

بالرجوع إلى المصادر الإسلامية التي تناولت هذا الموضوع، نجد أن العلماء المسلمين ميّزوا
بين المعجزة وغيرها من أنواع الخوارق الأخرى كالكرامات والسحر... إلخ.

وفي هذا الصدد، يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن "اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في
اللغة وعُرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره- ويسمونها: الآيات- لكن كثير من
المتأخرين يفرّق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق
للعادة"¹.

كما أن ابن تيمية فرّق بين المعجزات والكرامات والسحر، ولهذا نجده يقسم الخوارق إلى
ثلاثة أصناف:

1- ما يقع على أيدي الأنبياء والرسول لإثبات رسالتهم وهو المعجزات.

2- ما يقع على أيدي غير الرسول، ويقسمه إلى ثلاثة أقسام:

أ- محمود في الدين وهو الكرامات.

¹ ابن تيمية، المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها، تحقيق: أبي عبد الله محمود بن إمام،

ط1: 1406 هـ - 1986 م، ص: 9

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
ب- مذموم في الدين وهو ما يأتي على وجه منهي عنه في الدين كأعمال السحرة والذين
يستخدمون الجان.

ج- مباح أي لا محمود ولا مذموم، فإن كان فيه منفعة للإنسان كان نعمة وإن لم يكن فيه
منفعة كان كسائر المباحات التي لا منفعة فيها كاللعب والعبث¹.

ويضيف شيخ الإسلام ابن تيمية كلاماً مفصلاً في بيان الحدود بين المعجزة والكرامة بقوله:
"النبوة هي أصل المعجزة، والولاية هي أصل الكرامة، فلا تحصل المعجزة الخارقة للعادة – التي
هي أصل الكرامة في الجنس- إلا مع النبوة مع الصادقة، كما أن الكرامة الخارقة للعادة لا
تحصل للولي إلا بمتابعته لشرع نبيه²".

وقد حدد العلماء المسلمون شروطاً معينة للمعجزة، فإذا انتفت هذه الشروط لا يمكن أن
نطلق عليها اسم معجزة، ومن هذه الشروط:

- أن تكون من فعل الله – تعالى - وخلقِه، أو قائمة مقام فعلِه.

- أن تكون خارقة للعادة، وأن يتعذر على المبعوث إليه المعارضة.

- أن تكون ظاهرة مع دعوى النبوة، وعلى وفق دعواه.

- أن تكون مقارنة لدعواه غير مُكذِّبة له، ولا متقدمة عليها، وفي تأخرها بزمان يعتد به³.

¹ ابن تيمية، المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها، م. س، ص: 17 ويُنظر أيضاً: ابن تيمية، كتاب النبوات، ص: 40 – 41، وشرح العقيدة الطحاوية، ص: 747

² ابن تيمية، كتاب النبوات، م. س، ص: 40

³ سيف الدين الأمدي، أبحار الأفكار، ج4، م. س، ص: 18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وذكر المعتزلة شروطاً لفعل المعجزة، منها:

- أن يكون الفعل المعجز من جهة الله تعالى أو في الحكم كأنه من جهته عز وجل.
- أن يكون واقعاً عقيب دعوى المدعي للنبوّة، لأنه لو تقدم الدعوى لم تتعلق به.
- أن يكون مطابقاً لدعواه، فإنه لو لم يكن كذلك وكان بالعكس، لم يكن يتعلق بدعواه فلا يدل على صدقه.
- أن يكون ناقضاً لعادة من بين ظهرائه، لأنه لو لم يكن كذلك لم يكن ليدل على صدق من ظهر عليه أصلاً¹.

وما دام النقاش متمركزاً حول مذهب المعتزلة، فإن الموضوعية تقتضي الإشارة إلى بعض آراء هذا المذهب بخصوص قضية الإعجاز، ولعل أشهر رأي في هذا الباب يتعلق بموضوع إعجاز القرآن الكريم، "فقد أجمع المسلمون قاطبة على أنه معجز، واختلفوا في تعيين الوجه المعجز الذي به تحدى منه، وإن اشتمل على وجوه من الإعجاز، فقال بعض المعتزلة: إعجازه أسلوبه ونظمه الخاص فقط، وقال قوم: إعجازه فصاحته وجزالته فقط، وقال إمام الحرمين والقاضي²: إعجازه بالمجموع، وقال قوم: إعجازه بالصّرف³ عن معارضته وإن كان في مقدورهم⁴".

1 القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص ص: 569 – 571

2 القاضي أبو بكر الباقلاني.

3 يُنسب القول بالصّرف للنظام المعتزلي.

4 شرح السنوسية الكبرى، م. س، ص: 256

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

أما ما يتعلق بالسحر، فإن بينه وبين المعجزة والكرامة فوارق معلومة منها:

أن السحر من مقدورات البشر ومن أفعالهم المعتادة خلافاً للكرامة والمعجزة فهي خارجة عن مقدور البشر، لأن المعجزات قلباً للحقائق والأجناس، خلافاً للسحر فهو مجرد تخيل، وإن السحر لا يستخدمه إلا الفاسقون والكفرة والأشرار، بينما المعجزة والكرامة لا تكون إلا على يد النبي أو الولي. قال تعالى: "وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَقَبْرٍ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ بَشَرٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِيسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"¹ والسحر يأتي بالتعليم والاكْتساب بينما المعجزة والكرامة هبات

ومنح من الله تعالى، والسحر يُعارض بسحر مثله، بينما المعجزات لا تُعارض².

وميزّ الأشاعرة بين المعجزة والسحر، فالمعجزة من جنس ما يقدر الله عليه وحده، والسحر ليس كذلك فهو يقع من جنس مقدورات العباد، ولا يمكن للساحر إدعاء النبوة لأن الله سوف

¹سورة البقرة: 101

² سعد الدين السيد صالح، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، ص ص: 39 – 40

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
يُكذِّبه فيما ادَّعاه¹ وقد أقرُّوا بالكرامة للأولياء ما عدا أبو إسحاق الإسفراييني لكنهم فرَّقوا بين
المعجزة والكرامة، من حيث أن الكرامة ليس فيها التحدي وادِّعاء النبوة².

وبناء على ما سبق، يتبين أن المعجزة حسب التصور الإسلامي هي كل أمر خارق للعادة
يجريه الله تعالى على يد نبي أو رسول، ويكون مقروناً بالتحدي، وسالماً من المعارضة.

3- المعجزات في المصادر الإسلامية

تضمنت المصادر الإسلامية إشارات كثيرة عن معجزات الأنبياء والرسل عليهم السلام،
والناظر في المصنفات الإسلامية القديمة والحديثة، سيجد أن هذا الموضوع حظي بنصيب كبير
من العناية، لأنه مرتبط أشد الارتباط بمبحث النبوات الذي هو مبحث رئيس ضمن المباحث
العقيدة الإسلامية، والحديث عن المصادر الإسلامية يعني ذلك؛ القرآن الكريم والسنة النبوية،
فضلاً عن المراجع الإسلامية الأخرى التي استمدت مادتها من هذين المصدرين، ومن ذلك
التفاسير القرآنية، وكتب القصص القرآني، وكتب التاريخ... إلخ.

وسأعرض بعض ما جاء في المصادر الإسلامية بخصوص معجزات الأنبياء والرسل عليهم
السلام، مع الاختصار على بعض النماذج.

أولاً: القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم الذي هو المصدر الأول من مصادر المعرفة الإسلامية، -وباعتباره كلام
الله تعالى العليم الخبير- عن كل القصص والأخبار المتعلقة بالأمم والأقوام السابقة، وما جرى

¹ الباقلاني، الفرق بين المعجزات والكرامات، م. س، ص: 94 - 95

² فخر الدين الرازي، محصل أفكار المتقدمين، م. س، ص: 161

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
لهم من أحداث ومعجزات، والمعجزات كما هو معلوم ارتبطت ببعثة الرسل عليهم السلام إلى
أقوامهم تصديقاً لهم في دعوى النبوة والرسالة، ولذلك، سأركز على بعض المعجزات التي ورد
ذكرها في القرآن الكريم، وسأقتصر فقط على بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

من معجزات النبي موسى عليه السلام:

ورد ذكر معجزات موسى عليه السلام في عدة سور قرآنية، كسور البقرة، وسورة الأعراف،
وسورة طه، وسورة النمل، وسورة الشعراء، وسورة القصص، وغيرها من السور، ولعل أكثر
هذه السور عَرَضًا لمعجزات موسى عليه السلام سورة الأعراف.

وفي ما يلي أبرز معجزات النبي موسى عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم:

-معجزة انقلاب العصا حية والتهام ثعابين سحرة فرعون:

قال تعالى: "بِأَلْفِي عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ"¹، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:
"فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها، مسرعة إلى فرعون، لما رأى فرعون أنها قاصدة إليه، اقتحم
عن سريره، واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل"²، ويقول ابن جرير الطبري في تفسيرها:
" (فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) يعني حية، وفي قوله: (مُّبِينٌ) أي: تتبين لمن يراها أنها حية"³.

¹سورة الأعراف: 106

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، م. س، ص: 455

³ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، م. س، ص: 477

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وقال تعالى: "قَالَ أَلْفَهَا يَمُوسَىٰ فَأَلْفِيهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ"¹، وهذا خارق عظيم،

وبرهان قاطع، على أن الذي يكلمه هو الذي يقول للشيء كن فيكون، وأنه الفعل بالاختيار²،

وقال تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْبِكُونَ"³ أي أوحينا

إليه بأن ألق عصاك فألقاها فإذا هي تبتلع بسرعة ما يزورونه من الكذب⁴، وقال تعالى: "وَأَلْقَىٰ

مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ"⁵ هذا

يدل أن سحر أولئك إنما صار بعدما ألقوا ما في أيديهم، وكذلك عصا موسى إنما صارت آية

وحجة بعدما ألقاها من يده⁶.

فهذه كلها آيات تشهد بوقوع هذه المعجزة على يد النبي موسى عليه السلام، وذلك في

العصر الفرعوني الذي اشتهر بانتشار السحر وكثرة السحرة، فكانت معجزة حاسمة أبطل بها الله

عز وجل ما كانوا فيه بارعين.

¹ سورة طه: 18-19

² ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط3:

1408هـ-1988م، ص: 367

³ سورة الأعراف: 116

⁴ الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص: 464

⁵ سورة طه: 68

⁶ الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج3، م. س، ص: 298

-معجزة اليد البيضاء:

قال تعالى: "وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ"¹، قال السدي: أخرجها من جيبه² وقال الطبري: وأخرج يده، فإذا هي بيضاء تلوح لمن نظر إليها من الناس، وكان موسى، فيما ذكر لنا، آدم³، فجعل الله تحوّل يده بيضاء من غير برص، له آية⁴، وقال تعالى: "وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ - آيَةً أُخْرَى"⁵، وقال تعالى: "وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ"⁶ فالله تعالى قادر أن يجعل يده بيضاء من غير إدخاله إيّاها في جيبه، لكنه امتحن موسى بالأمر بإدخالها في جيبه⁷.

-معجزة السنون ونقص الثمرات (القحط) :

قال تعالى: "وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ"⁸، جاء في تفسير هذه الآية: "أي وابتليناهم بإذهاب الثمار من كثرة الآفات، قال المفسرون: كانت

¹ سورة الأعراف: 107

² تفسير السدي الكبير، جمع وتوثيق ودراسة: محمد عطا يوسف، ص: 268

³ آدم: أسمر البشرة.

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، م. س، ص: 477

⁵ سورة طه: 21

⁶ سورة النمل: 12

⁷ الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج3، م. س، ص: 553

⁸ سورة الأعراف: 129

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة¹، وقال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه ابتلى آل فرعون وهم قومه من
القبط بالسنين، وهي أعوام الجذب التي لا يستغل فيها زرع ولا ينتفع بضرع"².

- الآيات المفصلات:

وهي أصناف العذاب الخمسة التي أرسلها الله تعالى على قوم فرعون بسبب كفرهم
وطغيانهم، وهذه الآيات هي: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

وقد وردت هذه الأصناف الخمسة من العذاب في قوله تعالى: "بَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ
وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ"³،
وقد جاءت تفاسير متعددة لهذه الآية، منها: "أن الطوفان هو الماء، والطاعون⁴ وفسرها البعض
بالمطر الشديد⁵ وفسرها آخرون بالموت⁶ وأما الجراد فمعروف⁷ والقُمَّل هو بنات الجراد: يقال:
الدَّبَى، وقيل: هو الجراد الصغار التي لا أجنحة لها⁸ وقال آخرون: هو السوس الذي يخرج من
الحنطة⁹ وعن الحسن وسعيد بن جبير (القُمَّل) : دواب سود صغار¹، والضفادع: جمع ضفدع

¹ الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص: 466

² ابن كثير، قصص الأنبياء، م. س، ص: 397

³ سورة الأعراف: 132

⁴ يُنظر تفسير ابن كثير، ج3، ص: 461 و تفسير الطبري، ج3، ص: 487

⁵ صفوة التفاسير، ج1، م. س، ص: 467

⁶ يُنظر: تفسير الطبري، ج3، ص: 487 وتفسير ابن جريج، ص: 134

⁷ ابن كثير، قصص الأنبياء، م. س، ص: 398

⁸ الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج2، ص: 277

⁹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، م. س، ص: 464

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
حتى ملأت بيوتهم وطعامهم وإذا تكلم أحدهم وثبت الضفدع إلى فمه، والدم: أي صارت مياههم
دمًا فما يستقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دمًا²، أما قوله: "ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ"، فإن معناه:
علامات ودلالات على صحة نبوة موسى، وحقيقة ما دعاهم إليه، قد فصل بينها، فجعل بعضها
يتلو بعضها، وبعضها في إثربعض³.

هذه الخمس جملة ما ذكره القرآن من الآيات التسع التي أيد بها عبده ورسوله موسى
عليه السلام، وليس فيها شيء من المبالغات التي في التوراة⁴.

-معجزة الرجز (العذاب) :

قال تعالى: "وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَلْمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِيسَ
كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ"⁵.

جاء في التفاسير أنه "الطاعون الذي أصاب منهم سبعين ألفاً"⁶ وفسره البعض بعذاب الله
وسخطه¹، ومعنى الآية: "أي والله لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه يا موسى لنصدقن بما
جنئت به ولنطلقن سراح بني إسرائيل"².

¹ المرجع نفسه، ج3، ص: 464

²صفوة التفاسير، ج1، م. س، ص: 467

³ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، ص ص: 488-489

⁴ رشيد رضا، تفسير المنار، ج9، ص: 92

⁵ سورة الأعراف: 133

⁶ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص: 225

-معجزة جبل الطور:

استمر موسى في إصلاح بني إسرائيل ولكنه رأى منهم معارضة وقسوة، عندئذ تهددهم الله بالسحق بأن رفع جبل الطور فوقهم فارتاعوا³ وظنوا أنه واقع عليهم فتضرعوا إلى الله فأمرهم أن يأخذوا حينئذ ما آتاهم من كتاب التوراة بقوة أي بعزيمة ودون تدمير، وأن يحفظوه ويعملوا به لعلهم بذلك يصبحون من المتقين، فلما أزال الله عنهم هذه الغمة أعرضوا عن هدى الله، ولولا فضل الله عليهم ورحمته لكانوا من الخاسرين⁴.

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المعجزة في قوله تعالى: "وَإِذْ نَتَفَنَّا أُلْجَبَلَ بَقُوقَهُمْ كَانَهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَافِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"⁵.

ثانيًا: السنة النبوية

السنة النبوية هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، وقد اشتملت على إشارات متفرقة عن أخبار الأمم السابقة، وخاصة بعض المعجزات التي حدثت للأنبياء عليهم السلام، حيث نجد

¹ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، م. س، ص: 489

² الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، م. س، ص: 467

³ فزعوا وخافوا.

⁴ عفيف عبد الفتاح طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم: قصص ودروس وعبر من حياتهم، م. س، ص: 252

⁵ سورة الأعراف: 171

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أن المفسرين المسلمين اعتمدوا في مواضع كثيرة من تفاسيرهم على الأحاديث النبوية التي وردت
في هذا الموضوع.

سأحاول استقصاء بعض ما ورد في الأحاديث النبوية من إشارات عن معجزات الأنبياء
والرسل عليهم الصلاة والسلام، وسأعرض في هذا الباب نماذج من معجزاتهم، "وإذا تأملنا في
تفاسير العلماء القدامى سنجد أنهم اعتمدوا كثيرًا على أقوال السلف، ومن جملة ما اتفق عليه
جمهور مفسري السلف الآيات التسع التي هي معجزات حسية للناظرين أجراها الله تعالى على
يد نبيه موسى عليه السلام، واتفقوا على تحديد الآيات الخمس الواردة في آية واحدة في سورة
الأعراف وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، كما جاء في قوله تعالى: "بَارِئُ سَلْنَا
عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُّبِصَّاتٍ بِاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا
فَوْمًا مُّجْرِمِينَ"¹، كما اتفقوا على الآية السادسة وهي اليد، واختلفوا في باقي الآيات هل هي من
الآيات التسع، أم لا².

وهذه الآيات التسع التي أيد بها الله تعالى نبيه موسى عليه السلام ذكرها القرآن الكريم في
قوله تعالى: "وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ"³، وهذا يتماشى مع ما ذكره جمهور
المفسرين من السلف.

¹سورة الأعراف: 132

² بلسم صلاح الدين عمر أبو زيد، معجزات موسى عليه السلام في القرآن والتوراة: عرض ونقد، رسالة الماجستير
في العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة، إشراف الدكتور: محمود يوسف محمد الشوبكي، كلية أصول الدين،
الجامعة الإسلامية، غزة، 1436 هـ - 2015 م، ص: 186

³ سورة الإسراء: 101

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وقد اشتملت بعض الأحاديث النبوية على بيان لبعض المفردات التي ورد ذكرها في الآية
الكريمة السابقة، ويُقصد بذلك الآيات التسع التي أرسلها الله تعالى عقاباً لقوم فرعون.

ومن بين هذه الأحاديث النبوية:

أحاديث الطوفان والقمل:

في صحيح البخاري ترد بعض المعاني المرتبطة بما ورد في الآيات التسع، ومن ذلك
معنى "الطوفان" و"القُمَّل" حيث جاء فيها: "ويقال للموت الكثير: طوفان، (القُمَّل): الحُمّان
يشبه صغار الحَلَم¹.

وقد روى ابن جرير، وابن مردويه، من طريق يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن
الحجاج، عن الحكم بن ميناء، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الطوفان الموت"².

حديث الجراد:

وقد روى أبو داود، عن أبي عثمان، عن سلمان الفارسي قال: سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الجراد، فقال: "أكثر جنود الله، لا أكله ولا أحرّمه"³.

¹ صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب طوفان من السيل، رقم الحديث: 62

² ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، ج8، ص: 300

³ سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب في أكل الجراد، رقم الحديث: 3813

حديث الرجز (الطاعون) :

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"¹.

عن عامر بن سعد، ومن حديث مالك، عن محمد بن المنكدر وسالم أبي النضر، عن عامر بن سعد، عن أسامة بن زيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إن هذا الوجد - أو السقم - رجز عُدِّب به بعض الأمم قبلكم"².

وروى النسائي، وابن أبي حاتم، وهذا لفظه من حديث الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عُدِّب به قوم، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تدخلوها"³.

هالك فرعون في اليم:

ومن ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله

¹ صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم الحديث: 5728

² صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم الحديث: 2218

³ رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الطب، باب الخروج من الأرض التي لا تلائمه، رقم الحديث: 7680

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير عليه وسلم: "لما قال فرعون: "أمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل"، قال لي جبريل: لو رأيتني وقد أخذت من حال البحر فسدسته في فيه مخافة أن تناله الرحمة"¹.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: "لما أغرق الله فرعون أشار بأصبعه ورفع صوته: أمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، قال: فخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه، فجعل يأخذ الحال بجناحيه فيضرب به وجهه فيرمسه"².

من معجزات النبي يشوع عليه السلام

-معجزة رده للشمس بإذن الله تعالى:

وردت إشارات في كتب الحديث عن قصة النبي يشوع عليه السلام ومعجزته الخارقة للعادة، ومما جاء فيها: "غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولما بين بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات، وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة

¹ رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم عند هذه الآية من حديث حماد بن سلمة، وقال الترمذي: حديث حسن.

² رواه ابن جرير من حديث أبي خالد له.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا، فأحلها لنا¹."

فالنبي المقصود في هذا الحديث هو يشوع عليه السلام، وكانت معجزته هي حبس الله تعالى للشمس، حتى تحقق له ولجيشه النصر على أعدائهم.

من معجزات النبي إلياس عليه السلام

-معجزة احتباس المطر:

إلياس، والأرجح أنه النبي المعروف في العهد القديم باسم إيلياء، وقد أرسل إلى قوم في سورية كانوا يعبدون صنمًا يسمونه بعلا، وما تزال آثار مدينة بعلبك تدل على آثار هذه العبادة².

انتشر الظلم والفساد في زمن النبي إلياس عليه السلام، وبلغ الأمر بالناس إلى درجة الكفر بالله تعالى، والقتل والإيقاع بالأبرياء وظلمهم³ وبسبب مظاهر الشرك والفساد دعا عليهم إلياس عليه السلام فاحتبس المطر ثلاث سنوات حتى هلكت المواشي والمزروعات وأصابهم عناء شديد، أما إلياس عليه السلام فقد اعتزلهم أثناء هذه الحادثة خوف أن يتوجهوا إليه بالأذى، ومما ورد

¹صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أحللت لكم الغنائم" وقال الله عز وجل: "وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها"، رقم الحديث: 3124

² سيد قطب، قصص الأنبياء في ظلال القرآن، ج1، م. س، ص: 252

³ أرسل الله لهؤلاء القوم نبيه إلياس يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فقال إلياس لقومه: ألا تتقون عذاب الله ونقمته بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؟ أتعبدون الصنم بعلا وتتركون عبادة الله الذي خلق العالم فأحسن خلقه؟ فالإله الجدير بالعبادة هو الله "ربكم ورب آبائكم الأولين" (عفيف عبد الفتاح طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم: قصص ودروس وعبر من حياتهم، ص: 308).

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
في كتب السير والتاريخ أن الله تعالى أنزل عليه لباسًا من الريش النور فطار مع الملائكة إلى أجل
أرادَه الحق سبحانه¹.

ثالثًا: قصص الأنبياء

هناك العديد من الكتب الإسلامية التي اهتمت بتفاصيل حياة الأنبياء والرسل عليهم
السلام، وقصصهم مع أقوامهم، وبالرغم من اعتماد مؤلفي هذه الكتب على ما ورد من نصوص
قرآنية وأحاديث، إلا أن بعضها لم يسلم من الإسرائيليات.

وسأعرض فيما يلي نماذج من معجزات الأنبياء والرسل التي ورد ذكرها في كتب قصص
الأنبياء:

معجزة إحياء موسى عليه السلام قتيلى بني إسرائيل:

قصة القتيلى هي أن رجلاً ثريًا من بني إسرائيل لم يكن له ولد يرثه، وكان له أقارب كل منهم
يريد أن يستأثر بأموال هذا الرجل، والمال والذهب هما حياة بني إسرائيل، فتآمر على هذا
الرجل الثري ابن أخيه فقتله ليرثه ويستولي على أمواله، ولكنه أراد أن يُبعد التهمة عن نفسه
فحمل الجثة وألقاها على باب قرية مجاورة لبيتهم أهلها بقتل الثري، وفي الصباح قام أهل
القرية ووجدوا جثة الثري أمام قريتهم، ووجدوه غريبًا عن القرية فسألوا من هو؟ حتى وصلوا

¹ موسوعة الأديان الميسرة، مجموعة من المؤلفين، ص: 101

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
إلى ابن أخيه، فتجمّع أهل القتل واتهموهم بقتله، وكان أشدهم تحمّساً في الاتهام القاتل ابن
أخيه¹.

احتدم الخلاف بين بني إسرائيل وكادت تحدث فتنة كبيرة، فقرروا أن يلجأوا إلى موسى
عليه السلام ليطلب من الله تبارك وتعالى أن يكشف لهم لغز هذه الجريمة ويدلهم على القاتل،
وجاء الأمر من الله سبحانه وتعالى أن اذبحوا البقرة، ولو ذبحوا بقرة أية بقرة لانتهت المشكلة،
ولكنهم ظلوا يقولون: ما لونها وما شكلها؟ حتى وصلوا إلى البقرة التي كان قد استودعها الرجل
الصالح عند الله حتى يكبر ابنه فاشتروها وذبحوها، فأمرهم الله أن يضربوه ببعضها، أي أن
يضربوا القاتل بجزء من البقرة المذبوحة بعد أن سال دمها وماتت².

وفي هذا الشأن يقول الحق سبحانه: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ
تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا دَعْ
رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ظَرَأٌ لَهَا بَعْرٌ وَلَا يُكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا
مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا دَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا
تَسْرُ النَّظِيرِينَ قَالُوا دَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ

¹ محمد متولي الشعراوي، معجزات القرآن والأنبياء، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 2010م، (د.ط)، ص: 270

² المرجع نفسه، ص: 272

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
لَمْهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْفِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ
فِيهَا قَالُوا أَلَيْسَ جِئْتَ بِالْحَقِّ قَدْ دَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ¹.

معجزة النبي يشوع عليه السلام (حبس الشمس) :

جاء في القصص أن يشوع بن نون أخذ في الجهاد حتى فتح الله على يديه اثنين وثلاثين
مدينة من مدائن الكفار بأرض الشام، واجتمع إليه بنو إسرائيل فخطبهم ووعظهم فأجابوه
بأحسن جواب ثم سار بهم حتى نزل بلاد الجبارين وقتلهم فهزمهم ودخلوا مدينتهم يوم الجمعة
قبل غروب الشمس لأنه يحرم القتال بعدها وخافوا أن يزحف عليهم الجبارون فرفع يوشع
يديه إلى السماء ودعا ربه فقال: اللهم إنك قد علمت ما نحن فيه فصَيِّرْ لَنَا الشَّمْسَ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا
حتى نجاهد فأوحى الله إليه يا يوشع إني قد حبست لك الشمس ونصرتك عليهم ثم وقفت
الشمس بإذن الله تعالى حتى قاتلهم قتالا شديداً حتى أبادهم ثم غابت الشمس².

وقد سبق ذكر هذه المعجزة، وهي حبس الشمس للنبي يشوع إلى حين الانتهاء من قتال
الجبارين.

معجزة النبي يونس عليه السلام

كانت نينوى من أرض الموصل عاصمة دولة آشور، تلك الدولة التي بسطت سلطانها على
معظم بلاد آسيا، وكانت من أغنى وأعظم المدن الشرقية في ذلك الزمن، وأدَّت سعة الرزق بها

¹ سورة البقرة: 66 - 72

² أبي عبد الرحمن الكسائي، موالد وقصص الأنبياء، تحقيق: خالد شبل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب
العلمية، بيروت، ط1: 1424هـ-2004م، ص: 252

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وغناها الفاحش إلى ضلالها بارتكاب الموبقات والمعاصي، وبالإضافة إلى هذا فقد كان أهل نينوى
يعبدون الأصنام ولا يؤمنون بالله تعالى، فكان هلاكهم أمراً مقضياً لولا أن الله تعالى تداركهم
برحمته فأرسل إليهم رسوله يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان بالله والرجوع عن سيئاتهم،
ولكنهم أصرُّوا على ما هم عليه ولم يستجيبوا لدعوته، فأوعدهم يونس بنزول العذاب عليهم إن
ظلوا على كفرهم¹.

لكن نبي الله يونس عليه السلام استعجل في أمره؛ بعد أن أُنذِرهم عذاب الله تعالى، فخرج
من القرية غاضباً، وتركهم بسبب ما رأى من تماديهم في الكفر والعصيان، وهذا ما حكاه القرآن
الكريم في قوله تعالى: "وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِباً وَقَطَّ أَنْ لَّسَ نَفْدِرَ عَلَيْهِ"²، والنون: الحوت،
وإنما عني بذئ النون: يونس بن متى³ غير أن مشيئة الله تعالى جاءت على غير ما أراد نبيه يونس
عليه السلام، فلما خرج من بين ظهرانهم وتحققوا نزول العذاب بهم، قذف الله في قلوبهم
التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم، فلبسوا المسوح وفرَّقوا بين كل بهيمة وولدها،
ثم عَجُّوا إلى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا إليه، وتمسكتوا لديه وبكى الرجال والنساء والبنون
والبنات والأمهات⁴، وهو ما تؤكد الآيات التالية: "قُلْ لَا كَانَتْ فَرِيَّةٌ - اٰمَنْتُ بِنَبْعِهَا اِيْمَانُهَا

¹ عفيف عبد الفتاح طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، م. س، ص: 311

² سورة الأنبياء: 86

³ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، م. س، ص: 274

⁴ سيد مبارك، معجزات الأنبياء والمرسلين، المكتبة المحمودية، القاهرة، (د.ط)، ص: 65

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعْتَنَّهُمْ إِلَى
حِينٍ¹.

اتجه نبي الله يونس عليه السلام نحو البحر فوجد جماعة يركبون سفينة فركب معهم،
"فلجّت بهم، واضطربت، وماجت بهم، وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون على ما ذكره المفسرون،
قالوا: فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة
ليتخففوا منه، فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس فلم يسمحوا به، فأعادوها ثانية
فوقعت عليه أيضاً، فشمر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه، فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القرعة الثالثة
فوقعت عليه أيضاً، لما يريد الله به من الأمر العظيم، قال الله تعالى: "وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِذْ أَبَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ بِكَانٍ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَفَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ"²،
وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة ألقى في البحر، وبعث الله عز وجل حوتاً عظيماً من البحر
الأخضر فالتقمه، وأمره الله تعالى ألا يأكل له لحماً، ولا يهشم له عظماً، فليس لك برزق، فأخذه
فطاف به البحار كلها³.

ظل يونس عليه السلام يُسَبِّحُ الله تعالى وهو في بطن الحوت، واختلف أهل التفسير في
المدة الزمنية التي قضاها في جوف الحوت" فقال مجاهد عن الشعبي: التقمه ضحى ولفظه

¹ سورة يونس : 98

² سورة الصافات: 139 - 142

³ ابن كثير، قصص الأنبياء، م. س، ص: 335

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
عشية، وقال قتادة: مكث فيه ثلاثاً، وقال جعفر الصادق: سبعة أيام¹، وكان هذا التسبيح
سبباً في نجاته، قال الله تعالى: "فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ"².

فبفضل هذا التسبيح³ "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"³، تدخلت
عناية الله تعالى فأنقذت النبي يونس عليه السلام من الضيق والكرب، قال الله تعالى:
"قَاسَتْجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ"⁴. وأمر سبحانه الحوت الذي هو
من مخلوقاته بأن يلفظه من بطنه ويلقيه خارج البحر، فقفذه في الساحل وهو ضعيف البدن
ومنهك وليس عليه لباس، قال تعالى: "فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ"⁵، وكان من رحمة الله به أن
كساه من ورق شجرة اليقطين⁶ كما قال سبحانه "وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّفُطِينَ"⁷.

¹ المرجع نفسه، ص: 217

² سورة الصافات: 143 - 144

³ سورة الأنبياء: 86

⁴ سورة الأنبياء: 87

⁵ سورة الصافات: 145

⁶ قال غير واحد من علماء التفسير بأنه القرع وهو نبات له فوائد كثيرة.

⁷ سورة الصافات: 146

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
قال بعض العلماء: "في إنبات القرع عليه حكم جمّة، منها أن ورقه في غاية النعومة، وكثير
وظليل، ولا يقربه ذباب، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره، نياً ومطبوخاً، ويقشره ويبزره
أيضاً، وفيه نفع كثير وتقوية للدماغ وغير ذلك"¹.

من معجزات المسيح عيسى عليه السلام:

-معجزة مشيه على الماء:

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا رجل سقط اسمه، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا أبو
هلال محمد بن سليمان، عن بكر بن عبد الله المزني، قال: فقد الحواريون نبهم عيسى فقيل
لهم توجه نحو البحر، فانطلقوا يطلبونه، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو يمشي على الماء، يرفعه
الموج مرة ويضعه أخرى، وعليه كساء مرتد بنصفه ومؤتزر بنصفه، حتى انتهى إليهم، فقال له
بعضهم-قال أبو هلال: ظننت أنه من أفاضلهم:- ألا أجيء إليك يا نبي الله؟ قال: بلى، قال: فوضع
إحدى رجليه على الماء ثم ذهب ليضع الأخرى، فقال: أوه غرقت يا نبي الله، فقال: أرني يدك يا
قصير الإيمان، لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء"².

-معجزة المائدة:

قال الله تعالى: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا
مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مَّؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ

¹ ابن كثير، قصص الأنبياء، م. س، ص: 339

² ابن كثير، قصص الأنبياء، م. س، ص: 702

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

فَلَوْبُنَا وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَفْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ بِمَنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ¹.

مضمون ذلك أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يومًا، فلما أتموها سألوها من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم، ليأكلوا منها، وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبتهم، وتكون لهم عيدًا يفطرون عليها يوم فطرهم وتكون كافية لأولهم وآخرهم لغنيمهم وفقيرهم، فوعظهم عيسى في ذلك وخاف عليهم ألا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها، فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل، فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه، وليس مسحًا من شعر، وصف بين قدميه وأطرق رأسه، وأسبل عينيه بالبكاء، وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا، فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين، وجعلت تدنو قليلا قليلا، وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل، فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول: بسم الله خير الرازقين، فإذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة، ويقال: وخل، ويقال: ورماني وثمار، ولها رائحة عظيمة جدًا، قال الله: كوني، فكانت، ثم أمرهم بالأكل منها، فقالوا لا نأكل حتى تأكل، فقال: إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها، فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء، فأمر الفقراء والمحاييج والمرضى

¹ سورة المائدة: 114 - 117

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والزمنى، وكانوا قريباً من الألف وثلاثمائة، فأكلوا منها، فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض
مزمّن، فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك¹.

من معجزات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

أجرى الله تعالى كثيراً من المعجزات الساطعة على يد نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه
وسلم، وفي هذا السياق يقول عليه الصلاة والسلام: "ما من الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من
الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ فأرجو أن أكون
أكثرهم تابِعاً يوم القيامة"².

ولعل أعظم معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن العظيم، وقد تحدى الله تعالى
الخلق جميعاً أن يأتوا بمثل هذا الكتاب، لكن ثبت عجزهم بما فهم عرب قريش، والإنس
والجن إلى يوم الدين، وأكرم الله هذا النبي العربي بمعجزات حسية أخرى كانشقاق القمر وتكثير
الطعام والإسراء والمعراج... إلخ.

¹ يُنظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، م. س، ص: 700 – 701

² صحيح مسلم، رقم (152)، وصحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، رقمه
(4981).

-معجزة انشقاق القمر:

هذه معجزة من معجزاته العظيمة، وقد حدثت في زمنه صلى الله عليه وسلم، وكانت من المعجزات الدالة على نبوته، وصدق رسالته للعالمين، يقول الله تعالى: "إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا -آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ"¹.

أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي، وإعراض الكفرة عن آياته؛ وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه² وقد وردت عدة أحاديث نبوية في شأن هذه المعجزة، من ذلك، ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، وَسَفْيَانَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةٌ دُونَهُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اشْهَدُوا"³.

وهذه المعجزة لم يقف التشكيك فيها عند المشركين في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم فحسب، بل امتدت حملة التشكيك بعدها إلى عهد الديانة النصرانية، حتى أن أحد كبار الشخصيات النصرانية وهو ملك الروم حاول تكذيب وقوع هذه المعجزة، وقد جرى ذلك في المناظرة الكبرى التي دارت بينه وبين الإمام الفذ وشيخ المناظرين في عصره أبو بكر الباقلاني.

¹ سورة القمر: 1- 2

² القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، م. س، ص: 344

³ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب "وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا"، رقم الحديث: 4864

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير

ومن بين ما ورد في هذه المناظرة سؤال الملك النصراني عن معجزة انشقاق القمر، فكان رد الإمام الباقلاني ردًا صاعقًا ومفحمًا، "قال ملك الروم: هذا الذي تدَّعون في معجزات نبيكم من انشقاق القمر، كيف هو عندهم؟ قال الإمام الباقلاني: هو صحيح عندنا، وانشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأى الناس ذلك، وإنما رآه الحاضرون ومن اتفق نظره إليه في تلك الحال. فقال الملك: وكيف ولم يره جميع الناس؟ قلت: لأن الناس لم يكونوا على أهبّة ووعدٍ لشقوقه وحضوره. فقال: وهذا القمر بينكم وبينه نسبة أو قرابة، لأي شيء لم تعرف الروم وغيرها من سائر الناس؟ وإنما رأيتموه أنتم خاصة، وقد علمتم أنه في السماء غير مختص بكم.

فقلت: فهذه المائدة¹ بينكم وبينها نسبة؟ وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس والبراهمة وأهل الإلحاد، وخاصة يونان جيرانكم، فإنهم كلهم منكرون لهذا الشأن، وأنتم رأيتموها دون غيركم. فتحيّر الملك، وقال في كلامه: سبحان الله².

-معجزة تكثير الطعام:

وردت في شأن هذه المعجزة روايات متعددة، سواء في كتب الحديث أو كتب السيرة النبوية، ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: حدّثنا خلاد بن يحيى حدّثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال: "أتيت جابرًا رضي الله عنه فقال: إنّنا يوم الخندق نحفر فعرضت كيدة شديدة، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذه كُدية عرضت في الخندق فقال:

¹ المقصود بها هي معجزة المائدة التي أنزلها الله تعالى من السماء على قوم المسيح عيسى عليه السلام؛ تأييدًا وتصديقًا له في رسالته.

² المناظرة العجيبة: وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم، جمعها ونسّقها: محمد بن عبد العزيز الخضير، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1: 1420 هـ - 2000 م، ص: 34 - 35

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

أنا نازل. ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقًا، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب في الكدية، فعاد كثيبًا أهيل أو أهيم. فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئًا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق، فذبحتُ العناق، وطحنتُ الشعير، حتى جعلنا اللحم بالبرمة، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجينُ قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرت له، فقال: كثير طيب، قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك، جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قال: هل سألوك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاعطوا، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم، ويُخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويُقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا، وبقي بقية، قال: كلي هذا واهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة¹.

وفي حديث آخر أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، قال "حدثني سلمة بن شبيب، حدثنا الحسن بن أعين، حدثنا معقل عن أبي الزبير، عن جابر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه، فأطعمه شطروسق² شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيئفهما، حتى كاله³، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو لم تكله * لأكلتم منه، ولقام لكم⁴".

¹ صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم الحديث: 4101

² ستون صاعاً.

³ حدد مقداره بواسطة آلة مُعدة لذلك.

* لو لم تحدد مقداره عن طريق الوزن.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن ميناء أنه حدث: أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت: دعيتني أمي عمرة بنت رواحة، فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بُنيّة، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغذاءهما، قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي وخالي، فقال: تعال يا بُنيّة، ما هذا معك؟ قالت: فقلت: يا رسول الله، هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغذيانه، قال: هاتيه، قالت: فصببته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه فتبدّد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق أن هلمّ إلى الغذاء، فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب².

وكل هذه الروايات السابقة تتفق على أن هذه المعجزة وقعت يوم حفر الخندق أي في الغزوة الشهيرة بالأحزاب، وهي من المعجزات الباهرة التي أكرم الله تعالى بها نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم، والتي تجلّت فيها بركات هذا النبي الكريم.

-معجزة الإسراء والمعراج:

وقعت معجزة الإسراء والمعراج وقد اختلف في تاريخ وقوعها، والمؤكد أنها وقعت قبل الهجرة في السنة العاشرة من بعثته أو بعدها، والصحيح الذي عليه جماهير العلماء أنهما³ وقعا

* دام وثبت لكم.

¹ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 2281

² ابن هشام، السيرة النبوية، م. س، ص ص: 454 - 455

³ الإسراء والمعراج.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية..... البشير أسعير
في ليلة واحدة يقظة بالجسد والروح، أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم
عُرِجَ به إلى السماوات العلى، ثم عاد إلى بيته في مكة تلك الليلة، وأخبر قريشًا بأمر المعجزة،
فهزئت وسخرت، وصدّقه أبو بكر وأقوياء المؤمنين¹.

وفي رواية للصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: "أَتَى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالبراق وهي الدابة التي كانت تُحْمَل عليها الأنبياء قبله؛ تضع حافرهما في منتهى
طرفها، فحُمِلَ عليهما، ثم خرج به صاحبه²، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى
بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفرٍ من الأنبياء قد جُمِعوا له فصلًى
بهم، ثم أَتَى بثلاثة آنية: إناء فيه لبن، وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء، قال: فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: (فسمعت قائلاً يقول حين عُرِضَتْ عليّ: إِنْ أَخَذَ الْمَاءَ غَرِقَ وَغَرِقَتْ أُمَّتُهُ، وَإِنْ
أَخَذَ الْخَمْرَ غَوَى وَغَوَتْ أُمَّتُهُ، وَإِنْ أَخَذَ اللَّبْنَ هُدِيَ وَهُدِيتْ أُمَّتُهُ) قال: (فأخذتُ إناء اللبن
فَشَرِبْتُ مِنْهُ، فقال لي جبريل عليه السلام: هُدِيتَ وَهُدِيتْ أُمَّتُكَ يا محمد)³."

وقد أخبر الله عن هذه المعجزة العظيمة في محكم تنزيله في قوله تبارك وتعالى: "سُبْحَنَ
الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ
لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"⁴، وقوله في آيات أخرى: "بَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ

¹ مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط8: 1405 هـ - 1985 م،
ص: 55

² يعني جبريل عليه السلام.

³ ابن هشام، السيرة النبوية، م. س، ص: 183

⁴ سورة الإسراء: 1

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْجَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْجَى مَا كَذَبَ
الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ
الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ -آيَاتِ رَبِّهِ
الْكُبْرَى¹."

تلكم إذن، كانت نماذج لمعجزات بعض الأنبياء والرسل عليهم السلام التي وردت تفاصيلها
في المصادر الإسلامية، والتي جاءت لتبرهن على صدقهم في تبليغ رسالة رب العالمين للناس.
وبذلك أكون قد انتهيت من دراسة ما يتعلق بقسم النبوات، لأنتقل إلى دراسة ما يتعلق
بالسمعيات عند المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية.

¹ سورة النجم: 6 - 18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

المبحث الثالث: قضايا السمعيات عند المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية: دراسة وتحليل

المطلب الأول: قضايا السمعيات¹ عند المدارس المسيحية

الفرع الأول: قضية الحشر

يبدو من خلال الاطلاع على الكتاب المقدس أن معنى الحشر اختلفت دلالاته، فتارة يقتصر معناه على المجال الدنيوي، وهذا ما تشير إليه نصوص العهد القديم، وتارة أخرى، يشير إلى الأحداث التي ستقع بعد الموت، وما يتصل بذلك من حساب وتحديد مصير الخلائق. وهذا ما تحدثت عنه نصوص العهد الجديد، ولذلك يتوجب علينا أولاً، تعريف مفهوم الحشر كما ورد في المصادر المسيحية.

1- تعريفه

جاء في دائرة المعارف الكتابية أن "الحشر هو الجمع والحشد، فيقول الرب لشعبه القديم على لسان حزقيال: (إِنِّي أَجْمَعُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَأَحْشُرُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي تَبَدَّدْتُمْ فِيهَا²) ، والكلمة العبرية هنا هي "أساف" وقد تُرجمت في سائر المواضع بكلمة "يجمع" ومشتقاتها³.

¹السمعيات أو الغيبيات، هي "كل ما لا سبيل إلى الإيمان به إلا عن طريق الخبر اليقيني" (محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص: 301) .

² سفر حزقيال 11: 17

³ أسفار أخبار الأيام الأول 4: 15، إرميا 9: 12، 4: 21، دانيال 10: 11، ميخا 12: 2، 6: 4 (دائرة المعارف الكتابية، ص: 96) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
غير أنه وباستقراء نصوص الكتاب المقدس والأدبيات المسيحية، لا نجد حضوراً بارزاً
لمفهوم "الحشر" بقدر ما نجد مفهوم "القيامة"، والمسيحيون لاسيما في كتاب العهد الجديد
يتحدثون عن قيامة السيد المسيح من بين الأموات، بل ويذهبون إلى حد منح سلطة البعث يوم
القيامة للمسيح بصفته ابناً لله كما يعتقدون.

فحينما يُطلق لفظ "القيامة" في الفكر اللاهوتي المسيحي، يُقصد به القيامة التي تتم
بواسطة المسيح، جاء في قانون الإيمان أو ما يسمى بالإيمان النيقاوي قولهم في شأن السيد
المسيح: "وقام في اليوم الثالث بحسب الكتب، وصعد إلى السماوات، وهو يجلس عن يمين
الأب"¹.

ويشير أحد الكُتّاب المسيحيين إلى هذا المعتقد بقوله: "إنَّ إيمانَ المسيحيين بالقيامة
والخلود والحياة الثانیة لا يستند إطلاقاً إلى القول بوجودِ نفسٍ خالدةٍ بذاتها، إنَّ وجودَ نفسٍ،
تموت أو لا تموت، ليس من المسيحية في شيء، ولئن كان للإنسان من قيامةٍ فإنَّها إنَّما تكونُ
بسببِ قيامةِ المسيح يسوع وعملِ الروح القدس، لا بسببِ وجودِ عنصرٍ عصيٍّ على الموت. هذا
يعني أنَّ قيامةَ الإنسان مرتبطةٌ إرتباطاً عضوياً وجوهرياً بقيامة يسوع المسيح: (وَإِذَا كَانَ رُوحُ
الذي أقام يسوع من بين الأمواتِ ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من بين الأموات، يُحيي أيضاً
أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم)².

¹ الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط1: 2001، ص: 57

² الرسالة إلى رومية 8: 11

³ جوزف قزي، بين المسيحية والإسلام، م. س، ص: 379

2- دلالات الحشر في المصادر المسيحية

هناك مجموعة من النصوص في الكتاب المقدس التي تلقي الضوء على فكرة قيامة الأموات، وتتوزع هذه النصوص بين العهد القديم والعهد الجديد.

أولاً: نصوص العهد القديم

عندما أعلن بطرس الرسول قيامة المسيح استشهد بهذا النص: "لِذَلِكَ فَرحَ قَلْبِي، وَابْتَهَجْتُ رُوحِي. جَسَدِي أَيْضًا يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا. لِأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا. تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شَبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نَعْمٌ إِلَى الْأَبَدِ"¹.

يقول مفسرو الكتاب المقدس: "كثيراً ما يعتبر هذا المزمور من ضمن المزامير التي تحققت في المسيح، لأنه يقتبس في العهد الجديد عند الإشارة إلى قيامة الرب يسوع المسيح، فبطرس وبولس كلاهما اقتبسا هذا المزمور وهما يتكلمان عن قيامة المسيح بالجسد"².

وفي السياق نفسه يرد نص آخر يقول: "تَحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ. اسْتَيْقِظُوا، تَرَنَّمُوا يَا سُكَّانَ التُّرَابِ. لَأَنَّ طَلَّكَ طَلُّ أَعْشَابٍ، وَالْأَرْضُ تُسْقِطُ الْأَخْيَلَةَ"³ وكأنه بذلك يشير إلى ولادة ثانية وخلق جديد⁴.

¹مزمور 16: 9-11

² التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، م. س، ص: 1149

³ سفر إشعياء 26: 19

⁴ المدخل إلى العقيدة المسيحية، مجموعة من المؤلفين، م. س، ص: 285

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وتتوالى نصوص أخرى تؤكد حقيقة القيامة، ومن ضمنها قوله: " أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ
وَلِيِّي حَيٌّ، وَالْآخِرَ عَلَى الْأَرْضِ يَقُومُ، وَبَعْدَ أَنْ يُفَنِّي جِلْدِي هَذَا، وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللَّهَ. الَّذِي أَرَاهُ
أَنَا لِنَفْسِي، وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرُ. إِلَى ذَلِكَ تَتَوَقَّعُ كُلُّيْتَايَ فِي جَوْفِي"¹.

بالإضافة إلى ذلك، نقرأ في نبوءة حزقيال قوله: "كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ
وَأَنْزَلَنِي فِي وَسْطِ الْبُقْعَةِ وَهِيَ مَلَانَةُ عِظَامًا، وَأَمَرَنِي عَلَيْهَا مِنْ حَوْلِهَا وَإِذَا هِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا عَلَى وَجْهِ
الْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ جِدًّا. فَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هَذِهِ الْعِظَامُ؟» فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدُ الرَّبِّ
أَنْتَ تَعْلَمُ». فَقَالَ لِي: «تَنْبَأْ عَلَى هَذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَتَيْتُهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةَ، أَسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ:
هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهَذِهِ الْعِظَامِ: هَآنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ. وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا
وَأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا، فَتَحْيَوْنَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ». فَتَنْبَأْتُ كَمَا أُمِرْتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَنْبَأُ كَانَ صَوْتُ، وَإِذَا رَعَشٌ، فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ.
وَنَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وَبُسِطَ الْجِلْدُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ. فَقَالَ لِي:
«تَنْبَأْ لِلرُّوحِ، تَنْبَأْ يَا ابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِلرُّوحِ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلَمْ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ
وَهُبَّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَتْلَى لِيَحْيُوا». فَتَنْبَأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمُ الرُّوحُ، فَحَيُّوا وَقَامُوا عَلَى
أَقْدَامِهِمْ جِيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا. ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، هَذِهِ الْعِظَامُ هِيَ كُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. هَا
هُمْ يَقُولُونَ: يَبَسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدْ انْقَطَعْنَا. لِذَلِكَ تَنْبَأْ وَقُلْ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ
الرَّبُّ: هَآنَذَا أَفْتَحُ قُبُورَكُمْ وَأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا سَعْيِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ.

¹ سفر أيوب 19: 25-27

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي. وَأَجْعَلُ رُوحِي
فِيكُمْ فَتَحْيَوْنَ، وَأَجْعَلُكُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَأَفْعَلُ، يَقُولُ الرَّبُّ¹.

وتسبق القيامة إرهابات وعلامات تندرج ضمن ما يسمى بمقدمات البعث في المعتقد
المسيحي، وكلها تفيد مجيء المسيح الذي يتولى مهمة جمع الناس للحساب، وقد ذكرها إنجيل
متى، وجاء فيها: "وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضَيْقٍ تِلْكَ الْأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ
تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَزْزَعُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ.
وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ
كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ يَبُوقُ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ
السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا"².

ومما سبق، يتضح أن قيامة الأموات –حسب الإيمان المسيحي- تكون باسم يسوع المسيح،
وتحت لوائه، فهو الذي ينادي فيهم بصوته للقيامة، ويجعل فيهم الروح، وهذه الأعمال التي
يقوم بها المسيح تدل دلالة قوية على ألوهيته.

ثانيًا: نصوص العهد الجديد

يقول المسيح نفسه كلامًا يؤكد فيه رجاء القيامة، جاء فيه: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ
تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ. لَأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْآبَ
لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذَلِكَ أَعْطَى ابْنُ الْآبِ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، وَأَعْطَاهُ سُلْطَانًا أَنْ يَدِينَ
أَيْضًا، لَأَنَّهُ ابْنُ الْإِنْسَانِ. لَا تَتَعَجَّبُوا مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ

¹ سفر حزقيال 37: 14-1

² إنجيل متى 24: 29-31

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
صَوْتُهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ
الدَّيْنُونَةِ¹."

ويقول الرسول بولس مخاطباً جموع تسالونيكي: "ثُمَّ لَا أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ
الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لَا رَجَاءَ لَهُمْ. لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ،
فَكَذَلِكَ الرَّاqِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللَّهُ أَيْضًا مَعَهُ. فَإِنَّا نَقُولُ لَكُمْ هَذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ: إِنَّنَا
نَحْنُ الْأَحْيَاءُ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ، لَا نَسْبِقُ الرَّاqِدِينَ. لِأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ يَهْتَفِ، بِصَوْتِ رَئِيسِ
مَلَائِكَةٍ وَبُوقِ اللَّهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلًا. ثُمَّ نَحْنُ الْأَحْيَاءُ
الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السَّحَابِ لِلْمَلَاqَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ
الرَّبِّ. لِذَلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْكَلَامِ²."

ويعتقد المسيحيون أنه "عندما ينزل الرب³ من السماء سيقوم الأموات في المسيح أولاً⁴، لأن
يسوع (هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ⁵) ، ومن آمن به (وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا⁶) ، وكل من يؤمن لن يموت إلى
الأبد⁷."

¹ إنجيل يوحنا 5: 25-29

² رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي 4: 13-18

³ الرب هنا هو يسوع المسيح.

⁴ رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي 4: 16

⁵ إنجيل يوحنا 11: 25

⁶ إنجيل يوحنا: الإصحاح نفسه والفقرة نفسها.

⁷ هنري ثيسن، محاضرات في علم اللاهوت النظامي، م. س، ص: 592

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
فهذه النصوص السابقة تؤكد حقيقة قيامة الأموات بالأجساد، ووقوفهم بين يدي الرب،
كما تؤثر على ارتباط هذه القيامة بقيامة المسيح الذي سيكون على يده الخلاص الأبدي حسب
ما يعتقده المسيحيون.

3- ثنائية الحشر بالأرواح والأجساد

انطلاقاً من النصوص السابقة، يظهر أن الحشر أو المعاد حسب المعتقد المسيحي، لا يكون
بالأرواح فحسب، بل بالأجساد أيضاً، حيث لا يُتصور إنسان بلا جسد، وهذا ما عبّر عنه بطرس
الرسول عند حديثه عن قيامة المسيح قائلاً: "لِذَلِكَ سُرَّ قَلْبِي وَتَهَلَّلَ لِسَانِي. حَتَّى جَسَدِي أَيْضًا
سَيَسْكُنُ عَلَى رَجَاءٍ. لِأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلَا تَدَعِ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا. عَرَفْتَنِي سُبُلَ
الْحَيَاةِ وَسَتَمْلَأُنِي سُرُورًا مَعَ وَجْهِكَ"¹.

بطرس إذا يترجى القيامة، قيامة الأجساد بالفعل، وليس نوعاً من قيامة الأرواح فقط،
كما كانت تُعلّم بعض المدارس الفلسفية².

ويقول القديس يوحنا الدمشقي: "وبقولنا قيامة نعني قيامة الأجساد، لأن القيامة قيام
ثان لما قد سقط، وإلا كيف تقوم النفوس وهي خالدة؟ ولما كان تحديد الموت انفصال النفس
عن الجسد، فإن القيامة تكون حتمًا جمع النفس والجسد مجددًا وقيامًا ثانيًا للحي المحلول
والساقط"³.

¹ سفر أعمال الرسل 2: 26-28

² مدخل إلى العقيدة المسيحية، مجموعة من المؤلفين، م. س، ص: 285

³ يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، م. س، ص: 275

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

إن النظرة المسيحية للكائن البشري تركز على الوحدة بين الروح والجسد، غير أنه بمجرد حلول الموت تتعرض هذه الوحدة للانقسام، وفي هذا الصدد يقول مؤلفو كتاب (مدخل إلى العقيدة المسيحية): " لا شك أن الجسد والروح سينفصلان، وهذا الانفصال انفصال مؤقت ما دام المسيحيون يترجون قيامة الجسد، وفي القيامة سيعود الاتحاد مرة أخرى، ليس الجسد قبرًا ولا سجنًا، بل قسم جوهري من الإنسان"¹.

والقيامة المسيحية هي قيامتان، واحدة دنيوية والثانية أخروية، وفي هذا الإطار تقول المصادر المسيحية "إن القيامة الأولى تعني قيامة روحية مع المسيح، وأن القيامة الثانية تعني قيامة حرفية من القبر"²، وهذا ما يعكسه النص الإنجيلي: "لَا تَتَعَجَّبُوا مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيمَا يَسْمَعُ الْجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ"³.

وتعتقد بعض الطوائف داخل المدرسة البروتستانتية اعتقادات متباينة بخصوص هذا الموضوع، ففي المجيء الثاني والقيامة "تؤمن كنيسة الله ونهضة القداسة بأن السيد المسيح سيأتي مرة واحدة، بينما يؤمن البلامي⁴ والمعمدانيون بأن هناك مجيئان للسيد المسيح وأن هناك قيامتان"¹.

¹ المصدر نفسه، ص: 295

² هنري ثيسن، محاضرات في اللاهوت النظامي، م. س، ص: 593

³ إنجيل يوحنا 5: 28-29

⁴ فرقة من البروتستانت "مؤسسها هو نلسون داربي الذي ولد سنة 1800م في مدينة لندن وقد تلقى داربي دراسته التجهيزية في مدرسة وستمنستر بلندن ثم التحق بكلية ترينيتي "الثالوث المقدس" بدبلن في إيرلندا وأطلق عليهم الإخوة البلامي^ث نسبة إلى بلده بليموث التي ظهرت فيها الطائفة" (ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ص ص: 206-207).

4- حقيقة خلود الأرواح

تعتقد المدارس اللاهوتية المسيحية بخلود أرواح الموتى يوم القيامة، وأنها غير معرضة للفناء عكس الأجساد التي تتلاشى بمجرد الموت، جاء في النص الإنجيلي: "فَمَاتَ الْمُسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ، فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي".²

وجاء في نص آخر: "وَأَمَّا مَنْ جِئَتْ قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ، أَفَمَا قَرَأْتُمْ مَا قِيلَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ الْقَائِلِ: أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ؟ لَيْسَ اللَّهُ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ".³

وبهذا القول، أثبت أن الذين ماتوا في هذا العالم إنما هم أحياء في عالم آخر، لأن الله ليس إله مجرد تراب ورماد، بل إله أرواح حية خالدة⁴، يؤكد هذا، ما جاء في التعاليم الكاثوليكية: "إن الحياة لا تنتهي بموت الجسد، بل النفس تترك الجسد، وتصعد إلى السماء أو المَطْهَر"⁵، وهو اعتقاد تميزت به المدرسة الكاثوليكية دون بقية المدارس المسيحية.

¹ ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، م. س، ص: 155

² إنجيل لوقا 16: 22 - 24

³ إنجيل متى 22: 31 - 32

⁴ ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج2، م. س، ص: 126

*المَطْهَر Purgatory مرحلة ومكان بين الجنة والنار يُعَذَّبُ فيه لفترة محدودة بعض المستحقين للعذاب من الذين لم تصل نفوسهم إلى درجة النقاء الكامل، لأجل أن تتطهر نفوسهم، ثم يسمح لهم بعد ذلك بدخول الملكوت (أي الجنة)، وهي عقيدة اختصت بها الكنيسة الكاثوليكية فقط انطلاقاً-كما نقول- من إيمانها العميق برحمة الله البالغة وشفقته الشاملة بالخلق فكان المطهر حتى لا يبقى الكثيرون ممن استحقوا العذاب في العذاب الأبدي إلى ما لا نهاية (جون سميث، أديان العالم: دراسة روحية تحليلية ممتعة لأديان العالم الكبرى توضح فلسفة تعاليمها وجواهر حكماتها، ص: 446) .

⁵ سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص: 73

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والذين نالوا الشهادة في سبيل كلمة الرب يخلدون في الآخرة، قال صاحب الرؤيا: "وَلَمَّا فَتَحَ
الْخَتَمَ الْخَامِسَ، رَأَيْتُ تَحْتَ الْمَذْبَحِ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ
الَّتِي كَانَتْ عَنْدهُمْ"¹.

خلاصة:

من خلال ما سبق، يمكن القول إن المعتقد المسيحي يتبنى فكرة قيامة الأجساد والأرواح
معاً بعد انفصالهما بالموت، وأن قيامة الأموات مشروطة بقيامتهم في المسيح، أي إيمانهم
بالمسيح كمخلص، ونفهم من هذا أيضاً، أن القيامة الروحية هي المعتبرة عند المسيحيين،
بخلاف قيامة الجسد التي ينظرون إليها على أنها قيامة عامة يشترك فيها الأشرار مع الصالحين،
وهذا الاعتقاد ينبني على فكرة خلود الأرواح عكس الأجساد التي تتلاشى وتندثر بالموت ومفارقة
للأرواح.

وقيامة الموتى وجمع الخلائق يوم القيامة تأتي بعدها مرحلة الحساب أو ما يسمى
بالدينونة، فما هو مفهوم الحساب عند المسيحيين؟

¹ رؤيا يوحنا اللاهوتي 6: 9

الفرع الثاني: قضية الحساب

في البداية، لا بد من الإشارة إلى أن تجليات الحساب أو المجازاة على الأعمال في العهد القديم تختلف معانيها عما هو موجود في العهد الجديد، وسأحاول إبراز ذلك من خلال جملة من النصوص في الكتاب المقدس.

وفي هذا الإطار يمكن القول "إن الإنسان الذي يعبد يهوه خالقه ومخلصه ويحبه، ينتظر منه أيضًا أجره ومكافأته، فالإنسان لا يجد سعادته وكماله إلا في خدمة يهوه والأمانة لشريعته" **"لأنَّهُ هُوَ ذَا الْبُعْدَاءِ عَنْكَ يَبِيدُونَ. تَهْلِكُ كُلُّ مَنْ يَزْنِي عَنْكَ. أَمَّا أَنَا فَالاقْتِرَابُ إِلَى اللَّهِ حَسَنٌ لِي. جَعَلْتُ بِالسَّيِّدِ الرَّبِّ مَلْجَأِي، لِأُخْبِرَ بِكُلِّ صَنَائِعِكَ"**¹، يشعر الإنسان تجاه الله بأنه الفقير والمستعطي والخادم الذي لا يملك إلا ما يمنحه إياه سيده يومًا بعد يوم، ويبدو الأجر، لا كآية غاية الحياة الدينية، بل كآية الثمرة الطبيعية لخدمة الله، ولذا يبدأ تاريخ الخلاص بوعد الله لإبراهيم بأجر: **"لَا تَخَفْ يَا أَبْرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جَدًّا"**².

فالديان حسب العهد القديم هو "يهوه" إله اليهود، وهو من سيتولى حساب عبيده في اليوم الآخر، لكن ما دام الأمر يرتبط بنصوص الكتاب المقدس، فإننا نتساءل، هل الديان في العهد الجديد بقي كما هو منصوص عليه في العهد القديم؟ أم طرأ عليه تغيير؟ ثم ما هي أبرز ملامح الحساب أو الجزاء الأخروي عند المسيحيين؟

¹ مزمو 27: 28 - 27

² سفر التكوين 15: 1

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
يؤمن المسيحيون بشئى مدارسهم بيوم الحساب أو يوم الدينونة كما يطلقون عليه، غير
أنه بعد البحث في هذا الموضوع، نجد أن مفهوم الحساب يأخذ دلالات مختلفة، لذلك لا بد من
تحديد هذا المفهوم من خلال الرجوع إلى القواميس والمراجع المسيحية.

1- تعريفه

يطلق المسيحيون على اليوم الذي سيقف فيه الناس للحساب يوم "الدينونة"، وهذه
الكلمة تعني "حكم الله على الناس بحسب أعمالهم"¹ والحساب والدينونة الأخيران يأتیان في
الحال إثر القيامة العامة²، والحساب -كما يعتقد المسيحيون- له صور محددة حسب ما نص
عليه الكتاب المقدس.

2- صور الحساب

للحساب أو الدينونة في العقيدة المسيحية صور مختلفة، منها:

1- جمع المسيح لشعوب العالم والتميز بين الأبرار والأشرار:

ورد في النص الإنجيلي: «ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلَاعِينُ إِلَى النَّارِ
الْأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لِلْإِبْلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ، لِأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَلَمْ
تَأْوُونِي. عُرْيَانًا فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضًا وَمَحْبُوسًا فَلَمْ تَزُورُونِي. حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضًا قَائِلِينَ:
يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا أَوْ عَطِشَانًا أَوْ غَرِيبًا أَوْ عُرْيَانًا أَوْ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا وَلَمْ نَخْدِمَكَ؟

¹ قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 19

² إلياس مقار، إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى، م. س، ص: 308

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
فَيَجِيبُهُمْ قَائِلًا: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنْتُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدٍ هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ، فِي لَمْ تَفْعَلُوا.
فَيَمُضِي هَؤُلَاءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالْأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ¹».

فمن خلال هذا النص، يظهر أن المسيح هو من يجمع الناس يوم الحشر، وهو من يحاسبهم ويقرر مصيرهم، وهذا ما سأناقشه في حينه عندما سأحدث عن المكلف بالحساب في التصور المسيحي.

2- نشر الصحف أو سجلات الأعمال:

جاء في رؤيا يوحنا: "ثُمَّ رَأَيْتُ عَرْشًا عَظِيمًا أَبْيَضَ، وَالْجَالِسَ عَلَيْهِ، الَّذِي مِنْ وَجْهِهِ هَرَبَتْ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَلَمْ يُوجَدْ لَهُمَا مَوْضِعٌ. وَرَأَيْتُ الْأَمْوَاتَ صِغَارًا وَكِبَارًا وَقَافِينَ أَمَامَ اللَّهِ، وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ، وَانْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرُ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينَ الْأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ. وَسَلَّمَتِ الْبَحْرُ الْأَمْوَاتُ الَّذِينَ فِيهِ، وَسَلَّمَتِ الْمَوْتُ وَالْهَيَاةُ الْأَمْوَاتُ الَّذِينَ فِيهِمَا. وَدِينُوا كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ. وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَيَاةُ فِي بُحِيرَةِ النَّارِ. هَذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي. وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحِيرَةِ النَّارِ"².

ومن هنا أخلص إلى "أن لكل إنسان -في عقيدتهم- سفر يحتوي على سجل كامل بأعماله يواجهه الرب به الإنسان الذي ينكر سيئاته، وأنه يوجد سفر آخر هو سفر الحياة وهو يحتوي

¹ إنجيل متى 25: 41-46

² رؤيا يوحنا 20: 11-15

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
على أسماء الذين تابوا عن خطاياهم وآمنوا بالمسيح، وأن المدانين الذين لم توجد أسماءهم
مكتوبة في سفر الحياة سيطرحون في بحيرة النار¹.

3-محاسبة الناس جميعًا بشكل فردي ودقيق:

جاء في النص الإنجيلي: "وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطَوْنَ
عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. لِأَنَّكَ بِكَلَامِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلَامِكَ تُدَانُ"².

هذا يعني أن الناس جميعًا سيقفون يوم القيامة فرادى، وسيخضعون لحساب دقيق على
كل كلمة تكلموا بها.

4-الحساب سيكون على أرض أخرى بعد تغير معالم الكون:

جاء في النص: "ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لِأَنَّ السَّمَاءَ الْأُولَى وَالْأَرْضَ الْأُولَى
مَضَتْ، وَالْبَحْرُ لَا يَوْجَدُ فِي مَا بَعْدُ"³، ومن الضروري أن نعي أنه لا يقصد أن المدينة السماوية
ستكون في مثل مادية المدن الأرضية الحالية، لكن هذه هي طريقته لإبراز القيمة العظيمة جدًا
لما أعده الرب من أجل شعبه⁴.

¹ يسر محمد سعيد مبيض، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، دار الثقافة، الدوحة، ط1: 1412هـ -
1992م، ص: 69

² إنجيل متى 12: 36 - 37

³ رؤيا يوحنا اللاهوتي 21: 1

⁴ ليون موريس، التفسير الحديث للكتاب المقدس: العهد الجديد، سفر الرؤيا، نقله إلى العربية: شوقي غطاس، دار
الثقافة، القاهرة، ط1، ص: 259

4- المكلف بالحساب

يعتقد المسيحيون أن الديان أو الذي سيتولى محاسبة الناس يوم القيامة سيكون هو يسوع المسيح، وقد وردت فقرة سابقة من كتاب العهد الجديد؛ يفهم منها تولي المسيح لهذه المهمة، جاء فيها "وَمَتَّى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارِكِي أَبِي، رَثُوا الْمُلْكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ"¹.

وجاء في نصوص أخرى، منها قوله: "لَأَنَّ الْآبَ لَا يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أُعْطِيَ كُلُّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ"²، وقوله: "لأنه أقام يومًا هو فيه مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمُسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيْمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ"³.

إلا أنه بعد البحث والدراسة لنصوص الكتاب المقدس، يتبين أن هناك تناقض واضح في المعتقد المسيحي فيما يخص ماهية الديان، فتارة نجدهم يقولون إن الديان هو يسوع المسيح، وتارة أخرى يقولون إن الديان الحقيقي هو الله تعالى.

جاء في النص أن "الله دَيَّانِ الْجَمِيعِ"⁴ وفي نص آخر: "فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ"¹، ونجد المسيح يعترف أنه لا يدين أحدًا، وهذا ما جاء في قوله: "أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ

¹ إنجيل متى 25: 31-34

² إنجيل يوحنا 5: 22

³ أعمال الرسل 17: 31

⁴ الرسالة إلى العبرانيين 12: 23

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيُّنُونَتِي عَادِلَةٌ، لِأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي
أَرْسَلَنِي"²، لكن في موضع آخر من الكتاب المقدس يعتقدون أن الله الآب سيتم عمله هذا
بيسوع المسيح، "لأنَّهُ ابْنُ الْإِنْسَانِ"³، ويؤكد هذا؛ ما ورد في قانون الإيمان المسيحي الذي تَضَمَّنَ
أحد المهام التي سيقوم بها يسوع المسيح (الابن) حسب اعتقادهم فيه، وهي محاسبة الناس يوم
القيامة. يقول قانون الإيمان في شأن يسوع المسيح: "وصعد إلى السماء، وهو جالس عن يمين
الله الآب الضابط الكل، وسيأتي⁴ من هنالك ليدين الأحياء والأموات"⁵.

5- أصناف الناس عند الحساب

يعتقد المسيحيون أن البشر سينقسمون إلى عدة أصناف عند الحساب، وفي هذا الصدد
يقول أحد القديسين: "إن البشر في القيامة على أربعة أقسام، وتُدعى هذه الأقسام (طبقات
القائمين في ذلك اليوم من الأبرار والأشرار)، فالطبقة الأولى: طبقة الذين يدينون ولا يُدانون،
والطبقة الثانية: طبقة الذين يُدانون ويخلصون، والطبقة الثالثة: الذين يُدانون ويهلكون،
والطبقة الرابعة: طبقة الذين لا يُدانون ويهلكون، فالطبقة الأولى هم كبار القديسين كالرسل،
والثانية هم الذين غسلوا ثيابهم التي تدنست بالخطايا، فأصلحوا فساد أعمالهم بأفعالهم
الصالحة، ولاسيما أعمال الرحمة، فظفروا برحمة الديان، والثالثة هم المؤمنون الخطاة الذين
دنسوا قداسة إيمانهم برجاسة أفعالهم، أولئك الذين يقرون بأنهم يعرفون الله، وهم بمقتضى

¹ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 2: 16

² إنجيل يوحنا 5: 30

³ إنجيل يوحنا 5: 27

⁴ نقرأ في نسخة قانون الإيمان القسطنطيني عبارة "أت ثانية في المجد" (أحمد طه، قانون الإيمان المسيحي: دراسة نقدية، ص: 14) .

⁵ يُنظر: مارتن لوثر، أصول التعليم المسيحي، م. س، ص: 93، والكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، م. س، ص: 18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أعمالهم به كافرون، وأصحاب الطبقة الرابعة هم الذين لم يؤمنوا كالوثنيين، فهؤلاء لا
يحتاجون إلى دينونة وحساب¹.

ويُصنّف صاحب كتاب (محاضرات في علم اللاهوت النظامي) المُدانين يوم القيامة إلى
سبعة أصناف:

1-دينونة المؤمنين:

عندما يأتي الرب²، سيدين المؤمنين على أعمالهم، ويدل على ذلك قوله: "وَأَمَّا أَنْتَ، فَلِمَ أَذًا
تَدِينُ أَخَاكَ؟ أَوْ أَنْتَ أَيْضًا، لِمَ أَذًا تَزْدَرِي بِأَخِيكَ؟ لَأَنَّنَا جَمِيعًا سَوْفَ نَقِفُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ"³،
وقوله: "لَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهِرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَبْلُغَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ
مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا"⁴، وسيعطى كل واحد حسابًا على ما أوْتَمَنَ عليه من وزنات⁵ وهذا ما
يؤكدُه هذا النص: "وَكَاَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ دَعَا عَبِيدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ، فَأَعْطَى وَاحِدًا خَمْسَ
وَزَنَاتٍ، وَآخَرَ وَزْنَتَيْنِ، وَآخَرَ وَزْنَةً. كُلٌّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ. وَسَافَرَ لِلْوَقْتِ. فَمَضَى الَّذِي أَخَذَ
الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَتَاجَرَ بِهَا، فَرَبِحَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ. وَهَكَذَا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ، رَبِحَ أَيْضًا وَزْنَتَيْنِ
أُخَرَيْنِ. وَأَمَّا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَ فَمَضَى وَحَفَرَ فِي الْأَرْضِ وَأَخْفَى فِضَّةَ سَيِّدِهِ. وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى
سَيِّدُ أُولَئِكَ الْعَبِيدِ وَحَاسَبَهُمْ. فَجَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَقَدَّمَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ قَائِلًا: يَا

¹ فرج أبو عطا الله، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء، المنصورة (مصر)، ط1: 1991م،

ص ص: 194 - 195

² الرب هو يسوع المسيح حسب الاعتقاد المسيحي.

³ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 14: 10

⁴ رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس 5: 10

⁵ هنري ثيسن، محاضرات في علم اللاهوت النظامي، م. س، ص: 661

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

سَيِّدُ، خَمْسَ وَزَنَاتٍ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا خَمْسُ وَزَنَاتٍ أُخْرِجْتُهَا فَوْقَهَا. فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَهْيَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالْأَمِينُ، كُنْتُ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأَقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. أُدْخِلْ إِلَى فَرْحِ سَيِّدِكَ. ثُمَّ جَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْوَزَنَتَيْنِ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، وَزَنَتَيْنِ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا وَزَنَتَانِ أُخْرِجَتَانِ رِجْهُمَا فَوْقَهُمَا. قَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَهْيَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْأَمِينُ، كُنْتُ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأَقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. أُدْخِلْ إِلَى فَرْحِ سَيِّدِكَ. ثُمَّ جَاءَ أَيْضًا الَّذِي أَخَذَ الْوَزَنَةَ الْوَاحِدَةَ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ، وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ. فَخِفْتُ وَمَضَيْتُ وَأَخْفَيْتُ وَزَنَتَكَ فِي الْأَرْضِ. هُوَذَا الَّذِي لَكَ. فَأَجَابَ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَهْيَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ وَالْكَسَلَانُ، عَرَفْتُ أَنِّي أَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ أَزْرَعْ، وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَّارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ أَخْذُ الَّذِي لِي مَعَ رَبِّا. فَخُذُوا مِنْهُ الْوَزَنَةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي لَهُ الْعَشْرُ وَزَنَاتٍ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزْدَادُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ. وَالْعَبْدُ الْبَطَالُ اطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ¹.

2- دينونة إسرائيل:

سيكون يوم شديد على إسرائيل ولكنه سينجو منه، كما جاء في النص: "أه! لَأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ وَلَيْسَ مِثْلُهُ. وَهُوَ وَقْتُ ضِيقٍ عَلَى يَعْقُوبَ، وَلَكِنَّهُ سَيُخَلَّصُ مِنْهُ"²، وستكون في تلك الفترة اضطهادات لإسرائيل، كما جاء في النص: "وَبَعْدَ هَذَا رَأَيْتُ أَرْبَعَةَ مَلَائِكَةٍ وَقِفِينَ عَلَى أَرْبَعِ زَوَايَا الْأَرْضِ، مُمَسِّكِينَ أَرْبَعَ رِيَّاحِ الْأَرْضِ لِكَيْ لَا تَهْبَّ رِيحٌ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا عَلَى الْبَحْرِ، وَلَا عَلَى شَجَرَةٍ مَا. وَرَأَيْتُ مَلَكَآ آخَرَ طَالِعًا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ مَعَهُ خَتَمُ اللَّهِ الْحَيِّ، فَنادَى بِصَوْتٍ عَظِيمٍ

¹ إنجيل متى 25: 14-30

² سفر إرميا 30: 7

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْأَرْبَعَةِ، الَّذِينَ أُعْطُوا أَنْ يَضْرَبُوا الْأَرْضَ وَالْبَحْرَ، قَائِلًا: لَا تَضْرَبُوا الْأَرْضَ وَلَا الْبَحْرَ وَلَا الْأَشْجَارَ، حَتَّى نَخْتِمَ عِبِيدَ إِلَهِنَا عَلَى جِبَاهِهِمْ». وَسَمِعْتُ عِدَدَ الْمُخْتُومِينَ مِئَةً وَأَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا، مُخْتُومِينَ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ، مِنْ سِبْطِ رَأُوبَيْنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ، مِنْ سِبْطِ جَادَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ، مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ، مِنْ سِبْطِ نَفْتَالِي اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ، مِنْ سِبْطِ مَنَسَّى اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ، مِنْ سِبْطِ شَمْعُونَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ، مِنْ سِبْطِ لَويَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ، مِنْ سِبْطِ يَسَاكَرَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ، مِنْ سِبْطِ زَبُولُونَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ، مِنْ سِبْطِ يُوْسُفَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ، مِنْ سِبْطِ بَنِيَامِينَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ¹.

3-دينونة بابل:

يصور لنا سفر الرؤيا النظام الديني الاتحادي الفدرالي في صورة امرأة، جاء في الفقرة: "ثُمَّ جَاءَ وَاحِدٌ مِنَ السَّبْعَةِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مَعَهُمُ السَّبْعَةُ الْجَامَاتُ وَتَكَلَّمَ مَعِيَ قَائِلًا لِي: هَلُمَّ فَأُرِيكَ دَيْنُونَةَ الزَّانِيَةِ الْعَظِيمَةِ الْجَالِسَةِ عَلَى الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ"²، وفي فقرة أخرى: "وَحَرَ الْأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا وَالْأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتِ وَسَجَدُوا لِلَّهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ قَائِلِينَ: آمِينَ! هَلِّلُوبَا"³، فالمرأة في البداية تجلس على الوحش وتركب عليه، مما يبين أن النظام الكنسي سيسود لفترة على النظام السياسي، أما العشرة قرون (العشرة ملوك) فيعودون لينقلبوا على المرأة ويكرهونها ويصبرونها خربة ومهجورة ويدمرونها، ثم يتقدم الوحش إلى مكان الصدارة في السلطة الدينية، ويبدو أن هناك تحالفًا معينًا بين الاتحاد الديني والاتحاد التجاري، فعندما تهدم بابل -كنظام ديني-

¹ رؤيا يوحنا اللاهوتي 7: 1-8

² رؤيا يوحنا اللاهوتي 17: 1

³ رؤيا يوحنا اللاهوتي 19: 4

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
سترفع رأسها في تنظيم تجاري عالمي عظيم، لكن غناها قصير الأمد، فسيدينها الرب الإله يومًا ما
ويخربها تمامًا، فينوح على خرابها جميع تجار الأرض، أما سكان الأرض فيفرحون عندما تطرح
ومنشدين بصوت عظيم "هَلِّلُوهَا" وتتم دينونة بابل قبل مجيء الرب إلى الأرض¹ وتدوم دينونتها
كعقاب أبدي².

4- دينونة الوحش والنبي الكذاب وكل قواتهما:

قرب نهاية الضيقة ستذهب الأرواح الشريرة الخارجة من فم التين ومن فم النبي الكذاب
ومن فم الوحش، لتجمع كل أمم الأرض لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله³ فهم يتجمعون بزعم
أن يأخذوا أورشليم واليهود في فلسطين⁴ ولكن ما أن يصبح النصر أكيدًا ينزل المسيح بجيوشه
من السماء⁵ متدخلًا لصالح إسرائيل، فتقلب هذه القوات لقتال ابن الله، لكنه صراع قصير
وحاسم، حيث يؤخذ الوحش والنبي الكذاب ويطرحان أحياء في بحيرة النار⁶ وتُقتل كل قواتهما
بالسيف الخارج من فم المسيح⁷. وهكذا تنكسر المقاومة السياسية وينفتح الطريق إلى الدخول
في مملكة المسيح⁸.

* عبارة عبرانية معناها (سَبَّحُوا يَهُوه)، عبارة للتسبيح والتمجيد وحمد الرب (قاموس الكتاب المقدس، ص: 669).

¹ رؤيا يوحنا اللاهوتي 1: 19 - 4 و 11 - 21

² رؤيا يوحنا اللاهوتي 19: 19 - 21

³ رؤيا يوحنا اللاهوتي 12: 16 - 16

⁴ سفر زكريا 1: 12 - 9، 8: 13 إلى 2: 14

⁵ رؤيا يوحنا اللاهوتي 11: 19 - 16

⁶ رؤيا يوحنا اللاهوتي 19: 19 و 20

⁷ رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكي 7: 1 - 10 و 8: 2 ورؤيا يوحنا اللاهوتي 19: 21

⁸ هنري ثيسن، محاضرات في علم اللاهوت النظامي، م. س، ص: 663

5-دينونة الأمم:

لا بد أن نفرق بين دينونة الأمم التي عولجت في عدة مواضع¹ وبين الدينونة أمام العرش العظيم الأبيض، حيث أن دينونة الأمم تسبق الألف سنة، كما يجب أن نميز بين دينونة الأمم وبين دينونة الوحش والنبي الكذاب وقواتهما، فالأمم ترسل القوات والجيش لكنها تختلف عنها، فبعد أن ينتهي المسيح من قوات الوحش والنبي الكذاب سيجمع الأمم ليدينها، مميّزًا الخراف عن الجداء، فيذهب الخراف إلى الملكوت، والجداء إلى العذاب الأبدي².

6-دينونة الشيطان وملائكته:

ويشير صاحب الكتاب المذكور³ أن تجليات هذه الدينونة أنه "سيُطرح الشيطان خلال الضيقة إلى الأرض⁴ وعندما يأتي المسيح إلى الأرض، يُقَيّد الشيطان ويُطرح في الهاوية لمدة ألف سنة⁵ وبعد ذلك بعد الألف سنة لابد أن يحل زمانًا يسيرًا ويخرج الشيطان "ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض" ليجمعهم للحرب "ضد معسكر القديسين والمدينة المحبوبة"⁶، ولكن تنزل نار من عند الله وتأكلهم جميعًا، وسيقومون بلا شك-للدنونة بعد ذلك بقليل- أمام العرش العظيم

¹ سفر يوثيل 11: 3 - 17، إنجيل متى 31: 25 - 46، رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكي 7: 1 - 10

² هنري ثيسن، محاضرات في علم اللاهوت النظامي، م. س، ص: 664

³ المرجع نفسه، ص ص: 664 - 665

⁴ رؤيا يوحنا اللاهوتي 7: 12 - 9 و 12

⁵ رؤيا يوحنا اللاهوتي 1: 20 - 3

⁶ رؤيا يوحنا اللاهوتي 7: 20 - 9

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير الأبيض، ويُطرحون في بحيرة النار مع بقية الذين لم يخلصوا، وبعد ذلك يُدان الشيطان نفسه ويُطرح في بحيرة النار¹ وربما يُدان الملائكة الساقطون أيضًا في هذا الوقت² لأن النار الأبدية مُعدّة "لإبليس وملائكته"³، ولعل هذا هو الوقت الذي يُرسلون فيه إلى مصيرهم البائس⁴.

7-دينونة الأموات الذين لم يخلصوا:

تتم هذه الدينونة بعد الألف سنة⁵ فعند نهاية الألف سنة تحدث القيامة الثانية⁶ وينادي بالبركة على من اشتركوا في القيامة الأولى، لكن ليس على من يقومون في القيامة الثانية، فمن المفهوم أن نصيبهم ليس مبهجًا فهم الذين لم يخلصوا في كل التاريخ السابق، وسيقومون ويظهرون أمام العرش العظيم الأبيض، وتضم هذه المجموعة الغني والشحاذ، الحر والعبد، الملك والرعايا، المثقفين والجهال، المالك والأجير، فجميعهم يقفون على السواء مذنبين أمام الديان⁷.

¹ رؤيا يوحنا اللاهوتي 9: 20 و 10

² رسالة بطرس الرسول الثانية 4: 2

³ إنجيل متى 25: 41

⁴ إنجيل متى 29: 8، إنجيل لوقا 31: 8

⁵ رؤيا يوحنا اللاهوتي 11: 20 – 15، 8: 21

⁶ رؤيا يوحنا اللاهوتي 5: 20

⁷ هنري ثيسن، محاضرات في علم اللاهوت النظامي، م. س، ص: 665

6- الجنة والنار أو مصير الأبرار والأشرار

بعد الحساب والقضاء بين الناس، يأتي موعد تقرير المصير، ويسميه المسيحيون المكافأة بالنسبة للأبرار، والدينونة بالنسبة للأشرار، ويكون مأوى الأبرار هو الملكوت أو الفردوس أي الجنة، ومأوى الأشرار هو الجحيم أو الهاوية أي جهنم.

1- الفردوس:

وردت كلمة "فردوس"¹ ثلاث مرات في الكتاب المقدس، وذلك للإشارة إلى مكان سمائي أو مقر انتظار الأرواح البارة بعد الموت² وهذه النصوص هي قول السيد المسيح لأحد اللصوص: "إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدَوْسِ"³، وقول القديس بولس: "إِنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ"⁴، وقول يوحنا صاحب الرؤيا عن شجرة الحياة إنها "فِي وَسْطِ فِرْدَوْسِ اللَّهِ"⁵، كما وردت كلمة "فردوس" ثلاث مرات أخرى في الكتاب المقدس، لكنها حملت معنى "حديقة" أو "جنة" مثل قول سليمان: "عَمِلْتُ لِنَفْسِي جَنَّاتٍ وَفَرَادِيسَ"⁶.

¹ كلمة فردوس مأخوذة عن الفارسية وهي تكاد تكون بنفس اللفظ في العبرية وتعني "جنة ذات أسوار" (دائرة المعارف الكتابية، ص: 31).

² بيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 397

³ إنجيل لوقا 23: 43

⁴ رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس 12: 4

⁵ رؤيا يوحنا اللاهوتي 2: 7

⁶ سفر الجامعة 2: 5

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ويعتقد المسيحيون أن "الفردوس هو مكان انتظار يخص الروح فقط دون الجسد الذي
يظل في القبر، حيث تتحلل أجزاؤه، ويتحول إلى تراب"¹، والجنة تحدث عنها الكتاب المقدس،
مبينًا مكانها، حيث جاء في كتاب العهد القديم قوله: "وَعَرَسَ الرَّبُّ إِلَهُ جَنَّةٍ فِي عَدْنٍ شَرْقًا"²،
ثم وصف مكوناتها بقوله: "وَأَنْبَتَ الرَّبُّ إِلَهُ مِنْ الْأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلْأَكْلِ،
وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ
الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ: اسْمُ الْوَاحِدِ فَيَشُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ
الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهَبُ. وَذَهَبُ تِلْكَ الْأَرْضِ جَيِّدٌ. هُنَاكَ الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزَعِ. وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّانِي
جِيحُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّالِثِ حِدَاقِلُ، وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُورَ.
وَالنَّهْرُ الرَّابِعُ الْفُرَاتُ"³.

إن الجنة المسيحية أو ما يسميه المسيحيون "ملكوت الله" تقتصر على المؤمنين بالمسيح
(الابن) كإله فقط، وهذا ما يشير إليه إنجيل يوحنا الرسول في رسالته الأولى بقوله: "وَهَذِهِ هِيَ
الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ. مَنْ لَهُ الْإِبْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ
لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللَّهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ"⁴، وقوله المشهور: "لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ
الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ"⁵، فالحياة الأبدية-حسب
تعبير يوحنا الرسول- لا يرثها إلا المؤمنون بالرب يسوع المسيح، ونوال هذه الحياة الأبدية-كما

¹ بيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 397

² سفر التكوين 2: 8

³ سفر التكوين 2: 9 - 14

⁴ رسالة يوحنا الرسول الأولى 5: 11 - 12

⁵ إنجيل يوحنا 3: 16

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
هو مرسوم في تعاليم القديس بولس- يقوم على ثلاثي الإيمان والرجاء والحب¹ فمن لا يحب لا
شركة له مع الله، وبالتالي لا صلة له بالحياة التي هي من لدن الله².

ونعيم الجنة المسيحية وقع حوله خلاف كبير؛ بين قائل بأنه حسي، وبين قائل بأنه
معنوي، فالذين يقولون بأن نعيمها معنوي أي بلا أكل ولا شرب ولا نكاح، استدلوا بكلام المسيح
في رده على اليهود "الصدوقيين"³ الذين كانوا ينكرون البعث قائلا لهم: "أَلَيْسَ لِهَذَا تَضِلُّونَ، إِذْ لَا
تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلَا قُوَّةَ اللَّهِ؟ لَأَنَّهُمْ مَتَى قَامُوا مِنَ الْأَمْوَاتِ لَا يَزَوِّجُونَ وَلَا يَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ
كَمَلَائِكَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ"⁴، وأصحاب هذا الرأي يعتقدون أن نعيم الجنة، عبارة عن الاتصال بالله
ورؤية جلاله، ويعتبرون أن رؤية الله هي الخير الأعظم الفائق لكل خير الذي يملأ رغبة كل
إنسان، ويشبع شهوات نفسه، لذلك فهم يعتقدون أن الطعام والشراب والنكاح لا يليق بالجنة
وما فيها⁵.

وأما الذين يقولون بأن نعيمها حسي أي فيه تمتع بالملذات المادية، فاستدلوا ببعض
النصوص، منها قول المسيح: "إِنِّي مِنَ الْآنَ لَا أَشْرَبُ مِنْ نَتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا
أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي"⁶، وما ورد على لسان يوحنا: "اعْمَلُوا لَا لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ

¹ يُنظر: جورج هارت، المسيحية: عقيدة الإيمان ومعرفة غنوصية تُحيي، م. س، ص: 103

² مدخل إلى العقيدة المسيحية، مجموعة من المؤلفين، م. س، ص: 307

³ فرقة يهودية اشتهرت بإنكار البعث والحياة الآخرة والحساب والجنة والنار، وترى أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا
وبشكل مادي (عبد المجيد همو، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، ص: 48) .

⁴ إنجيل مرقس 12: 24 - 25

⁵ يُنظر: فرج أبو عطا الله، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، م. س، ص: 377

⁶ إنجيل متى 29: 26

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمْ ابْنُ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ هَذَا اللَّهُ الْآبُ قَدْ خَتَمَهُ"¹، وكذلك
ما ورد في الرؤيا: "مَنْ يَغْلِبْ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسْطِ فِرْدَوْسِ اللَّهِ"²،
وأصحاب هذا الرأي يعتقدون أن "الحياة الأخرى ستكون مثل الحياة الدنيا، فيها أكل وشرب
ونكاح"³.

إن الحياة الأبدية التي يتصورها المسيحيون، تخضع لمقاييس ومواصفات محددة، "فهي
حياة سيشعر فيها المؤمنون بالسعادة التي لا توصف، إلا أنهم ومع ذلك يختلفون في مجدهم كما
جاء في أحد رسائل بولس: "مَجْدُ الشَّمْسِ شَيْءٌ، وَمَجْدُ الْقَمَرِ آخَرُ، وَمَجْدُ النُّجُومِ آخَرُ، لِأَنَّ
نَجْمًا يَمْتَّازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ"⁴، وقد بيّن السيد المسيح أن في السماء "منازل كثيرة"، وأن
الجلوس عن يمينه وعن يساره سيتم وفقًا للترتيب الإلهي العظيم، وإن كان الترتيب يخضع أولاً
وأخيراً لمشئنة الله الحكيمة المحتومة، إلا أنه يبدو متجاوبًا مع ما بذل الإنسان من جهاد على
الأرض، وما له من قابلية واتساع في تقبل هذا المجد"⁵، وهذه الحياة الأخرى فيها نعيم لا نظير
له، يقول بولس: "بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ
إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ»"⁶.

¹ إنجيل يوحنا 27: 6

² رؤيا يوحنا اللاهوتي 7: 2

³ بين الإسلام والمسيحية لأبي عبيدة الخزرجي، تحقيق وتقديم وتعليق: محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ط)،
ص: 113

⁴ رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 15: 41

⁵ إلياس مقار، إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى، م. س، ص: 311

⁶ رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 2: 9

2- الجحيم:

الجحيم أو الهاوية: هو مكان انتظار الأرواح الشريرة فقط، وذلك بعد الفداء، أما قبل الفداء فهو مكان انتظار الأرواح البارة والشريرة على حد سواء، وكلمة هاوية مشتقة من الفعل "هوى" بمعنى "سقط"¹.

وقد وردت كلمة "الجحيم" في بعض المواضع من الكتاب المقدس، منها:

قول المسيح لبطرس الرسول: "أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا"²، ومن مرادفات "الجحيم" كلمة "الهاوية"، وقد وردت في عدة مواضع من الكتاب المقدس، منها قول يعقوب: "إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحًا إِلَى الْهَآوِيَةِ"³، وفي سفر المزمير: "لَأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي الْهَآوِيَةِ"⁴، وفي سفر الرؤيا: "ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلَكُ الْخَامِسُ، فَرَأَيْتُ كَوَكَبًا قَدْ سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأُعْطِيَ مِفْتَاحَ بَابِ الْهَآوِيَةِ"⁵.

ومن مرادفاتهما أيضًا، كلمة "الجب"، وقد وردت في قول صاحب المزمير: "إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَصْرُخُ. يَا صَخْرَتِي، لَا تَتَّصِمَمْ مِنْ جَهْتِي، لِئَلَّا تَسْكُتَ عَنِّي فَأُشْبِهَ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ"⁶، وكلمة "السجن" في قول إشعياء النبي: "وَيُجْمَعُونَ جَمْعًا كَأَسَارَى فِي سِجْنٍ، وَيُغْلَقُ عَلَيْهِمْ فِي

¹ لبيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 398

² إنجيل متى 16: 18

³ سفر التكوين 37: 35

⁴ سفر المزمير 16: 10

⁵ رؤيا يوحنا اللاهوتي 9: 1

⁶ سفر المزمير 28: 1

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
حَبْسٍ¹، وكلمة "الحفرة" كما في قول النبي داود: "مَا الْفَائِدَةُ مِنْ دَمِي إِذَا نَزَلْتُ إِلَى الْحُفْرَةِ؟"²،
وقوله أيضاً: "الَّذِي يَفْدِي مِنَ الْحُفْرَةِ حَيَاتَكَ"³.

والجحيم أو الهاوية لها صفات ذكرها الكتاب المقدس، منها أنها مكان سفلي وعميق
ومظلم، كما جاء في قوله: "وَضَعْتَنِي فِي الْجُبِّ الْأَسْفَلِ، فِي ظُلُمَاتٍ، فِي أَعْمَاقٍ"⁴، ولها مفاتيح
وأبواب كما في قوله: "وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَآوِيَةِ وَالْمَوْتِ"⁵، وقوله أيضاً: "وَرَأَيْتُ مَلَكَآ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ
مَعَهُ مِفْتَاحُ الْهَآوِيَةِ، وَسِلْسِلَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ"⁶، وهي مكان واسع لا يشبع كما في قوله: "لِذَلِكَ
وَسَّعَتِ الْهَآوِيَةُ نَفْسَهَا، وَفَعَّرَتْ فَاهَا بِلاَ حَدٍّ"⁷، وهي مسكن الأشرار كما في قوله: "الْأَشْرَارُ
يَرْجِعُونَ إِلَى الْهَآوِيَةِ، كُلُّ الْأُمَمِ النَّاسِينَ لِلَّهِ"⁸، وهي مكان مؤقت "سواء قبل الصليب أو بعد
الصليب، فالهاوية قبل الصليب كانت مقراً لكل الأرواح لِحِينِ الفردوس فانتقلت إليه
الأرواح البارة، وبعد الصليب هي أيضاً مكان مؤقت للأرواح الشريرة لِحِينِ الدينونة، حيث تُنْقَلُ
إلى النار الأبدية (جهنم)⁹."

1 سفر إشعياء 24: 22

2 سفر المزامير 9: 30

3 سفر المزامير 103: 4

4 سفر المزامير 88: 6

5 رؤيا يوحنا اللاهوتي 1: 18

6 رؤيا يوحنا اللاهوتي 20: 1

7 سفر إشعياء 5: 14

8 سفر المزامير 9: 17

9 بيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 400

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وللهايوة يد كما في قوله: "أَيُّ إِنْسَانٍ يَحْيَا وَلَا يَرَى الْمَوْتَ؟ أَيُّ يُنَجِّي نَفْسَهُ مِنْ يَدِ الْهَيَاوَةِ؟"¹
وفم كما في قوله: "وَلَا تُطَبِّقِ الْهَيَاوَةَ عَلَيَّ فَاهَا"² وحبال كما في قوله: "حِبَالُ الْهَيَاوَةِ حَاقَتْ بِي"³
ولها ملاك مُهلك كما في قوله: "وَلَهَا مَلَائِكَةُ الْهَيَاوَةِ مَلَكًا عَلَيْهَا، اسْمُهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «أَبْدُون»، وَلَهُ
بِالْيُونَانِيَّةِ اسْمٌ «أَبُولْيُون»"⁴ وليس فيها صلوات أو تضرعات كما في قوله: "لَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ
ذِكْرُكَ. فِي الْهَيَاوَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ"⁵.

والداخلون إلى الجحيم أو الهاوية هم الأشرار الذين تم استثناءهم من وراثة الملكوت
بقوله: "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لَا يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ؟ لَا تَضِلُّوا: لَا زُنَاةٌ وَلَا عِبْدَةُ أَوْثَانٍ وَلَا
فَاسِقُونَ وَلَا مَأْبُونُونَ وَلَا مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، وَلَا سَارِقُونَ وَلَا طَمَّاعُونَ وَلَا سَكِيرُونَ وَلَا شَتَّامُونَ وَلَا
خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ"⁶، والأشعار ذكرهم الكتاب المقدس بأوصافهم كما في قوله: "وَأَمَّا
الْخَائِفُونَ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجْسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعِبْدَةُ الْأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذِبَةِ،
فَنَصَبْنَاهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكَبِيرَةٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي"⁷.

وعذاب النار أيضًا وقع حوله خلاف مسيحي كبير، فالكاثوليك والأرثوذكس اختلفوا مع
البروتستانت في طبيعة العذاب الأخروي، هل سيكون حسيًا أم معنويًا؟

¹ سفر المزامير 89: 48

² سفر المزامير 69: 15

³ سفر المزامير 18: 5

⁴ رؤيا يوحنا اللاهوتي 9: 11

⁵ سفر المزامير 6: 5

⁶ رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 6: 9 - 10

⁷ رؤيا يوحنا اللاهوتي 21: 8

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
فالكاثوليك والأرثوذكس يرون أن نار جهنم حقيقية، والعذاب فيها حسي، لكنهم في الوقت
نفسه يعتبرون أن فيها عذاباً معنوياً، وهو الخزي والإبعاد من الحضرة الإلهية.

ويستندون في ذلك إلى بعض النصوص من كتاب العهد الجديد، من ذلك قول يسوع
المسيح لتلاميذه: "يُرْسَلُ ابْنُ الْإِنْسَانِ مَلَايَكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمُعَاثِرِ وَقَاعِلِي الْإِثْمِ،
وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ"¹، وما جاء في الرؤيا: "وَأَمَّا
الْخَائِفُونَ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجْسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعَبَدَةُ الْأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذِبَةِ،
فَنَصَبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَقَدَّةِ بِنَارٍ وَكَبِيرَةٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي"².

ويقول الأرثوذكس إنه لا يمكن أن يكون بالهاوية نيران مادية إذ أن ساكني الهاوية هم
أرواح وليس أجساداً، كما لا يمكن أن تكون هذه النيران هي نار جهنم إذ أن النار الأبدية المعدة
لإبليس وجنوده لم تفتح بعد، وستبدأ بعد الدينونة، ولكن هذه النار وذلك العذاب هو نار
عذاب وتأنيب الضمير³.

أما بالنسبة للبروتستانت فيعتبرون أن النار التي ورد ذكرها في نصوص الكتاب المقدس
هي نار معنوية وليست حسية، "ودليلهم على ذلك أن إبليس وأعوانه يتعذبون في النار مع أنهم
ليست لهم أجساد حسية، ويرون في القول بأن النار المذكورة في الكتاب المقدس هي مادية ليس
له سند كاف"⁴.

¹ إنجيل متى 13: 41 -- 42

² رؤيا يوحنا اللاهوتي 8: 21

³ بيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 401

⁴ نقلا عن: فرج أبو عطا الله، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، م. س، ص: 389

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

خلاصة:

يُستخلص مما سبق أن يوم الحساب أو الدينونة في التصور المسيحي يتخذ صوراً ومظاهر مغايرة لما هو منصوص عليه في كتاب العهد القديم، ففي الوقت الذي لا نجد فيه تفاصيل كافية عن اليوم الآخر في التعاليم اليهودية، باستثناء بعض الإشارات هنا وهناك، يُلاحظ أن العهد الجديد تناول هذا الموضوع بشكل دقيق نوعاً ما، إذ تُصوّر لنا الأنجيل ورسائل الرسل (لأسيما رؤيا يوحنا اللاهوتي) ملامح اليوم الآخر، ومجريات الحساب، والديان الذي سيتولى محاسبة الناس، كما أن موضوع مصير الأبرار (الملكوت أو الحياة الأبدية)، ومصير الأشرار (الجحيم أو الهاوية)، حظي بنصيب وافر ضمن نصوص العهد الجديد.

وعندما يُدان الجميع فينتقل المؤمنون بالمسيح إلى الحياة الأبدية، ويدخل الأشرار إلى الجحيم أو الهاوية، هناك فئة من الذين جمعوا كثيراً من الخطايا والآثام العظيمة، لكنهم آمنوا بيسوع المسيح، فهؤلاء ستنالهم شفاعته، وتنتشلهم من الجحيم إلى الحياة الأبدية.

الفرع الثالث: قضية الشفاعة

جرى نقاش كبير بين المدارس اللاهوتية المسيحية حول العديد من القضايا الدينية التي يمكن إدراجها في خانة ما يسمى بأصول الإيمان، ومن المعلوم أن المسيحيين منذ العصور الأولى حتى اليوم مازالوا غير منسجمين على المستوى العقدي، فثمة خلافات طالت العناصر المكونة للعقيدة المسيحية بأقسامها الثلاثة: الألوهية والنبوة والأخريات، ومن القضايا الجدلية التي انقسم حولها المسيحيون، قضية الشفاعة يوم القيامة.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
فما هو مفهوم الشفاعة عند المدارس اللاهوتية المسيحية؟ ومن له الحق في
الشفاعة؟ وهل جميع المسيحيين يؤمنون بها؟

1- مفهوم الشفاعة في الفكر الديني المسيحي

أ- لغة:

من خلال استقراء نصوص الكتاب المقدس، يتبين أن الشفاعة تحمل معاني الالتماس
والطلب والتوسل، وجاءت أيضًا في مواضع أخرى بمعاني التضرع والرجاء والابتهال والصلاة¹.

ب- اصطلاحًا:

هي التوسط بين شخص وآخر، وهي دليل محبة الإنسان لأخيه الإنسان، كما أنها مؤسسة
على أن معاملة الله للبشر معاملة ليست فردية فحسب، بل جماعية أيضًا².

وجاء في تعريفها "هي توسط ذي مكانة لدى صاحب نعمة لصالح شخص يرى ذاته غير
مستحق أن يسأل لنفسه شيئًا بدون وساطة وسيط أو شفاعة شفيع"³، وتعني أيضًا: "التوسل
أو الصلاة من أجل الآخرين، وهي لا تنبعث عن مجرد العاطفة أو المنفعة، فهي تمتد إلى علاقة
الإنسان بأخيه الإنسان"⁴.

¹ يُنظر: دائرة المعارف الكتابية، م. س، ص: 530

² قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 9

³ ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج3، م. س، ص: 459

⁴ دائرة المعارف الكتابية، م. س، ص: 530

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ومن خلال التعريفات السابقة، أخلص إلى أن الشفاعة في التصور المسيحي تعني التوسط
بين شخصين، والتوسل والصلاة الموجهة للرب من أجل الآخرين.

2- مواقف المدارس المسيحية من قضية الشفاعة

هناك شبه إجماع بين المدارس اللاهوتية المسيحية حول قضية الشفاعة، مع وجود بعض
الاختلافات التفصيلية بينهم¹ فالأرثوذكس يؤمنون بشفاعة السيد المسيح الكفارية لدى الآب¹.
ويؤمنون أيضاً بشفاعة القديسين لدى السيد المسيح، إذ يحظون بالتكريم من خلال
الأيقونات وحفظ أجسادهم وعمل التماثيل لهم. والكاثوليك مثل الأرثوذكس، إلا أنهم يكرمون
القديسين من خلال التماثيل بالإضافة إلى الأيقونات. بينما نجد البروتستانت يؤمنون بشفاعة
السيد المسيح الكفارية فقط، وينكرون شفاعة السيدة العذراء والقديسين².

والأصل في اختلافهم حول الشفاعة بشكل عام؛ هو عدم وجود اتفاق على الإيمان بما
يسمى بالشركة الروحية بين المؤمنين بالروح القدس، ففي الوقت الذي يعتقد فيه الكاثوليك
والأرثوذكس بهذه الشركة، ويقصدون بذلك؛ معية القديسين سواء الذين على الأرض أو الذين
انتقلوا إلى السماء، وأنهم يشتركون معهم بالروح القدس، نجد أن البروتستانت لا يُسَلِّمُون لهم
بهذه العقيدة، ولا يعترفون إلا بالعلاقة مع الله فقط³.

¹ المقصود بها شفاعة السيد المسيح للخاطئين وكفارة أخطائهم. (رسالة يوحنا الأولى 1: 2-2) .

² نقلا عن موقع: https://st-takla.org/FAQ-Questions-VS-Answers/03-Questions-Related-to-Theology-and-Dogma__Al-Lahoot-Wal-3akeeda/001-Differences-between-Creeds.html ويُنظر

أيضاً: الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، م. س، ص ص: 32 - 33

³ يُنظر: مدخل إلى العقيدة المسيحية، م. س، ص ص: 228 - 229

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ويُدافع أصحاب الشركة الروحية عن هذه الفكرة بقولهم: "إن الشركة بين المؤمنين
بالروح القدس الواحد فيهم لا يُحطّمها الموت لأن الرب يسوع المسيح غلب قوة الموت، وحالة
الموت والبقاء في الموت الذي هو الجحيم"¹.

ويعتبرون أن القديسين المنتقلين إلى السماء أحياء وليسوا أمواتاً؛ مستدلين بقول موسى:
"الرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ. وَلَيْسَ هُوَ إِلَهُ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ لِأَنَّ الْجَمِيعَ
عِنْدَهُ أَحْيَاءٌ"²، وبما ورد من وصية الرب بالصلاة للآخرين في قوله: "صَلُّوا بَعْضُكُمْ لِأَجْلِ
بَعْضٍ"³.

بينما يرى المعارضون على شفاعاة القديسين وغيرهم "أن المنتقلين ماتوا وانتهى أمرهم،
وانتهت علاقتهم بالأحياء؛ فصار عند هؤلاء ودون قصد الجحيم مفتوحاً لمن في المسيح والموت
الكامل موجوداً"⁴.

بالإضافة إلى شفاعاة القديسين، يؤمن الكاثوليك والأرثوذكس بشفاعة الملائكة الذين
يصعدون بالصلوات إلى الله، ويستدلون على ذلك بقوله: "وَجَاءَ مَلَاكٌ آخَرُ وَوَقَفَ عِنْدَ الْمَذْبَحِ،
وَمَعَهُ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَأُعْطِيَ بَخُورًا كَثِيرًا لِكَيْ يُقَدِّمَهُ مَعَ صَلَوَاتِ الْقَدِّيسِينَ جَمِيعِهِمْ عَلَى

¹ يوساب هاني، الشفاعاة استحقاق لنا في المسيح يسوع، مراجعة وتقديم موسى رفائيل، منشورات كنيسة القديس
الشهيد موريس والكارزة فيرينا، المنيا، مصر، ط1: 2016، ص: 15

² إنجيل لوقا 20: 37-38

³ رسالة يعقوب 5: 16

⁴ يوساب هاني، الشفاعاة استحقاق لنا في المسيح يسوع، م. س، ص: 14

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
مَذْبَحِ الذَّهَبِ الَّذِي أَمَامَ الْعَرْشِ. فَصَعِدَ دُخَانُ الْبُخُورِ مَعَ صَلَوَاتِ الْقِدِّيسِينَ مِنْ يَدِ الْمَلَكِ أَمَامَ
الله¹.

ويؤمن الأرثوذكس بشفاعة العذراء مريم، ويفسرون إيمانهم هذا بما ورد في قصة المرأة
الكنعانية² وقصة تحويل الماء خمرًا في قانا الجليل³ ويستخلصون من هاتين القصتين "أنها لم
تطلب ولكنها عرضت الأمر أمام ابنها قائلة: "قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ: لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ"⁴، وعندما قال لها:
"مَالِي وَلَكَ يَا امْرَأَةٌ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدَ"⁵، لم تكرر الطلب كالكنعانية ولكنها قالت للخدام:
"مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ"⁶، وبناء على ذلك، يرى الأرثوذكس جواز التماس شفاعة مريم العذراء،
لأنها في اعتقادهم والدة الإله (يسوع المسيح) الذي صنع المعجزات.

ومن النصوص التي يستدلون بها على إثبات طلب الشفاعة ما جاء في إحدى رسائل بولس
بقوله: "فَاطْلُبْ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ، أَنْ تُقَامَ طَلِبَاتُ وَصَلَوَاتُ وَابْتِهَالَاتُ وَتَشَكُّرَاتُ لِأَجْلِ جَمِيعِ
النَّاسِ"⁷، وما ورد في سفر نشيد الإنشاد: "أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ"⁸ بمعنى أن النائمين في
قبورهم أحياء يسمعون طلبات الشفاعة.

¹ رؤيا يوحنا اللاهوتي 8: 3 - 4

² إنجيل متى 15: 21 - 28

³ إنجيل يوحنا 2: 1 - 11

⁴ إنجيل يوحنا 2: 3

⁵ إنجيل يوحنا 2: 4

⁶ إنجيل يوحنا 2: 5

⁷ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 2: 1

⁸ سفر نشيد الإنشاد 5: 2

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ويقول الأنبا يوانس: "هناك شركة عامة بين الأحياء على الأرض والمنتقلين إلى السماء وعلى
رأسهم القديسون والشهداء، شركة كاملة، فنحن نتشفع بهم ونتصل بهم بطرق ووسائل شتى،
ونتلقى على أثر ذلك معوناتهم"¹ فالاستشفاع بالقديسين عبارة عن الاستعانة بصلواتهم للنجاة
من ضيقات هذه الحياة والحصول على نعم الله المتنوعة².

غير أن ثمة مسألة في غاية الأهمية: وهي أن الشفاعة المسيحية قاصرة على الحياة الدنيا
ولا تتعداها إلى اليوم الآخر، وهذا ما يفهم من النصوص الكتابية، والآراء الواردة من علماء
المسيحية أنفسهم، جاء في إنجيل لوقا قول يسوع: "فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ،
وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ، فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ
لِيَبْلَّ طَرْفَ إَصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبْرِدَ لِسَانِي، لِأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللَّهَيْبِ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي، اذْكُرْ
أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذَلِكَ لِعَازَرُ الْبَلَايَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ. وَفَوْقَ هَذَا
كُلِّهِ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ، حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ هُنَا إِلَيْكُمْ لَا
يَقْدِرُونَ، وَلَا الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا"³. وهذا يعني استحالة العبور من جهنم إلى
السماء، وأن الذين يدخلون إلى الجحيم يخلدون في العذاب أبداً.

ومن ضمن ما جاء في هذا الصدد قول الكاتب القبطي عوض سمعان: "إن المسيح لا
يمارس هذه الخدمة بعد انتقال المؤمنين الحقيقيين إلى العالم الآخر، حتى كان يجوز الظن أنه
يمكن أن يكون الغرض منها نقل أرواح الذين قَصَرُوا في القيام بوصية من وصاياه (عندما كانوا

¹ الأنبا يوانس، السماء، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست)، العباسية، القاهرة، ط2: 1985م، ص: 16

² ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج3، م. س، ص ص: 460 - 461

³ إنجيل لوقا 16: 23 - 26

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
على الأرض)، من كل عذاب الآخرة أو بعضه، بل إنه له المجد يمارس شفاعته لأجلهم وهم لا
يزالون على الأرض¹.

وعلى النقيض من ذلك، يرى ميخائيل مينا في كتابه (علم اللاهوت) أن شفاعاة القديسين
غير محصورة في الحياة الدنيا فحسب، بل هي ممتدة إلى عالم الآخرة، يقول في معرض رده على
المنكرين لشفاعتهم في الآخرة: "أما إذا قالوا إن القديسين يشفعون وهم أحياء في هذا العالم
فقط وبعد انتقالهم لا تكون لهم شفاعاة، قلنا إذا كانت الشفاعاة مُتيسرة للقديسين وهم بعد
في هذه الحياة، فإنها تكون لهم أيسر وهم في السماء لأنهم يكونون حينئذ كقفا عن الخطيئة
وتحرروا من سلطانها القاسي، الأمر الذي يُصَيِّرهم أكثر دالة وقربى لدى العرش الإلهي²".

3- المكلف بالشفاعة

كما سبقت الإشارة إلى ذلك، حصل خلاف مسيحي داخلي حول طبيعة الشفعاء الذين لهم
حق الشفاعاة في الآخرين، وما عليه الاتفاق بين المدارس المسيحية هو شفاعاة يسوع المسيح
فقط، في حين يختلفون في شفاعاة القديسين والعذراء مريم والملائكة³، ولذلك يعتقد
المسيحيون إجمالاً أن الشفيع الوحيد والوسيط الوحيد بين الله والناس هو الإنسان يسوع

¹ عوض سمعان، كهنوت المسيح، دار الإخوة للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية: 2012، ص ص: 114-115

² ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج3، م. س، ص ص: 467 - 468

³ هذا الاختلاف حاصل بشكل واضح بين البروتستانت والبقية التي يمثلها الكاثوليك والأرثوذكس ومن ضمنهم الأقباط،
حيث يعارض البروتستانت ما ذهب إليه الفريق الكاثوليكي الأرثوذكسي القبطي من تبني عقيدة شفاعاة غير يسوع
المسيح.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
المسيح¹ ويرون أنهم سيخلصون بالنعمة عن طريق شفاعته الكفارية² ومستندهم في ذلك قول
بولس الرسول: "لأنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيْطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ"³.

بيد أن الروم الكاثوليك والأرثوذكس لا يكتفون بالاعتقاد في وساطة وشفاعة يسوع المسيح
فقط، بل يلتمسون العون والشفاعة من القديسين ومن العذراء مريم أيضًا، فبالنسبة
للكاثوليك جاء في كتابهم التعليم المسيحي الروماني: "أن الوسيط بين الله والناس واحد وهو
يسوع المسيح الذي وحده صالحنا بدمه مع الآب السماوي⁴ والذي قادر أن يُخَلِّصَ على الدوام
الذين يتقربون به إلى الله إذ هو حي كل حين يشفع فيهم"⁵، ويضيفون بقولهم: "إلا أنه لا يمكن
قطعاً أن ينتج من ذلك أن الالتجاء إلى القديسين غير جائز، لأنه لو كان محرماً علينا طلب المدد
من القديسين لما كان الرسول المصطفى طلب بكل اجتهاد مؤازرة الدعاء من المؤمنين الأحياء
قائلاً لهم: أسألكم يا إخوتي بسيدنا يسوع المسيح وبمحلة الروح القدس أن تُعينوني في
صلواتكم عني إلى الله⁶ لأن صلوات الأحياء لا تنقص من مجد الوسيط المسيح ومقامه أقل من
صلوات القديسين في السماء"⁷.

وتؤكد تعاليم الكنيسة الكاثوليكية على التماس شفاعة الملائكة أيضاً، وفي هذا الصدد
يقولون عن أعمال الملائكة: "من المولد إلى الوفاة يكتنفون الحياة البشرية بحراستهم وشفعاتهم،

¹ يوساب هاني، الشفاعة استحقاق لنا في المسيح يسوع، م. س، ص: 21

² يُنظر: ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج3، م. س، ص: 469

³ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 2: 5

⁴ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 2: 5 . ورسالة بولس الرسول إلى رومية 5: 10

⁵ الرسالة إلى العبرانيين 7: 25

⁶ الرسالة إلى رومية 15: 20

⁷ التعليم المسيحي الروماني، ج9، م. س، ص: 445

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
لكل مؤمن ملاك يُرافقه حارساً وراعياً لكي يقوده إلى الحياة، منذ الوجود الأرضي تشترك الحياة
المسيحية بالإيمان في المجتمع السعيد للملائكة والبشر المتحدين بالله¹.

من هنا، يبرر الكاثوليك التماس الشفاعة من القديسين، ومن العذراء مريم، ومن
الملائكة، ولا يعتبرون ذلك متناقضاً مع اعتقادهم في شفاعة يسوع المسيح.

أما الأرثوذكس، فعلاوة على إيمانهم بشفاعة يسوع المسيح الكفارية، يؤمنون بشفاعة
القديسين وبشفاعة العذراء مريم، وأكثر من هذا؛ يؤمنون بشفاعة الملائكة للمؤمنين² والأقباط
هم أكثر إيماناً بشفاعة هؤلاء، خاصة أنهم يمجّدونهم في صلواتهم، ويعتبرون أن "شفاعة
القديسين الأحياء منهم والمنتقلين هي سر وحدة المؤمنين كأعضاء في جسد الكنيسة التي رأسها
هو المسيح، كأخوة في المسيح، فالكّل يشفعون من خلال المسيح أمام الله الأب . فإن كان وعد
السيد المسيح أنه إن اجتمع اثنين أو ثلاثة باسمه يكون في وسطهم يرفع صلاتهم أمام الأب، وهو
في نفس الوقت يقبل هذه الشفاعة كإله³" ويستدلون على معتقدتهم هذا بما ورد في رسالة
بولس الرسول إلى أهل كورنثوس: "لأنّه كما أنّ الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكُلُّ أعضاء
الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً⁴".

1 التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، م. س، ص: 70

2 يُنظر: الأنبا يؤانس، السماء، م. س، ص: 117 وبيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 387

3 مورييس ويصا ديمتريوس، شفاعة القديسين، م. س، ص: 40

4 رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 12: 12

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وتحظى العذراء مريم التي يطلقون عليها اسم "والدة الإله"، بنصيب كبير في طلبات
الأقباط الأرثوذكس للشفاعة، ويعتقدون أن "تمجيد العذراء مريم ليس لأنها والدة الله الكلمة،
بل أيضاً بسبب الحياة الشخصية الإيمانية لها والتي كانت تؤهلها للمجد"¹.

بينما تنص المصادر البروتستانتية² على الإيمان بشفاعة يسوع المسيح فقط، لأن المسيح
في اعتقادهم هو كفارة لخطاياهم، وخطايا العالم أيضاً³ وأن الله كان في المسيح مُصالحاً العالم
لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم⁴ وينكرون شفاعة القديسين والعذراء مريم⁵.

4- المستحقين للشفاعة

يعتقد المسيحيون أن المسيح لا يشغل مركز الوساطة لأجل المؤمنين الحقيقيين الذين
تمتعوا بغفران خطاياهم، بل لأجل غير المؤمنين والمؤمنين بالاسم الذين شَعَرُوا بشناعة
خطاياهم وعجز الأعمال الميتة التي كانوا يقومون بها، عن جلب الغفران إليهم، ومن ثم أدركوا
أن السبيل الوحيد إلى الصلح مع الله هو الفداء الذي قام به المسيح على الصليب⁶.

والظاهر من هذا الكلام أن شفاعة يسوع المسيح تشمل من هم خارج دائرة الإيمان
المسيحي والمسيحيين بالاسم، لأن هذين الصنفين-حسب الاعتقاد المسيحي- وقعا في خطايا
عظيمة، بل هم من الممنوعين من دخول السماء، "ولكن المسيح في كفاية كفارته التي وَقَّتْ كل

1 الشفاعة استحقاق لنا في المسيح يسوع، م. س، ص: 34 - 35

2 يُنظر: مارتن لوثر، أصول التعليم المسيحي، م. س، ص: 124

3 يُنظر: رسالة يوحنا الرسول الأولى 2: 2

4 رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس 5: 19

5 يُنظر: الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، م. س، ص: 32 - 33

6 عوض سمعان، كهنوت المسيح، م. س، ص: 109

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

مطالب عدالة الله التي لا حد لها إلى الأبد، هي التي تحجز الغضب الإلهي من النزول الآن على هؤلاء الناس¹، كما قال بطرس الرسول في رسالته: "لَا يَتَّبَاطُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمُ التَّبَاطُ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أَنَا، بَلْ أَنْ يُقْبَلَ لَجَمِيعٍ إِلَى التَّوْبَةِ"²، وهي شفاعة تعم كل الخاطئين كما قال يوحنا الرسول: "يَا أَوْلَادِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا"³.

5- عقيدة المطهر وعلاقتها بالشفاعة

دار جدل مسيحي واسع حول عقيدة المُطَهَّر، وهي عقيدة انفردت بها المدرسة الكاثوليكية، والمُطَهَّر يُقصد به "مكان بين الجنة والنار، تتصل فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاء الكامل، فتُعَذَّب فيه مدة حتى تَطْهَر، وعندئذ يُسمح لها بدخول الملكوت"⁴، ويستند الكاثوليك في إيمانهم بالمُطَهَّر بما ورد في إحدى رسائل بولس بقوله: "وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَبْنِي عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ: ذَهَبًا، فِضَّةً، حِجَارَةً كَرِيمَةً، خَشَبًا، عُشْبًا، قَشًا، فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِرًا لِأَنَّ الْيَوْمَ سَيَبْيِنُهُ. لِأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ، وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ. إِنْ بَقِيَ عَمَلٌ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أُجْرَةً. إِنْ اخْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ، وَلَكِنْ كَمَا بِنَارٍ"⁵.

1 المرجع نفسه، ص: 112

2 رسالة بطرس الرسول الثانية 3: 9

3 رسالة يوحنا الرسول الأولى 2: 1-2

4 سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، م. س، ص: 73 – 74

5 رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 3: 12-15

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ولقد كان الكثيرون من معلمي الكاثوليك منذ العصور الوسطى-ولا يزال بعضهم إلى الآن-
يصف عذابات المُطَهَّر بأنها لا تختلف عن عذابات جهنم إلا من حيث إن عذابات المُطَهَّر لها
نهاية بينما عذابات جهنم هي بلا نهاية، إلا أن الرأي الرسمي الكنسي عندهم يبدي تحفظًا أكثر،
فيمتنع عن تحديد طبيعة العذابات المطهرية أو مدتها، ويكتفي بتأكيد وجودها فقط¹.

لكن في المقابل، يعترض علماء البروتستانت والأرثوذكس على عقيدة المُطَهَّر، ويرفضونها
رفضًا قاطعًا، ويعللون ذلك؛ بعدم وجود نصوص صريحة في الكتاب المقدس عن هذه
العقيدة²، كما يرون أنها تتعارض مع أقوال يسوع المسيح، فضلًا عن نسفها لبعض الأسس
الاعتقادية في المسيحية كالمعمودية، والتوبة والاعتراف، والتناول³.

إضافة إلى ذلك، فإن الدليل الكتابي السابق الذي استند إليه الكاثوليك في إثبات عقيدة
المُطَهَّر، يعتبر—من وجهة نظر الأرثوذكس- حُجَّة واهية ومردود عليها، "لأن هذه الآية لا تشير إليها
تصريحًا ولا تلميحًا بل المقصود منها أن المعلمين الذين بَنَوْا على أساس المسيح الراسخ بلا شك،
يثبت بناؤهم ويستمر ويأتي بأبناء كثيرين للمسيح، أما الذين بَنَوْا على أساس غير متين فيتلاشى
بناؤهم ويصير كالهشيم أمام اللهيب"⁴.

¹ بيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، م. س، ص: 451

² إلياس مقار، إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى، م. س، ص: 302 وما بعدها

³ بيشوى حلمي، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، ص: 451 وما بعدها

⁴ ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج3، م. س، ص: 530

خلاصة:

أهم ما يمكن استخلاصه، هو أن الشفاعة قضية انقسمت حولها الآراء المسيحية، فباستثناء اتفاقهم على إمكان الشفاعة عند يسوع المسيح كمخلص، والتي يسمونها الشفاعة الكفارية، نجد أنهم اختلفوا في ما وراء ذلك من أنواع الشفاعة، والتي يسمونها الشفاعة التوسلية¹ لاسيما طلب الشفاعة من القديسين ومريم العذراء والملائكة، حيث اعترض البروتستانت عليها، ورأوا أنها مخالفة لنصوص الكتاب المقدس، هذا فضلا عن اختلافهم حول عقيدة المُطَهَّر، بل وصل الأمر إلى رفضها بشكل صريح من البروتستانت والأرثوذكس وحجتهم أنها دخيلة على العقيدة المسيحية.

وعلاوة على ذلك، يُلاحظ أن الشفاعة في العقيدة المسيحية قاصرة على الحياة الدنيا، ولا علاقة لها بالآخرة كما قد يُفهم، لأن السيد المسيح-حسب اعتقادهم- تحمّل خطايا البشر كافة عبر واقعة الصَّلب، وبالتالي، ليس هناك حاجة للشفاعة الأخروية.

¹ تنقسم الشفاعة عند المسيحيين إلى قسمين: الشفاعة الكفارية: وهي خاصة بيسوع المسيح وحده "لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح" (1 تي (2 : 5، لذلك فصلواتهم ترفع إلى الله وحده، لأن دم يسوع المسيح وحده هو الذي يغفر الخطايا.

والشفاعة التوسلية: المقصود بها مساعدة القديسين لهم في الصلاة، وقد أمرهم بها الكتاب المقدس قائلاً: "صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا، طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها" (يع (5 : 16، ويجب التأكيد دائماً أن الكنيسة تصلي إلى الله وحده ثم تطلب إلى القديسين أن يصلوا لله من أجل الآخرين؛ نتيجة لقربهم إلى الله لقداستهم، وبذلك يصلى البعض لأجل البعض منتفعين بصلوات القديسين بقولهم: "بشفاعة والدة الإله يا رب أنعم لنا بمغفرة خطايانا". (شفاعة القديسين، ص: 1).

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية..... البشير أسعير
وبعد التعرف على مواقف المدارس المسيحية من قضايا المعاد (الأخريات)، بقي أن
أستعرض مواقف المذاهب العقدية الإسلامية من هذه القضايا.

المطلب الثاني: قضايا السمعيات عند المذاهب العقدية الإسلامية

الحشر أو البعث من بعد الموت حقيقة إيمانية عند كل المسلمين بغض النظر عن تعدد
مدارسهم، وتباين آرائهم حول بعض الجزئيات، إذ من المعلوم أنه لا يكتمل إيمان مسلم دون أن
يعتقد في وجوب البعث بعد الموت.

وقبل مناقشة آراء المذاهب العقدية الإسلامية حول موضوع الحشر وما يرتبط به من
جزئيات، أرى أن أقدم تعريفًا موجزًا لهذا المفهوم.

الفرع الأول: قضية الحشر

1- تعريفه

الحشر مطلق الجمع وإخراج الشيء من مكانه إلى آخر، أما في الشرع فهو جمع الله
الخالق بعد إحيائهم وسَوْقِهِمْ جميعًا إلى الموقف للحساب¹ والمراد بالبعث المعاد الجسماني،
وإحياء العباد في يوم المعاد، والنشور مرادف للبعث في المعنى، يقال: نشر الميت نشورًا إذا عاش

¹ العربي اللوه، الرائد في علم العقائد، م. س، ص: 282

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
بعد الموت، وأنشره الله أحياء¹ والبعث هو إحياء الموتى حين يُنفخ في الصور النفخة الثانية،
فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا غير مختونين، ويُبعث كل عبد على ما مات عليه².

2- صفته

تتفق المذاهب العقدية الإسلامية على وجوب البعث من القبور، وأن الناس سوف يقفون
جميعاً للحساب أمام الله سبحانه يوم القيامة، وهذا البعث -حسب ما ورد في النصوص
الشرعية- له صفة محددة، فقد ضرب الله لذلك مثلاً، قال سبحانه: "وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ
نُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَاباً ثِفَالاً سَفَّنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"³.

والإنسان يتكون في اليوم الآخر من عظم صغير، عندما يصيبه الماء ينمو نمو البقل، هذا
العظم هو عَجْبُ الذَّنْب، وهو عظم الصلب المستدير الذي في أصل العَجْز، وأصل الذَّنْب⁴ فعن
أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بين النفختين أربعون"
قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أَيْبْتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أَيْبْتُ، قالوا: أربعون
سنة؟ قال: بَيْتُ، ثم يُنزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان

¹ عمر سليمان الأشقر، العقيدة في ضوء الكتاب والسنة: اليوم الآخر- القيامة الكبرى، دار النفائس، الأردن، ط4: 1990م، ص: 51

² محمد بن إبراهيم التويجري، اليوم الآخر: صفة الجنة والنار، دار أصدقاء المجتمع للنشر والتوزيع، بريدة (المملكة العربية السعودية)، ط5: 1433هـ- 2012م، ص: 19

³ سورة الأعراف: 56

⁴ عمر سليمان الأشقر، العقيدة في ضوء الكتاب والسنة: اليوم الآخر - القيامة الكبرى، م. س، ص: 53

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا وهو عَجْبُ الدَّنب، ومنه يُرَكَّب الخلق يوم القيامة¹، وهذا يدل
على أن صفة البعث ستكون على هذه الصورة، حيث يُنزل الله ماء من السماء، فينبت الناس
كما تنبت ثمار الأرض.

3- أرض المحشر

تعتقد المذاهب الإسلامية أن الأرض التي ستشهد الحشري أرض أخرى تختلف عن أرض
الدنيا، قال الله تعالى: "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ
الْفَهَّارِ"²، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءَ عَفْرَاءٍ"^{*}
كقرصة النقي^{*} ليس فيها عِلْمٌ لأحد³.

4- أنواع نفخات يوم القيامة

الأمر الذي دلَّت عليه الآية الكريمة وصَحَّت فيه الأحاديث أن للصور نفختان، نفخة
الصعق ونفخة البعث⁴ غير أن هناك من يقول بوجود ثلاث نفخات يوم القيامة، "الأولى: نفخة
الفرع. والثانية: نفخة الصعق؛ التي يتغير بها العالم المشاهد، ويختلف نظامه، وفيها الفناء

¹ صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ما بين النفختين، رقم الحديث: 2955.

² سورة إبراهيم: 50

^{*} خالصة البياض.

^{*} والنقي هو الدقيق.

³ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، رقم الحديث: 6521 وصحيح مسلم، كتاب

صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم الحديث: 2790

⁴ عقيدة التوحيد الكبرى، للعلامة محمد المكي بن عزوز البرجي المالكي، تحقيق وتعليق: محمد رشيد علي بوغزالة

السوفي الجزائري، ص: 266

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والصعق، وفيها هلاك من قضى الله إهلاكه. والثالثة: نفخة البعث والنشور والقيام لرب
العالمين¹.

وقال مجاهد: الصور كهيئة البوق، "زجرة": صيحة، وقال ابن عباس: "الناقور": الصور،
"الراجفة": النفخة الأولى، و"الرادفة": النفخة الثانية².

ونقل الحافظ عن ابن حزم بأن النفخات يوم القيامة أربع: الأولى نفخة إماتة؛ يموت فيها
من بقي حيًّا في الأرض، والثانية نفخة إحياء؛ يقوم بها كل ميت وينشرون من القبور ويُجمعون
لِلحساب، والثالثة نفخة فزع وصعق يفيقون منها كالمغشي عليه لا يموت منها أحد، والرابعة
نفخة إفاقة من ذلك الغشي³.

ويذهب صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي إلى القول بأن للصور نفختان: "الأولى
لإماتة الإنسان، ولمن يزعم أن له حياة، سواء كان من أهل السماوات أو من أهل الأرض، قال
تعالى: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ بَصْعَتٍ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ"⁴ وهم الذين
سبقت لهم القيامة الكبرى، وإلهم الإشارة بقوله: "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ
عَنْهَا مُبَعَّدُونَ"⁵ إلى قوله: "لَا يَخْرُجُ عَنْهَا وَلَا يَخْرُجُ أَكْبَرُ وَتَتَلَفَّيْهِمُ الْمَلَكُةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ

¹ عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح: أهل السنة والجماعة، مراجعة وتقديم: صالح بن
عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، جمادى الأولى: 1421هـ، (د.ط)، ص: 59

² صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب نفخ الصور.

³ عقيدة التوحيد الكبرى، م. س، ص: 267

⁴ سورة الزمر: 65

⁵ سورة الأنبياء: 100

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
 الَّذِينَ كُنْتُمْ تُوعِدُونَ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ¹ إِذِ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ إِشَارَةٌ إِلَى
 قَوْلِهِ: "بَقِّزَعْ مَسْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَسْ فِي الْأَرْضِ"² والنفخة الثانية لأجل الإحياء بعد الإمامة حياة
 أخرى أرفع من الأولى، قال تعالى: "ثُمَّ نُفِخْ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَفَتِ الْأَرْضُ
 بِنُورِ رَبِّهَا"³ أي أرض المحشر وأرض الجنة، وكذلك النفوس⁴.

والمرجح من هذه الأقوال أن هناك نفختان للصور يوم القيامة، النفخة الأولى؛ نفخة
 الصعق، والثانية؛ نفخة القيام من القبور، ولعل الآية القرآنية صريحة في بيان هذا الأمر.
 وتؤمن المذاهب العقيدة الإسلامية بالبعث والنشور، وأن الله يبعث من في القبور؛ فيقوم
 الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا⁵ ويؤيد هذا ما ورد في الحديث النبوي عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول: إنكم ملاقو
 الله حفاة عراة غرلا⁶".

¹ سورة الأنبياء: 102 - 103

² سورة النمل: 89

³ سورة الزمر: 65 - 66

⁴ صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، حقائق البعث والنشور، تحقيق وتعليق: عبد القادر أحمد عطا، دار التراث
 العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، ص ص: 99 - 100

⁵ عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، ص: 59، (غرلا: غير مختونين) .

⁶ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحشر، رقم الحديث: 6525

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والصور هو قرن عظيم ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام-وهو صاحب الصور- عندما يأمره
الله تعالى بذلك، وقد قال صلى الله عليه وسلم¹: "كيف أنعمُ وصاحب القرن قد التقم القرن
واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ"².

5- جدلية المعاد الجسماني والروحاني

من المعلوم أن قضية المعاد الأخروي، قد حظيت بنقاش كبير بين المذاهب العقيدة
الإسلامية، خاصة المذاهب الكلامية، فبعضهم رأى أن المعاد سيكون جسمانيًا، والبعض الآخر
رأى أنه سيكون روحانيًا، كما أن هذا الموضوع شغل حيزًا مهمًا ضمن مباحث الفلسفة
الإسلامية، حيث توصل بعض الفلاسفة المسلمين إلى آراء اعتبرت إضافات جديدة في هذا
الباب، وكان من أبرزهم الفيلسوف الأندلسي ابن رشد.

أولاً: المعاد الجسماني

ويعني أن الله سبحانه يحشر الناس يوم القيامة بهذا البدن المشهود بعد رجوعه إلى هيئته
الأولى، والمعاد بهذا المعنى أصل عظيم من أصول الدين، وضرورياته الواجبة الاعتقاد، وأركانه
الثابتة، وجاحده كافر بالإجماع، والدليل على ثبوته أنه ممكن، والصادق أخبر بثبوته، فوجب
الجزم به والمصير إليه³.

¹ أبي عمر عبد العزيز بن فتحي بن السيد عيد نداء، العقيدة الإسلامية الميسرة وآثارها في حياة المسلم، راجعه فضيلة
الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، دار الزاحم للنشر والتوزيع، الرياض، ط2: 1422 هـ - 2001 م، ص: 93

² سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الصور، رقمه: 2431 واللفظ له وقال
حديث حسن.

³ شبر الفقيه، علم الكلام وتطوره عند العرب، م. س، ص: 353

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

يقول الله تعالى: "كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوتًا فَأَْحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ

يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"¹، ويقول تعالى: "فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ

كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"² ويقول أيضاً: "يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا

كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصَبٍ يُوفِضُونَ"³ والنصوص في هذا الباب كثيرة.

-القائلون بالمعاد الجسماني وأدلتهم:

القائلون بالمعاد الجسماني هم عامة أهل الإسلام من الفقهاء والمتكلمين وأهل الحديث والعرفان، وقد اتفقت كلمتهم على إعادة الإنسان ببدنه يوم القيامة كما أخبر عنه الله تعالى في كتابه، لكنهم اختلفوا في حقيقة الروح، فمنهم من يرى أن الروح هي جسم سارفي البدن، سريان النار في الفحم، والماء في الورد، وعليه فيكون المعاد عندهم بالنسبة للبدن والروح جسمانيًا، ولا يعني ذلك قولهم بعودة الأجسام ميتة لا روح فيها، بل تعود حية عاقلة، وإنما الروح عندهم معدودة في عداد الأجسام⁴.

وتفصيل ذلك أن المعاد الجسماني مما اتفقت عليه كلمة أهل السنة والجماعة"ومن قولهم: إن الله سبحانه يُعيد العباد، ويُحي الأموات، ويبعث من في القبور وأن الأجساد التي أطاعت أو عصت هي التي تُبعث يوم القيامة لتُجازى، وأن الجلود والألسنة والأيدي، والأرجل

1 سورة البقرة: 27

2 سورة آل عمران: 25

3 سورة المعارج: 43

4 شبر الفقيه، علم الكلام وتطوره عند العرب، م. س، ص: 355

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
 التي كانت في الدنيا هي التي تشهد على من تشهد عليه منهم يوم القيامة¹ وهذا تشهد له
 نصوص عديدة من القرآن الكريم كقوله تعالى: "كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ"² وقوله تعالى:
 "ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْفَيْلَمَةِ تُبْعَثُونَ"³ وقوله تعالى: "أَبْحَسِبْتُمْ أَنْتُمْ خَلَفْتُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ
 إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ"⁴ وقوله: "يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"⁵، وما أخبر به الصادق الأمين صلى
 الله عليه وسلم في أحاديثه الصحيحة.

ويرى أهل السنة والجماعة أن القرآن الكريم أولى عناية خاصة بقضية البعث الجسماني،
 وذلك بإقامة الحجج والبراهين العقلية على تأكيد وقوعه، ومن هذه الأدلة⁶:

الأول: قياس الإعادة على الابتداء كما قال تعالى: "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ"⁷ وقوله أيضاً:
 "أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ"⁸.

1 أبي عمرو الداني، الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقاد وأصول الديانات، دراسة وتحقيق: داغش بن شبيب
 العجمي، ص: 202 – 203

2 سورة الأنبياء: 103

3 سورة المومنون: 16

4 سورة المومنون: 116

5 سورة المطففين: 6

6 عقيدة التوحيد الكبرى، م. س، ص: 244

7 سورة الأعراف: 28

8 سورة ق: 15

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

الثاني: قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى، قال تعالى: "أَوَ لَيْسَ

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ¹".

الثالث: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات، كقوله تعالى: "وَاللَّهُ

الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا يَسْفِنُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

كَذَٰلِكَ النُّشُورُ²".

الرابع: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر، قال تعالى: "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا

وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ

خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مُنْهُ تُوفَدُونَ³".

والمذهب الأشعري يتفق مع هذا الاتجاه، حيث ورد عن الإمام الأشعري قوله إن "السعادة

والشقاء جسمانيان، وقد استدل على ذلك بما أثبتته الكتاب مراراً: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِقَائِلَتِنَا

سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ

1 سورة يس: 80

2 سورة فاطر: 9

3 سورة يس: 77 - 79

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا¹.

وهذا الإمام أبو حامد الغزالي أحد أعلام المذهب الأشعري، يناقش مسألة البعث
الجسماني، ويرد على الفلاسفة المنكرين له، وبعد أن استعرض بعض النصوص الشرعية التي
دلت على وجوب بعث الأجساد يوم الحشر، يقول: "نعم قد دل مع ذلك على البعث والنشور
بعده، وهو بعث البدن، وذلك ممكن، بردها إلى بدن، أي بدن كان، سواء كان من مادة البدن
الأول، أو من غيره، أو من مادة استؤنف خلقها، فإنه هو بنفسه لا ببدنه، إذ تتبدل عليه أجزاء
البدن، من الصغر إلى الكبر، بالهزال والسمن، وتبدل الغذاء، ويختلف مزاجه مع ذلك، وهو
ذلك الإنسان بعينه، فهذا مقدور لله تعالى، ويكون ذلك عَوْدًا، لتلك النفس، فإنه كان قد تعذر
عليها أن تحظى بالآلام واللذات الجسمية، بفقد الآلة، وقد أعيدت إليها، آلة مثل الأولى، فكان
ذلك عَوْدًا محققًا²".

في حين نجد أن مذهب المعتزلة يوجب إعادة المكلفين عقلا بناء على أصولهم في وجوب
الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية³ ونجد كذلك من المعتزلة من انفرد بآراء مخالفة لما
سبق، "فذهب أبو هاشم⁴: إلى المنع من إعادتها بتأليف آخر؛ مصيرًا منه إلى أن جواهر
الأشخاص متماثلة، وإنما يتميز كل واحد عن الآخر بتعيينه، وتأليفه الخاص، فإذا لم يعد ذلك

¹ سورة النساء: 55 - 56

² أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط: 4، (د.ت)، ص: 299

³ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 134

⁴ هو عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي، وكنيته أبو هاشم، يقول البغدادي: إنه ولد عام 277 هـ وتوفي عام
303 هـ (تاريخ بغداد، المجلد 11، ص: 55) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
التأليف الخاص؛ فذلك الشخص لا يكون هو العائد؛ بل غيره؛ وهو مخالف لما ورد به السمع
من حشر الناس على صورهم¹.

والقول بالمعاد الجسماني أخذ به أيضًا الفيلسوف المسلم ابن رشد، وقد استدل عليه
بأدلة كثيرة، كقوله تعالى: "مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ"²، وقوله
صلى الله عليه وسلم: " فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"³، ومنها ما
ينسبه إلى ابن عباس من قوله: "ليس في الدنيا من الآخرة إلا الأسماء"⁴، ومفهوم ابن رشد
للمسألة أن الأجسام تتحلل بعد الموت وتصبح عناصر مختلفة يتغذى بها النبات الذي قد يتغذى
به الإنسان فتتوزع عناصر جسم الإنسان في أجسام أخرى كثيرة متعاقبة، ولذلك كان تصور
ابن رشد أن الله يخلق أجسامًا جديدة للنفوس يوم المعاد، وهذا من وجهة نظره أقرب إلى
التصور من بعث الأجساد نفسها⁵.

ثانيًا: المعاد الروحاني

تحدث القرآن الكريم والسنة المطهرة عن النفس الإنسانية، واهتم المسلمون –والصوفية
منهم على وجه الخصوص- منذ وقت مبكر بالنفس وتهذيبها، وكانوا على دراية بأن الوصول إلى

¹ سيف الدين الأمدى، أباكار الأفكار في أصول الدين، ج4، م. س، ص: 268

² سورة الرعد: 36

³ أصله حديث قدسي ورد في صحيح البخاري بهذه الصيغة "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت. . . إلخ"، كتاب
التفسير، باب قوله تعالى: "فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين"، رقمه: 4779.

⁴ قول لابن عباس رضي الله عنه.

⁵ يُنظر: مصطفى الشكعة، مطالعات إسلامية في العقيدة والفكر، م. س، ص ص: 269 - 271

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
معرفة ماهية النفس أمر متعذر عليهم؛ لأنها من الأمور التي استأثر الله بعلمها¹، طبقًا لقوله
تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"².

- القائلون بالمعاد الروحاني وأدلتهم:

ذهب جمهور الفلاسفة إلى أن المعاد روحاني؛ لأنهم لم يتمكنوا من تعقل عودة الأبدان
على معاييرهم الفلسفية، فقالوا: إن البدن ينعدم بصوره وأعراضه، لقطع تعلق النفس به، فلا
يُعاد بشخصه تارة أخرى، إذ المعدوم لا يُعاد، والنفس جوهر باق لا سبيل للفناء إليه، وعليه
جعلوا المعاد وما يتعلق به من شأن الروح وحدها التي لا يعتريها الفناء³.

وقد نُسب للفيلسوف المسلم ابن سينا الملقب بالشيخ الرئيس قوله بإنكار المعاد
الجسماني، واعترافه بالمعاد الروحاني⁴، إلى درجة أن الإمام أبا حامد الغزالي حكم بتكفير ابن
سينا وفلاسفة آخرون في كتابه المشهور "تهافت الفلاسفة"⁵.

¹ محمود محمد عيد نفيسة، أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي: دراسة تحليلية نقدية، دار النوادر، دمشق- بيروت، ط1: 1431هـ- 2010م، ص: 298

² سورة الإسراء : 85

³ شبر الفقيه، علم الكلام وتطوره عند العرب، م. س، ص ص: 356 - 357

⁴ المرجع نفسه، ص: 357

⁵ أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط4، (د.ت)، ص: 207 وما بعدها

6- خلود النفس

شغل هذا الموضوع حيزاً كبيراً في كتابات فلاسفة المسلمين، بل إن الفلاسفة كان لهم كلام في هذا الباب أكثر من المتكلمين، وفي هذا الإطار، يأتي الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي الذي أفاد وأجاد في الحديث عن النفس الإنسانية، بل ونجده يعقب على بعض الفلاسفة المسلمين كابن سينا في كلامهم عن خلود النفس.

للغزالي براهين عقلية وأخرى شرعية على خلود النفس، وبراهينه العقلية مأخوذة من ابن سينا، وعلى ذلك فهو ينتقد في (التهافت) الفلاسفة القائلين بخلود النفس واستحالة فناء النفوس البشرية مستنديين في ذلك إلى حجج وبراهين عقلية منطقية، وهو يرى أن خلود النفس لا يمكن البرهنة عليه عن طريق النظر العقلي، ومن ثم فيجب الاستناد في ذلك إلى الشواهد القرآنية والخبر الشرعي¹. ويستدل على ذلك بقوله تعالى: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ فُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"².

خلاصة:

أخلص مما سبق، إلى أن قضية الحشر من القضايا الإيمانية المتفق عليها بين المذاهب العقدية الإسلامية، ولعل النصوص القرآنية القطعية والأحاديث النبوية الصحيحة في هذه

¹ محمد أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، م. س، ص: 450

² سورة آل عمران: 169 - 170

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
المسألة، لا تدع مجالاً لكثرة التأويلات أو الاختلافات، إذ أن البعث أو الحشر من القبور هو من
المعلوم من الدين بالضرورة عند كافة المسلمين بغض النظر عن تباين أفكارهم وتعدد مذاهبهم.
ومن القضايا الإيمانية المتصلة بالحشر، قضية الحساب والجزاء على الأعمال في الدار
الآخرة، فما هي مواقف المذاهب العقدية الإسلامية من الحساب؟

الفرع الثاني: قضية الحساب

كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن الإيمان باليوم الآخر هو ركن أساسي من أركان العقيدة
الإسلامية، ويلحق به الإيمان بالحساب والجزاء على الأعمال يوم القيامة، وقد شغل موضوع
الحساب حيزاً مهماً في أدبيات المذاهب العقدية الإسلامية، إذ لا تكاد تخلو المؤلفات الإسلامية
القديمة والحديثة من الكلام عن الثواب والعقاب؛ حيث يندرج عندهم في خانة المعاد أو ما
يسمى بالسمعيات.

وقبل مناقشة هذا الموضوع، لا بأس من تحديد الدلالات اللغوية والاصطلاحية لمفهوم
الحساب من خلال الرجوع إلى القواميس اللغوية.

1- تعريفه

في اللغة:

جاء في القواميس اللغوية "حاسبه محاسبة، وحسابًا: ناقشه الحساب وجاهه¹ وحسبه حسابًا وحُسابًا بالضم، وحُسابًا وحسابًا وحِسْبَةً وحِسَابَةً بكسرها عَدَّة² والحساب: استعمال العدد، يقال: حَسَبْتُ أَحْسَبُ حِسَابًا وحُسابًا، قال تعالى: "لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ"³، وقال تعالى: "وَجَعَلُ الْيَلِ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا"⁴، وقيل: لا يعلم حُسابُهُ إلا الله⁵ والدينونة من مرادفات الحساب، ومنها: الديان وهو "من أسماء الله عز وجل، معناه الحكم القاضي"⁶، ويعني أيضًا "القهار، والقاضي، والحاكم، والسائس، والحاسب، والمجازي الذي لا يضيع عملا، بل يجزي بالخير والشر"⁷.

وبالجملة، فإنَّ مادة (حسب) تفيد معاني العد أي عد وحساب الأشياء، والحكم والقضاء، ومنه حساب الأعمال وإحصاؤها دون زيادة ولا نقصان.

¹ المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، الإدارة

العامة للمجموعات وإحياء التراث، القاهرة، ط1: 1380هـ - 1960م، ص: 216

² الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (حسب)، م. س، ص: 74

³ سورة يونس: 5

⁴ سورة الأنعام: 97

⁵ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (مادة حسب)، م. س، ص: 232

⁶ لسان العرب، مادة (دين)، المجلد الخامس، ص: 338

⁷ القاموس المحيط، مادة (دين)، م. س، ص: 1198

في الاصطلاح الشرعي:

الحساب في الاصطلاح الشرعي "هو توقيف الله العباد قبل انصرافهم من المحشر على أعمالهم"¹، ويُعرّف كذلك بأنه "مواجهة الناس بأعمالهم لإدانة المخطئ ومعاقبته وتكريم المطيع ومكافأته"²، وبعبارة أخرى هو "توقيف الله الناس على أعمالهم، خيرًا كانت أو شرًا، قولًا كانت أو فعلًا، تفصيلًا بعد أخذهم كتبها، ويكون للمؤمن والكافر إنسًا وجنًا، إلا من استثنى منهم"³.

ويُعرّف الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله الحساب بقوله: "هو إطلاع الله عباده قبل انصرافهم من المحشر على كل ما قد جنوه في حياتهم الدنيا من تصرفات فعلية وقولية واعتقادية خيرًا كانت أو شرًا، وذلك بالشكل أو الواسطة التي لا يعلمها أحد غيره"⁴.

تتلخص معاني الحساب-كما هو مبين سابقًا- في وقوف العباد بين يدي الله عز وجل، ومحاسبته لهم جميعًا على أعمالهم خيرًا كانت أم شرًا، وذلك قبل انصرافهم من المحشر بصورة لا يعلمها إلا هو سبحانه.

¹ العربي اللوه، الرائد في علم العقائد، م. س، ص: 287

² يسر محمد سعيد مبيض، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، م. س، ص: 122

³ إبراهيم بن محمد البيجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة: 1358 هـ - 1939 م، ص: 108

⁴ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، م. س، ص: 347

2- مفهوم الحساب في المصادر الإسلامية

اعتبارًا لما للتأصيل الشرعي للمفاهيم من أهمية في فهم المراد منها، سأعرض أبرز ما ورد من نصوص شرعية في هذا الموضوع، ويمكن تقسيمها إلى قسمين: النصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

1- النصوص القرآنية:

من طبع الإنسان الغفلة والنسيان، فهو في خضم هذه الحياة الدنيا تعترضه عقبات كثيرة، وتحول بينه وبين مراقبة الله تعالى صوارف لا حصر لها، وتشغله المغريات الدنيوية عن التفكير في مصيره يوم القيامة، ولذلك تأتي الآيات القرآنية الكريمة لتنبيهه وإيقاظ قلبه، وتحذره من مغبة هذه الغفلة، يقول الله تعالى: "وَأَتَّفُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"¹، فهذه الآية الكريمة تأتي في سياق "التذكير بيوم القيامة الذي تبطل فيه الشواغل، وتتلاشى هذه الصوارف حتى لا يشغل الإنسان فيه شيء ما عن الله تعالى وما أعدّه من الجزاء للعباد على قدر أعمالهم"²، ويقول الله تعالى: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ"³، فهذا النص يكشف لنا، أنه لو لم يكن وراء هذه الحياة التي تنتهي بالموت حياة

¹سورة البقرة: 280

² رشيد رضا، تفسير المنار، ج3، ص: 105

³ سورة المؤمنون: 116 - 117

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

أخرى تكون فيها الرجعة إلى الله، للحساب والجزاء، وإقامة محكمة للعدل والفصل الإلهية،

لكانت عملية الخلق ضرباً من العبث، والله تبارك وتعالى منزّه عنه، فلا يكون في شيء من أفعاله

وأحكامه وأوامره ونواهيه وشرائعه هذا العبث، بل لا بد في كل ذلك من غايات حكيمة تحددها

إرادة الخالق المستندة إلى علمه المحيط بكل شيء¹، وفي آية أخرى يقول عز وجل: "يَوْمَئِذٍ

يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُ"²، جاء في التفسير: "يومئذ يصدر الناس أشتاتاً متفرقين عن اليمين وعن الشمال،

ليروا أعمالهم، فيرى المحسن في الدنيا المطيع لله عمله وما أعد الله له من يومئذ من الكرامة

على طاعته إياه كانت في الدنيا، ويرى المسيء العاصي لله عمله وجزاء عمله وما أعد الله له من

الهوان والخزي في جهنم على معصيته إياه كانت في الدنيا، وكفره به"³.

وأما معنى الحساب فإنه في القرآن على وجوه، منها: الجزاء، كما في قوله تعالى: "ثُمَّ إِنَّ

عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ"⁴ أي جزاءهم، وقد يكون بمعنى الكفاء، كما قال سبحانه: "عَطَاءٌ حِسَاباً"⁵ أي

كفاء⁶ لعمله، وقد يكون بمعنى تعريفه أعماله وما قُدِّرَ عليها من الجزاء من ثواب وعقاب¹.

1 عبد الرحمن حبنكة الميداني، الوجيزة في العقيدة الإسلامية، م. س، ص: 128 - 129

2 سورة الزلزلة: 6 - 9

3 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج7، م. س، ص: 555

4 سورة الغاشية: 26

5 سورة النبأ: 26

6 يقصد مكافأة.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
والحاصل، أن هذا الموضوع الإيماني، قد نال نصيبه من البيان والتفصيل في القرآن
الكريم في غير ما موضع، حيث وردت نصوص قرآنية عديدة ارتبط فيها الإيمان بالله تعالى
بالإيمان باليوم الآخر، وما فيه من مشاهد الحساب والجزاء على الأعمال.

2- الأحاديث النبوية:

وردت العديد من الأحاديث النبوية في معرض الكلام عن يوم القيامة والحساب من ثواب
وعقاب، وفي هذا السياق، أقتصر على عرض بعض ما جاء في كتب الحديث النبوي من شواهد.
أخرج الإمام مسلم في صحيحه، قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقَتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا
إِسْمَاعِيلُ (يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ) عَنْ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ: "لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجِلْجَاءُ² مِنَ الشَّاةِ
الْقِرْنَاءِ"³.

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث إسحاق بن إبراهيم عن معاذ بن هشام عن أبيه
عن قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال: "إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ
مِظَالَهُمْ بَيْنَهُمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُوا وَهَدَّبُوا أُذُنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ"⁴.

¹ ابن فورك، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة، م. س، ص: 178

² الجلاء هي التي لا قرن لها من الحيوان (معجم المعاني www.almaany.com).

³ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث: 2582، وسنن الترمذي، كتاب صفة
القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، رقمه: 2420

⁴ صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، رقم الحديث: 2440

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
فهذين الحديثين يعرضان حالة العباد يوم المحشر، حينما يتحاكموا أمام الملك الديان،
ويقتص كل واحد من الآخر الذي عليه مظلمة له، ولم يؤديها له في الدنيا، سواء في الدماء أو
الأموال أو الأعراض.

كما أن كل فرد سيسأله الله تعالى عن أربعة أشياء ورد ذكرها في الحديث النبوي الذي
أخرجه الإمام الترمذي في سننه عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه
وسلم: "لا تزول قدمًا عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل،
وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه".¹

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ولا يتسع المجال لعرضها، وإنما أكتفي بما يتضح به المعنى،
وإذا كانت النصوص الشرعية تخبرنا بحتمية وقوع الحساب يوم القيامة، فإن دلالاتها
والتفسيرات التي وردت حولها، وكذلك تصورات ومواقف المذاهب العقدية الإسلامية حول
كيفية محاسبة العباد، وتقرير مصيرهم هو مما يحتاج إلى بيان وتفصيل.

3- مواقف المذاهب الإسلامية من قضية الحساب

شَغَلَ موضوع يوم الحساب بما فيه من الثواب والعقاب ودخول الجنة أو النار حيزًا كبيرًا
في أدبيات المذاهب العقدية الإسلامية، فكلهم متفقون على أن بعد هذه الحياة الدنيا ستكون
هناك حياة أخرى مختلفة، "ويؤمنون بيوم القيامة الكبرى الذي يُحيي الله فيه الموتى، ببعث
العباد من قبورهم، ثم يحاسبهم"²، وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على

¹ سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، رقم الحديث: 2417 وقال حديث حسن صحيح.

² عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، م. س، ص: 60

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الأعمال، وهو مقتضى الحكمة؛ فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه¹، واستدل أهل السنة والجماعة على ذلك بنصوص من الكتاب والسنة، أذكر منها قوله تعالى: "إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ"²، وقوله تعالى: "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"³، وقوله تعالى: "وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْفَيْمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَهْبٍ بِنَا حَاسِبِينَ"⁴.

واستدلوا أيضاً ببعض الأحاديث النبوية منها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال⁵: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيُضَعُّ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرِهِ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيقول: نعم أَيُّ رَبِّ، حتى إذا قرَّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فيقول الأشهاد: "هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"⁶.

¹ محمد بن عبد العزيز بن محمد العقيل، العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة، م. س، ص: 97

² سورة الغاشية: 25 - 26

³ سورة الأنعام: 161

⁴ سورة الأنبياء: 47

⁵ صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قوله تعالى: "أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"، رقم الحديث: 2441

⁶ سورة هود: 18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ومنها الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي في سننه من رواية عدي بن حاتم رضي الله
عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من رجل إلا سيكلمه ربه يوم القيامة
وليس بينه ترجمان"¹.

يقول ابن خمير السبتي²: "اعلم أن ما من بر ولا فاجر إلا يحاسبه الله يوم القيامة بلا
ترجمان، فإذا وقف العبد بين يدي ربه تعالى عُدِمَت الموانع من سمعه، وخلق الله له إدراكًا
يتعلق بكلامه تعالى وخلق له علمًا بمقتضى الكلام"³.

ويثبت المعتزلة الحساب يوم القيامة، ويعتبرونه من القضايا التي لا جدال فيها، وفي هذا
الصدد يقول القاضي عبد الجبار: "وأما الحساب فمما لا يجوز إنكاره، فقد قال الله تعالى:
" فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْفَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ
مَسْرُورًا"⁴، غير أن محاسبة الله تعالى إيانا لا تجري على حد ما تجري المحاسبة بين الشريكين
والمتعاملين"⁵.

¹ سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، رقم الحديث: 2415

² هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خمير الأموي، ولم تذكر المصادر القليلة التي ترجمت له تاريخًا لميلاده الذي يرجح
أن يكون في أواسط القرن السادس الهجري (حوالي سنة 550هـ - 1155م)، أما وفاته ف وقعت سنة 414هـ - 1217م،
حسب ما ذكره ابن الشعار في "قلائد الجمان"، وكان ميلاده بسبته في ظل حكم الموحدين (مقدمات المرشد إلى علم
العقائد، حققه وقدم له: الدكتور جمال علال البختي، ص: 33) .

³ ابن خمير، مقدمات المرشد إلى علم العقائد، م. س، ص: 347

⁴ سورة الانشقاق: 7 - 9

⁵ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 736

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

ويستدل القاضي عبد الجبار بنصوص قرآنية على وقوع الحساب كقوله تعالى: "بَوْرِكَ

لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ"¹ وقوله تعالى: "وَفُجُوهُهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ"²، وقوله: "لَيَسْأَلَنَّ الصّٰدِقِينَ

عَنْ صِدْقِهِمْ"³ إلى غير ذلك.

4- كيفية الحساب يوم القيامة وأصناف المحاسبين

أ- كـيفيته:

تعتقد المذاهب العقدية الإسلامية أن الحساب يوم القيامة ستتخلله المحطات الآتية:

1-نصب الموازين: توضع الموازين يوم القيامة لحساب الخلائق، ويتقدم الناس واحداً

واحداً للحساب، فيحاسبهم ربهم، ويسألهم عن أعمالهم⁴، وتوزن أعمال العباد يوم القيامة من

حسنات وسيئات، فمن رجحت حسناته فاز، ومن رجحت سيئاته هلك، يوزن العامل وعمله

وصحيفة عمله؛ إظهاراً لعدله سبحانه بين جميع عباده، وأثقل شيء يوضع في ميزان العبد يوم

القيامة حُسن الخُلُق⁵.

¹ سورة الحجر: 92

² سورة الصافات: 24

³ سورة الأحزاب: 8

⁴ محمد بن إبراهيم التوحيدي، اليوم الآخر: صفة الجنة والنار، م. س، ص: 29

⁵ المرجع نفسه، ص: 31

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
والميزان أثبتته الأشاعرة، والسلف، وأكثر المسلمين؛ وأنكره المعتزلة¹ وقالوا: "ليس هنالك
ميزان وإنما المقصود بالميزان العدل والقضاء"² لكن منهم من أحاله عقلا، ومنهم من جَوَّزه عقلا،
وإن لم يقض بثبوته كالعلاف، وبشر بن المعتز³.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري: "إنه لا ينكر أن يكون كما ذكر في الخبر أنه ينصب ميزان
يوم القيامة له كفتان توزن فيهما أعمال العباد، فيتبين بثقله وخفته سعادة السعيد وشقاوة
الشيقي"⁴، ويقول الإمام القرطبي: "وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن
للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها
ليكون الجزاء بحسبها"⁵.

ويعتقد أهل السنة أن "الموازنة للمؤمنين الذين معهم طاعات وسيئات ربما اعتدلت وربما
رجح بعضها على بعض، وأما الكفار فلا طاعة لأحد منهم يوازن بها كفرهم، فوجب ألا يكون لهم
حسنات، ولا موازنة، قال الله تعالى فيهم: "قَلَّا نَفِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ تُنْفِلَمَةُ وَزْنَآ"⁶ وقوله:
" وَمَنْ حَبَّتْ مَوَازِينُهُ"⁷، عبارة على أنها لا بر لهم، ولا طاعة لهم"⁸، ويؤكد هذا حديث النبي

¹ سيف الدين الأمدى، أباكار الأفكار في أصول الدين، ج4، ص: 345، عضد الدين الإيجي، المواقف، ص: 384

² يسر محمد سعيد مبيض، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، م. س، ص: 125

³ أباكار الأفكار في أصول الدين، ج4، م. س، ص: 345

⁴ ابن فورك، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة، م. س، ص: 177

⁵ عمر سليمان الأشقر، العقيدة في ضوء الكتاب والسنة: اليوم الآخر- القيامة الكبرى، ص: 247

⁶ سورة الكهف: 100

⁷ سورة الأعراف: 8

⁸ الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقاد وأصول الديانات، م. س، ص: 206

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
صلى الله عليه وسلم: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح
بعوضة، اقرؤوا: "بَلَا نُفِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا"¹.

2- رؤية الأعمال: تُعرض أعمال العباد عليهم يوم القيامة، ويرى المرء عمله وهو يباشره،
صغيراً كان أو كبيراً، خيراً كان أو شراً كما قال سبحانه: "يَوْمَ يُنْفَخُ يُصْدَرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا
أَعْمَلَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"².

3- عرض صحائف الأعمال: يُعطى كل واحد من أهل الموقف كتاباً مكتوب فيه ما عمل من
خير أو شر، فمنهم من يُعطى كتابه بيمينه وهم السعداء، ومنهم من يُعطى كتابه بشماله من
وراء ظهره وهم الأشقياء³، قال الله تعالى: "بِأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ
حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُوا
ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا"⁴ وقال تعالى: "بِأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَيقُولُ هَآؤُمْ اِقْرَءُوا
كِتَابِي إِنَّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِيهِ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا
وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، فَيقُولُ يَلَيْتَنِي

¹ صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم الحديث: 2785

² سورة الزلزلة: 6 – 9

³ محمد بن إبراهيم التويري، اليوم الآخر: صفة الجنة والنار، م. س، ص: 29

⁴ سورة الانشقاق: 7 – 12

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

لَمْ أَوْتَ كِتَابِيهِ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ يَلَيْتَهَا كَانَتْ لِفَاضِيَةٍ مَا أَغْنِي عَنِّي مَالِيَّةٌ هَلَكَ عَنِّي
سُلْطَانِيَّةٌ خُذُوهُ فَعُغْلُوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ¹.

4- شهادة الأعضاء: يتفق أهل السنة والجماعة على أن العباد ستشهد عليهم جوارحهم يوم الحساب بما فعلوا من أعمال في الدنيا، يقول الله تعالى: "يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"²، ويقول أيضاً: "وَقَالُوا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا فَالَوْ أَنزَلْنَاهُ اللَّهُ الذِّكْرَ أَنْطَقَ كُلُّ شَيْءٍ"³، والكفار يحاسبون حساباً عسيراً، ويسألون عن الصغيرة والكبيرة، وإذا كذبوا وكنتموا، يختم الله عز وجل على أفواههم، وتُستنطق جوارحهم فتشهد عليهم لقوله تعالى: "الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"⁴.

5- محاسبة العباد بشكل فردي: يقرر القرآن الكريم على أن الحساب يوم القيامة سيتم بشكل فردي، بمعنى أن كل إنسان سيحاسبه الله عز وجل بمفرده "ولا يشغله تعالى محاسبة أحد عن أحد، حتى إن كل واحد يرى أنه المحاسب وحده"⁵، يقول الله تعالى: "وَكُلُّهُمْ عِندَ رَبِّهِ

1 سورة الحاقة: 18 - 32

2 سورة النور: 24

3 سورة فصلت: 20

4 سورة يس: 64

5 العربي اللوه، الرائد في علم العقائد، م. س، ص: 288

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

يَوْمَ الْفَيْمَةِ بَرْدًا¹، ويقول تعالى: "يَوْمَ يَهْرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَلَحَتِيهِ وَبَنِيهِ

لِكُلِّ إِمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ"².

ويرى صاحب كتاب "الأصول الخمسة" أن شكل الحساب الإلهي سيكون مختلفًا عما يتصوره الناس من طريقة المحاسبة في الدنيا، فيقول: "فإن ذلك فيما بيننا إنما يكون بعقد الأصابع أو ما يجري مجراه، وليس هكذا محاسبة الله تعالى عباده، فإن ذلك يكون بخلق العلم الضروري في قلبه أنه يستحق من الثواب كذا ومن العقوبة كذا، فيسقط الأقل بالأكثر"³.

ب- أصناف المحاسبين يوم القيامة:

على ضوء النصوص القرآنية، وما ورد من أحاديث نبوية شريفة في الموضوع، فإن العباد يوم القيامة يتفاوتون في درجة الحساب، وينقسمون إلى طوائف متفرقة، وأصنافاً شتى، منهم من يستحق غاية الثواب، ومنهم من يستحق غاية العذاب، ومنهم من هو وسط بين ذلك. فهناك صنف الرسل عليهم الصلاة والسلام، وصنف المؤمنون الصادقون، ومنهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهناك الكفار الذين جحدوا نعم الله تعالى واستحقوا سخطه وعقابه.

غير أنه—وارتباطاً بهذه القضية—ينبغي التمييز بين العَرَض والحساب والسؤال، "ويسبق

الحساب عَرَضٌ فسؤال، قال الله تعالى مُبَيَّنًّا مرحلة العَرَض⁴: "وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَبْرًا لِّقَدْ

1 سورة مريم: 96

2 سورة عبس: 34 - 37

3 القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 736

4 عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، م. س، ص: 657

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
جِيئْتُمُونَا كَمَا خَلَفْنَاكُمْ؛ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلَّ رَعْمَتُمْ؛ أَلَّا نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا¹، وقال تعالى مُبَيَّنًا
مرحلة السؤال²: "فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ"³.

وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم الفرق بين الحساب والعرض، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من نُوقِشَ الحساب عُذِّبَ. قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى: "قَسُوفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا" قال: ذلك العرض"⁴.

فالعرض يعني الوقوف بين يدي جبار السماوات والأرض مالك الملك الذي بيده الأمر من قبل ومن بعد أرحم الراحمين على المؤمنين والمنتقم الجبار من الكافرين والمشركين⁵.
وأصناف الناس يوم القيامة، ودرجات حسابهم يمكن عرضها على الشكل الآتي:

الصنف الأول: الرسل عليهم الصلاة والسلام

إنَّ أولَ من يُدعى إلى السؤال يوم القيامة هم الرسل ليشهدوا على قومهم بأنهم بلَّغوا الرسالة، ونصحوا الأمة، ونهَّوا الغافلين، وحذَّروا العاصين والمشركين⁶؛ مصداقًا لقوله تعالى:

¹ سورة الكهف: 47

² العقيدة الإسلامية وأسسها، م. س، ص: 657

³ سورة الحجر: 92 - 93

⁴ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من نُوقِشَ الحساب عُذِّبَ، رقم الحديث: 6536

⁵ الموسوعة الكونية الكبرى، ج14، آيات الله في خلق الإنسان وبعثه وحسابه، ص: 277

⁶ يسر محمد سعيد مبيض، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، م. س، ص: 123

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

"قَلَنَسَعَلَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسَعَلَّ الْمُرْسَلِينَ"¹، وما الأنبياء والمرسلون إلا شهود عدول لا مجال للطعن في شهادتهم، قال تعالى² "وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"³.

الصنف الثاني: المؤمنون الصادقون

هم الذين يُحَاسِبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا وهم على الأغلب المؤمنون الصادقون من عموم المؤمنين، وهم سواد كثير وأعداد كثيرة فليس كل المؤمنين علماء وقراء وشهداء وقوامين بالليل، ولكن منهم من كان له عمله في الدنيا وقد حافظ على طاعته وصلاته وصيامه وحجه وزكاته ومات على ذلك، فهو إن شاء الله من الذين يُحَاسِبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وهم من أهل اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم فهؤلاء يُحَاسِبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا بلا مناقشة ولا تشديد، وإنما لعرض أعمالهم عرضًا ثم يتجاوز الله سبحانه عن سيئاتهم ويغفرها برحمته⁴.

وبخصوص هذا الصنف من المؤمنين يقول الحق سبحانه: "بِأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا"⁵، ويقول أيضًا: "وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ"

1 سورة الأعراف: 5

2 اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، م. س، ص: 123

3 سورة الزمر: 66

4 الموسوعة الكونية الكبرى، ج14، آيات الله في خلق الإنسان وبعثه وحسابه، م. س، ص: 294

5 سورة الانشقاق: 7

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَبَلَكْهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَفْطُوعَةٍ
وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ¹.

وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: "قسم أربت سيئاتهم على حسناتهم، ثم ينقسمون في
الحساب والدرجات والعقوبات أقسامًا لا تنضبط عددًا، لكن تنحصر أحوالهم في قسمين: قسم
ينجو بعمله، وقسم يفتقر إلى شفاعته غيره قبل العقاب، وقسم بعده-كما وردت به الأخبار-
لكنهم يتحدون في دخول الجنة والنعيم"².

الصنف الثالث: الكافرون

الكفار يُخَاسَبُونَ وتُعرض عليهم أعمالهم يوم القيامة توبيخاً لهم، وهم متفاوتون في
العذاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن له حسنات يطعم
بها في الدنيا عافية، أو مالا، أو رخاء، ويوم القيامة يدخل النار³.

ويندرج تحت هذا القسم أصناف ثلاثة، قال صاحب مقدمات المرشد إلى علم العقائد:
"وأما الذين يدخلون النار بغير حساب فتلاثة أصناف: المنكرون على الله ورسوله، والذين يؤذون
الله ورسوله، والمصورون"⁴.

1 سورة الواقعة: 29 - 36

2 ابن خمير السبتي، مقدمات المرشد إلى علم العقائد، م. س، ص: 352

3 محمد بن إبراهيم التويجري، اليوم الآخر: صفة الجنة والنار، م. س، ص: 31

4 ابن خمير السبتي، مقدمات المرشد إلى علم العقائد، م. س، ص: 352

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
فهذا الصنف كَذَّبَ بآيات الله تعالى في الدنيا واستحق الهلاك والمهانة في الآخرة، وقد قال
سبحانه في شأنهم: "وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا وَيَصَلَّى سَعِيرًا"¹،
وقال فيهم أيضًا: "وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّنْ يَّخْمُومٍ لَّا
بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ"².

الصنف الرابع: من يدخلون الجنة بغير حساب

الحساب يوم القيامة عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم، وهم
سبعون ألفًا من هذه الأمة يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب³.

وقد وردت بعض النصوص الشرعية لتقرير هذه الحقيقة، منها قوله تعالى: "وَمَنْ عَمِلَ
صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بآيَاتِنَا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ"⁴،
وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمْرُوعَهُ الْأُمَّةَ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُوعَهُ
النَّفَرَ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُوعَهُ الْعَشْرَةَ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُوعَهُ الْخَمْسَةَ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُوعَهُ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ
كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ هَؤُلَاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ انْظُرِي إِلَى الْأَفْقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ:

¹ سورة الانشقاق : 10 - 12

² سورة الواقعة: 43 - 47

³ اليوم الآخر: صفة الجنة والنار، م. س، ص: 31

⁴ سورة غافر: 40

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا
يكتونون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون¹ الحديث.

جاء في كتاب مقدمات المرشد إلى علم العقائد "فأما الذين يدخلون الجنة بغير حساب
فثلاثة أصناف جاء بهم الخبر: الحمادون لله تعالى في السراء والضراء، والذين كانت تتجافى
جنوبهم عن المضاجع، والذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله²."

5- المكلف بحساب الناس يوم القيامة

يؤكد القرآن الكريم في أكثر من آية أن الذي له الحق في حساب الناس هو الله وحده، فهو
لم يعط هذه المهمة لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، بل تكفل سبحانه بالحساب وتحديد مصير
العباد يوم الحشر، يقول الله تعالى: "بِإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ"³، ومعنى الآية أن
الله أرسل رسوله، ليبلغ للناس رسالة الله، وقد فعل ما أمره، أما الحساب والجزاء فعلى الله، إذ
أنه هو المحاسب والمجازي، لا أحد سواه⁴، ويقول: "وَإِنْ تُبْذَوْا مَا يَجِ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُ"

¹ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، رقم الحديث: 6541

² ابن خمير السبتي، مقدمات المرشد إلى علم العقائد، م. س، ص: 351

³ سورة الرعد: 41

⁴ تفسير ابن كثير، ج2، ص: 520

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ¹ وفي تقرير مصيرهم يقول سبحانه: "يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ
أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا"².

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يحاسب الناس يوم القيامة على أعمالهم،
خيرها وشرها، فلا يفوته سبحانه وتعالى- شيء منها، يقول سبحانه: "إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ"³،
ويقول أيضًا: "وَكَبِّهِيَ بَنَّا حَسِبِينَ"⁴، ويقول جل جلاله: "وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"⁵.

والله عز وجل يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسًا واحدة، كما قال جلَّ وعلا: "مَا
خَلَقْنَاكُمْ وَلَا نَبْعُثُكُمْ إِلَّا أَنْفُسًا وَاحِدَةً"⁶، وقوله جلَّ جلاله: "وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ
كَلَمَحٍ بِالْبَصَرِ"⁷، ولا غرابة في سرعة حساب الله للناس يوم القيامة، فكما يرزقهم في وقت
واحد يحاسبهم أيضًا في وقت واحد⁸.

¹ سورة البقرة : 283

² سورة الإنسان: 31

³ سورة إبراهيم: 53

⁴ سورة الأنبياء: 47

⁵ سورة يونس: 61

⁶ سورة لقمان: 27

⁷ سورة القمر: 50

⁸ فرج الله عبد الباري، يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، م. س، ص: 202

6- الجنة والنار أو مصير المؤمنين والكفار

في ختام هذا اليوم يُحشر العباد إما إلى الجنة وإما إلى النار، وهما المقر الأخير الذي يصير إليه العباد جميعاً¹ فالجنة دار النعيم التي أعدّها الله تعالى للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله، مُتبعين لرسوله² والنار هي دار العذاب التي أعدّها الله للكافرين والمنافقين والعصاة في الآخرة³.

والجنة والنار مخلوقتان من الله تعالى في الأزل، وغير قابلتان للفناء، وهو اعتقاد مدرسة أهل السنة والجماعة⁴ ومن قولهم: إن الله سبحانه قد خلق الجنة والنار قبل خلق آدم عليه السلام، خلقهما للبقاء لا للفناء وأعدّهما لأهل الثواب والعقاب⁵ بخلاف ما يعتقده بعض المعتزلة⁶ وعلى رأسهم أبو الهذيل العلاف الذي قال بفناء مقدورات الله تعالى، وأن أهل الجنة وأهل النار في تلك الحال يبقون جموداً في سكون دائم⁷ غير أن الخياط وهو من مدرسة المعتزلة ينفي أن يكون هذا الرأي صادراً عن أبي الهذيل، ويقول في هذا الصدد: "وأبو الهذيل كان يزعم أن أكل أهل الجنة وشربهم وجماعهم وتزاورهم وجميع لذاتهم باقية مجتمعة فيهم لا تفنى ولا

¹ محمد بن إبراهيم التوبجري، اليوم الآخر: صفة الجنة والنار، م. س، ص: 263

² محمد بن عبد العزيز بن محمد العقيل، العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة، م. س، ص: 98

³ محمد بن إبراهيم التوبجري، اليوم الآخر: صفة الجنة والنار، م. س، ص: 61

⁴ يُنظر: الباقلاني، الإنصاف، ص: 48، الإيجي، المواقف، ص: 374، النسفي، بحر الكلام، ص: 244،

ابن خمير السبتي، مقدمات المرشد إلى علم العقائد، ص: 364

⁵ الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقاد وأصول الديانات، م. س، ص: 195

⁶ يُنظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص: 289، الإيجي، المواقف، ص: 375

⁷ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص: 289، عقيدة التوحيد الكبرى، م. س، ص: 298

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
تنقص ولا تزول ولا تبديد، وإنما الذي حكاه صاحب الكتاب (يقصد ابن الراوندي) قول جهنم،
لأن جهنمًا كان يزعم أن الله يُفني الجنة والنار وما فيهما ويبقى وحده¹.

وقال ابن حزم في الفصل: "اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة، ولا لنعيمها، ولا
لنار، ولا لعذابها، إلا جهنم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف وقومًا من الروافض، فأما جهنم
فقال: إن الجنة والنار يفنيان ويفنى أهلها، وقال أبو الهذيل: إن الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى
أهلها، إلا أن حركاتهم تفتي، ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك أحياء متلذذون أو
مُعذبون، وقالت تلك الطائفة من الروافض: إن أهل الجنة يخرجون من الجنة، وكذلك أهل
النار من النار إلى حيث شاء الله².

أ- الجنة:

الجنة في اللغة: هي البستان أو الحديقة ذات الشجر والنخل³ وهي كل بستان ذي شجر
يستر بأشجاره الأرض⁴ والجنة من مصدر جَنَنَ جَنًّا إذا ستره، فكأنها سترة واحدة لشدة التفافها

¹ أبو الحسين بن عثمان الخياط، الانتصار في الرد على ابن الراوندي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1956،
ص: 18

² ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج4، م. س، ص: 145

³ ابن منظور، لسان العرب، مادة (جنه)، ج3 – 4، ص: 221

⁴ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م. س، ص: 204

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير وإطلالها¹، وفي الاصطلاح الشرعي: دار النعيم في الآخرة وجزاء المتقين الصالحين² وهي دار السلام التي أعدّها الله للمؤمنين والمؤمنات في الآخرة³.

واستدل أهل السنة والجماعة على ثبوت الجنة بالعديد من النصوص في الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ"⁴، وقوله تعالى: "وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ"⁵، وقوله تعالى: "فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوبُهَا دَانِيَةٌ"⁶، والآيات في هذا الباب كثيرة.

ومن السنة، الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حُقَّتْ الجنة بالمكاره، وحُقَّتْ النار بالشهوات"⁷، والحديث القدسي، الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه، يقول الله تبارك وتعالى: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذُخْرًا، بَلَاءَ ما أَطَّلَعَكُمْ الله عليه، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم (بَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ)⁸". والأحاديث كثيرة في وصف الجنة.

¹ اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، م. س، ص: 157

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ اليوم الآخر: صفة الجنة والنار، م. س، ص: 39

⁴ سورة البقرة : 34

⁵ سورة آل عمران: 133

⁶ سورة الحاقة: 21 - 22

⁷ صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم الحديث: 2822

⁸ سورة السجدة: 17

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير

والإجماع منعقد بين المذاهب العقديّة الإسلامية² على وجود الجنة الآن، وأنها خالدة غير فانية، وأنها دار المتقين من عباد الله تعالى، وأنهم خالدون فيها. كما أن المتفق عليه عندهم أن الجنة نعيمها حسي ومعنوي معاً³ والجنة والنار محسوستان مخلوقتان مفروغ من خلق أجسامهما³، نعم إن الجنة والنار حقيقتان ماديتان من متعلقات كل من النفس والجسم معاً، وليستا مجرد وهم يطوف بالنفس أو الروح وحدها، إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة أي معنى للمعاد الجسمي، وبديهي أنه لا ينكر مادية كل من الجنة والنار إلا من أنكر قبل ذلك الحشر والمعاد الجسمي وعودة الأرواح إلى أجسادها⁴.

أسماء الجنة في القرآن الكريم:

اختلف العلماء في الجنة، هل هي سبع جنات متجاورة؟ أفضلها وأوسطها الفردوس، وهي أعلاها، والمُجاوِرة لا تنفي العلو، وفوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر أنهار الجنة، ويلبها في الأفضلية جنة عدن ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم، وجنة المأوى، ودار السلام، ودار الجلال، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما⁵.

والجنة في الأصل واحدة، وإنما المتعدد هو صفاتها، ومن أسمائها المذكورة في القرآن

الكريم:

¹ صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم الحديث: 2824

² انفردت مدرسة المعتزلة ومعها الخوارج بالقول بأن الجنة والنار لم يُخلقا بعد وإنما تُخلقان يوم الجزاء.(عقيدة التوحيد الكبرى، م. س، ص: 298) .

³ ابن خمير السبتي، مقدمات المرشد إلى علم العقائد، م. س، ص: 364

⁴ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، م. س، ص: 358 – 359

⁵ العربي اللوه، الرائد في علم العقائد، م. س، ص: 309 – 310

1-الفردوس:

قال تعالى: ^١:"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا"¹.

2-عدن:

قال تعالى: "جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّبْتَتِحَةً لَهُمُ الْآبَوابُ"².

3-الخلد:

قال تعالى: "فَلْ أَدْلِكْ خَيْرُ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ"³.

4-النعيم:

قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ"⁴.

5-المأوى:

قال تعالى: "أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"⁵.

¹ سورة الكهف: 102

² سورة ص: 50

³ سورة الفرقان: 15

⁴ سورة لقمان: 7

⁵ سورة السجدة : 19

6-السلام:

قال تعالى: "لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ"¹.

وصف الجنة ونعيمها في المصادر الإسلامية:

خلق الله سبحانه الجنة، وشاءت حكمته أن تكون فوق سبع سماوات، قال تعالى: "عِنْدَ

سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى"²، وسدرة المنتهى فوق السماء السابعة³.

ومما يذكره القرآن الكريم والسنة المطهرة النعيم الذي يتنعم به أهل الجنة، الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وفيها الأزواج المطهرة، وفيها رضوان الله الذي يحله على المؤمنين في الجنة⁴ وقد بيّن الله سبحانه وتعالى تفصيلاً في القرآن الكريم عن الجنة ونعيمها وأثمارها وأشجارها وثمارها وطعامها وشرابها وثيابها، وحُلِيِّها ومساكنها وغُرُفها وحُورها⁵.

قال تعالى في محكم تنزيله مُبَيَّنًا ما أعدّه لعباده المتقين من النعيم المقيم في الجنة: "قَلَّا

تَعْلَمَ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"⁶.

¹ سورة الأنعام: 128

² سورة النجم: 14 - 15

³ النسفي، بحر الكلام، م. س، ص: 245

⁴ يُنظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، فلا يسخط عليهم أبداً، رقمه: 2829، (فرج الله عبد الباري، يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، م. س، ص: 279).

⁵ شبر الفقيه، علم الكلام وتطوره عند العرب، م. س، ص: 403 - 404

⁶ سورة السجدة : 17

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لهم فيها من كل أصناف النعيم، تجري من تحتهم الأنهار لا يحزنون فيها ولا يبأسون¹، ولا يهرمون ولا يموتون، شرابهم ماء عذب صاف غير آسن، وخمر لذة للشاربين، ولبن لم يتغير طعمه، وعسل مصفى، يأكلون فيها ما يشتهون، ولهم فيها من كل الثمرات، وأزواجهم الحور العين، وقد حلَّ بهم رضوان الله تعالى، لا يريدون عنها تحولا² وفيها درجات كما ورد في الحديث النبوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشِّرُ النَّاسَ؟ قال: إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. فإذا سألتم الله فسالوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، أراه قال: وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة"³.

والجنة بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب وطينها المسك الأذفر وحصباؤها⁴ اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس، يخلد لا يموت، ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم⁵ ولها ثمانية أبواب⁶ وعليها خزنة⁷، وفيها درجات بعضها فوق بعض⁸، وغُرُفًا تجري من

1 لا يشعرون بالبأس وهو ضد النعيم.

2 أبي عمر عبد العزيز بن فتحي بن السيد عيد ندا، العقيدة الإسلامية الميسرة وآثارها في حياة المسلم، ص: 106

3 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم الحديث: 2790

4 حجارته.

5 يُنظر: سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة، رقمه: 2539، والدارمي وابن حبان في صحيحه.

6 يُنظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة، رقم الحديث: 3257

7 يُنظر: سورة الزمر: 70

8 يُنظر: سورة الإسراء: 21 وسنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم الحديث: 2529.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
تحتها الأنهار¹ وبداخلها مساكن² وقصور لا نظير لها³، وتحتوي على فُرُش بطائنها من استبرق⁴،
وفيهما أرائك⁵، وخيام مصنوعة من لؤلؤة مجوفة طولها ستين ميلا، وللمؤمن فيها أهل يطوف
عليهم⁶ وفيها سوق يأتي إليها أهلها كل يوم جمعة⁷، وبها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا
يقطعها⁸، وفيها ما لذ وطاب من الطعام والشراب، والتمتع بالحدود العيون⁹. وقد استفاد القرآن
الكريم في وصف نعيم الجنة والسعادة التي ينعم بها أصحاب الجنة، قال تعالى: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
نَّاعِمَةٌ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَالِيَةٍ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَّةَ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ
وَأَكْوَافٌ مَّوْضُوعَةٌ وَتَمَارِقٌ مَّصْبُوعَةٌ وَزَرَّابِيُّ مَبْثُوثَةٌ"¹⁰، وقال أيضا: "وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا

¹ يُنظر: سورة العنكبوت: 58

² يُنظر: سورة التوبة : 72

³ يُنظر: سورة الفرقان: 10

⁴ يُنظر: سورة الرحمن: 53

⁵ يُنظر: سورة الإنسان: 13

⁶ يُنظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة خيام الجنة، وما للمؤمنين فيها من الأهلين،
رقم الحديث: 2838

⁷ يُنظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب في سوق الجنة، وما ينالون فيها من النعيم والجمال،
رقم الحديث: 2833

⁸ يُنظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم الحديث: 6552

⁹ يُنظر: سورة الرحمن: 51، 55 وسورة الواقعة: 23 - 25

¹⁰ سورة الغاشية: 8 - 16

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَبَلَكَّةٍ
كَثِيرَةٍ لَا مَفْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفَرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ¹.

كما أن الجنة فيها خلود ولا موت فيها، قال تعالى: "أَقَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا
الْأُولَى"²، وقال أيضاً: "لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى"³، وعن أبي سعيد قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرِئُتُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا
الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرِئُتُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا
الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ
فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ فُضِيَ الْأَمْرُ
وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ⁴) ، وأشار بيده إلى الدنيا⁵.

¹ سورة الواقعة: 29 - 36

² سورة الصافات: 58 - 59

³ سورة الدخان: 53

⁴ سورة مريم: 38

⁵ صحيح مسلم، كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم الحديث:
2849 ويُنظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، رقمه: 6544.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ومن أعظم ألوان النعيم الذي يَمُنُّ به الله تعالى على أوليائه وعباده المتقين في الجنة،
النظر إلى وجهه الكريم سبحانه، يقول الله تعالى: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ"¹،
وهذا الاعتقاد هو ما أجمعت عليه مدرسة أهل السنة والجماعة²، ولم يخالفهم إلا المعتزلة
الذين قالوا بعدم إمكان رؤية الله تعالى يوم القيامة³.

ووصف نعيم الجنة وحال المنعمين فيها أكثر من أن تتخيله العقول، أو تفرد له الفصول،
فالحديث عن ذلك يطول، وإنما حقيقة تلك الدار بما فيها من أسرار لا يحيط بعلمها إلا من
خلقها وأحسن ترتيبها وإعدادها، وهو الله سبحانه.

وإذا كانت هذه هي أبرز أوصاف الجنة أو دار النعيم، فمن هم أصناف الناس الذين
سيحظون بدخولها والخلود فيها؟

أصحاب الجنة:

باستقراء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، نجد على أن الجنة بما فيها من النعيم
المقيم هي دار المؤمنين المتقين، ومأوى عباد الله الصالحين، وقد أعدّها الله تعالى لكل من مات

¹ سورة القيامة : 21 - 22

² يستدلون على جواز رؤية الله تعالى علاوة على الآية القرآنية السابقة بالحديث النبوي: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته." صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة".

³ يعتقدون أن رؤية الله يوم القيامة غير ممكنة لأن الله-في تصورهم- ليس جسمًا، وبالتالي فانه يستحيل أن يُرى بالأبصار، ويقولون إن البصر لا يرى إلا ما كان مقابلاً له أو في حكم المقابل، ويؤولون لفظ (ناظرة) في الآية الكريمة بأنها "منتظرة".

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
على الإسلام مُقَرَّراً بالوحدانية له سبحانه، ومُصَدِّقاً برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى
الله عليه وسلم.

قال تعالى: "مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ
لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ"¹. وقال سبحانه: "الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ
ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ"².

وهذا الصنف من المؤمنين والمؤمنات يتفاوت في الدرجات: لأن في الجنة -كما هو معلوم-
درجات كما سبق ذكره في الحديث النبوي³، وكل درجة تختلف عن الأخرى في الأجر والثواب، كما
أن فيها ثمانية أبواب⁴، وكل باب منها يدخل منه صنف من عباد الله المؤمنين كما ورد في كتب
الحديث.

وقد ذكر الله تعالى أوصاف أهل الجنة في عدة آيات كريمة، فمنهم المتقون، لقوله تعالى:
"لِلَّذِينَ إِتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا"⁵، ومنهم الأبرار، لقوله

¹ سورة محمد: 16

² سورة الزخرف: 69 - 70

³ يُنظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم الحديث: 2790.

⁴ يُنظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة، رقم الحديث: 3257.

⁵ سورة آل عمران: 15

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

تعالى: "إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا"¹ وهذا الشراب يكون في الجنة، ومنهم الصادقون، لقوله تعالى: "قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا"²، وهناك صنف من أهل الجنة تكررت الإشارة إليه في أكثر من موضع في القرآن الكريم؛ وهم المؤمنون الصالحون، ويؤكد ذلك قوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ"³، وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَزْوَاجٌ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّئَةِ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا"⁴.

أما بقية أصناف أهل الجنة فقد ورد ذكرهم في كتب الحديث النبوي، إما تصريحًا بأسمائهم كالمبشرين بالجنة⁵ وبعض الصحابة¹ رضوان الله عليهم، ونساء المؤمنين وبعض الصالحات²، وإما تلميحًا بصفاتهم وأعمالهم الصالحة، ونذكر منهم:

¹ سورة الإنسان: 5

² سورة المائدة: 121

³ سورة الكهف: 102

⁴ سورة البينة: 7- 8

⁵ الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن زيد رضي الله عنهم جميعًا. (محمد أشرف صلاح حجازي، العشرة المبشرون بالجنة، ص: 2) .

1-فقراء وضعفاء المؤمنين:

الفقراء المؤمنين من أصحاب الحاجة وقلة ذات اليد، إذا صبروا واحتسبوا ما كتب الله عليهم من الفقر والحاجة، كان جزاءهم هو دخول الجنة، مصداقاً لقوله تعالى: "إِنَّمَا يُؤَبِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ"³، وجاء في تفسير هذه الآية: "إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة"⁴، ولا ريب أن الفقراء من المسلمين الصابرين على شدة الفقر، سينالون الأجر العظيم عند الله سبحانه، ويؤكد هذا ما ورد في الأخبار عن منزلة الفقراء في الدار الآخرة، فعن عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ"⁵ الحديث.

وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: "أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، وَذَكَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

¹ منهم الصحابي بلال بن رباح رضي الله عنه الذي سمع النبي صلى الله عليه وسلم قرع نعليه في الجنة، والصحابي الشهيد جعفر بن أبي طالب الذي لُقِّب بجعفر الطيار لأنه استنسل في ساحة الجهاد حاملاً اللواء حتى قطعت كلتا يديه، فأبدله الله تعالى جناحين في الجنة يطير بهما.

² منهن سمية أم عمار زوجة ياسر، وقد استشهدت طعناً بالرمح في بداية الدعوة الإسلامية بمكة، وقد كان يمر عليها النبي صلى الله عليه وسلم هي وزوجها وهما يتعذبان، فيبشرهما بقوله: "صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ".

³ سورة الزمر: 11

⁴ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، م. س، ص: 374

⁵ صحيح البخاري، رقم الحديث: 6546 وصحيح مسلم، رقمه: 2737.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
أوصاف أهل الجنة فقال: "وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقسط مُتصدق مُوَقَّق، ورجل رحيم
رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم، وعفيف مُتعفف ذو عيال"¹.

والمراد بالصنف الثالث من هؤلاء هو المسلم الذي يرضى بالقليل، ويعول أسرته بما رزقه
الله، ويخشى إ طعامهم من المال الحرام.

2-السبعون ألف من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب:

هذا الصنف من المؤمنين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأوصاف مخصوصة، فقال:
"عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمْرُومَهُ الْأُمَّةَ وَالنَّبِيُّ يَمْرُومُهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُومُهُ الْعَشْرَةُ،
وَالنَّبِيُّ يَمْرُومُهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُومُهُ وَحْدَهُ، فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ هَؤُلَاءِ أُمَّتِي؟
قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا
قُدَّامَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، قُلْتُ وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتُونُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ،
وَعَلَى رِجْلِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"².

والمقصود بصفاتهم أنهم كانوا لا يطلبون العلاج بالكي، ولا الرقية من الغير، وكانوا لا
يتشاءمون، وعلى رِجْلِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، وقد سبقت الإشارة إليهم في الصنف الرابع من أصناف
المحاسبين يوم القيامة.

¹ صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم
الحديث: 2865.

² صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، رقمه: 6541.

3-الجهنميين:

يندرج هذا الصنف من المؤمنين في خانة من ستشملهم شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فيخرجون من نار جهنم وينتقلون إلى الجنة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج قوم من النار بعدما مَسَّهم منها سفع¹، فيدخلون الجنة، فَيُسَمَّيهم أهل الجنة الجهنميين"².

4-الشهداء:

قال الله تعالى: "وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"³، وقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمُوتُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُودًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"⁴.

فالشهادة في سبيل الله هي منزلة عالية لا ينالها إلا من صغرت الدنيا في قلبه، وكبرت همته وازداد شوقه للقاء الله، وضحي بنفسه وماله مقابل نيل مرضاته سبحانه، لذلك جعل الله ثمن

1 لفحتهم لفحاً يسيراً فغيرت لون بشرتهم وأصابتهم بالاسمرار. (معجم المعاني) .

2 صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم الحديث: 6559

3 سورة آل عمران: 169 - 170

4 سورة التوبة: 112

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
الشهادة هو دخول الجنة، لكن الشهادة هنا مقرونة بالإيمان بالله ربنا وبالإسلام ديناً وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً.

وجاءت النصوص الحديثية لتأكيد هذه المنزلة العالية التي ينالها الشهداء في سبيل الله،
فعن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله (هو ابن مسعود) عن هذه الآية: "وَلَا
تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"، قال أما إنا قد سألنا عن
ذلك، فقال: أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث
شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا:
أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم
لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن تُرَدَّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقَتَلَ في سبيلك مرة
أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُرَكُّوا¹.

وقال المغيرة بن شعبة: أخبرنا نبيُّنا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا: من قُتِلَ مَنَّا صار
إلى الجنة، وقال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال:
بلى².

ب- جهنم:

جهنم في اللغة: أصلها من "الْجَهَنَّمَ"¹ وهو القعر البعيد، وبئر جهنم، وجَهَنَّمَ بكسر الجيم
والهاء؛ بعيدة القعر، وبه سُميت جهنم بُعْدُ قعرها².

1 صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، رقمه: 1887.

2 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف، رقم الباب: 22.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

وفي الاصطلاح الشرعي: مقر عقوبة الكافرين والعاصين³ وهي دار العقاب أعدّها الله تعالى للأشقياء من الكافرين والمنافقين، وكل من كذّب بآياته وملأ نكته وكتبه ورسله واليوم الآخر⁴.

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن النار مخلوقة ومعدّة لأهلها، ومرجعيتهم في ذلك ما ورد من نصوص شرعية في الكتاب والسنة، فمن الكتاب، قول الله تعالى: "بَاتُّفُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ"⁵، وقوله تعالى: "النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"⁶، وقوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاً أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"⁷.

ومن السنة النبوية"عن عدي بن حاتم أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوز منها، ثم ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوز منها ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة"⁸ الحديث.

1 الجَهَنَّمَ: اسم أعجمي.

2 لسان العرب، مادة (جهن)، ج 3 - 4، ص: 230 ويُنظر أيضاً: القاموس المحيط، ص: 1090

3 يسر محمد سعيد مبيض، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، م. س، ص: 149

4 العربي اللوه، الرائد في علم العقائد، م. س، ص: 311

5 سورة البقرة: 23

6 سورة الحج: 70

7 سورة التحريم: 6

8 صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم الحديث: 6563

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ناركم هذه التي يُوقَدُ
ابن آدم، جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية، يا رسول الله، قال:
فإنها فضّلت عليها بتسع وستين جزءاً كلها مثل حرّها"¹.

وأما الإجماع فقد انعقد من السلف والخلف على وجودها وخلودها، وخلود أهلها فيها،
وعلى وجوب الإيمان بها².

أسماء النار في القرآن الكريم:

تعددت أسماء النار في النصوص القرآنية، ومنها:

1-النار:

قال الله تعالى: "وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ، نُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ
عَذَابٌ مُهِينٌ"³.

2-جهنم:

قال الله تعالى: (وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤمِناً مُتَعَمِّداً بِجَزَاءُوهُ، جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً¹) .

¹ صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم، وُبعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين،
رقم الحديث: 2843

² العربي اللوه، الرائد في علم العقائد، م. س، ص: 312

³ سورة النساء: 14

3-الجحيم:

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ²).

4-السعير:

قال الله تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ³).

5-سقر:

قال الله تعالى: (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ⁴).

6-الحطمة:

قال الله تعالى: (كَلَّا لَنُنَبِّذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرِكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمَوْفِدَةُ⁵).

¹ سورة النساء: 92

² سورة المائدة: 11

³ سورة الملك: 5

⁴ سورة القمر: 48

⁵ سورة الهمزة: 4 - 6

7-لظى:

قال الله تعالى: (كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ تَدْعُو مَن آذَرَ وَتَوَلَّىٰ) .

8-دار البوار:

قال الله تعالى: (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْفَرَارُ)⁽²⁾ .

وصف النار وجحيمها في المصادر الإسلامية:

خلق الله تعالى النار وجعل مقرها تحت الأرض، والدليل على ذلك قوله تعالى (كَلَّا إِنَّ

كِتَابَ الْبُحَارِ لَمِی سَجِی⁽³⁾) ، والسجین تحت الأرض السابعة⁽⁴⁾، والنار أو جهنم ورد وصفها في

نصوص عديدة من كتاب الله، من ذلك قوله تعالى: (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ

سَرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِی الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَبَقًا⁽⁵⁾)

، ومعنى الآية أن الله عز وجل جعل للكفار نارًا هائلة وأحاط بهم سرادقها، وهو الحاجز الذي

¹ سورة المعارج: 15 - 17

² سورة إبراهيم: 30 - 31

³ سورة المطففين: 7

⁴ النسفي، بحر الكلام، م. س، ص: 245

⁵ سورة الكهف: 29

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
يكون حول الفسطاط¹، يحيط بهم من جميع الجوانب، فلا يستطيعون أن يتخلصوا؛ لأنها
محيطة بهم من كل جانب².

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قعر جهنم في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في
صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع
وجبة³ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تدرون ما هذا؟ قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: هذا
حَجَرٌ رُمِيَ به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها⁴."

ونار جهنم مليئة بالمشاهد الرهيبة، وكل ألوان العذاب، وعميقة القعر⁵ ويُسمع لها شهيق
وهي تفور⁶، لها سبعة أبواب مغلقة ومظلمة⁷، وفيها دركات بعضها أسفل من بعض⁸ وحرها
شديد⁹ وزمهريرها أشد ضررًا بالبدن¹⁰ وظلُّها من يحموم¹¹، ووقودها الناس والحجارة¹²، وبها

1 الفسطاط يجتمع فيه الناس لعرس أو مأتم وغيرهما، ومعناه الخيمة من الشعر. (معجم المعاني www.almaany.com) .

2 التفسير الكبير للرازي، ج21، ص: 121 وروح المعاني للألوسي، ج15، ص: 267 - 268

3 أي سقطة.

4 صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم، وُبعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين،
رقم الحديث: 2844

5 يُنظر: سورة ق: 30 والحديث السابق الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن صفة قعر جهنم.

6 يُنظر: سورة الملك: 6

7 يُنظر: سورة الحجر: 43 - 44 وسورة الهمة: 4 - 9 والتذكرة للقرطبي، ج2، ص: 463 - 464

8 يُنظر: سورة النساء: 145 وكتاب: يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، م. س، ص: 298

9 يُنظر: سورة التوبة: 81

10 يُنظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، رقمه: 3260، وأيضًا رواه ابن أبي الدنيا
في "صفة النار" رقم: 152 ورواه أبو نعيم في الحلية، ج5، ص: 370.

11 يُنظر: سورة الواقعة: 46

12 يُنظر: سورة التحريم: 6

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
سلاسل وأغلال يُكَبَّلُ بها الكفار والظالمون¹، وبها جبال ووديان²، وعليها خزنة³ وملائكة مكلفين
بتعذيب أهلها⁴، وطعام أهلها الزقوم⁵ وشرابهم الحميم الذي يقطع الأمعاء⁶، والغساق⁷
والصديد⁸ وماء المهل⁹، ولباسهم من قطران¹⁰ الذي يساعد على الاحتراق.

فهذه مجمل أوصاف نار جهنم التي جعلها الله سبحانه مقرًّا للكافرين المكذبين بلقائه، ولو
أردت وصفها بدقة وتفصيل، ما وسعني هذا المجال، فأوصافها الرهيبة أكثر من أن تُحصى.
وبعد ذكر أوصاف النار الأبدية، بقي التعرف على أصناف المستحقين لدخولها والخلود فيها
كما قضى رب العالمين.

أصناف أهل النار:

من خلال الاطلاع على نصوص الكتاب والسُّنة، نجد أن المستحقين لدخول النار يتوزعون
إلى ثلاثة أصناف رئيسة، يأتي في مقدمتهم الكفار والمشركين، ويلهم المنافقون، ثم عصاة

¹ يُنظر: سورة الإنسان: 4 وسورة إبراهيم: 51 وسورة الحاقة: 32

² يُنظر: الحديث أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم وابن حبان في صحيحهما "ويل وادي في جهنم" الحديث.

³ يُنظر: سورة غافر: 49

⁴ يُنظر: سورة المدثر: 31

⁵ يُنظر: سورة الدخان: 41

⁶ يُنظر: سورة محمد: 16

⁷ يُنظر: سورة النبأ: 25، قال ابن عباس: الغساق هو ما يسيل بين جلد الكافر ولحمه.

⁸ يُنظر: سورة إبراهيم: 19، والصديد: هو الماء الشديد الحر يشوي الوجوه ويقطع الأمعاء.

⁹ يُنظر: سورة الدخان: 42 وسورة الكهف: 29، وقال مجاهد: ماء المهل مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت.

¹⁰ يُنظر: سورة إبراهيم: 52

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير المؤمنين، ونعني بهم مرتكبو الكبائر¹، وهذا الصنف الأخير بالرغم من توحيدهم لله تعالى، وتصديقهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلا أنهم ارتكبوا الخطايا التي تُغضبُ الله تعالى، وتوجب دخولهم إلى النار. وقد وقع اختلاف بين علماء المسلمين في من مات منهم ولم يتب.

الصنف الأول: الكفار والمشركون

يُندرج تحت هذا الصنف الكفار الذين ماتوا على كفرهم وشركهم بالله تعالى²، وهؤلاء مخلدون في النار إلى الأبد مصداقًا لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) ³ وَلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ

¹ الكبائر هي كبار الذنوب التي يترتب عليها عقوبة شرعية ووعيد بالعذاب يوم القيامة، وفي مقدمتها الشرك بالله، ومنها عقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والزنا والسرقعة وشهادة الزور، والتولي يوم الزحف وغيرها من الخطايا المهلكة التي أشار إليها النبي عليه الصلاة والسلام في حديث "الموبقات السبع".

² من صميم اعتقاد المسلمين أن اليهود والنصارى مخلدون في نار جهنم باعتبارهم كفارًا ومشركين بالله تعالى، وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله على هامش تعقيبه على من يخلد في الجنة ومن يخلد في النار: "حاذر أن تطوف بذهنك تلك اللوثة التي يعاني منها بعض الجاهل والمنافقين، ممن يزعمون أن أهل الكتاب مؤمنون، وأنهم فئة أخرى غير الكفار، فلا يُعاقَبُون عقابهم ولا يخلدون في النار خلودهم، فإن هذا الزعم تحد صارخ لقوله تعالى: (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية)، فقد قسّمت الآية الكفار إلى أهل كتاب ومشركين، ثم شملتهم جميعًا بهذا الوعيد العظيم" (كبرى اليقينيّات الكونية، هامش ص 361 - 362) .

³ سورة البينة: 6

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

كَفَرُوا لَهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ لَا يُفْضِي عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ⁽¹⁾ .

ويشمل هذا الصنف أيضاً كل من أنكر وجود الله تعالى أو عبَدَ آلهة أخرى من دونه سبحانه، وقد سَمَّى القرآن ما يعبد هؤلاء بالطاغوت، وتوعدهم الحق تبارك وتعالى بالخلود في النار، قال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ⁽²⁾) .

الصنف الثاني: المنافقون

المنافقون هم أصحاب الوجهين النقيضين، أي الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر والمكر، وقد فضحهم الله عز وجل في أكثر من آية قرآنية، وتوعدهم بالعذاب الأليم في نار جهنم، فقال: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا⁽³⁾) ، واستثنى سبحانه

¹ سورة فاطر: 36

² سورة البقرة : 256

³ سورة النساء: 144

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
من هذا الوعيد الشديد من تاب منهم وأخلص دينه لله لقوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا
وَاَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأَنتَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ¹).

وقد استحق المنافقون هذه العقوبة الأليمة لخطرهم العظيم على العقيدة الإسلامية،
فالنفاق خصلة خبيثة تفتك بوحدة المسلمين، وتبث سموم الغدر والخيانة بينهم، وقد كشف
الله سبحانه صفات المنافقين في القرآن الكريم، وبَيَّن حقيقة خبثهم ومكرهم وتآمرهم على
الإسلام والمسلمين.

وإلى جانب القرآن الكريم، تضمنت كتب الحديث النبوي بعض علامات المنافقين، فعن
أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "آية المنافق ثلاث، إذا حَدَّثَ كَذَبَ،
وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا أُؤْتِمِنَ خَانَ²"، فالمنافقون جمعوا كل الخصال السيئة من كذب وإخلاف
الوعد وخيانة الأمانة، فلا غرابة أن ينالوا هذه الدرجة السفلى في نار جهنم.

الصنف الثالث: عصاة المؤمنين

اختلف علماء المسلمين في مصير هذا الصنف؛ وهم مرتكبو الكبائر من المسلمين، وكذلك
من اتصف منهم بصفات سيئة نهي عنها الله سبحانه في كتابه، وحذَّر منها النبي صلى الله عليه
وسلم في سنته، وانقسموا إلى فريقين: فريق يرى أنهم لن يخلدوا في النار، وفريق يرى أنهم
مخلدون فيها، واستدل كل فريق بأدلة شرعية.

¹ سورة النساء: 145

² صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم الحديث: 33. وفي صحيح مسلم: آية المنافق أربع،
وزاد "إذا خاصم فجر"، رقمه: 106.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

قال أهل السنة ومنهم الأشاعرة¹: إنّ من مات من المسلمين مرتكبًا كبيرة من كبائر الذنوب ولم يتب منها، فهو رهن حكم الله تعالى ومشيتته؛ إن شاء عفا عنه ورحمه، وإن شاء عاقبه، لكن يعتقدون أنه غير مخلد في النار، ومن النصوص التي يستدلون بها قوله تعالى: (بِمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا)²، ومن الأحاديث، قوله صلى الله عليه وسلم: "يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرّة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرّة من خير"³، ومعلوم أن صاحب الكبيرة بإيمانه وسائر ما يكون له من الحسنات مستحق للثواب⁴، وقالوا: الثواب فضل وَعَدَ به فيفي به من غير وجوب؛ لأن الخلف في الوعد نقص تعالى الله عنه والعقاب عدل فله أن يتصرف فيه، وله العفو عنه لأنه فضل، ولا يُعَدُّ الخلف في الوعيد نقصًا عند العقلاء⁵.

وقال المعتزلة: إن صاحب الكبيرة فاسق مستحق للعقاب⁶ ومخلد في النار أبد الآبدين ودهر الدهرين⁷، وانسجامًا مع أحد أصولهم الخمسة وهو الوعد والوعيد، فالمعتزلة يعتقدون ضرورة مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ولا يجوز أن يخلف الله وعده أو وعيده⁸ كما انفرد

¹ يُنظر في هذا الباب: مقالات الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة، م. س، ص: 167 وما بعدها.

² سورة الزلزلة: 8 - 9

³ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث: 44.

⁴ شرح المواقف، ج2، ص: 447

⁵ عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، م. س، ص: 378

⁶ يُنظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 629 - 630

⁷ المرجع نفسه، ص: 666

⁸ يُنظر: علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية: مدخل ودراسة، م. س، ص: 253

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
المعتزلة بالقول بالإحباط؛ ويقصدون به أنه "بمعصية واحدة تحبط جميع الطاعات حتى أن من
عَبَدَ الله طول عمره ثم شرب جرعة خمر فهو كَمَنَ لم يعبدَه أبداً"¹.

واستدل المعتزلة على مذهبيهم بقوله تعالى: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ
نُذِخْ لَهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا)² ، وبيان هذا الدليل عندهم: أن الله تعالى أخبر أن العصاة يُعَذَّبُونَ
بالنار ويخلدون فيها، والعاصي اسم يتناول الفاسق والكافر جميعاً، فيجب عليهما، ولو أراد
أحدهما دون الآخر لَبَيَّنَهُ³.

وتبقى الإشارة إلى أن المعتزلة لا يعتبرون المسلم الذي ارتكب كبيرة كافراً؛ وإنما يعتبرونه
فاسقاً، ويحكمون عليه بالخلود في النار، بينما يحكم عليه بالخروج بالكفر والخلود في النار
أيضاً.

وهناك الكثير من الصفات الذميمة التي صدر فيها الوعيد الإلهي بدخول النار إن لم يتب
منها أصحابها، وجاء ذكرها في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، ومنها:

1-الكبر والاستعلاء:

يعتبر الكبر والاستعلاء من الصفات الشيطانية الذميمة، فهي صفة اتصف بها إبليس
اللعين، ولا تصدر إلا من فرغ قلبه من الإيمان بالله تعالى، وقد نهى الله عن الكبرياء في مواضع

¹ الإيجي، المواقف في علم الكلام، م. س، ص: 379

² سورة النساء : 14

³ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 657

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

كثيرة من القرآن الكريم، فقال تعالى: (وَلَا تَصْلِعْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ¹) ، جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: "ولا تُعرض بوجهك عمَّن كَلَمَتُهُ تَكْبُرًا واستحقارًا لمن تُكَلِّمُهُ، وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تُلْفِتَ أعناقها عن رؤوسها، فَيُشَبِّهُ به الرجل المتكبر على الناس²"، وقال أيضًا: (بَادِخُلُوءًا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ³) ، وجاء في الحديث القدسي؛ قال الله عز وجل: "العزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيء منهما عَذَّبْتُهُ"⁴، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الجنة محرمة على المتكبرين فقال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر"⁵، وقال أيضًا: "ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل، جواظ، مستكبر"⁶ الحديث.

فالعتل هو الإنسان الفاجر والجواظ تعني المغرور الذي يمشي مختلاً بين الناس، والمستكبر الذي يرى العظمة في نفسه.

¹ سورة لقمان: 17

² الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، م. س، ص: 130

³ سورة النحل: 29

⁴ رواه البخاري في الأدب المفرد (552) واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، رقم (2620) .

⁵ سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تحريم الكبر، رقم الحديث: 1998.

⁶ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر، رقم الحديث: 6071.

2- الغيبة والنميمة:

الغيبة والنميمة خصلتان ذميتان تتعارضان مع حقيقة الإيمان، والغيبة-كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام- هي ذكرك أخاك بما يكره¹، وهي صورة من صور نهش أعراض المسلمين في غيابهم، مثل ما ينهش الأسد لحم فريسته، وقد جاء هذا التصوير الفني في كتاب الله تعالى² حتى ينفر المؤمنون الصادقون والمؤمنات الصادقات من الوقوع في أعراض الآخرين.

والنميمة أخطر وأشد ضرراً على الأفراد والمجتمعات المسلمة، فهي نقل الكلام ونشره بنية الإفساد بين الناس، ولذلك جاء النهي الإلهي عنها في قوله تعالى: (وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلْفٍ مِّمَّيْنِ هَٰذَا مِثْلُ مَا يُنْهَشُ الْأَسَدُ لَحْمَ فَرِيْسَتِهِ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا التَّصْوِيرُ الْفَنِي فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى³، وَاسْمَى اللَّهُ الْمُتَصِفَ بِهَا بِالْفَاسِقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ بِآسِئٌ بِذُنُوبٍ فَتَّبَيَّنُوا أُنْ تُصِيبُوهَا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ⁴) كما جاء الوعيد الشديد بشأن النميمة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة قتات⁵"، والقتات هو النمام، فعقابه هو الحرمان من نعيم الجنة، وأخبر صلى الله عليه وسلم عن عذاب رجلين في قبرهما واحد منهما بسبب المشي بالنميمة، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت

¹ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، رقم: 2589.

² يُنْظَر: سورة الحجرات: 12

³ سورة القلم: 10 - 11

⁴ سورة الحجرات: 6

⁵ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يُكره من النميمة، رقم الحديث: 6056.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
إنسانين يُعَذَّبَان في قبورهما، فقال: يُعَذَّبَان، وما يُعَذَّبَان في كبيرة، وإنه لكبير، كان أحدهما لا
يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة¹ الحديث.

ومعلوم أن عذاب القبر إنما هو صورة مصغرة عن عذاب نار الآخرة، وذلك علامة على
استحقاق المعذب في قبره لعذاب النار.

3-الحسد:

الحسد كذلك من الخصال الشيطانية التي تتعارض مع الإيمان، ولذلك حذر الله تعالى من
الاتصاف به، بل وأمر رسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة به من شر المخلوقات ومن
ضمنها الحاسد، فقال تعالى: (فَلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ
شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ²). .

كما نهى صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التحلي بمجموعة من الأخلاق الفاسدة، وذكر
منها الحسد، فقال: "لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله
إخواناً³".

¹ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر، رقم الحديث: 6055.

² سورة الفلق: 1-5

³ سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحسد، رقم الحديث: 1935. ورواه البخاري (6064)
ومسلم (2559) .

4-الكذب:

الكذب من الصفات القبيحة التي تتعارض كذلك مع الإيمان، وهي صفة المنافقين، وقد ذم الله تعالى الكذب ولعن المتصفين به في قوله: (وَالْحَمِيسَةُ أَنْ لَعَنَتُ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ¹) ، ومن مرادفات الكذب الواردة في القرآن الكريم؛ الإفك الذي يُعدُّ من أبشع ألوان الكذب، والمتصف به منافق معلوم النفاق، وقد توعد الله تعالى المنافقين الذين افتروا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ورموها بالفاحشة بالعذاب العظيم في الآخرة، لأنهم وقعوا في عرض النبي صلى الله عليه وسلم، وشيَّعوا الأخبار الكاذبة بين الناس، فقال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ لَمِيٍّ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ²) وقال أيضاً: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ³) وهو وعيد عام يشمل كل من افترى كذباً على أعراض المؤمنين.

¹ سورة النور: 7

² سورة النور: 11

³ سورة النور: 19

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير والكذب عاقبته وخيمة يوم القيامة، لأنه يقود صاحبه إلى النار، قال صلى الله عليه وسلم بعد أن بيّن فضائل الصدق: "وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً".

والمجال لا يتسع لعرض كل الأخلاق والصفات المنهي عنها شرعاً، فهناك صفات أخرى سيئة تشمل: تبرج النساء، واللعن والنياحة على الميت، والإدمان على شرب الخمر وكل المسكرات، والدياثة²، والسحر والشعوذة، وسوء الظن، والغضب والاعتداء على الجيران، والظلم والبغي في الأرض، وخيانة الأمانات، والتطفيف في الميزان، وتعذيب أو قتل الحيوان.

خلاصة:

أخلص مما سبق، إلى أن يوم الحساب أو يوم الدين في التصور الإسلامي حق ويقين، ولا خلاف بين المذاهب العقدية الإسلامية في جمع الناس للحساب على أعمالهم خيراً كانت أم شراً، وقد عرض القرآن الكريم مشاهد الحساب يوم القيامة في أكثر من موضع، بل لا نكاد نجد سورة من سوره تخلو من ذكر اليوم الآخر، وما فيه من الأهوال والشدائد، إلى درجة أن بعض السور في القرآن الكريم حملت أسماء ذات معاني أخروية؛ كسورة التغابن، وسورة الدخان، وسورة القيامة والقارعة والزلزلة وغيرها.

¹ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب، وحسن الصدق، وفضله، رقمه: 2607.

² سلوك يرفضه الدين والطبع السوي، ومنه الديوث وهو الذي يُقر الخبث في أهله، ويرضى به ولا يغير على عرضه.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
هذا فضلا عن النصوص التي وردت فيكتب الحديث النبوي التي تتحدث عن الحساب
والجزاء، وما يعقبه من مصير العباد إما إلى الجنة أو إلى النار، إضافة إلى آراء المذاهب العقيدة
الإسلامية بما في ذلك المذاهب الكلامية التي ناقشت يوم المعاد وما فيه من ثواب وعقاب.

وبعد أن يقضي الله تعالى بين عباده، ويقرر مصيرهم، إما إلى الجنة وإما إلى النار،
ستحظى طائفة من المسلمين ممن دخلوا إلى النار بالعفو الإلهي؛ عن طريق توسط خاتم الأنبياء
 والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وتوسله إلى الحق سبحانه بإخراجهم من العذاب، ونقلهم
إلى نعيم الجنة، وهذه الوسيلة هي المسماة في التصور الإسلامي بالشفاعة، فالمقصود بها؟ ومن
يستحقها؟ ولن أعطي حق الشفاعة في الناس يوم القيامة؟

الفرع الثالث: قضية الشفاعة

تعتبر الشفاعة من المسائل الإيمانية الغيبية في الإسلام، وهي منحة إلهية في الدار الآخرة
لفئة من العباد الذي تحققت فيهم شروط معينة سأذكرها لاحقًا، غير أنه لا بد من البدء
بتعريف مفهوم الشفاعة، وتوضيح دلالاتها اللغوية والشرعية.

1- مفهوم الشفاعة

بالاطلاع على ما ورد في القواميس والمعاجم اللغوية، واستعانة أيضًا بالمراجع المتخصصة،
يمكن تحديد مفهوم الشفاعة كما يلي:

التعريف اللغوي:

جاء في لسان العرب: "شَفَعَ لي يَشْفَعُ شَفَاعَةً وَتَشَفَّعَ: طَلَبَ، وَالشَّفِيعُ: الشَّافِعُ، وَالْجَمْعُ شُفَعَاءُ، وَاسْتَشْفَعَ بفلان على فلان وَتَشَفَّعَ له إِلَيْهِ فَشَفَّعَهُ فِيهِ، وَقَالَ الْفَارِسِيُّ: اسْتَشْفَعَهُ طَلَبَ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ أَيِ قَالَ لَهُ: كُنْ لِي شَافِعًا، وَالشَّفَاعَةُ: كَلَامُ الشَّفِيعِ لِلْمَلِكِ فِي حَاجَةِ يَسْأَلُهَا لِغَيْرِهِ، وَالشَّافِعُ: الطَّالِبُ لِغَيْرِهِ تَشَفَّعَ بِهِ إِلَى الْمَطْلُوبِ، يُقَالُ: تَشَفَّعْتُ بفلان إِلَى فلان فَشَفَّعَنِي فِيهِ، وَاسْمُ الطَّالِبِ: شَفِيعٌ"¹، وجاء في معجم الصحاح: "اسْتَشْفَعْتُهُ إِلَى فلان، أَيِ سَأَلْتَهُ أَنْ يَشْفَعَ لِي إِلَيْهِ، وَتَشَفَّعْتُ إِلَيْهِ فِي فلان فَشَفَّعَنِي فِيهِ تَشْفِيعًا"².

وفي المعجم الوسيط: "تَشَفَّعَ لفلان إِلَى فلان فِي الْأَمْرِ وَتَشَفَّعَ بِهِ إِلَيْهِ: تَوَسَّلَ بِهِ إِلَيْهِ، وَالشَّفَاعَةُ: كَلَامُ الشَّفِيعِ، وَالشَّافِعُ وَالشَّفِيعُ: صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ"³.

وجاء في القاموس المحيط: "وَشَفَّعْتُهُ فِيهِ تَشْفِيعًا حِينَ شَفَعَ، كَمَنَعَ، شَفَاعَةً: قَبِلْتُ شَفَاعَتَهُ وَاسْتَشْفَعَهُ إِلَيْنَا: سَأَلَهُ أَنْ يَشْفَعَ"⁴.

وقال الراغب الأصفهاني: "الشَّفَاعَةُ: الْانْضِمَامُ إِلَى آخَرٍ نَاصِرًا لَهُ وَسَائِلًا عَنْهُ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي انْضِمَامٍ مِنْهُ أَعْلَى حَرَمَةٍ وَمَرْتَبَةٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَدْنَى، وَمِنْهُ: الشَّفَاعَةُ فِي الْقِيَامَةِ"⁵.

1 لسان العرب، المجلد السابع، مادة (شفع) ، ص: 102

2 معجم الصحاح، مادة (شفع) ، ص: 554

3 المعجم الوسيط، ج1 و2، م. س، ص: 534

4 القاموس المحيط، مادة (شفع) ، م. س، ص: 734

5 الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م. س، ص: 457 - 458

التعريف الاصطلاحي:

الشفاعة اصطلاحاً تعني "سؤال الخير من الغير للغير"¹، وهي "طلب العون والخير للغير"²، وجاء في تعريفها: "الالتجاء إلى الله تعالى في أن يعفو عن بعض عصاة الموحدين ويخلصهم الجنة"³، وتعني أيضاً "أن يلجأ صاحب الحاجة إلى مقرب عند ذي سلطان ليقضي له حاجته"⁴.

ومن التعريفات الجامعة لمفهوم الشفاعة أنها "إيصال الله تعالى الخير يوم القيامة عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأمم جميعاً في الموقف وإلى أُمته على تفصيل في ذلك بين المذاهب، وعن طريق الأنبياء والرسل والملائكة والمؤمنين أيضاً"⁵.

من خلال ما سبق، يمكن القول إن الشفاعة هي التوسل للغير من أجل جلب الخير أو دفع الضرر، وقد تكون الشفاعة في الدنيا بين المؤمنين كقضاء الحوائج، ولكن الشفاعة المقصودة هنا هي متعلقة بالآخرة وهي التوسل للرسول صلى الله عليه وسلم عند الكرب والشدة في الموقف العظيم.

¹ إبراهيم بن محمد البيجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، م. س، ص: 116

² محمد بن إبراهيم التويجري، اليوم الآخر: صفة الجنة والنار، م. س، ص: 30

³ منال سمير الرافعي، الشفاعة في الفكر الإسلامي، م. س، ص: 265

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ سلوى عبد الرحمن محمد يونس، الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة، ط1: 1415 هـ -

1994م، ص: 8

2- مواقف المذاهب الإسلامية من قضية الشفاعة والأدلة على ذلك

أجمعت المذاهب العقيدية الإسلامية – ما عدا بعض الآراء المنفردة للمعتزلة والخوارج- على أن الشفاعة ثابتة للأمة المسلمة، واستدلوا على ثبوتها بنصوص من الكتاب والسنة، مع الإشارة إلى أن هناك من العلماء والمفكرين المسلمين¹ من قال بعدم تنصيب القرآن الكريم على الشفاعة في الآخرة.

ويؤمن أهل السنة والجماعة"بأن الشفاعة يوم القيامة حق، للنبيين والملائكة والشهداء والصالحين"² ومن قولهم: "إِنَّ اللَّهَ يُشَفِّعُ نَبِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَصَحَابَتِهِ، وَمَنْ يَشَاءُ مِنْ صَالِحِ عِبَادِهِ، فِي عَصَاةِ أَهْلِ مِلَّتِهِ، وَيُخْرِجُ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ قَوْمَ بَعْدَ مَا امْتَحَشُوا"³ فيها وصاروا حمماً، ويدخلون الجنة ويُغسلون في ماء الحياة فتنبت لحومهم كما تنبت الحبة في حميل السيل"⁴.

يقول الإمام الباقلاني⁵: والدليل على ثبوت الشفاعة، قوله تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ

إِذْ تُنْفَخُ¹) يدل على ثبوت الشفاعة لمن أراد سبحانه وتعالى، ويدل عليه قوله تعالى: (عَسَى أَنْ

¹ لقد نفى الإمام محمد عبده تصريح القرآن بالشفاعة في الآخرة وأكد قوله هذا بنفي القرآن للشفاعة بآيات أخرى، وذكر أن الشفاعة لا تثبت إلا بالأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتبع الإمام في قوله هذا تلميذه محمد رشيد رضا (سلوى عبد الرحمن محمد يونس، الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة، ص: 20) .

² أبي عمر عبد العزيز بن فتحي بن السيد عيد ندا، العقيدة الإسلامية الميسرة وآثارها في حياة المسلم، ص: 112

³ احترقوا، والمحش معناه احترق الجلد وظهور العظم. (هامش كتاب صحيح ابن حبان، ج1، ص: 97) .

* هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقمه: 6560

⁴ الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقاد وأصول الديانات، م. س، ص: 209

⁵ يُنظر: الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، م. س، ص: 50

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
يَبْعَثُكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً² ، وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: "شفاعتي لأهل الكبائر من
أمّتي"³، وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: "خُيرْتُ بين الشفاعة وبين أن تدخل نصف أمّتي
الجنة، فاخترت الشفاعة، أنها أعمُّ وأكفى، أترونها للمتقين؟ لا ولكنها للمذنبين، الخطائين
المتلوثين"⁴.

وفي السياق نفسه، يقول القاضي عضد الدين الإيجي: "أجمع الأمة على أصل الشفاعة،
وهي عندنا لأهل الكبائر من الأمة لقوله عليه السلام: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي"⁵ ولقول
تعالى: (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ⁶) أي ولذنب المؤمنين لدلالة القرينة؛ وطلب
المغفرة شفاعة"⁷.

وقال صاحب (بحر الكلام) : "الشفاعة حق، يدل عليه قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ⁸) ، ومن رحمة الله تعالى أن يأذن بالشفاعة للأنبياء والأولياء تكريماً لهم
وتشهيراً لقدركم عند الله"¹.

1 سورة الأنبياء: 28

2 سورة الإسراء: 79

3 رواه الترمذي، باب في الشفاعة لأهل الكبائر، رقم (2435) وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه،

ورواه ابن ماجه، باب ذكر الشفاعة، رقم (4310) .

4 سنن ابن ماجه، باب ذكر الشفاعة، رقم (4311) .

5 حديث سبق تخريجه.

6 سورة محمد: 20

7 عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، م. س، ص: 380

8 سورة البقرة: 254

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
لقد أجمع السلف والخلف من أهل السنة على ثبوت الشفاعة شرعاً بصريح قول الحق
تبارك وتعالى²: (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ آذَنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا³) .

في حين انفرد المعتزلة عن المذاهب الأخرى بمواقفهم من عموم قضايا الغيبيات، وبالرغم
من إثباتهم للشفاعة، إلا أنهم اختلفوا في مستحقها، وفي هذا الصدد يقول القاضي عبد
الجبار: "لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ثابتة للأمة، وإنما الخلاف
في أنها ثبتت لمن؟"⁴. وهذا يعني أن المعتزلة اختلفوا في من تثبت له الشفاعة، والمعتزلة منهم من
أنكر الشفاعة أصلاً ورأساً، ومنهم من أثبتها وهم ثلاث فرق: منهم من قال إن اجتنب الكبائر،
وارتكب الصغائر، فيحتاج إلى مغفرة الصغائر بشفاعة الأنبياء والملائكة. ومنهم من قال من
ارتكب الكبائر، ثم تاب عن ذلك، فيحتاج إلى قبول توبته بشفاعة الأنبياء والملائكة حتى يقبل
الله توبتهم بشفاعتهم. ومنهم من قال من اجتنب الكبائر والصغائر، فيحتاج إلى زيادة الدرجات
على أعمالهم بشفاعة الأنبياء والملائكة، ولا شفاعة لغير هؤلاء⁵

¹ ميمون بن محمد النسفي، بحر الكلام، م. س، ص: 236

² عمر هاشم، الشفاعة في ضوء القرآن والسنة والرد على منكريها، م. س، ص: 10

³ سورة طه: 106

⁴ شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 687 - 688

⁵ ميمون بن محمد النسفي، بحر الكلام، م. س، ص: 235

3- المكلف بالشفاعة

وجب التمييز أولاً بين من يُعطي الإذن والحق في الشفاعة، وبين من يُعطى له الإذن والحق في الشفاعة، وهذا الأمر ضروري بيانه لإزالة اللبس العقدي الذي وقع فيه بعض المنتسبين للإسلام.

وباستقراء نصوص الكتاب والسنة، نجد أنها تثبت الشفاعة لله تعالى وحده، بمعنى أن من يعطي حق الشفاعة في الآخرين هو الله ولا أحد سواه مصداقاً لقوله تعالى: (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ¹)، وقوله تعالى: (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مَسْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ²). بمعنى أن الشفاعة يوم القيامة هي من اختصاص الله سبحانه وحده، ولا يحق لأي أحد؛ ملكاً كان أو رسولاً أن يتدخل في منحها لمن يريد.

ولكن يُستخلص من نصوص قرآنية أخرى أن الله قد أثبت الشفاعة لغيره، ولكن بإذنه ورضاه، قال تعالى: (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ فَوْلاً³). .

¹ سورة الزمر: 41

² سورة الأنعام: 52

³ سورة طه: 106

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
والشفاعة يعطيها الله سبحانه لمن اصطفاه من خلقه لهذه المنزلة الرفيعة، واعتقاد أهل
السنة والجماعة صريح في ثبوت الشفاعة لسيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام، وهي
ميزة انفرد بها عن بقية الأنبياء والرسل عليهم السلام.

فَنَصَّ تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل، ممن أذن له فيها، ورضي
قوله، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أفضل ولد آدم عليه
السلام¹.

لا يعرف خلاف بين المسلمين من أهل السنة والجماعة في ثبوت شفاعة الشافعين يوم
القيامة؛ وخاصة شفاعة النبي محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، تفضل الله عز وجل بها
عليه إكراماً له، وإظهاراً لنعمته وفضله عليه، ورحمة لعباده المؤمنين. وإن شفاعته صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم ستتكرر في مواقف مختلفة ومواطن متعددة، وفي طوائف متنوعة، كما
أنه تفضل على كثير من عباده الصالحين وملائكته المقربين، بشفاعات يشفعونها يوم القيامة
لأقوام استوجبوا النار².

وكان الإمام أبو الحسن الأشعري يقول: "إن الأمة قد أجمعت على أن للنبي صلى الله عليه
وسلم شفاعة، وأنه يشفع إذا شُفِّعَ، وأنه شفع لمذنب أمته³".

¹ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 4، م. س، ص: 112

² عبد الله عبد القادر التليدي، الشفاعة وأنواعها في السنة المطهرة، (د.ط)، ص: 6 - 7

³ ابن فورك، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة، م. س، ص: 172

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
واستدل أهل السنة على ثبوت شفاعة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بما ورد في
الصحيحين، أنه صلى الله عليه وسلم قال: " أنا أول شافع وأول مُشَفَّع¹ "، فالأول كونه صلى الله
عليه وسلم شافعاً، والثاني كونه مُشَفَّعاً أي مقبول الشفاعة، والثالث كونه مُقَدِّماً على غيره².

واستدلوا كذلك بحديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن
مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك
فيقولون: لو استشفَعْنَا إلى ربنا حتى يُريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما
ترى الناس؟ خَلَقَكَ الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعَلَّمَكَ أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربك
حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناك-ويذكر لهم خطيئته التي أصاب-ولكن انتوا
نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيقول: لست هناك-ويذكر خطيئته
التي أصاب- ولكن انتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لستُ هُناكم-ويذكر لهم
خطاياهم التي أصابها- ولكن انتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكَلَّمَهُ تَكْلِيماً، فيأتون موسى
فيقول: لستُ هُناكم-ويذكر لهم خطيئته التي أصابها-ولكن انتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته
وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لستُ هُناكم، ولكن انتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً غُفِرَ
له ما تَقَدَّمَ من ذنبه وما تَأَخَّر، فيأتونني، فأنتلق، فأستأذنُ على رَّبِّي فيؤذَنُ لي عليه، فإذا رأيتُ
رَبِّي وقعتُ له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسمع، وسل
تُعْطَه، واشفَعْ تُشَفَّعْ، فأحمد ربي بمحامد علَمَنيها، ثم أشفَعُ، فيحدُّ لي حداً، فأدخلهم الجنة،
ثم أرجعُ فإذا رأيتُ ربي وقعتُ ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل
يُسمع، وسل تُعْطَه، واشفَعْ تُشَفَّعْ، فأحمد ربي بمحامد علَمَنيها، ثم أشفَعُ، فيحدُّ لي حداً،

¹ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق، رقمه: 2278

² إبراهيم بن محمد البيجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، م. س، ص: 116

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربّي وقعتُ ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال:
ارفع محمد، قل يُسمع، وسل تُعطه، واشفع تُشفّع، فأحمد ربّي بمحامد علّمتها، ثم اشفع
فيُحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول يا ربّ ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب
عليه الخلود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في
قلبه من الخير ما يزن شعيرة. . .¹ وقد سبق ذكر تنمة هذا الحديث.

فالشفاعة لا يملكها أحد بذاته، فلا تقع من أحد كائناً من كان إلا بإذن من الله عز وجل،
كما أنها لا تكون إلا لمن ارتضاه الله تعالى بأن كان مؤمناً بالله عز وجل، وما جاءت به الرسل
عليهم الصلاة والسلام²، وهذه الصفات أو الشروط هي التي يجب أن تتوفر في المستحقين
لشفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

4- أقسام الشفاعة والمستحقين لها

أ- أقسام الشفاعة:

تنقسم الشفاعة يوم القيامة حسب التصور الإسلامي إلى قسمين:

القسم الأول: شفاعة تخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي تنفرع إلى أنواع منها:
1- شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف ليقضى بينهم، فيشفع فيهم، ويقضي الله بينهم،
وهي العظمى، وهي المقام المحمود الذي أعطاه الله عز وجل، لقوله تعالى: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ

¹ صحيح البخاري (7410) و (6565)، صحيح مسلم (193).

² عبد الله عبد القادر التليدي، الشفاعة وأنواعها في السنة المطهرة، م. س، ص: 11

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا¹) وقد سبقت الإشارة إلى الحديث الصحيح الذي يُثبت شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف؛ كما يؤكد ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَنْ أَحَدٌ قَبْلِي: وذكر منهن الشفاعة"²، وهذه الشفاعة التي لأهل الموقف خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم بمقتضى هذا الحديث فلا يشاركه فيها أحد غيره من الأنبياء أو الملائكة³.

2- شفاعته صلى الله عليه وسلم فيفئة من أمته، فيدخلون الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفًا الذين ورد ذكرهم في الحديث الصحيح⁴.

3- شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار ألا يدخلوها.

4- شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

5- الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه.

6- شفاعته صلى الله عليه وسلم أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة.

القسم الثاني : الشفاعة العامة للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء، والملائكة،

¹ سورة الإسراء: 79

² صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث: 521.

³ سلوى عبد الرحمن محمد يونس، الشفاعة في ضوء القرآن والسنة، م. س، ص: 34

⁴ يُنظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، رقم الحديث: 6541

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
والمؤمنين، وهي الشفاعة فيمن استحق النار من المسلمين أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج
منها¹.

ب-أصناف المستحقين للشفاعة المحمدية:

على ضوء ما سبق، يمكن تصنيف المستحقين للشفاعة المحمدية على الشكل الآتي:

الصنف الأول: في عامة من ينتظر الحساب يوم القيامة

شفاعته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لإراحة جميع الناس مؤمنهم وكافرهم إنسهم
وجنهم من هول الموقف وشدته الذي ما رأوا مثله. وهذه هي الشفاعة العظمى والمقام المحمود².
وهذه الشفاعة غير مختصة بإخراج العباد من النار، بل لتخفيف أهوال انتظار الحساب،
وشدة الموقف يوم القيامة.

الصنف الثاني: السبعين ألفاً من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب

من خلال ما ورد في الأحاديث النبوية، يظهر أن هذه الصنف يمكن تقسيمه إلى قسمين:

القسم الأول: شفاعته صلى الله عليه وسلم في السبعين ألفاً من المؤمنين فيدخلون الجنة
بغير حساب، ويؤكد ذلك ما ورد في الصحيحين في حديث عكاشة بن محصن رضي الله عنه³.

¹ يُنظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص: 283 وما بعدها، والشفاعة وأنواعها في السنة المطهرة، م. س، ص: 23 وما
بعدها، والشفاعة في ضوء القرآن والسنة، م. س، ص: 33 وما بعدها. واليوم الآخر: صفة الجنة والنار، م. س، ص:

² عبد الله عبد القادر التليدي، الشفاعة وأنواعها في السنة المطهرة، م. س، ص: 30

³ يُنظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، رقم (6541)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم (367).

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية..... البشير أسعير
والمقصود بهم الذين توفرت فيهم بعض الصفات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في
الحديث(وهم الذين لا يطلبون العلاج بالرقية من الغير، ولا العلاج بالكي، ولا يتطهرون أي لا
يتشائمون، وعلى ربهم يتوكلون) .

القسم الثاني: شفاعته صلى الله عليه وسلم في أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة،
وفي شفاعته العامة أيضاً التي تشمل جميع المؤمنين الذين كتب الله لهم النجاة يوم القيامة،
ويؤيد هذا ما جاء في الصحيحين أيضاً من حديث الشفاعة¹.

الصف الثالث: قوم تساوت حسناتهم مع سيئاتهم

هؤلاء من الذين تشملهم شفاعاة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأغلب المفسرين
المسلمين يذهبون إلى أن المقصود بهم هم أصحاب الأعراف المذكورين في القرآن الكريم، وفي
هذا الصدد يقول ابن حجر رحمه الله: "إن أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت
حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم صلى الله عليه وسلم ليدخلوا الجنة"².

ويشير الحافظ ابن كثير إلى هذا الصنف من المشفوع فيهم بقوله: "شفاعته صلى الله عليه
وسلم في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة"³. كما يضاف إليهم أقوام آخرون قد
أُمر بهم إلى النار ألا يدخلوها¹.

¹ صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: "لما خلقت بيدي"، رقم (7410) ، وكتاب الرقاق، باب صفة
الجنة والنار، رقم (6565)، وفي صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، رقم
(184) .

² ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص ص : 428 - 429

³ ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، ج2، (د.ط)، ص: 204

الصنف الرابع: المؤمنين في الجنة لرفع درجاتهم وزيادة ثوابهم

لا ريب أن أهل الجنة يتنعمون فيها بما يلقونه بإكرام الله تعالى لهم، ثم تأتي الشفاعة التي ترفعهم إلى درجات العلى في الجنة إكرامًا لهم من المولى وفضلًا، إذ تُرفع درجاتهم في الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، فهذه شفاعة في الجنة للمؤمنين لزيادة ثوابهم ورفع درجاتهم فوق ما تقتضيه أعمالهم الدنيوية².

والدليل على ذلك، الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه³، وفيه قصة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عامر وأبي موسى رضي الله عنهما، وكلاهما شارك في غزوة أوطاس، فالأول كان قد أُصيب بسهم في ركبته، ومات بعد ذلك، وكان قد أوصى أبا موسى بأن يقرئ سلامه للنبي صلى الله عليه وسلم ويطلب منه الاستغفار له، فكان له ما أراد بدعائه واستغفاره صلى الله عليه وسلم، كما أنه دعا لأبي موسى أيضًا بعد ما طلب منه الدعاء.

ويدل على ذلك أيضًا ما جاء عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شَقَّ بصره، فأغمضه، ثم قال: "إن الروح إذا قُبِض تبعه البصر"، إلى أن قال: "اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه"⁴.

¹ شرح العقيدة الطحاوية، م. س، ص: 288

² يوسف صلاح بكري محمد، الشفاعة في الإسلام بين المثبتين والمنكرين، م. س، ص: 22

³ يُنظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزاة أوطاس، رقم الحديث: 4323.

⁴ صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له، إذا حُضر، رقم الحديث: 920.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
وهذا النوع من الشفاعات متفق عليه حتى من المعتزلة¹، فقصرُوا الشفاعة على المطيعين
والتائبين لرفع الدرجات وزيادة المثوبات فهي عندهم لزيادة الثواب لا لدرء العقاب².

الصنف الخامس: من يُخَفَّف عنه العذاب وهو أبو طالب عم النبي صلى

الله عليه وسلم

فهذه شفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبو طالب، وتنفعه فقط في تخفيف
العذاب الشديد عنه، لما كان له من فضل في حمايته من أذى المشركين، ناهيك عن كفالتة له
صلى الله عليه وسلم في صغره، والدليل على ذلك، ما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال:
"لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضحضاح³ من النار يبلغ كعبه يغلي منه أمُّ
دماغه"⁴.

وهناك أنواع أخرى من الشفاعة ذكرها العلماء من خلال استقراءهم لكتب الحديث، منها
شفاعة الأنبياء الآخرين، وشفاعة الملائكة والمؤمنين الصالحين، وشفاعة الشهداء في السبعين
من أقاربهم، وشفاعة الأولاد لأبائهم سواء البالغين منهم أو الذين ماتوا قبل البلوغ، وشفاعة

¹ يُنظر: عبد الله عبد القادر التليدي، الشفاعة وأنواعها في السنة المطهرة، م. س، ص: 34

² الإيجي، شرح المواقف، ج2، ص: 249

³ الضحضاح: ما قل من الماء على وجه الأرض يصل إلى الكعبين (عبد الله عبد القادر التليدي، الشفاعة وأنواعها في
السنة المطهرة، م. س، ص: 44) .

⁴ صحيح البخاري (6564) ، صحيح مسلم (210) .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
حملة القرآن الكريم، وشفاعة المصلين على الميت المؤمن، وشفاعة القرآن الكريم وبعض سوره
لقرائه، وشفاعة الصلاة والزكاة والصيام، وغيرها من أنواع الشفاعة¹.

خلاصة:

أخلص مما سبق، إلى أن الشفاعة من القضايا الإيمانية المجمع عليها بين المذاهب
العقيدة الإسلامية، ولم يخرج عن هذا الإجماع سوى المعتزلة والخوارج وبعض الشيعة، وعليه،
فإن مدرسة أهل السنة والجماعة بكل أطرافها تؤمن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم
لأصحاب الكبائر من أمته، وشفاعته لأهل الموقف قبل الحساب، وترى أنها هذه الشفاعة هي
منزلة لم يعطها الله تعالى لنبي غيره، وفي ذلك تشريف لمقام خاتم الأنبياء والمرسلين، وتعظيمًا
لشأنه، واستجابة لدعوته في أن لا تهلك أمته يوم القيامة.

وبعد دراسة وتحليل مجمل القضايا الإيمانية، وعرض مواقف المدارس اللاهوتية
المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية منها، بقي أن أحدد أوجه الاتفاق وأوجه الافتراق بينها.

¹ عبد الله عبد القادر التليدي، الشفاعة وأنواعها في السنة المطهرة، ص: 50 وما بعدها.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

الفصل الثاني: دراسة مقارنة للقضايا الإيمانية بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية

بعد دراسة وتحليل هذه القضايا الإيمانية الكبرى، وقفت على بعض عوامل التقارب الديني في هذا الموضوع والتي يمكن التركيز عليها أكثر؛ وجعلها محاور التقاء بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية، وهذه المشتركات العقدية موزعة على الأقسام الثلاثة: الإلهيات والنبوات والسمعيات (الأخريات) .

المبحث الأول: أوجه الاتفاق

المطلب الأول: في قسم الإلهيات

لعل أول ما يلفت النظر في هذا القسم هو اتفاق المدارس المسيحية والمذاهب الإسلامية على نقطة الإيمان بوجود الله تعالى، وهي تعتبر من النقاط المشتركة بين الطرفين، وكما سبق الذكر، فهذه القضية الإيمانية يتفق عليها المسيحيون بمختلف مدارسهم، وهذا ما تضمنته إحدى الوثائق المعتمدة عندهم وهي دستور الإيمان النيقاوي القسطنطيني التي جاء فيها قولهم: "أؤمن بالله واحد، خالق السماء والأرض، كلُّ ما يُرى وما لا يُرى"¹، هذا فضلا عن العديد من النصوص الواردة في الكتاب المقدس خاصة في العهد القديم والتي تؤكد بما لا يدع مجالا للتأويل، حقيقة وجود الله تعالى، وأنه هو الخالق للكون وجميع المخلوقات الموجودة فيه،

¹منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، م. س، ص: 254

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير وهو صاحب السلطان والملك والمجد والقداسة¹، وهذه الحقيقة أكدتها كذلك أقوال مشاهير القديسين المسيحيين كتوما الأكويني Thomas d'Aquin وأنسلم Anselm ويوحنا الدمشقي Jean Damascène وغيرهم، وقد أثبتوا على أن وجود الله مسألة مركوزة في فطرة الإنسان ولا تحتاج إلى برهان.

كما أن بولس الذي يعتبر الشخصية المحورية في الفكر المسيحي، يصرح بوجود الإله العظيم، ويرى أن هناك العديد من الدلائل على وجوده، وعلى حد تعبيره؛ فالله الخالق "لم يترك نفسه بلا شاهد"²، لأن آثاره بادية في الطبيعة، وبناء على هذا، يستشهد المسيحيون بأدلة كثيرة على وجود الله، منها: الأدلة الكونية وهي كل ما يوجد في الطبيعة من مخلوقات تدل على عظمة الله الذي خلقها وأبدع صنعها، والأدلة العقلية البرهانية التي تستند إلى تحكيم العقل في إدراك حقيقة الأشياء، والعقل السويلا يمكنه أن ينكر أن لكل موجود واجد، ولكل شيء مصنوع صانع، ولا يقبل أن توجد هذه المخلوقات بالصدفة كما يقول الملاحدة، بل هناك من أوجدها وأحكم صنعها، وضبط نظام حركتها وسيرها في الاتجاه الصحيح، ومن يكون غير الله تعالى.

يضاف إليها الأدلة التاريخية، ذلك أن الناظر في تاريخ البشرية الممتد، والمتأمل في حوادثه وتقلباته، لا ريب أنه يرى فيه ما يدفعه إلى الإيمان بوجود خالق عظيم ومدبر حكيم، يوجه كل شؤون البشر وأفعالهم وفق مشيئته، ويجعل الأحداث تسير في اتجاه تحقيق الغايات والمقاصد التي أراد لها.

¹ يُنظر: صموئيل يوسف خليل، الفكر اللاهوتي في العهد القديم، دار الثقافة، القاهرة، (د.ط) ، ص: 71، 75.

² رسالة أعمال الرسل 17: 14

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
إذن، فهذه كلها شواهد يراها المسيحيون كافية للبرهنة على وجود الله، وأنه هو الذي
أوجد هذا العالم بما فيه، وهو المتصرف فيه بحكمته وسلطانه.

وفي المقابل، تتفق المذاهب العقيدة الإسلامية على الإيمان بوجود الله تعالى، الخالق الذي
هو أصل الوجود كله، بل ويعتبرون أن قضية وجوده سبحانه وتعالى هي من المُسَلَّمات
والبداهيات التي لا تقبل الجدل والنقاش، فالتصور العقدي في الإسلام قائم على عقيدة
الإيمان بالله الموجود الحق بذاته، الذي لا يقبل العدم، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو
الأخر الذي ليس بعده شيء، وهو المتصف بصفات الجلال والكمال، وهو واجب الوجود.

ودلائل وجود الله تعالى عند المسلمين لا تختلف كثيرًا عن الدلائل المسيحية إلا في تصنيفها
وتفصيلاتها، إذ ينطلق المسلمون في إثباتهم لوجود الله تعالى من آيات القرآن الكريم، ويقسمون
هذه الآيات الدالة على وجوده سبحانه إلى قسمين رئيسين: آيات الأنفس وآيات الآفاق، وبعبارة
أخرى؛ الأدلة على خلق الإنسان ومراحل نموه، منذ أن كان نطفة فعلاقة فمضغة فلحمًا
وعظامًا، وتطوره من الصغر ومرورًا بالطفولة ثم مرحلة الرشد إلى أن يصير شيخًا كبيرًا،
فأحوال النفس البشرية وما يطرأ عليها من تغير وتطور هي أوضح دليل على وجود خالق عليم
حكيم بخلقه، وهو الله عز وجل. وكذلك الأدلة المبتوثة في الكون من خلق السماوات والأرض
والنجوم والكواكب والجبال، والبحار والأنهار، والنباتات بأنواعها، والحيوانات بأصنافها، وغير
ذلك مما هو مُشاهد للعيان، فكل هذا من صنع الخالق العظيم القائل في محكم تنزيله: (صُنِعَ

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
اللَّهُ الَّذِي أَتَفَرَّ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ¹ ، هذا فضلا عن الدلائل الأخرى التي
استنبطها المتكلمون المسلمون كدليل حدوث الأجسام...إلخ.

لذلك وجب التأكيد على أن قضية وجود الله تعالى هي نقطة مشتركة بين المدارس
اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية، لأنه لا يُتصور الاختلاف بين المسيحيين
والمسلمين حول الأصل الأول للوجود، نظرًا لأن الله جلَّ جلاله هو الذي أنزل الكتب وأرسل
الرسل، وتلك من الدعامات الأساسية في كل الأديان السماوية، على اعتبار أن مصدرها واحد
وهو الوحي الإلهي.

ومن تجليات عظمة الله سبحانه، وحدة الخلق والإبداع في الكون والمخلوقات، بما فيها
الإنسان العاقل، والله تعالى يخاطب العقلاء وأصحاب الفطرة السوية فيقول: (وَيْهِ الْأَرْضِ
ءَايَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَٰٓأَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ²)، وهذا مما تتفق عليه المدارس المسيحية
والمذاهب الإسلامية أيضًا، فالكون له بداية، وقد خلقه الله تعالى من العدم، وآدم هو أبو
البشر، خلقه الله من تراب، ونفخ فيه من روحه، ولم يكن له قبل ذلك وجود، وخلق منه زوجه
ليسكن إليها، ومنهما تفرعت البشرية وتكاثرت الذرية، وانتشرت في الأرض التي خلقها الله تعالى
وسخَّرَها لهم، وجعل هذا الإنسان أفضل مخلوقاته على الإطلاق، فهذه حقائق صرَّحت بها
الكتب المقدسة عند المسيحيين كما عند المسلمين، فالكتاب المقدس يقول: "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ

¹سورة النمل: 90

²سورة الذاريات: 20 – 21

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ¹، والقرآن الكريم يقول: (رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ²) ، وعن قصة خلق آدم، جاء في سفر التكوين: " وَجَبَلَ الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ تَرَابًا مِنَ الْأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ، فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً³، وعن قصة خلق حواء قال: "فَأَوْقَعَ الرَّبُّ إِلَهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلَاعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْمًا، وَبَنَى الرَّبُّ إِلَهُ الصِّلَعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ⁴، وفي سورة المؤمنون يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي فَرْارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْقَةَ عَلَاقَةً بَخْلَفْنَا الْعُلْفَةَ مُضْغَةً بَخْلَفْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا بِكَسُونَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْفًا - آخَرَ فَتَبَرَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ⁵، ويقول سبحانه أيضًا في خلق زوجه حواء وتفرع البشرية عن هذا الزواج: "يَتَأْتِيهَا النَّاسُ بِتُفُوَا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً⁶ .

إن قصة خلق الكون وخلق آدم وزوجه حواء كما هي مذكورة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم، تلتقيان في كثير من النقاط المحورية، كمصدر الخلق (الله تعالى) ، ومادة الخلق

¹ سفر التكوين 1: 1

² سورة الأعراف: 53

³ سفر التكوين 2: 7

⁴ سفر التكوين 2: 21

⁵ سورة المؤمنون: 12 – 14

⁶ سورة النساء: 1

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير (التراب) والمقصد من خلق الإنسان (العبادة والاستخلاف في الأرض) ، وبعض الأحداث التفصيلية التي جرت بعد خلق آدم وحواء كتعليم الله أسماء الأشياء لآدم، وحادث الأكل من الشجرة. . . إلخ، وتبقى بعض النقاط الخلافية بين القصتين التوراتية والقرآنية مما سأناقشه في محله من هذه الدراسة.

المطلب الثاني: في قسم النبوات

بالانتقال إلى مجال النبوات، فإن أهم ما يمكن تسجيله من ملاحظات، هي أن اعتقاد المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية في النبوة مبدأ ثابت، وأمر محسوم، وثمة إشارات عديدة في الكتب المقدسة عن إرسال الله تعالى للأنبياء والرسول ليبلغوا للناس كلامه المتضمن لأوامره ونواهيه¹، كما أن الوحي الإلهي يُعدُّ نقطة مشتركة بين المسيحية والإسلام، طالما أنهما رسالتين سماويتين؛ ومصدرهما واحد، والمدلول العام للوحي عند المسيحيين لا يبتعد كثيرًا عن معنى الوحي كما هو متداول في المصادر الإسلامية، ففي قاموس الكتاب المقدس يُعرّف المسيحيون الوحي بأنه: "إبلاغ الحق الإلهي للبشر بواسطة بشر، وهو عمل روح الله، أو بعبارة أدق عمل الروح القدس"²، وفي دائرة المعارف الكتابية: "الوحي هو كلام الله الذي يوحى به إلى أنبيائه، فسجلوه في الكتاب المقدس"³، وفي المصادر الإسلامية يُعرّف الوحي بأنه "كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه"⁴، وبصيغة أخرى فالوحي هو "عرفان يجده

¹ يُنظر: الرسالة إلى العبرانيين 1: 1-2 وسورة النساء: 162-164

² قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص: 1020

³ دائرة المعارف الكتابية، ج 1، م. س، ص: 194

⁴ محمد عبده، رسالة التوحيد، م. س، ص: 102

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
الشخص من نفسه، مع اليقين بأنه من الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل
لسمعه أو بغير صوت¹، وفي تعريف آخر، الوحي هو "كلام الله"².

وبالتأمل في التعريفات السابقة، نلاحظ أنها تشترك في عدة نقاط وهي:

-الإبلاغ في مقابل الإعلام.

-الحق الإلهي في مقابل كلام الله تعالى.

-بواسطة بشر أي النبي أو الرسول.

-عمل روح القدس أي بواسطة جبريل عليه السلام.

فهذه العناصر الأربعة تعطينا صورة واضحة على مدى تقارب المدارس المسيحية والمذاهب
الإسلامية في إطلاق لفظ الوحي، كما يوجد تقارب بينهم في بعض صوره، وهذا طبعا في الأصل
العام لمفهوم الوحي، لكن هناك اختلافات تفصيلية تتعلق بطرق نقل الوحي وتجلياته سأطرق
إليها لاحقا إن شاء الله.

وتتفق المدارس المسيحية والمذاهب الإسلامية أيضا على أن المعجزة عمل خارق لسنن
الطبيعة، وهي من فعل الله تعالى، ويجريها على يد النبي أو الرسول لتأييده وإثبات صدق
رسالته، وإظهار عظمة مُجريها وهو الله الخالق العظيم، وهذا واضح من التعريفات المسيحية
والإسلامية لمفهوم المعجزة كما سبق ذكره في البحث.

¹ المرجع نفسه، ص: 102

² الرازي، التفسير الكبير، مج19، م. س، ص: 169

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير

المطلب الثالث: في قسم السمعيات

من القضايا الإيمانية المشتركة بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية، ما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر أو المعاد، وما فيه من الحساب والثواب أو العقاب، وتقدير مصير العباد بالخلود في الجنة أو النار، وما يحدث في ذلك اليوم العظيم من مشاهد وشدائد.

فالمسيحيون والمسلمون يتفقون على أن الحشر يوم القيامة سيكون على أرض مختلفة، وأنه سيكون بالأجساد والأرواح معاً، ويؤمنون بفكرة خلود الأرواح، وأن الناس سيقفون للحساب يوم القيامة، وستُنشر صحائف أعمالهم، وسينالون الجزاء عليها خيراً كانت أم شراً، وأنهم سيُحاسَبون بشكل فردي ودقيق، وأنهم سيفترقون إلى صنفين: صنف إلى الحياة الأبدية أو الجنة، وصنف آخر إلى العذاب الأبدي أو نار جهنم، وأن داخل كل صنف من هذين الصنفين هناك درجات متفاوتة بحسب الأعمال، ويؤمنون بأن الفردوس (الجنة) هي مكان سماوي، وأن نار جهنم مكان سفلي تحت الأرض، كما يلتقي المسيحيون مع المسلمين في أن الأبرار أو المؤمنين سيتمتعون بالنعيم الخالد في الجنة، وأن الأشرار أو الكافرين سيخلدون في نار الجحيم.

وبالإضافة إلى الحساب وما يعقبه من تقرير مصير العباد، يشترك المسيحيون مع المسلمين في الإيمان بالشفاعة في مفهومها العام، دون أن يتعدى ذلك إلى التفاصيل المتعلقة بطبيعة الشفاعة وما يلحق بها من أحكام، غير أن ما يمكن التأكيد عليه في هذا الشأن، هو أن المسيحيين الكاثوليك يعتقدون بوجود "المُطَهَّر" وهو سجن يشبه إلى حد كبير المكان الذي يُحبس فيه المؤمنون حسب التصور الإسلامي قبل أن ينالوا شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يدخلون إلى الجنة بعد أن يكونوا قد تطهروا من ذنوبهم، وقد ذهب بعض المفسرين

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية..... البشير أسعير
المسلمين إلى القول بأن الذين حُبسوا في ذلك المكان بين الجنة والنار هم أصحاب الأعراف
الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم¹.

¹ يُنظر: يوسف صلاح بكري محمد، الشفاعة في الإسلام بين المثبتين والمنكرين، م. س، ص: 6

المبحث الثاني: أوجه الافتراق

إن وجود بعض المشتركات الإيمانية بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية مما تمت الإشارة إليه سابقاً؛ لا يعني بأي حال من الأحوال أن المسيحيين والمسلمين بينهم تفاهم وانسجام على المستوى الإيماني، فبالقاء نظرة على المصادر المسيحية، ومقارنتها بما تضمنته المصادر الإسلامية، سنجد أن هناك العديد من نقاط الاختلاف بين الطرفين، ووقوفاً عند مبدأ الأمانة العلمية، لابد أن أشير هنا إلى جملة من القضايا الإيمانية التي اختلفوا فيها.

المطلب الأول: في قسم الإلهيات

تختلف أطروحات الباحثين في مقارنة موضوع التوحيد المسيحي وعلاقته بالتوحيد الإسلامي، وتتعدد مواقفهم ومذاهبهم في هذه القضية، حيث ذهب البعض منهم إلى اعتبار المسيحيين من الموحدين طالما أنهم أهل كتاب كما حكى عنهم القرآن الكريم، وأنهم مازالوا في دائرة الإيمان المشترك بين الديانات الإبراهيمية¹، ورأى البعض الآخر أن العقيدة المسيحية في صيغتها الحالية لا علاقة لها بالرسالة الأصلية للمسيح عيسى عليه السلام، وإنما هي خليط غير متجانس من الأفكار والفلسفات التي ابتدعها بولس وآمن بها أتباعه الذين عايشوه وتأثروا برسائله²، والفيصل في هذه المسألة هو التحقيق والتدقيق في المصادر الدينية المعتمدة عند

¹ يُنظر: محمد حسين فضل الله، في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، دار الملاك، ط1: 1414 هـ - 1994 م،

ص: 292

² محمد إبراهيم كركور، تطور المسيحية بين عيسى عليه السلام وبولس، مركز التنوير الإسلامي، 1462 هـ - 2006 م، (د. ط)، ص: 193 وما بعدها

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
المسيحيين، والنظر في مدى صحتها، وتطابقها مع ما يقتضيه الوحي الإلهي في امتداده عبر
التاريخ، ومقابلتها بما جاء به القرآن الكريم؛ باعتباره المصدر السماوي الوحيد والأخير الذي لم
تمتد إليه يد البشر بالتحريف والتبديل¹، وبذلك يمكن الخروج بنتائج مبنية على أسس علمية
تنأى عن الأحكام المسبقة.

ولما كان التوحيد هو أساس دين الله تعالى من لدن سيدنا آدم إلى يوم القيامة، فإن
القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة مصدقاً لما بقي من الآثار الدالة على التوحيد في عقائد أهل
الديانات السماوية وفي سلوكات بعض طوائفهم، ومُنمِّهاً على ما أصابها من تحريف وتبديل
وتغيير ما أنزل الله به من سلطان²، وهذا الأمر نفسه ينطبق على الكتاب المقدس الذي يُعدُّ
المصدر الأساسي الذي يبني عليه المسيحيون إيمانهم، حيث نجد في بعض أسفاره إشارات
صريحة عن التوحيد، تقول الوصية الأولى من الوصايا العشر: "اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلَهُنَا
رَبٌّ وَاحِدٌ"³، ويؤكد ذلك أيضاً ما ورد في سفر الخروج في قوله: "أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ

¹ هذه الحقيقة شهد بها علماء المسيحية في الغرب، كما شهد بها المهتدون من الغربيين إلى الإسلام الذين قضوا سنوات
من عمرهم في البحث عن الحقيقة فوصلوا في نهاية المطاف إلى معرفة حقيقة الإسلام؛ من خلال دراستهم لنصوص
القرآن الكريم، ومطابقتها بغيره من الكتب السماوية السابقة التي طالها التحريف، ويمكن الإشارة في هذا الباب؛ على
سبيل المثال لا الحصر إلى شهادة العالم اللاهوتي السويسري هانس كونج الذي اعترف بأن القرآن وحي إلهي، وقد
ورد ذلك في كتاب "التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام: دراسة تحليلية مقارنة، ص: 98"، كما أكد
العالم الفرنسي المهتدي إلى الإسلام مورييس بوكاي هذه الحقيقة في كتابه "القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص:
181 و ص: 321 وما بعدها".

² عبد الحليم أيت أمجوض، حوار الأديان: نشأته وأصوله وتطوره، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى: 1433 هـ -
2012م، ص: 656 (أصل هذا الكتاب رسالة نال بها صاحبها شهادة الدكتوراه من جامعة الحسن الثاني بالمغرب).

³ سفر التثنية 4: 6

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مَنْ بَنَتْ الْعُبُودِيَّةَ. لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي¹ وغير ذلك من الشواهد
النصية التي تضمنها العهد القديم.

غير أن عقيدة التوحيد التي بدت معالمها واضحة في نصوص العهد القديم، سرعان ما
تعرضت لتحولات ومنعطقات كبرى، أدت بها في آخر المطاف إلى الانتكاسة والارتقاء في الوثنية،
واتضح هذا الأمر جلياً في كتاب العهد الجديد، حيث يُلاحظ أن المسيحيين قطعوا صلتهم تماماً
بالوصايا العشر خاصة أن أول وصية منها تدعو-كما سبق ذكره- إلى الإيمان بوحداية الله
وعدم اتخاذ آلهة أخرى من دونه، والمسيح عيسى عليه السلام كما هو معلوم من التاريخ
المسيحي، نشأ يهودياً، وعاش في بيئة يهودية، وكان رسولا من الله إلى بني إسرائيل²، والمسيحية
تنبع أساساً من حركة يهودية تَهْمُ الحياة الدينية لليهود على الخصوص، ولا يُتصور قيامها خارج
نطاق العالم اليهودي كما ذهب إلى ذلك المؤرخ المسيحي شارل جينبير³.

ولعل أول ما يلفت نظر الباحث في مجال العقائد المسيحية، هو وجود غموض ورمادية في
استخدام المسيحيين لاسم الجلالة (الله) المتداول بين المسلمين، "مع الوضع في الاعتبار أن لفظ
الجلالة (الله) ليس هو على التأكيد عندهم اسم الآب المذكور في الأناجيل حسب اعتقادهم"⁴،
فالصفات التي يطلقها المسيحيون على الآب غير الصفات التي وصف بها الله تعالى نفسه في

¹ سفر الخروج 20: 3-2

² يُنظر: إنجيل برنابا: دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، تحقيق: سيف الله أحمد
فاضل، دار القلم، دمشق، ط1: 1393هـ - 1973م، ص: 37، وعبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية
لدى الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1421هـ، ص: 322

³ شارل جينبير، المسيحية نشأتها وتطورها، م. س، ص: 25

⁴ جمال الدين الشرقاوي، معالم أساسية في الديانة المسيحية، (د.ط)، ص: 25

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
كتابه (القرآن الكريم) ووصفه بها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في الأحاديث النبوية،
فستان ما بين الاسمين وصفاتهما.

ويعترف أحد الكُتَّاب المسيحيين بهذه الحقيقية بقوله: "إن القول الأساسي في العهد
الجديد بأن الله هو أبو يسوع المسيح، وأبونا جميعاً، صار لنا متعسراً على الفهم والتحقيق"¹،
وقد سبقت الإشارة عند الكلام عن العقيدة المسيحية أنها تشكلت من خليط من النظريات
الفلسفية والأساطير القديمة، وكان لبولس دور البطولة في تجميع هذه الأفكار الوثنية،
وصياغتها في قالب لاهوتي فريد من نوعه، يجمع بين مبدأ تجسد الإله في صورة بشر، والتثليث،
والصلب، والفداء والكفارة، وغيرها من التصورات المادية للألوهية.

ونتيجة لهذا، كله قام بناء لاهوتي عسير، صعب، معقد، لا يُفهم أو يُساغ، يضم الأب
والابن والروح القدس، وجعل المسيح إلهاً وإنساناً أو إلهاً، وليس إنساناً أو إنساناً ينحدر من إله،
وصُلب هذا الإله المسكين ليفدي ذنوب البشر، وليُكفّر عن الخطيئة الأصلية، ومن هنا كانت
خصوصية وتعقيدات عقيدة التثليث التي تعني في المسيحية التاريخية أن الله واحد وفي الوقت
نفسه هو ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر: الأب، والابن، والروح القدس، فالأب هو الذي خلق
العالم بواسطة الابن، والابن هو الذي أتم الفداء وقام به، والروح القدس هو الذي يُظهر
القلب والحياة، غير أن الأقانيم الثلاثة تشترك معاً في جميع الأعمال الإلهية على السواء².

¹ فالتر كاسبر، إله المسيحيين، تعريب: يوحنا منصور، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط1: 2006، ص: 165

² صلاح سالم، اللاهوت التاريخي والمسار الارتقائي للعقلانية التوحيدية، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1:

2012م، ص: 43

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
والثابت المقرر والمتفق عليه لدى علماء المسلمين دينًا ودنيا، أن عقيدة الإسلام ترفض
مقولة التجسد رفضًا تامًا، ومبادئ القرآن تتنافى مع مفهوم السر le mystère الذي يقول إن
عيسى بن مريم يسوع المسيح هو إله كامل، تام، فيه ملء اللاهوت؛ وأقنوم ثان من أجل ثلاثة
أقانيم: الآب والابن والروح القدس¹.

كما أن عقيدة التثليث تصطدم بالنصوص الصريحة في كتاب العهد الجديد التي يفهم
من مضمونها التوحيد في الألوهية، وبشرية المسيح عيسى، من ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا:
"وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ"²،
فبين عيسى عليه السلام أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي،
وأن عيسى عليه السلام رسوله، وما قال إن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم
ممتازة بامتياز حقيقي وأن عيسى إنسان وإله، أو أن عيسى إله مجسم³، هذا فضلًا عن أن
الفقرة⁴ التي عادة ما يستدل بها المسيحيون في تقرير إيمانهم بالتثليث؛ تم إقحامها في العصور
اللاحقة من التاريخ المسيحي، "وهذا الاقتباس السابق لم يوجد في أية مخطوطة يونانية قديمة:
لأن عقيدة التثليث لم تكن جزءًا من تعاليم الكنيسة إلى أن أُلِفَت هذه العقيدة ودخلت إلى

¹ غسان سليم سالم، محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والإسلام، دار الطليعة، بيروت، ط1: نيسان
(أبريل) 2004، ص: 241

² إنجيل يوحنا 3: 17

³ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، إظهار الحق، اعتنى به وحققه: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار ابن الهيثم،
القاهرة، ط1: 1426 هـ - 2005 م، ج2، ص: 3

⁴ جاء فيه "فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةُ الْآبِ وَالْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ" رسالة يوحنا
الأولى 5: 7

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
المسيحية خلال مجمع نيقية، ومن تم فقد حُذف هذا النص تمامًا من النسخة القياسية
المنقحة والمعروفة بـ R. S. V* لعام 1881¹.

كما أن الشواهد التاريخية تزي هذا الطرح، وتؤكد أن الديانة المسيحية لم تستطع
مقاومة الإرث الهلنستي والغنوصي فانغمست في أحواله، وأصبحت "الهلنستية"² والغنوصية
تحديدًا، هي مصدر المسيحية فضلًا عن المؤثرات الهلنستية الأخرى كالباطنية (الهرمسية
والغنوصية والمسارية)، وما نتج من تحولات جديدة في أديان الشرق الأدنى والدين الإغريقي
والفكر الفلسفي الهلنستي، وقد قال الباحث الهلنستي الكبير ويلاموتيز مالدنورف عن ظهور
المسيحية في العصر الهلنستي: أخيرًا عبّرت اللغة الإغريقية عن تجربة روحية حية ومُتقدمة³.

*النسخة القياسية المراجعة (R . S . V) Revised Standard Version، وتم اعتمادها بعد النسخة القياسية الأمريكية
(American Standard Version (R . S . V) التي ظهرت عام 1901م، وتم تجاوزها من طرف المجلس العالمي
للتعليم الديني الذي يمثل الكنائس في الولايات المتحدة وكندا؛ من خلال تشكيل لجنة مراجعة عام 1937م تأخذ في
اعتبارها جميع العوامل التي تُمكن من الحصول على نصوص أفضل مما في التراجم السابقة.
(أحمد عبد الوهاب، المسيح عليه السلام في مصادر العقائد المسيحية: خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب،
ص ص: 5 - 6) .

¹ علي خان جومال، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، نقله إلى العربية: رمضان الصفناوي، مكتبة النافذة،
ص: 118

² كلمة نحتها أحد العلماء الألمان (Hellenismus) من أصلها الإغريقي القديم، وتعني كلمة (Hellen) أي (الهيليني)
أو (الإغريقي) نسبة إلى هيلاس (Hellas) أي بلاد اليونان أو الإغريق (خزل الماجدي، كشف الحلقة المفقودة بين
أديان التعدد والتوحيد، ص: 23) .

³ خزل الماجدي، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب،
ط1: 2014، ص: 311

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وقد تعرضت العقائد المسيحية لاسيما المتعلقة منها بالألوهية لسيل من الانتقادات،
سواء من لدن المفكرين والعلماء الغربيين أو من خلال الردود الإسلامية التي كان أصحابها من
ذوي الاطلاع الواسع على عقائد الأديان الأخرى؛ وخاصة العقيدة المسيحية.

ومعلوم أن الطعن في المصادر الدينية المسيحية هو طعن مباشر في صحة هذه العقائد
المقتبسة منها، فقد وردت عدة شهادات لعلماء مسيحيين تشكك في الكتاب المقدس من جهة،
وتعتبر الأناجيل الأربعة مقطوعة الصلة بكلام المسيح عيسى عليه السلام، وفي هذا الصدد يورد
الشيخ أحمد ديدات رحمه الله كلام الدكتور جراهام سكروجي عضو معهد مودي للكتاب
المقدس بشيكاغو في جوابه عن سؤال هل الكتاب المقدس كلام الله؟ تحت موضوع (الكتاب
المقدس تصنيف بشري ومع ذلك فهو كتاب سماوي، ص17) : "نعم إن الكتاب المقدس
تصنيف بشري، وقد مرَّ من خلال أذهان البشر، وكُتب بلغة البشر وبأقلامهم، كما أنه يحمل
صفات تتميز بأنها من أسلوب البشر"¹.

إضافة إلى أن إنجيل يوحنا الذي تفرد بذكر قصة التجسد وألوهية المسيح، والتثليث، لم
يسلم من سهام النقد، بل وصل الأمر بأحد العلماء النقاد إلى التشكيك في نسبته ليوحنا، يقول
العالم أستاذون: "إن كافة إنجيل يوحنا مشكوك في صحته، تصنيف طالب من طلبة مدرسة
الإسكندرية في ذلك الوقت، تلك المدرسة التي اعتنقت مبادئ الثالوث وألوهية المسيح وروح
القدس وبشَّرت به"². وأعلن سلوس Celse وهو من العلماء الوثنيين في القرن الرابع الميلادي أن
تغيير الديانة النصرانية كان أمراً محققاً، وإن هذا العهد الجديد المتداول حالياً بين النصارى

¹ أحمد ديدات، هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ترجمة: الشيخ إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة، ط1: 1989م،
ص:4

² يُنظر: الأديان في العالم، تأليف: سعدون محمود الساموك وهدى علي الشمري، (د.ط)، ص: 418

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ما صنعه السيد المسيح، ولا الحوارين تلامذته بل صنعه رجل مجهول الاسم ونسبة إلى
الحواريين¹.

وفي خضم صعوبة فهم واستيعاب العقيدة المسيحية لدى جمهور واسع من المسيحيين،
قام عدد من الباحثين والعلماء في الغرب بإخضاع هذه العقائد للميزان العقلي، ووضعها تحت
مجهر النقد والتحقيق، ومن بين الذين شككوا في صحة الإيمان المسيحي، الأستاذ موريس
وايلز² Maurice Wiles الذي قام بطرح تفسيرات تاريخية لفكرة (تجسد الإله)، وفي إطار كلامه
عن جذور هذه الفكرة، وكيف نشأت وتطورت، يقول: "كانت واحدة من البيئات التي تؤمن أن
فكرة التدخل الإلهي-فوق الطبيعي-كانت نمطاً طبيعياً للفكر والإيمان، بطريقة لم تعد اليوم
صحيحة بالنسبة لغالبية المسيحيين-حتى المؤمنين منهم-وفي إطار هذا الاعتقاد العام بالشكل
الخاص للتدخل الإلهي ظهرت ونمت عقيدة التجسد، وتأثرت المراحل المتأخرة لنمو هذه
العقيدة إلى حد كبير بما جاء به الإنجيل الرابع³ الذي فهمَ على أنه نقل تاريخي مباشر"⁴.

ويتحدث العالم والمؤرخ الفرنسي شارل جينيبر عن أحد العوامل الرئيسة في تحول مسار
العقيدة المسيحية "وهو معرفة بولس للمبادئ الأولى في الفلسفة الرواقية، وللوسائل الشائعة في
الأساليب الخطابية لدى المفكرين اليونانيين"⁵

¹ المرجع نفسه، ص: 419 – 420

² أستاذ (بروفسور) الإلهيات والكتاب المقدس في كلية المسيح، أوكسفورد، بريطانيا.

³ يقصد به إنجيل يوحنا.

⁴ أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، إشراف: جون هيك، تعريب: نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ط1: 1405 هـ.

- 1985م، ص: 31

⁵ شارل جينيبر، المسيحية: نشأتها وتطورها، م. س، ص: 68

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وهذا فولتير Voltaire الفيلسوف الفرنسي الذي اشتهر بسخريته من الإيمان الكندي،
يتجراً على نقد عقيدة التثليث في عدة مقالات، ولعل أهمها مقالا له بعنوان (اللاثالوثيون)،
يصف نفسه أنه واحد منهم، في مقابل الثالوثيين، وقبل استدلاله على زيف عقيدة التثليث
يشير إلى أن "هذه العقيدة المهمة، لا توجد في أي موضع من الكتاب المقدس، لا يمكننا إيجاد أي
فكرة تسمح لنا بمثل هذا القول، ولا يمكننا فعل ذلك إلا إذا ابتعدنا عن روح النص"¹.

ومن استدلالات فولتير على بطلان عقيدة التثليث قوله: "إن التثليث يفترض احتمالات
ثلاثة، بمعنى أشخاص التثليث: إما جواهر أو ماهيات مختلفة أو أعراض للجوهر الإلهي أو هي
الجوهر ذاته دون تمييز. يترتب على ذلك: في حالة الفرض الأول: يكون لدينا ثلاثة آلهة، في الثاني:
يكون الله مركباً من أعراض، وبذلك نعبد الأعراض بما أننا حولناهم إلى أشخاص
(*Métamorphose*)، أما الاحتمال الثالث: فإننا ودون جدوى، ودون أساس نقوم بتقسيم
موضوع غير قابل للانقسام، ونميز في الثلاثة ما لا يمكن تمييزه في نفسه، وإذا قلنا الأشخاص
الثلاثة، ليست ماهيات مختلفة في الجوهر الإلهي، كذلك ليست أعراضاً له، سنتحمل مشقة أو
صعوبة إثبات شيء ما"².

وهذا المنهج الاستدلالي اعتمده أيضاً علماء المسلمين في إبطال عقائد المسيحيين، ويذهب
الإمام أبو حامد الغزالي في نقده لعقيدة التجسد (الاتحاد) إلى نعت المسيحيين بالمساكين لعدم
استخدامهم للعقل، وأنهم اتبعوا الهوى والتعصب، ويعتبر أنهم ضلوا طريق الحق لوجوه منها:
"أنهم إن جعلوا ذلك من قبيل القياس فغلط، لأن القياس رد فرع إلى أصل بعللة جامعة هي

¹VOLTAIRE, Dictionnaire philosophique : Art Antitrinitaires, P 68.

²Ibid, P 69

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
مناطق الحكم، وإن جعلوا ذلك من قبيل التشبيه والتمثيل فغلط أيضاً، لأن المشبه به لا بد وأن
يكون معلوماً متصوراً حتى يكون العلم به مقتضياً للعلم بالمشابهة¹.

ويأتي الإمام الباقلاني لينسف أحد الأدلة التي استند إليها النصارى في زعمهم ألوهية
المسيح فيقول: "وإن قالوا: إنما وجبت إلهية المسيح لأنه قال، وهو الصادق في قوله: (أنا قبل
إبراهيم²) ، وهو إنسان من ولد إبراهيم، فعلمنا بذلك أنه قبل إبراهيم بلاهوته وابنه بناسوته،
يقال لهم: ما أنكرتم أن يكون المراد بقوله (قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن) أي كثير من ديني
وشرعي كان متعبداً به ومشروعاً قبل إبراهيم على لسان بعض الرسل؟ أو ما أنكرتم أن يكون
أراد بقوله (قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن) مكتوباً عند الله أو أنا معروف قبل إبراهيم عند قوم
من الملائكة، أو أنا مبعوث إلى المحشر قبل إبراهيم؟ إذ لا يجوز إثبات الربوبية لجسد أكل
الطعام ومشى في الأسواق³.

وتعليقاً على الفقرات (2-5) من الإصحاح 20 من سفر الخروج⁴ التي نصّت على وحدانية
الله تعالى بشكل صريح، يرد ابن ربن الطبري على النصارى⁵ في قولهم بألوهية المسيح فيقول:
"وقد كان يسوع المسيح-صلوات الله عليه- في الأرض، فمن قال إنه الله، فقد عصى الله¹."

¹ أبو حامد الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل (نسخة إلكترونية دون طبعة ولا دار نشر) ، ص: 2

² إنجيل يوحنا 8: 58

³ الباقلاني، التمهيد، م. س، ص: 102 - 103

⁴ جاء في هذه الفقرات: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت عبودية. لا يكن لك إله آخر أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهم ولا تعبدهم، لأنني أنا الرب إلهك إله غير".

⁵ أمة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وصفهم الإمام الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، وهذا الاسم هو الذي نجده متداولاً في مصنفات علماء الإسلام قديماً الذين اشتهروا بمنابرتهم مع غير المسلمين.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وينكر القاضي عبد الجبار المعتزلي عليهم في مسألة التثليث بقوله: "إن قولكم أنه تعالى
جوهر واحد ثلاثة أقانيم مُناقضة ظاهرة، لأن قولنا في الشيء أنه واحد، يقتضي أنه في الوجه
الذي صار واحدًا لا يتجزأ ولا يتبعض، وقولنا ثلاثة يقتضي أنه متجزئ، وإذا قلتم: إنه واحد
ثلاثة أقانيم، كان في التناقض بمنزلة أن يقال في الشيء: إنه موجود معدوم، أو قديم محدث"².

وفي سياق متصل، يكشف جمهور المعتزلة تناقض عقيدة التثليث، ويلزمون القائلين
بها "بأن كل واحد من الأقانيم إله، لأنه إذا كان الابن والروح مشاركين للأب في القدم، فما
أوجب كونه إلهًا يوجب كونهما إلهين، وكون كل واحد منهما إلهًا يُبطل أصل مقالتهم، لأنهم
توصلوا إلى ذلك بأن القديم الفاعل، إذا استحال كونه حيًا إلا بحياة، عالمًا إلا بعلم، وجب
إثبات أقنومين روح وكلمة، فإذا وجب بما ذكرناه كون كل واحد من ذلك إلهًا، بطل هذا
الطريق، ووجب أن تُثبت لكل واحد من الأقانيم أقنومين آخرين"³.

كما أن التداخل الحاصل بين أقانيم الثالوث، جعل من الصعب التمييز بين الذات
والصفة، وفي هذا الصدد يقول الإمام أبو المعين النسفي الماتريدي: "وحيث يجعلون الواحد
ثلاثة والثلاثة واحد، وكذا يجعلون الذات صفة، ويعدونه من الصفات، (وكذا يجعلون الذات
أبًا والصفة ابنًا) ، وكذا يجعلون الأب والابن قديمين، ولا بد من تقديم الأب على الابن وتأخره
عنه، ولو جاز هذا مع ارتفاع التقدم والتأخر جاز القلب، فيجعل الذات ابنًا والعلم أبًا، وكذا

¹ علي بن ربن الطبري، الرد على أصناف النصارى، تحقيق وتقديم: خالد محمد عبده، مكتبة النافذة، مصر، ط1: 2005، ص: 49

² القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، م. س، ص: 292

³ القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل: الفرق غير الإسلامية، تحقيق: محمود محمد قاسم، (د.ط)، ص ص: 87 – 88

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير يقتصرون على هاتين الصفتين مع الذات وهو جهل، إذ لابد من إثبات صفة البقاء والسمع والبصر والقدرة والإرادة، إذ البقاء معنى وراء الذات، والسمع والبصر معنيان وراء العلم، والقدرة والإرادة معنيان وراء الحياة¹.

لقد استفاض المجادلون المسلمون في إثبات بطلان العقائد المسيحية بالبراهين والحجج الواضحة، وكان التثليث أكثر هذه العقائد نيلاً للنقد والإبطال باعتباره العقيدة المركزية عند المسيحيين، ولا يتسع المجال لإيراد كل الأدلة التي ساقها أعلام المسلمين في تفنيد الدعاوى المسيحية، ولعل هذه النماذج التي أشرت إليها سابقاً، تكفي لبيان ضعف ووهن هذه العقائد.

وثمة موضوع آخر اختلف حوله المسيحيون والمسلمون، ألا وهو "مفهوم الكلمة Logos"، والكلمة هنا ورد التنصيص عليها في الكتاب المقدس في قول يوحنا: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ"²، ووردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ³)، وقد حصل تضارب في الآراء حول تحديد معناها. حيث نجد أن المقصود بـ "الكلمة" في العقيدة المسيحية هو المسيح عيسى عليه السلام الذي يعتبره المسيحيون ابناً لله، ويعتقدون أنه أزل في الوجود، حتى صار عندهم إله المجد، وهذا ما عبّر عنه أحد اللاهوتيين المسيحيين بقوله: "الكلمة كان عند الله منذ الأزل، في رفقة الأب كأقنوم مشارك في اللاهوت (أي الألوهية)، ومع أنه كان هكذا

¹ أبو المعين النسفي، تبصرة الأدلة في أصول الدين، م. س، ص ص: 270 - 271

² إنجيل يوحنا 1: 1

³ سورة آل عمران : 45

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أقنوماً مميزاً لم يكن كائناً منفصلاً عن الله فالكلمة كان الله¹، ويعتقدون أن المسيح عليه
السلام "كلمة الله التي خرجت من الذات فصارت ابناً للذات وصارت الذات أباً للكلمة، وصارت
كل من الذات والكلمة أقنومًا قائمًا بذاته يُدعى الأول (الله الأب) ويُدعى الثاني (الله الابن)"².

وقد ثبت أن القديس يوحنا الدمشقي³ كان يُعلّم النصارى كيف يجادلون المسلمين
فيقول: "إذا جادلنا المسلم فقل له: ما تقول في عيسى بن مريم؟ سيقول: هو كلمة الله ألقاها
إلى مريم وروح منه، فقل له: كلمة الله هذه قديمة أم حادثة؟ والمسلم لا يجروء على القول بأن
كلمة الله حادثة، فسيقول كلام الله قديم، وإلى هنا قد اتفق معك على قدم عيسى المسيح
وإشراكه للأب في القدم"⁴.

ولعل هذه الإشكالية الكبرى هي التي دفعت المعتزلة إلى القول بخلق القرآن، هروباً من
السقوط في فخ النصارى وقولهم أن كلمة الله (المسيح) أزلية، ولو تمعن المعتزلة في حقيقة
(الكلمة) التي وردت في النص القرآني، وتبينوا معناها، لما سقطوا في متاهات كانوا في غنى عنها.

¹ بسام مدني، المسيح في الوحي الإلهي، مطبوعات ساعة الإصلاح، الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل، ص: 16
(www.arabicbible.com).

² محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثلوث؟، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط2: 2004م، ص: 104

³ يوحنا الدمشقي (56- 132هـ/ 675- 749م) أول لاهوتي نصراني ترد في كتاباته مقالات عن الإسلام والوحي
القرآني، وليس ذلك فحسب مناط أهمية كتاباته، ولكن الأثر الكبير الذي خلّفته تلك الكتابات في بناء موقف اللاهوت
النصراني من الإسلام عامة ومن الوحي القرآني خاصة (الوحي القرآني في الفكر اللاهوتي: دراسة تحليلية نقدية،
ص: 8).

⁴ فتحي أحمد رضوان، مشكلة خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السلف، م. س، ص: 28 - 29

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
ومعنى "الكلمة" هنا هو فعل الكينونة (كن) ، وهو أمر الله تعالى للشيء بأن يكون فيكون،
مصدقاً لقوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ¹)، وهذا ما ذهب
إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "وهكذا لفظ الكلمة والكلام يراد بهما الكلام
الذي تكلم به، وذلك صفة من صفاته قائمة بذاته ليس بمخلوق منفصل عن ذاته ولا بائن
عنه، فإن صفة الموصوف لا يجوز أن تفارق ذاته وتنتقل عنه، وإن كان مخلوقاً فكيف في
الخالق سبحانه وتعالى²".

وبذلك يتضح أن المقصود من عبارة (عيسى كلمة الله) هو أنه مخلوق بكلمة الله (كن)،
وخلق المسيح عليه السلام يتشابه مع خلق آدم عليه السلام كما في قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى
عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ³) .

وقد أسست المدارس اللاهوتية المسيحية بموجب هذه العقيدة تصورات متناقضة عن
خلق الكون والإنسان، حتى أنهم قالوا إن خلق العالم كان بالكلمة ويقصدون بها المسيح عيسى،
ذلك أنه بالرغم من إقرارهم بأن الله هو الخالق للكون كما في الفقرة الأولى من سفر التكوين
التي تقول: "في البدء خلق الله السماوات والأرض"⁴، إلا أنهم سرعان ما ينقضون هذا المبدأ،
ويعلمون أن الكلمة (الابن) يشارك الله (الأب) في عملية الخلق، ويذهبون أكثر من ذلك حينما

¹ سورة يس: 81

² ابن تيمية، تحقيق القول في مسألة عيسى كلمة الله والقرآن كلام الله، تحقيق ودراسة، دار الصحابة للتراث، طنطا،
مصر، ط1: 1412هـ- 1992م، ص: 31

³ سورة آل عمران: 58

⁴ سفر التكوين 1: 1

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
يعتبرون أن المسيح هو أصل الوجود، حيث يقول إنجيل يوحنا: "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ
شَيْءٌ مِمَّا كَانَ"¹، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يجعلون الروح القدس (الأقنوم الثالث)
مشاركًا للأب والابن في الخلق أيضًا².

ولم تسلم ألفاظ التوراة العبرية من معضلة التأويل المسيحي، حيث عمدوا إلى تفسير كلمة
"إلوهيم אלוהים" التي يطلقها اليهود على الإله؛ على أنها صيغة الجمع، وبالتالي حملوها على
إفادة سر التثليث، واتضح هذا في تفسيرهم لفقرة "نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشِبْهَتِنَا"³، وفي
هذا المعنى إشارة صريحة على أنهم يؤمنون باشتراك الأقانيم الثلاثة في عملية الخلق⁴ يشمل
هذا خلق الكون وخلق الإنسان معًا.

ولعل من بين المؤاخذات التي توجه للكتاب المقدس خاصة ما يتعلق بقضية الخلق، هو
ذلك الكم الهائل من الأخطاء والتناقضات التي تتعارض مع العلم الحديث، وقد انبرى كثير من
العلماء لكشف هذه الحقيقة في أبحاثهم الدقيقة لسفر التكوين، والنظر في الروايات التي
سردت قصة خلق الكون، وعرضها على المعطيات العلمية.

وأستشهد هنا بما ذكره العالم الفرنسي موريس بوكاي Maurice Bucaille تعليقًا على
الفقرتين 1 و2 من الإصحاح الأول من سفر التكوين حين قال⁵: "ونستطيع أن نقبل تمامًا أن في

¹ إنجيل يوحنا 3: 1

² يُنظر: توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج1، ص: 554

³ سفر التكوين 1: 26

⁴ يُنظر: يوحنا المقاري، التكوين، م. س، ص: 51

⁵ جاء في الفقرتين "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَكَانَتْ الْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْعَمْرِ ظُلْمَةٌ،
وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ".

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
مرحلة ما قبل الأرض كان ما سيصبح الكون، كما نعرفه غارقاً في الظلمات، ولكن الإشارة إلى
المياه في تلك المرحلة أمر رمزي صرف، وربما كان ترجمة لأسطورة، إن القول بوجود الماء في تلك
المرحلة غلط¹.

وبخصوص إيراد كلمة "النور" في الفقرات من 3 إلى 5 في نفس السفر²، يقول موريس
بوكاي: "إن الضوء الذي يقطع الكون هو نتيجة ردود أفعال معقدة، تحدث في النجوم حسب
قول التوراة، لم تكن قد تشكلت بعد في هذه المرحلة، حيث إن (أنوار) السماوات لا تُذكر في
سفر التكوين إلا في الآية 14 باعتبارها ما خلق الله في اليوم الرابع ليفصل بين النهار والليل
ولينير الأرض وذلك صحيح تمامًا؛ ولكن من غير المنطقي أن تُذكر النتيجة الفعلية أي (النور) في
اليوم الأول، على حين تُذكر وسيلة إنتاج النور أي المنيرة في اليوم الرابع، يُضاف إلى ذلك أن
وضع الليل والنهار في اليوم الأول هو أمر مجازي صرف: فالليل والنهار باعتبارهما عنصرين ليوم؛
غير معقولين إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت ضوء نجمها الخاص بها أي الشمس³."

وفي الرواية الثانية من سفر التكوين⁴، يكشف موريس بوكاي عن اختلافات واضحة بينها
وبين الرواية الأولى¹، حيث يقول: "إن هذه الرواية اليهودية لا تشير إلى تَشَكُّل الأرض بشكل واضح

¹ موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 2006، (د.ط)، ص: 55
² جاء في الفقرات "لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ. وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَدَعَا اللهُ
النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةَ دَعَاهَا لَيْلًا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا."

³ موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، م. س، ص: 55 - 56

⁴ المقصود بها الرواية اليهودية، وجاء في نصها "هَذِهِ مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ، يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلَهَ
الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ. كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الْأَرْضِ، وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ، لِأَنَّ الرَّبَّ الإِلَهَ لَمْ يَكُنْ
قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ. ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلُعُ مِنَ الْأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الْأَرْضِ.
وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهَ آدَمَ ثَرَابًا مِنَ الْأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً."

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
وخاص، ولا إلى تَشَكُّل السماء، إنه يدْعُ للفهم الضمني أن عند خلق الله للإنسان لم تكن هناك
نباتات أرضية (فلم يكن المطر قد نزل بعد) ، هذا بالرغم أن المياه الآتية من العمق كانت تُغطي
سطح الأرض، وتؤكد هذه البقية التالية للنص: زرع الله بستاناً في نفس الوقت الذي خلق فيه
الإنسان، وهكذا يظهر عالم النبات في نفس وقت ظهور الإنسان على الأرض، وهذا علمياً
خطأ².

ومن المفارقات الغريبة، ما ذكرته الفقرات الموالية من سفر التكوين عن مراحل الخلق،
حيث "تذكر الآية رقم (16) أن الله خلق الشمس (النور الأكبر) والقمر (النور الأصغر) ليُنير كل
منهما الأرض بنوره الخاص فيه حسب الترجمة العبرية، وهذا يتعارض مع العلم الذي أثبت أن
ضوء القمر ليس إلا انعكاساً لنور الشمس³."

ولو حاولت عرض كل الأمثلة في سفر التكوين التي توضح التعارض مع الحقائق العلمية
الحديثة، لَتَطْلُب ذلك بحثاً مستقلاً، وإنما أقتصر على النماذج السابقة، والغاية من هذا
هو إعطاء صورة عن ذلك التضارب الحاصل في نصوص الكتاب المقدس حول قصة الخلق.

ومن الملاحظات المسجلة على قصة خلق الكون في الكتاب المقدس: أنها اعتمدت ترتيباً
خاصاً في خلق الكون مع ما يكتنفه من تناقض وتضارب من الناحية العلمية، ولم تذكر
تفاصيل عملية نشوء الكون، ولا كيف تم تكوينه؟ وما إلى ذلك من الإشكالات التي عادة ما

¹ الرواية الكهنوتية.

² المرجع نفسه، ص: 61

³ سلطان موسى الموسى، أقوم قِيلاً، الطبعة العاشرة: 1436 هـ - 2015 م، ص: 120

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
يطرحها المنكرون لوجود الله تعالى، وهذا ما جعل العلماء في الغرب يهجرون هذا الكتاب،
ويقطعون الصلة مع تعاليم الكنيسة التي يعتبرونها مجرد خرافات وأساطير.

وفي الجانب المقابل، تناول القرآن الكريم قضية نشأة الكون وتطوره بصورة واضحة
ومفصلة؛ تنسجم مع ما توصل إليه العلم الحديث من معطيات اعتُبرت عند مكتشفها سابقة
نوعية في التاريخ، غير أنهم ما لبثوا أن أصيبوا بالدهشة عندما أدركوا أن القرآن الكريم قد
سبقهم في الإعلان عن هذه الحقائق منذ ما يزيد عن 14 قرن من الزمن.

وللإجابة عن الإشكالات التي طرحها سابقاً، والتي اتضح من خلال الاطلاع على نصوص
الكتاب المقدس، عدم وجود تفاصيل حولها، لابد أولاً من العودة إلى أصل الخلق؛ وهو وجود
الله سبحانه الذي سبق الكلام عنه بتفصيل في هذه الدراسة.

وجود الله سبحانه وتعالى ممتد في القدم، بحيث لا يُتصور قبله وجود قط، وما دام كل
وجود قد نشأ عنه، فالله تعالى أسبق منه، ونحن لا نعرف عن الأول شيئاً، إذ عَهِدْنَا بالوجود
قد حدث بعد ميلادنا¹ وقد تحدى الله سبحانه الذين ادعوا الخلق والألوهية لأنفسهم، مُعلنًا
لهم حقيقة الوجود، وأنهم مخلوقون وهو خالقهم، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في قوله
تعالى: "أَمْ خُلِيفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخُلَفَاءُ أَمْ خَلَفُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوفِنُونَ"².

وفي على ضوء هذه المعطيات، جاء القرآن الكريم مؤكداً أن الكون مخلوق وله بداية،
وستكون له في يوم من الأيام نهاية، ومؤكدًا أن جميع أجرام السماء في حركة دائبة وجري

¹ محمد الغزالي، عقيدة المسلم، م. س، ص: 31

² سورة الطور: 22 – 23

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
مستمر، وأن السماء ذاتها في توسع دائب إلى أجل مسمى، كما أن السماء والأرض كانتا في
الأصل جُرمًا واحدًا ففتقهما الله عز وجل، فتحولت مادة هذا الجُرم الأول إلى الدخان الذي
خُلقت منه الأرض والسماء¹.

وهذا ما يُطلق عليه عند علماء الكونيات "نظرية الانفجار الكوني العظيم Big Bang"،
وقد سماه القرآن الكريم الرق والفتق كما جاء في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْفًا بَقْتَفْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)².

بمعنى أن السماء والأرض كانتا ملتصقتين معًا، فأحدث الله تعالى هذا الانفجار العظيم
مما أدى إلى انفصالهما عن بعضهما، "ولقد يَبِّنُ الله سبحانه وتعالى بهذه الآية أن العالم المادي
غير الحي في السماوات والأرضين قد خُلِقَ بنظام واحد، رتق ثم فتق، وأن العالم المادي أيضًا
مخلوق بسُنَّة واحدة، وهي أن جُعِلَ الماء سببًا في خلق كل الأحياء"³.

ومن النقاط الخلافية بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية،
تخصيص يوم سابع ضمن أيام الخلق المنصوص عليها في الكتاب المقدس، ومعلوم أن خلق
السماوات والأرض كان في ستة أيام حسب ما ورد في القرآن الكريم، عكس التصور التوراتي
الذي يضيف يومًا سابعًا خُصِّصَ حسب اعتقاد اليهود والمسيحيين لراحة الرب، وهو ما يسمى
في العبرية (שבת)، ويبدو أن يوم السبت الذي له قدسية في الشريعة اليهودية؛ يستمد

¹ عمرو شريف، الوجود رسالة توحيد، م. س، ص: 119

² سورة الأنبياء: 30

³ السيد الجميلي، الإعجاز العلمي في القرآن، م. س، ص: 18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
مشروعية من هذا الاعتقاد، مع الإشارة إلى أن فرقة اليهود السامريين تعترض على إضافة يوم
سابع من أيام الخلق، وتؤمن بوجود ستة أيام فقط.

وبالرغم من اتفاق المدارس المسيحية والمذاهب الإسلامية على الاعتقاد بخلق آدم عليه
السلام من تراب، وخلق زوجه (حواء) منه، وإسكان الله لهما في الجنة، وسقوطهما في الأكل من
الشجرة المحرمة، إلا أن هناك نقاط خلاف جوهرية بين الطرفين، ومن ذلك؛ اعتقاد المسيحيين
أن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله، جاء في الكتاب المقدس: "نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا
كَشِبْنَاهُ"¹، هذا في اعتقادهم يعني "أن الله قد خصَّ الإنسان وحده بميزة لم ينعم بها على أية من
المخلوقات الأخرى؛ وهي أنه جعل شيئاً بين ذلك المخلوق وبين الخالق، فجعل في الإنسان عقلاً
وإرادة وحرية وإبداعاً وحباً كلها صفات شبيهة بالصفات الموجودة فيه"².

وهذا يخالف العقيدة الإسلامية التي تُنزه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، مصداقاً لقوله
تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)³، لكن أود أن أشير هنا إلى حديث نبوي
يتضمن هذا المعنى؛ وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: "خلق الله عز وجل آدم على صورته
طوله ستون ذراعاً"⁴ الحديث، غير أن المعنى منه هو عكس ما يتبادر للأذهان من تشبيه الإنسان
بخالقه، وقد شرح بعض علماء الإسلام المقصود من هذا الحديث، ولعل من بينهم الإمام أبو

¹ سفر التكوين 26: 1

² مدخل إلى العقيدة المسيحية، مجموعة من المؤلفين، م. س، ص: 77

³ سورة الشورى: 9

⁴ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفندة الطير،
رقمه (2841)، وقد ورد أيضاً في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، رقمه (3326)،
غير أن البخاري لم يذكر عبارة (على صورته).

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

حامد الغزالي الذي يقول في هذا الصدد: "فإنه لما كان تعالى وتقدس موجودًا قائمًا بنفسه حيًا سميعًا بصيرًا عالمًا قادرًا متكلمًا، فالإنسان كذلك، ولو لم يكن الإنسان بهذه الأوصاف موصوفًا لم يعرف الله تعالى"، وزاد توضيحًا لمعنى الحديث فقال: "فإن كُنْتَ فهمتَ من قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله خلق آدم على صورته) الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكُنْ مُشَبَّهًا مطلقًا، كما يقال: كن يهوديًا صِرْفًا وإلا فلا تلعب بالتوراة، وإن فهمتَ منه الصورة الباطنة التي تُدرك بالبصائر لا بالأبصار، فكُنْ مُنَزَّهًا صِرْفًا ومُقَدَّسًا فحلاً، واطو الطريق فإنك بالواد المقدس طوى، واستمع بسر قلبك لما يُوحى، فلعلك تجد على النار هدى، ولعلك من سرادقات العرش تُنادى بما نُودي به موسى (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ)"¹.

وهناك تفسير آخر لمعنى هذا الحديث؛ وهو "أنه منذ خُلِقَ إنما كانت صورته هي الصورة ذاتها التي استمر عليها وعُرفَ بها، أي لم يُنشَأْ متنقلاً من شكل لآخر، فالضمير في (صورته) راجع إلى آدم"²، وبما أن المسيحيين يعتقدون أن الإنسان خلقه الله على صورته ومثاله، فإن هذا الاعتقاد دفعهم للقول بأن هذا الإنسان يتميز عن بقية الكائنات بصفات إلهية كالعقل والروح والإرادة والحرية والسعي نحو الكمال والقدرة على الحب، ولذلك يرون أنه بموجب هذه الصفات التي امتلكها منحه الله السيطرة والتسلط على الكائنات³ بما فيها الطيور والبهائم بشتى أنواعها، وسمك البحر... إلخ، في حين يعتقد المسلمون أن الله تعالى سَخَّرَ الكون بما فيه من

¹ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب التوحيد والتوكل، دار ابن حزم، بيروت، ط1: 1426 هـ -- 2005 م، ص: 1610

² محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، م. س، ص: 251

³ كوستلي بندلي، كيف نفهم اليوم قصة آدم وحواء، ص: 25 ومدخل إلى العقيدة المسيحية، م. س، ص: 77

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
الكائنات لصالح هذا الإنسان؛ تكريمًا له وتشريفًا، من أجل القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض
وعمارتها، وعبادة الله تعالى.

ونظرية تسلط الإنسان على الكائنات، لها ارتباط كذلك بتصورهم لقصة آدم في الجنة،
حيث ورد في الكتاب المقدس أن الله علّم آدم أسماء الحيوانات، وفسروا ذلك أن الله أعطاه
السلطة على هذه الكائنات، وهي سلطة رعاية لها، وكذلك منحه سلطة التصرف في الكون نيابة
عنه.

وبالرجوع إلى قصة آدم وحواء، نلاحظ أن المسيحيين لهم تصورات مخالفة لما يعتقدده
المسلمون، بدءًا بحادث الأكل من الشجرة في الجنة، حيث يعتقدون أن الحية التي ترمز عندهم
للشيطان؛ دخلت إلى الجنة فوسوست لحواء أولاً، جاء في الفقرة: "فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ
تَمُوتَا، بَلِ اللَّهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ"¹، وأن
حواء هي من أغوت زوجها آدم فأكل من الشجرة المحرمة، حيث جاء في الفقرة: "فَرَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّ
الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ،
وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ"²، بمعنى أن حواء هي المسؤولة عن الخطيئة حسب اعتقاد
المسيحيين، ثم نجد أنهم بناء على هذا الاعتقاد، صارت المرأة عندهم رمزًا للغواية والشر.

وفي المقابل، يعتقد المسلمون-حسب ما جاء في النصوص القرآنية-أن إبليس هو من
وسوس لآدم وحواء معًا، فأكلا من الشجرة، لقوله تعالى: (فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا

¹ سفر التكوين 4: 3-5

² سفر التكوين 6: 3

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

مَا وَدَرَى عَنْهُمَا مِ سَوْءَاتِهِمَا⁽¹⁾، وهذا يتضح في قوله تعالى: (قَدَّبَيْهُمَا يَغْرُورٍ قَلَمًا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا⁽²⁾) ، بل إن هناك إشارة على أن الخطاب الإلهي في القرآن كان موجهاً لأدم دون حواء، قال تعالى: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى⁽³⁾) ، لأنه هو الأصل وحواء بمثابة الفرع منه، ومعلوم أن الفرع دائماً ما يتبع أصله، وفي موضع آخر كان العتاب واللوم من الله عليهما معاً. (وَنَادَيْهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ⁽⁴⁾) بمعنى أن التصور القرآني يرى أن المسؤولية في الأكل من الشجرة المنهي عنها كانت مشتركة بين آدم وزوجه، وأنه رغم ذلك؛ فإن المسؤولية تقع بالدرجة الأولى على آدم، كما تشير الآية القرآنية ((بَوَسَّوْا إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّاعِدُمُ هَلْ آدُلُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى⁽⁵⁾) ، وهذا يفهم منه أن الإسلام يبني العلاقة الزوجية على أساس نظرة تكاملية بين الرجل والمرأة، وأن الرجل هو المسؤول عن زوجته في تصرفاتها، وهو المكلف بحمايتها من الشرور.

ومن الملاحظات عن هذه القصة، أن الكتاب المقدس يرتب آثاراً على معصية آدم وحواء، ومن ذلك الاعتقاد بأن الخطيئة التي سقط فيها آدم وزوجه انتقلت إلى ذريتهما، وبذلك تأصلت

1 سورة الأعراف: 19

2 سورة الأعراف: 21

3 سورة طه: 118

4 سورة الأعراف : 21

5 سورة طه: 117

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
هذه الخطيئة في نفوس البشر، وهو ما يسمونه "الخطيئة الموروثة"، على حد قول بولس: "لأنه
كَمَا بِمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً"¹، ويعتقدون -بناءً على خطيئة آدم
وحواء- أن اللعنة أصابت البشرية، ولحقها العقاب الإلهي، وأن الله ندم على خلقهم، وهو تصور
يشارك فيه اليهود والمسيحيون.

لكن القرآن الكريم يخالف هذا الاعتقاد جملة وتفصيلاً، فالله تعالى قد اجتنب آدم وتاب
عليه وعلى زوجه، وغفر لهما المعصية التي وقعا فيها، مصداقاً لقوله تعالى: (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ
فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى²) ، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَبَاهُ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ
عَلَى الْعَلَمِينَ³)، وبالتالي، فإن الإسلام قد حسم موضوع الخطيئة الأولى، ولم يعد هناك مجال
للتشكيك في غفران الله لآدم، ومن هنا لا يصح عقلاً ولا شرعاً أن تتحمل ذرية آدم وزرماً فعل
أبوهما، مصداقاً لقول الله تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى⁴) ، فالله سبحانه من صفاته أنه
عادل لا يحب الظلم، وغفور رحيم يحب الصفح عن عباده.

المطلب الثاني: في قسم النبوات

إن التحولات الكبرى التي طالت مجال الألوهية في العقيدة المسيحية؛ انعكست سلباً على
مجال النبوات أيضاً، وقد اتضحت أبرز ملامح هذه التحولات من خلال إفراغ النبوة من أهم

¹ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 5: 19

² سورة طه: 119

³ سورة آل عمران: 33

⁴ سورة فاطر: 18

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
خصائصها؛ وهي خاصية الوحي الإلهي، وخاصية العصمة للأنبياء والرسل عليهم السلام،
إضافة إلى تشويه حقيقة المعجزات.

ولعل الخلاف العقدي الأكبر بين المسيحيين والمسلمين في هذه القضية: كان هو نقل
المسيح عيسى عليه السلام من مقام النبوة إلى مقام البنوة، ومن مقام الرسالة إلى مقام
الألوهية، وتجفيف ما تبقى من ينابيع الوحي الإلهي الذي استمر عبر الزمن في سلسلة من
الأنبياء والمرسلين؛ بدءًا من آدم عليه السلام إلى غاية الميلاد المعجز للمسيح عليه السلام، وقد
بدأت نقطة التحول في مسار الإيمان المسيحي من هنا؛ أي من ميلاده المعجز، حيث اشتد
الخلاف بين المذاهب المسيحية الأولى حول طبيعته، هل هو من عنصر إلهي؟ أم بشري؟ أم منهما
معًا؟

ثم إنه إذا كانت أقوال المسيح والتي نُسبت إليه في الأناجيل هي التي تحدد على أساس منها
طبيعته، فإن المُسَلَّم به عند المسيحيين أنفسهم أن المسيح لم يقل عن نفسه في بادئ الأمر أنه
الله، وإنما عرفه الناس جميعًا رسولاً ونبياً¹.

والحقيقة التي يتغافل عنها المسيحيون هي أن المسيح عليه السلام كان بشراً رسولاً من رب
العالمين، مبعوثاً إلى بني إسرائيل "وقد ورد في بعض الآثار أنه بُعث في سن الثلاثين، وهي السن
التي تذكر الأناجيل أنه بُعث على رأسها، وقد بُعث عيسى يُبشر بالروح، وهجر الملاذ التي انتشرت
في حياة بني إسرائيل، ويُبشر بعالم الآخرة الذي أنكره اليهود²".

¹ القاضي منصور حسين عبد العزيز، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام، (د.ط)، ص: 244

² محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، م. س، ص: 235

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
إلا أنه من واقع نصوص الكتاب المقدس، ومن خلال المراجع المسيحية أيضاً، يمكن القول
إن الوحي قد طرأ عليه تحول كبير، فبعد أن كان في العهد القديم يقتصر فقط على الوساطة
البشرية (الرسول) بين الله (المُرسل) والبشر (المُرسل إليه) عبر الروح القدس (جبريل)، أصبح
في العهد الجديد يتخذ معنى جديد وهو إعلان الله عن ذاته للبشر، بمعنى تجسده في المسيح،
فهكذا يتصور المسيحيون معاني الوحي، وهذا خلاف ما يعتقده المسلمون في الوحي من أنه كلام
الله تعالى الموجه للنبي أو الرسول عبر الروح القدس (جبريل) لتبليغه إلى الناس.

هذا فضلاً عن اعتقادهم في أن وحي الكتاب المقدس لفظي (كتابي) وتام (مطلق) ومعصوم
عن الخطأ وخالق وفعّال، أي أن الكتاب المقدس بجمليته هو من الله¹، والأسفار المقدسة يقال
عنها "كلمة الله" بمعنى أنه تشهد للإعلان الذي لن يقدر أن يقوم به أحد غير الله ذاته².

ومقولة عصمة الكتاب المقدس لا تستقيم؛ والحال أن المسيحيين لا يفرقون بين الوحي
والإلهام، "فالوحي مداره على النبوات والأسرار، والإلهام يجري على الأمور التاريخية التي سبق
معرفتها بغير الوحي"³، فهذا هو الاعتقاد السائد عندهم، في حين تمتلئ كتبهم بالروايات
والقصص التي لا يُعرف أصحابها، ولا سياق ورودها، ويختلط كلام الرب بكلام النبي وكلام
المؤرخين من بعده⁴.

حتى أنهم اعتبروا أن كتابة الأسفار شخصيات مُلهمة، بمعنى أنهم مؤيدون من الروح
القدس في كتابة النصوص، بل يمكنهم التصرف في الوحي الإلهي من تلقاء أنفسهم، وهذه من

¹ يُنظر: بسام بنورة، الكتاب المقدس: دراسة موجزة في معرفة وحي وعصمة الكتاب المقدس، م. س، ص: 7

² حبيب سعيد، أديان العالم، م. س، ص: 303

³ ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج1، م. س، ص: 19

⁴ يُنظر: أحمد ديدات، هل الكتاب المقدس كلام الله؟ م. س، ص: 9 وما بعدها

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
الشهادات المسيحية التي تقول: "ولم يكن كتبة الأسفار مجرد آلات، ولم يُمل الله عليهم أقواله
كما يُملّي صاحب العمل الخطاب على كاتبه، بل استخدم روح الله القدوس مواهبهم وعقولهم
وذاكرتهم وعلمهم واختباراتهم والظروف المحيطة بهم، وكانوا مدركين تمامًا لما يفعلون وما
يقولون، وكانت قواهم الطبيعية والشخصية تعمل، وكتبوا بلغتهم التي كانوا يستخدمونها في
ذلك الوقت"¹.

والوحي بهذا المعنى؛ لا يعدو أن يكون مجرد افتراء على الله تعالى، طالما أن البشر يتصرف
فيه كيف يشاء، يزيد فيه، وينقص منه، ويقحم فيه الأهواء والخواطر والمشاعر، فهو متغير
بتغير مزاج كتبته.

أما قضية عصمة الأنبياء، فلا يكاد يوجد لها أثر بين ثنّاي الكتاب المقدس، ما عدا ما
نسجه المسيحيون من خيالات حول عصمة المسيح عيسى عليه السلام، وتقديسه بشكل مبالغ
فيه، وإضفاء العصمة على شخصيات مسيحية كالباباوات عند الكاثوليك، والعذراء مريم عند
الأقباط الأرثوذكس. . إلخ، والمتصفح لأسفار العهد القديم، لا شك أنه سيصادف سيلا من التّهم
التي أُلصقت بأنبياء ورسّل الله عليهم السلام، حيث وصفوهم بأقبح الأوصاف، ونسبوا لهم
أحط الصفات وأرذل الأخلاق؛ من سُكر، وفواحش، وعبادة الأوثان، وغيرها من المنكرات التي لا
تليق بالأسوياء من البشر، فبالأحرى صفوة خلق الله تعالى وهم الأنبياء والرسّل عليهم السلام.

¹ أنور يسي منصور، آراء أساتذة لاهوت وقسوس وعلمانيين في أخطر القضايا المسيحية والرد عليها، ص: 17

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
وأهل الكتاب¹-على حد قول أبي الحسن العامري- لم يسلموا في شأن الأنبياء من الغلو
والتقصير، أما غلوهم، فتجلى في تأليه المسيح عيسى عليه السلام، وأما تقصيرهم، فتلك
الأوصاف القبيحة التي ألصقوها بأنبيائهم مما لا يليق بمقامهم الكريم².

وهذه الاعتقادات مرفوضة في ميزان الإسلام، فالأنبياء والرسل حتى وإن كان يسري عليهم
ما يسري على البشر من عوارض، إلا أن الله تعالى قد عصمهم من كل ما يتنافى مع وظيفتهم
السامية المتمثلة في التبليغ عن الله عز وجل، ولذلك "اقتضت حكمة الله أن يجعل أنبياءه أكمل
البشر خُلُقًا وخُلُقًا، وأفضلهم عِلْمًا، وأشرفهم نسبًا، وأصدقهم قولًا، وأشدهم فطنة، كما قد
صانهم الله من العيوب الخلقية والجسدية كالأمراض المنفرة"³.

وبما أن العصمة-حسب التصور المسيحي-تتمركز بشكل أكبر حول يسوع المسيح، فقد
نسب له كتبة الأناجيل والرسائل الكثير من المعجزات والخوارق، ولم يتوقف الأمر عند السيد
المسيح فحسب، بل تعداه إلبادعاء وقوع معجزات وخوارق لشخصيات أخرى، منهم بعض
تلاميذه، خاصة بطرس الرسول وأغلب تلك الوقائع مبالغ فيها بشكل كبير، هذا فضلا عن
خلطهم بين المعجزات والخوارق والظهورات، عِلْمًا أن المعجزات هي علامات يجريها الله تعالى
على يد الأنبياء والرسل عليهم السلام دليلا وبرهانًا على صدق دعوتهم بين أقوامهم، لكن
بالنسبة للمعتقد المسيحي؛ فإن الأمر مختلف شيئًا ما، ذلك أن مؤلفي الكتب المقدسة اخترعوا
روايات متعددة من نسج خيالهم، وأظهروا من خلالها عجائب وقدرات لبعض القديسين الذين
جرت على أيديهم، مع أن المعجزات لا تتعدى كونها آيات يجريها الله تعالى على يد من اصطفى

¹ المقصود بأهل الكتاب هنا النصارى، وإن كان اليهود يشملهم هذا المفهوم أيضًا.

² يُنظر: أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، ص: 28 – 29

³ عبد الفتاح عفيف طيارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، م. س، ص: 19

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
من أنبيائه ورسله، بل نجد أن المسيحيين ابتدعوا الخوارق التي ليست من جنس المعجزات،
وجعلوا تلاميذ المسيح والقديسين في صف واحد مع الأنبياء والرسل حتى لو لم ينزل عليهم
الوحي الإلهي، لكن قد يبطل العجب حينما يُعرف السبب الذي دفعهم إلى ذلك، فهؤلاء الكتبة
يعتقدون أنهم مؤيدون من الله بواسطة الروح القدس، وبالتالي فدليل صدقهم هو وقوع هذه
الخوارق على أيديهم، والأغرب من ذلك، هو تصورهم أن أولئك الرسل هم صنّاع المعجزات،
حتى أنهم سقطوا في فخ تأليه المسيح عيسى عليه السلام بسبب وقوع بعض المعجزات على
يديه.

المطلب الثالث: في قسم السمعيات

بالنسبة لموضوع المعاد أو اليوم الآخر، فإن من بين النقاط الخلافية المسجلة المدارس
اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية، ما يتعلق بطبيعة التصورات عن القيامة
والحساب، حيث أن الاعتقاد المسيحي في موضوع القيامة والخلود لا يستند إطلاقاً إلى القول
بوجود نفسٍ خالدةٍ بذاتها، فوجودَ نفسٍ، تتعرض للموت أو تبقى خالدة هناك؛ لأساس له في
عقيدة المسيحيين، وإنما القيامة المقصودة عندهم هي قيامة المسيح يسوع، بمعنى آخر: أنَّ
قيامة الإنسان الأخيرة مرتبطةً إرتباطاً عضوياً وجوهرياً بقيامة يسوع المسيح، وهذا يُفهم منه أن
الخلاص المسيحي متوقف على الإيمان بقيامته من بين الأموات.

وبناء على عقيدتهم في ألوهية المسيح، يعتبر المسيحيون أن الذي سيتولى محاسبة الناس
يوم القيامة هو يسوع المسيح بتفويض من الله، وأنه سيقدر مصير العباد، سواء بالحياة الأبدية
أو بالعذاب الأبدي، وهذه من أوضح النقاط التي يفترق فيها المسيحيون عن المسلمين.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
أما المسلمون فإيمانهم باليوم الآخر ثابت وعن يقين جازم، وأن الله سيحشر جميع الناس
للحساب، ولا يستثنى من ذلك مؤمن ولا كافر، كما يؤمنون بخلود النفوس هناك، لكن الفرق
الأساسي هو أن المسلمين يخالفون فكرة وجود وسيط بين الله تعالى وعباده، ويؤمنون بأن الله
عز وجل هو صاحب الملك وهو القهار والديان، وهو سبحانه الذي سيتولى حشر الناس،
ومحاسبتهم على أعمالهم.

لقد عنى القرآن بمشاهد القيامة: البعث والحساب، والنعيم والعذاب؛ فلم يعد ذلك
العالم الآخر الذي وُعدّه الناس بعد هذا العالم الحاضر، موصوفًا فحسب، بل عاد مصورًا
محسوسًا، وحيًا متحرّكًا، وبارزًا شاخصًا؛ وعاش المسلمون مع هذا العالم عيشة كاملة في
شعورهم ووجدانهم، رأوا مشاهدته، وتأثروا بها؛ وخفقت قلوبهم تارة، واقتشعرت جلودهم تارة؛
وسرى في نفوسهم الفزع مرة، وعادوهم الاطمئنان أخرى؛ ولفحهم من النار شواظ، ورفَّ إليهم
من الجّنة نسيم، ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود¹.

ويختلف تصور الإسلام للجنة عنه عند المسيحية التي ترى أهل الجنة يُكافأون فقط برؤية
الله، بينما في الإسلام يُكافأون إلى جانب ذلك بما يشتهون من طعام وشراب ونساء²، فكان
الخلافاً بين المسيحيين والمسلمين حول طبيعة نعيم الجنة وعذاب النار، إذ انقسمت الطوائف
المسيحية بين قائل بأنه حسي وبين قائل بأنه معنوي، والخلاف حول هذه النقطة كان على
أشده داخل الصف المسيحي، خصوصًا مع وجود أقوال مسيحية تعتبر أن النعيم الأبدي هو

¹ سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السادسة عشرة: 1427 هـ - 2006 م، ص: 42

² التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام: دراسة تحليلية نقدية، م. س، ص: 53 - 54

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
نعيم روي يتمثل في رؤية الله، والخلص من الألم والحزن، والإحساس بالسعادة، وليس نعيمًا
ماديًا.

أما قضية الشفاعة في الآخرة، فقد اختلفت الآراء المسيحية حولها، ما عدا اتفاقهم على
شفاعة يسوع المسيح باعتباره المخلص الوحيد حسب اعتقادهم، والتي تسمى عندهم
بالشفاعة الكفارية، والملاحظ من خلال استقراء أغلب النصوص والأقوال المسيحية، أن
الشفاعة المقصودة عندهم قاصرة على الحياة الدنيا، ولا صلة لها بالشفاعة يوم القيامة،
"لأنهم لا يفرقون بين الذنوب كبيرها وصغيرها، ولأن مرتكبي الخطايا-حسب اعتقاد المسيحيين-
يُدانون ويُهْلَكُونَ، والذي يدخل النار لا يخرج منها أبدًا"¹، بالإضافة إلى اعتقادهم بالكفارة
والفداء أي أن يسوع المسيح تحمّل خطاياهم بعد موته على الصليب² وسر الاعتراف أمام
الكاهن بالذنوب، وبكل الأقوال والأفعال الماضية³.

أما الشفاعة في الآخرة بالنسبة للمسلمين، فهي من المسائل الإيمانية التي أجمعوا عليها،
ولم يخرج عن الإجماع إلا بعض المذاهب كالمعتزلة والخوارج والشيعة ممن تبني المذهب
الاعتزالي، والحاصل أن خلافهم لم يكن في ثبوتها؛ وإنما في أصناف من تثبت في حقهم، وهم
يؤمنون حق الإيمان بشفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته، وأن
الشفاعة في أهل الموقف يوم القيامة هي من العطايا الإلهية لنبي الإسلام محمد عليه الصلاة
والسلام.

¹ يُنظر: فرج الله عبد الباري، يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، م. س، ص: 247

² تعتبر عقيدة الفداء والكفارة من العقائد الأساسية في الإيمان المسيحي.

³ يُنظر: ميخائيل مينا، علم اللاهوت، ج2، م. س، ص: 305

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
والشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قوم في قوم، فلا يصيرون إلى النار، ويخرج قوم من
النار بشفاعة الشافعين، ويخرج قوم من النار بعد دخولها ولبثوا فيها ما شاء الله ثم يخرجهم
من النار، وقوم يخلدون فيها أبدًا، وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل¹.

¹ عبد الله عبد القادر التليدي، الشفاعة وأنواعها في السنة المطهرة، م. س، ص: 7

خاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية الممتدة بين دروب هذا البحث، بقي أن أذكر أهم الخلاصات والنتائج التي توصلت إليها، ويمكن عرضها كالآتي:

1- استمرار الانقسامات بين المدارس اللاهوتية المسيحية في تصورها للقضايا الإيمانية الكبرى، فبالرغم من اجتماعها على مقررات دستور الإيمان النيقاوي، وسعيها المتكرر نحو تحقيق الوحدة الإيمانية والانسجام الفكري، إلا أن محاولاتها لم تكلل بالتوفيق، ولم تنجح في حسم الخلاف الداخلي بينها حول مجموعة من النقاط الجوهرية.

2- أن ملامح الانقسامات المسيحية، تمثلت في تعدد الآراء والتصورات حول القضية الإيمانية الواحدة، فباستثناء اتفاقهم على الإيمان بوجود الله، وأنه الخالق الأزلي للكون والإنسان وباقي المخلوقات، يُلاحظ تنامي الانشقاقات المسيحية حول طبيعة الذات الإلهية، والأقانيم الثلاثة، وغيرها من القضايا الإيمانية الكبرى .

3- أن المذاهب العقدية الإسلامية تتفق على الإيمان بوجود الله تعالى، ووحدانيته، ونبذ الشرك والتعدد في الألوهية والربوبية، كما تجتمع على رؤية واحدة فيما يتعلق بالقضايا الإيمانية الأخرى (النبوات والسمعيات). وأما الاختلافات الحاصلة بينها، إنما هي في الفروع وليست في الأصول الاعتقادية.

4- أن التصور الإسلامي لعملية الخلق بما فيه نشأة الكون وتطوره، وخلق الإنسان، ينسجم مع ما توصل إليه العلم الحديث من معطيات، ذلك أن القرآن الكريم عرض مجموعة من الحقائق العلمية حول قصة الخلق، وهي دلائل كافية على أنه وحي إلهي معصوم.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

5-وجود مشتركات إيمانية عامة بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية

الإسلامية، ومن جملة ما يتفقون عليه، قضية الإيمان بوجود الله تعالى، وأنه هو مصدر الخلق والوجود، بما في ذلك الكون والإنسان، وكل الكائنات الحية، وأن الله تعالى قد بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام، وكلفهم بتبليغ الوحي لأقوامهم، وأيدهم ببعض المعجزات¹ الدالة على صدقهم وأمانتهم، وأن بعد هذه الحياة الدنيا ستكون حياة أخرى يخضع فيها الناس للحساب والجزاء على الأعمال خيرًا أو شرًا، وأن أصنافًا منهم ستخلد في النعيم، وأصنافًا أخرى ستخلد في الجحيم.

6-أن هذه المشتركات الإيمانية العامة، لم تمنع من افتراق المدارس اللاهوتية المسيحية عن

المذاهب العقدية الإسلامية في النقاط الجوهرية، ومن أبرزها: الخلاف حول تحديد طبيعة الله تعالى، ففي الوقت الذي يعتقد فيه المسلمون بوحداية الله تعالى ونبذ الشرك في ألوهيته وربوبيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته، يتمسك المسيحيون بالإيمان بالثالوث؛ فالذات الإلهية -حسب اعتقادهم- عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر، إضافة إلى إيمانهم بألوهية المسيح، وألوهية الروح القدس.

7-من النقاط الخلافية بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية

الإسلامية: إيمان المسيحيين أن المسيح عليه السلام هو من سيتولى حساب الناس يوم القيامة، وأن الله تعالى وُكِّلَ للقيام بهذه المهمة بصفته ابنًا له، وأنه سيقدر مصير الناس إلى الجنة أو إلى

¹ يوجد تطابق كبير بين عدد من المعجزات في الكتاب المقدس والقرآن الكريم مثل معجزات موسى (عمود السحاب و نطق الجبل كمثال)، وعيسى عليهما السلام (تكاثر الأرغفة ومعجزة المائدة وتكاثر النبي محمد صلى الله عليه وسلم للطعام)، ومعجزات أنبياء آخرين؛ مما يعني أن تعاليمهم تنبع من مشكاة واحدة، لكن بفعل تدخل العامل البشري في الكتاب المقدس، والتصرف في النصوص، أدى إلى تشويه الحقائق المتطابقة.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير النار، إضافة إلى اختلافهم حول طبيعة نعيم الجنة وعذاب النار، بين قائل بأن النعيم والعذاب حسيان، وبين قائل بأنهما معنويان، في حين نجد أن المسلمين يؤمنون أن الله تعالى هو من سيتولى حساب الناس على أعمالهم، وأن نعيم الجنة وعذاب النار حسيان ومعنويان معاً، بمعنى أن الروح والجسد يُنعمان في الجنة أو يعذبان في النار.

8- أن من العوامل التي أدت إلى حدوث هذه الاختلافات العقيدة، تحول مسار العقيدة النصرانية عن الخط التوحيدي، وتأثرها بالمؤثرات الخارجية، خاصة البيئة الوثنية الرومانية المحيطة بالنصارى، والتي جذبت العقيدة النصرانية الأولى نحو بؤرة التعدد والتجسيم والحلول والاتحاد في الألوهية، دون إغفال دور اليهودي بولس في تغيير معالم الوحي الإلهي، عن طريق تأويل النصوص الدينية للعهد القديم، وتفسيرها بصورة تنسجم مع تصورات الوثنية والمادية.

وفي ظل هذا التباعد العقدي بين المسيحيين والمسلمين، يبقى الرهان قائماً على جهود العقلاء من الجانبين في رَأْب الصدع، والتخلي عن التعصب الديني، ونزع القدسية عن الموروثات الدينية المؤسسة على تقليد الآباء، وتصحيح المغالطات والصور النمطية عن بعضهما البعض، كما أنه لا بد من استثمار المشتركات الإيمانية بين الإسلام والمسيحية والتحاور على أساسها¹، وجعلها طريقاً للنقاش حول النقاط الخلافية، ولا سبيل إلى تحقيق هذا المبتغى إلا بالتجرد من الهوى، والنقد الذاتي، والاحتكام إلى الأساس العقلي الذي لا يختلف حوله اثنان،

1 يدخل في هذا الإطار تلك المبادرات التي أطلقتها الكنيسة الكاثوليكية؛ باعترافها بالقيم الروحية المشتركة بين المسيحيين والمسلمين، كعبادة الله الواحد، الحي القيوم، والتسليم بأحكام الله كما سَلَّمَ بها إبراهيم الخليل الذي ينتسب إليه الدين الإسلامي، ومطالبة الطرفين المسيحي والإسلامي بنسيان النزاعات والعداوات الماضية، والتعاون من أجل مستقبل الإنسانية (الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، ص: 990 – 991).

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
وجعله معيارًا لترجيح الصواب من الآراء والتصورات الدينية، وإبعاد كل ما يتعارض منها مع
الوحي الإلهي.

وفي الختام، أشير إلى أن هذه الدراسة لم تشمل كل القضايا الإيمانية المعروضة للنقاش
بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية، وإنما اقتصر على بعض
النماذج فقط، ولا أدعي أنني وفيتها ما تستحق من التحليل والمناقشة، ولكن حسبي أنني حاولت
ذلك، وأعتقد أن هذا الموضوع مزال فيه مجال للبحث والتفصيل، ويبقى على الباحثين تدارك
نواقصه، وتفصيل مجمله في أبحاث مستقلة.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى السبيل.

فهارس البحث

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- الكتاب المقدس (نسخة إلكترونية) من موقع: كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت - الإسكندرية - مصر <http://St-Takla.org>
- كتب التفاسير القرآنية:
- إسماعيل أبو الفداء (ابن كثير)، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية 1417 هـ - 1996 م،
- باسلوم مجدي، تفسير القرآن العظيم المسمى "تأويلات أهل السنة"، بيروت، دار الكتب العلمية، 2005، ج 1 .
- تفسير السدي الكبير، جمع وتوثيق ودراسة: محمد عطا يوسف.
- الرازي فخر الدين، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الفكر، دمشق، مج 19.
- رضا رشيد، تفسير المنار، إصدار دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية: 1366 هـ - 1947 م، ج 9.
- الزحيلي وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط 10: 1430 هـ - 2009 م،
- الزحيلي وهبة، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة: 1430 هـ - 2009 م،

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
- السيوطي جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، دمشق، سنة النشر: 1432هـ - 2011م، ج 3.
- شهاب الدين أبي الفضل السيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 15.
- الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط 4: 1428هـ-2007م.
- الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ج 1.
- الطبري ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذب وحققه وضبط نصه وعلّق عليه: الدكتور بشار عواد معروف والدكتور عصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1: 1415هـ - 1994م، ج 3.
- عبد الحق بن غالب أبو محمد (ابن عطية)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة آيا صوفيا-إستانبول، رقم (119) المحفوظة صورتها في مكتبة مرعشي نحفي، قم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 3.
- الفيروزآبادي محمد بن يعقوب مجد الدين، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط 3: 1416هـ - 1996م، ج 1.
- قطب سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة والثلاثون: 1425هـ - 2004م، مج 5، أ ج 19-25.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
- الماتريدي أبو منصور، تأويلات أهل السنة: تفسير الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 2005، ج1.
- الماتريدي أبو منصور، تفسير القرآن العظيم المسمى تأويلات أهل السنة، تحقيق: فاطمة يوسف الخمي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1: 1425هـ - 2004م، مج 2.
- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج 15 .
- محمود بن عمر أبي القاسم جار الله (الزمخشري)، تفسير الكشاف، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3: 1430هـ - 2009م.
- مختصر تفسير القرآن الكريم للهازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، اختصره: محمد علي قطب، دار المسيرة، بيروت، ط1: 1987، مج1.

كتب الحديث النبوي:

- أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صلاح بن عايض الشلاحي، مكتبة الغرباء الأثرية.
- الألباني محمد ناصر الدين، صحيح الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثامنة: 1407هـ - 1987م.
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، طبعة جديدة مضبوطة ومصححة ومفهرسة، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1: 1423هـ - 2002م.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، ترتيب كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط1: 1984م.
- الترمذي أبو عيسى، الجامع الصحيح (السنن)، تحقيق وتخرّيج: أحمد زهوة، أحمد عناية، دار الكتاب العربي بيروت، ط1: 1426هـ - 2005م.
- الخلال أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد أبو بكر، كتاب السنة، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى: 1410هـ - 1989م.
- الطبراني أبي القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- العسقلاني ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، ج6-ج8.
- محمد بن أحمد ابن حبان (أبو حاتم)، التقاسيم والأنواع (صحيح ابن حبان) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر.
- مسلم أبو الحسين الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، الرياض، ط1: 1427هـ - 2006م.
- الموطأ لإمام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس رضي الله عنه، (نسخة إلكترونية) .
- النسائي أحمد بن شعيب بن علي، السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1421هـ - 2001م.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

المعاجم والقواميس اللغوية:

■ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1: 1411هـ - 1991م، المجلد الرابع.

■ الأصفهاني الراغب، مفردات القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط4: 1430هـ - 2009م.

■ الأصفهاني الراغب، مفردات القرآن، تحقيق: محمد الكيلاني، دار الفكر العربي.

■ البعلبكي منير، المورد: قاموس إنكليزي عربي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون، 1989.

■ الجرجاني الشريف، التعريفات، تحقيق وتعليق: عبد الرحمان عميرة، دار عالم الكتب،

■ جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الثالث، مج3-4-7-8-12-15.

■ الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة: 1990م. ج2.

■ الفراهيدي الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، 1980، الجزء الأول.

■ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، ط8: 1426هـ - 2005م.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

■ المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم أنيس، عطية الصوالحي، عبد الحلیم منتصر، محمد خلف الله أحمد، القاهرة: 1392 هـ - 1972 م، الجزء الثاني .

■ المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، القاهرة، ط1: 1380 هـ - 1960 م.

الموسوعات:

■ بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1984، الجزء الثاني.

■ الزحيلي وهبة وآخرون، الموسوعة القرآنية الميسرة، دار الفكر، دمشق، ط1: 1423 هـ - 2002 م.

■ السواح فراس، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، الزرادشتية - المانوية- اليهودية- المسيحية، دارعلاء الدين، دمشق، ط2: 2010 م.

■ شنودة زكي، موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، مكتبة المحبة، القاهرة، الجزء الأول .

■ الصوفي ماهر أحمد، الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في خلق الإنسان وبعثه وحسابه، تقديم الدكاترة: محمد سعيد رمضان البوطي، عكرمة صبري، محمد جمعة سالم، فاروق حمادة، عبد المعطي البيومي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1: 1428 هـ - 2007 م، ج14.

■ موسوعة الأديان الميسرة، مجموعة من المؤلفين، در النفائس، بيروت، ط1: 1422 هـ - 2001 م.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

■ النابلسي محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الآفاق، دار المكتبي، دمشق، ط2: 1426هـ - 2005م.

كتب التراجم والطبقات:

- أحمد بن عبد الله الأصفهاني (أبو نعيم)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي ودار الفكر، 1416هـ - 1996م، ج5.
- أحمد بن يحيى بن أحمد (ابن المرتضى)، طبقات المعتزلة، تحقيق: سوسنة ديفلد - فلزر، بيروت، 1380هـ - 1961م.
- تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي الكافي (ابن السبكي)، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، ج2.
- السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر محمد، الأنساب، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، شبرا، مصر، ط1: 1397هـ - 1977م.
- شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر أبو العباس (ابن خلكان)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه: لدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3.
- طرابيشي جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة: 2006.
- القريشي محي الدين أبي عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن سالم أبي الوفاء، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1413هـ - 1993م، ج1.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

كتب قصص الأنبياء:

- إسماعيل أبو الفداء (ابن كثير)، قصص الأنبياء، تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة: 1408 هـ - 1988 م.
- سليمان ماجد، قصة أبينا آدم، سلسلة الإسلام الصافي، (4)، 1435 هـ - 2014 م.
- الشعراوي محمد متولي، معجزات القرآن والأنبياء، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 2010 م.
- طيارة عفيف عبد الفتاح، مع الأنبياء في القرآن الكريم: قصص ودروس وعبر من حياتهم، دار العلم للملايين، بيروت، ط 25: أبريل 2007.
- قطب سيد، قصص الأنبياء في ظلال القرآن، إعداد: عكاشة عبد المنان، دار اليوسف، بيروت، ط 1: 1998 - 1999 م، ج 1.
- الكسائي أبو عبد الرحمن، قصص وموارد الأنبياء، تحقيق: خالد شبل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1: 1424 هـ - 2004 م.
- مبارك سيد، معجزات الأنبياء والمرسلين، المكتبة المحمودية، القاهرة.

كتب السيرة النبوية:

- السباعي مصطفى، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط 8: 1405 هـ - 1985 م.
- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبي محمد، السيرة النبوية، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية: 1430 هـ - 2009 م.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

- القاضي عياض أبي الفضل بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، حَقَّق نصوصه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: عبده علي كوشك، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وحدة البحوث والدراسات، سلسلة دراسات السيرة النبوية، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى: 1434هـ - 2013م.

- المباركفوري صفي الرحمان، الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1429هـ - 2008م.

كتب العقيدة وعلم الكلام:

- الأثري عبد الله بن عبد الحميد، الوجيز في عقيدة السلف الصالح: أهل السنة والجماعة، مراجعة وتقديم: الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، جمادى الأولى: 1421هـ.
- الأثري محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، ج1.
- الأشعري أبو الحسن، الإبانة عن أصول الديانة، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتورة: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط1: 1397هـ - 1977م، ج1 - ج2.
- الأشعري أبو الحسن، كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صحَّحه وقَدَّم له وعلق عليه: الدكتور حمودة غرابة، مطبعة مصر 1955م.
- الأشعري أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عني بتصحيحه: هلموت ريتز، ط3: 1400هـ - 1980م، ج1.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
- الأشقر عمر سليمان، العقيدة في ضوء الكتاب والسنة: اليوم الآخر- القيامة الكبرى، دار النفائس، الأردن، ط4: 1990م.
- الأمدي سيف الدين، أبعاد الأفكار في أصول الدين، تحقيق: الدكتور أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط2: 1424هـ - 2004م، ج4، ج5.
- الإيجي عضد الدين، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت.
- الباقلائي أبو بكر محمد بن الطيب، التمهيد، عني بتصحيحه ونشره: الآب رتشارد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، 1957م .
- الباقلائي أبو بكر محمد بن الطيب، كتاب الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية: 1421هـ - 2000م.
- البوطي محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيّات الكونية: وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثامنة: 1417هـ- 1997م.
- البيجوري إبراهيم بن محمد، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة: 1358هـ - 1939م.
- تتان عبد الكريم، الأشاعرة من أهل السنة والجماعة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 1434هـ- 2013م.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ابن تیمیة)، المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها، تحقيق: أبي عبد الله محمود بن إمام، مكتبة الصحابة، طنطا (مصر)، ط1: 1406هـ - 1986م.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ابن تیمیة)، تحقيق القول في مسألة عيسى كلمة الله والقرآن كلام الله، تحقيق ودراسة، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1: 1412هـ- 1992م.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ابن تیمیة)، كتاب النبوات، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية: 1427هـ ج2.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ابن تیمیة)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1406هـ - 1986م، ج1.
- التليدي عبد الله عبد القادر، الشفاعة وأنواعها في السنة المطهرة. (نسخة إلكترونية).
- التويجري محمد بن إبراهيم، اليوم الآخر: صفة الجنة والنار، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، بريدة (المملكة العربية السعودية)، ط5: 1433هـ - 2012م.
- الجرجاني، شرح المواقف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1419هـ.
- الجويني أبو المعالي، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، تقديم وتحقيق الدكتور: فوقيه حسين محمود، عالم الكتب، بيروت، ط2: 1407هـ - 1987م.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

■ حبنكة عبد الرحمان حسن الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط14: 1430 هـ - 2009 م.

■ حبنكة عبد الرحمان حسن الميداني، الوجيزة في العقيدة الإسلامية، مؤسسة الريان، بيروت، ط2: 1416 هـ - 1996 م.

■ الحسن بن عبد الحسن (أبي عذبة)، الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيد آباد (الهند)، الطبعة الأولى: 1322 هـ.

■ الحكمي حافظ، معارج القبول بشرح سُلّم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، تحقيق وتخرّيج: أبي معاوية مازن بن عبد الرحمان البحصلي، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1: 1426 هـ - 2005 م.

■ حليم عبد العزيز، العقيدة الأشعرية في الصحراء المغربية من خلال العقائد الست والستين للشيخ ماء العينين، دراسة وتحقيق، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتنمية، ط1: 2014.

■ الحنبلي أبو يعلى، المعتمد في أصول الدين، حققه وقَدَّم له: وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت.

■ حوى سعيد، كتاب "الله"، (نسخة إلكترونية).

■ الخياط أبو الحسين بن عثمان، الانتصار في الرد على ابن الراوندي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1956.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
- الخيون رشيد، مذهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة، مدارك للنشر، الرياض، ط3: مارس 2015.
- الخيون رشيد، معتزلة البصرة وبغداد، دارالحكمة، لندن، ط1: 1997.
- الداني عثمان بن سعيد بن عثمان، الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقاد وأصول الديانات، دراسة وتحقيق: داغش بن شبيب العجمي، دارالإمام أحمد، الكويت، ط1: 1421هـ- 2000م.
- الدليمي محمد كاظم محمد خلف، عصمة الأنبياء، 1437هـ - 2016م .
- الدمشقي علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، حَقَّقَه وعَلَّقَ عليه وخَرَّجَ أحاديثه وقَدَّمَ له: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 1 .
- الرازي فخر الدين، عصمة الأنبياء، منشورات الكتبي النجفي، مطبعة الشهيد، قم (إيران) ، 1406هـ .
- الرازي فخر الدين، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، راجعه وقَدَّمَ له: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.
- الرافي منال سمير، الشفاعة في الفكر الإسلامي، (نسخة إلكترونية) .
- رضوان فتحي أحمد، مشكلة خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السلف، دار الثقافة، القاهرة، دار الحضارة، طنطا، 2003م .

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
- السبتي ابن خمير، مقدمات المراشد إلى علم العقائد، حقَّقه وقَدَّم له: الدكتور جمال علال البختي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م.
- سلوى عبد الرحمن محمد يونس، الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة، ط1: 1415هـ-1994م.
- السيد محمد صالح محمد، المدخل إلى علم الكلام، دارقباء، القاهرة، 2001م.
- الشكعة مصطفى، مطالعات إسلامية في العقيدة والفكر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب .
- الشيرازي صدرالدين محمد بن إبراهيم، حقائق البعث والنشور، تحقيق وتعليق: عبد القادر أحمد عطا، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- صبحي أحمد محمود، في علم الكلام: دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين (المعتزلة) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط5: 1405هـ - 1985م، ج1.
- عبد الباري فرج الله، النبوات بين الإيمان والإنكار، دار آفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى: 2006م.
- عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، 1427هـ - 2006م .
- عبده محمد، رسالة التوحيد، دار الشعب، القاهرة.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

■ العبد محمد، طارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، دار الأرقم، برمنجهام،
الطبعة الأولى: 1408 هـ - 1987 م.

■ علي رجاء أحمد، الكمون والفكر الإسلامي: موقف متكلمي وفلاسفة الإسلام من مذهب
الكمون، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1: 2010 م.

■ العليان صالح عبد الرحمن، ماهية الإيمان بالله من النجوم إلى الجينوم، مؤسسة الانتشار
العربي، بيروت، ط1: 2016 م.

■ الغزالي محمد بن محمد أبو حامد، الاقتصاد في الاعتقاد، عارضه بأصوله وعلّق حواشيه
وقدّم له: إبراهيم آكاه جوبوقجي وحسين آتاي، مطبعة النور، أنقرة 1969 م.

■ الغزالي محمد بن محمد أبو حامد، المصنّون به على غير أهله، (مخطوطة قديمة)، طبع ملك
الكتاب ميرزا محمد شيرازي، بومباي، الهند.

■ الغزالي محمد، عقيدة المسلم، (دون طبعة ولا تاريخ) .

■ الفضلي عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط2: 1414 هـ - 1993 م.

■ الفقيه شبر، علم الكلام وتطوره عند العرب: رؤية في المعرفة والمنهج والدور، دار الهادي،
بيروت، ط1: 1430 هـ - 2009 م.

■ قاشا سهيل، المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي الحر، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،
ط1: 2010.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
- قطب سيد، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السادسة عشرة: 1427هـ - 2006م.
- اللهبي أحمد بن عوض الله بن داخل الحربي، الماتريدية دراسة وتقويمًا، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 1413هـ.
- اللوه العربي، الرائد في علم العقائد، مطبعة النور، تطوان، الطبعة الثانية: 1304هـ - 1983م.
- الماتريدي أبو منصور، التوحيد، تحقيق: بكر طوبال أوغلي ومحمد آروتشي، دار صادر، بيروت ومكتبة الإرشاد، إستانبول.
- محمد بن الحسن (ابن فورك)، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة، تحقيق وضبط: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1: 1425هـ - 2005م.
- محمد بن عبد العزيز بن محمد العقيل، العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة، جامعة الملك فيصل، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1430هـ.
- محمد محمود عبد الحميد (أبو قحف)، علم الكلام ومدارسه مع تحليل لأهم قضاياها الفلسفية، دار الحضارة للطباعة والنشر، طنطا (مصر)، 1998م.
- المغربي علي عبد الفتاح، الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية: 1415هـ - 1995م.
- نادر ألبير نصري، فلسفة المعتزلة: فلاسفة الإسلام الأسبقين، مطبعة دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ج1.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

■ ندا أبي عمر عبد العزيز بن فتحي بن السيد عيد، العقيدة الإسلامية الميسرة وآثارها في حياة المسلم، راجعه فضيلة الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، دار الزاحم للنشر والتوزيع، الرياض، ط2: 1422هـ - 2001م.

■ النسفي أبو البركات، شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد، دراسة وتحقيق: عبد الله محمد عبد الله إسماعيل، منشورات: المكتبة الأزهرية للتراث والجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى: 1432هـ - 2012م.

■ النسفي أبو المعين ميمون، تبصرة الأدلة في أصول الدين، تحقيق وتعليق: محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1: 2011م، ج1.

■ النسفي ميمون بن محمد، بحر الكلام، دراسة وتعليق: ولي الدين محمد صالح الفرفور، مكتبة دار الفرفور، دمشق، ط2: 1421هـ - 2000م.

■ نور خالد بن عبد اللطيف بن محمد، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1416هـ - 1995م، الجزء الأول.

■ هاشم أحمد عمر، الشفاعة في ضوء القرآن والسنة والرد على منكريها، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، ط1: 2004م.

■ الهمام الكمال بن أبي شريف، المسامرة شرح المسامرة، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى: 1347هـ.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

■ الهمداني عبد الجبار بن أحمد، المغني في أبواب التوحيد والعدل: الفرق غير الإسلامية، تحقيق: محمود محمد قاسم.

■ الهمداني عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، حققه وقَدَّم له: الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1416هـ - 1996م.

كتب الأديان والفرق والمذاهب:

■ بدوي عبد الرحمان، مذاهب الإسلاميين، المعتزلة، الأشاعرة، الإسماعيلية، القرامطة، النصيرية، دار العلم للملايين، بيروت، أبريل 1997.

■ البغدادي عبد القاهر، الفرق بين الفرق، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير.

■ البوطي محمد سعيد رمضان، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، دار الفكر، دمشق.

■ جينبر شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: الدكتور عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .

■ خياطة نهاد، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، دمشق.

■ دراز محمد عبد الله، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم.

■ رستم سعد، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات: النشأة - التاريخ - العقيدة - التوزيع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثالثة: تشرين الثاني 2005.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
- رستم سعد، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم: دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط2: آب 2005م.
- زكار سهيل، المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، الجزء الثاني، دار الكتاب العربي، دمشق- القاهرة.
- الزين محمد خليل، تاريخ الفرق الإسلامية، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2: 1405هـ - 1985م.
- الساموك سعدون محمود وهدى علي الشمري، الأديان في العالم.
- سعيد حبيب، أديان العالم، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.
- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، صححه وعلّق عليه: الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: 1413هـ - 1992م، ج1.
- عبد الحميد عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مطبعة الإرشاد، بغداد، الطبعة الأولى: 1387هـ - 1967م.
- عبد السيد إبراهيم، الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، كنيسة مار جرجس بالمعادي، القاهرة.
- عبد الفتاح أحمد الفاوي، المسيحية بين النقل والعقل، الطبعة الأولى: 1992.
- عبد الله ماهريونان، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، وتقديم ومراجعة: القس جرجس صبيح، المركز المصري للطباعة، 2001.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير
- عبد المجيد همو، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثانية: تموز 2004م - 1405هـ.
- عقيل إنعام بنت محمد، طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها: دراسة مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، جدة، الطبعة الأولى: 1435هـ - 2013م.
- علي بن أحمد أبو محمد (ابن حزم)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم نصر، الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ج 2 - ج 4.
- العوا محمد سليم، المدارس الفكرية الإسلامية من الخوارج إلى الإخوان المسلمين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى: 2016م.
- قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، تأليف: مجموعة من الأساتذة الباحثين، مكتبة دار الكلمة Logos، القاهرة، الطبعة الأولى: 2004.
- محمد أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 3: 1381هـ - 1961م.
- محمد أنمار أحمد، اللاهوت المسيحي نشأته، طبيعته، دار الزمان، دمشق، الطبعة الأولى: 2010م.
- المفتي محمد مختار، دراسات في الأديان والفرق وأبرز التيارات والحركات المعاصرة، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، الطبعة الأولى: 2012م.
- هوستن سميث، أديان العالم: دراسة روحية تحليلية ممتعة لأديان العالم الكبرى توضح فلسفة تعاليمها وجواهر حكماتها، تعريب وتقديم: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب، ط 3: 1428هـ - 2007م.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

كتب مقارنة الأديان:

- إنجيل برنابا: دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، تحقيق: سيف الله أحمد فاضل، دار القلم، دمشق، ط1: 1393هـ - 1973م.
- بوكاي موريس، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 2006 .
- الخزرجي أبو عبيدة، بين الإسلام والمسيحية، تحقيق وتقديم وتعليق: محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة.
- الخطيب محمد أحمد، مقارنة الأديان، دار المسيرة، عمان، ط1: 1428هـ - 2008م.
- خوام منير، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، سلسلة المسيحية والإسلام.
- سالم صلاح، اللاهوت التاريخي والمسار الارتقائي للعقلانية التوحيدية، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1: 2012م.
- سالم غسان سليم، محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والإسلام، دار الطليعة، بيروت، ط1: نيسان (أبريل) 2004م.
- الشاهد السيد محمد، التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام: دراسة تحليلية نقدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1: 1414هـ - 1994م.
- الشرقاوي محمد عبد الله، بحوث في مقارنة الأديان، دار الفكر العربي، القاهرة، 1423هـ - 2002م.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
- شلي أحمد، مقارنة الأديان: المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة: 1998م، ج2.
- الشيخ علي، لاهوت المسيح بين المسيحية والإسلام، سلسلة الرحلة إلى الثقلين (29)، مركز الأبحاث العقائدية، إيران.
- العامري أبو الحسن، الإعلام بمناقب الإسلام، دارالأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، الطبعة الأولى: 1408هـ - 1988م.
- عبد العزيز منصور حسين، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام.(نسخة إلكترونية).
- غنيم أبو عبد الرحمن عبد العظيم، مريم ابنة عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام: دراسة إسلامية مقارنة.
- فرج أبو عطا الله، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء، المنصورة (مصر)، ط1: 1991م.
- فضل الله محمد حسين، في آفاق الحوار الإسلاميا لمسيحي، دار الملاك، ط1: 1414هـ - 1994م.
- قزي جوزف، بين المسيحية والإسلام، دار لأجل المعرفة، ديار عقل . لبنان، 2006.
- الماجدي خزل، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط1: 2014م.
- مبيض يسر محمد سعيد، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، دار الثقافة، الدوحة، ط1: 1412هـ - 1992م.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

الكتب الفلسفية:

▪ بوليتيزر جورج، مبادئ أولية في الفلسفة، ترجمة: فهمية شرف الدين، دار الفارابي، بيروت، ط 5: 2001.

▪ صليبيا جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1402هـ، ج 2 .

▪ علي حسين، ما هي الفلسفة؟ التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2011 .

▪ الغزالي محمد بن محمد أبو حامد، تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط4.

▪ كرم يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، طبعة جديدة.

▪ محمد أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، طبعة دار الجامعات المصرية، 1973م.

▪ مروة حسين، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية: المعتزلة- الأشعرية- المنطق، دار الفارابي، بيروت، ط2: 2008، مج2.

▪ ميد هنتر، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، مطبوعات مكتبة مصر، القاهرة، يناير 1969.

▪ النشار علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة، والطبعة الثامنة، ج1-ج2.

كتب عامة:

- إبراهيم أحمد شوقي، أطوار الخلق في تاريخ الإنسان، سلسلة القرآن والعلم (1)،
- أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (الخطيب البغدادي)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1: 1422 هـ - 2002 م، مج11.
- أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زاده)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1405 هـ - 1985 م، مج2.
- أسرار خلق الإنسان، (بلا مؤلف ولا طبعة ولا تاريخ) .
- الإسكندري عمرو حسن سليم، تاريخ أوروبا الحديث وآثار حضارتها، مطبعة المعارف، مصر، الطبعة الأولى: 1341 هـ - 1922 م.
- إسماعيل أبو الفداء (ابن كثير)، النهاية في الفتن والملاحم، ج2 . (نسخة إلكترونية).
- إسماعيل أبو الفداء (ابن كثير)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1410 هـ - 1990 م، ج1
- أمانة عدنان محمد، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: رجب 1424 هـ.
- الأمدي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1387 هـ،

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية..... البشير أسعير
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ابن تیمیة)، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1415هـ. ج1-11.
- الجميلي السيد، الإعجاز العلمي في القرآن، دار ومكتبة الهلال، دار الوسام، بيروت، ط2: 1992م.
- حسيني سيد وقار أحمد، القرآن الكريم والعلوم الفلكية واستكشاف الأرض من الفضاء، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط2: 1994م.
- خضر عبد الحلیم عبد الرحمن، الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط1: 1403هـ - 1983م.
- الخفاجي شهاب الدين، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الدسوقي فاروق أحمد، استخلاف الإنسان في الأرض، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية.
- الرئيس علي، الحروب الصليبية من عهد قسطنطين إلى اليوم وجذورها الدينية، مكتبة النافذة، دار طيبة، الجيزة (مصر)، ط1: 2008.
- الزبيدي السيد المرتضى، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1414هـ - 1994م، ج2.
- الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن. (نسخة إلكترونية).

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

■ شريف عمرو، الوجود رسالة توحيد، نيويورك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2: مارس 1436 هـ - 2015 م.

■ ضيف شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط 12.

■ الطبري ابن جرير، تاريخ الأمم والملوك، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، عمان.

■ عبد الهادي بوطالب، حقيقة الإسلام، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998.

■ عبودي هنري، س، معجم الحضارات السامية، جروس برس، طرابلس، لبنان، ط2: 1411 هـ - 1991 م.

■ الغزالي محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ط 1: 1426 هـ - 2005 م.

■ مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4: 1987 م، إعادة الطبع: 2000.

■ محمد أشرف صلاح حجازي، العشرة المبشرون بالجنة، 1432 هـ - 2012 م.

■ محمود بن عمر أبي القاسم جار الله (الزمخشري)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1419 هـ - 1998 م.

■ المسعودي، مروج الذهب، منشورات دار الهجرة، قم (إيران) ، ط2: 1309 هـ،

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

كتب الردود ونقد المصادر الدينية:

- أحمد عبد الوهاب، المسيح عليه السلام في مصادر العقائد المسيحية: خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية: 1408 هـ - 1988 م.
- ألارو عبد الرزاق بن عبد المجيد، مصادر النصرانية دراسة ونقداً، دار التوحيد للنشر، الرياض، ط1: 1428 هـ - 2007 م، ج1.
- بوكاي موريس، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، ترجمة: فوزي شعبان، المكتبة العلمية، نشر عام 1981 م.
- جومال علي خان، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر؟، نقله إلى العربية: رمضان الصفناوي، مكتبة النافذة.
- الحنفي محمد بن صفى الدين، أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية.
- الخالدي صلاح عبد الفتاح، سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم، دار العلوم، عمان (الأردن) ، الطبعة الأولى: 1425 هـ - 2004 م.
- ديدات أحمد، هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ترجمة: الشيخ إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة، ط1: 1989 م.
- رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، إظهار الحق، اعتنى به وحققه: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1: 1426 هـ - 2005 م، ج2.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

▪ زاده عبد الرحمن بن سليم (ابن الباجه جي الحنفي)، الفارق بين المخلوق والخالق .

▪ الشرقاوي جمال الدين، معالم أساسية في الديانة المسيحية، (نسخة إلكترونية).

▪ الطبري علي بن ربن، الرد على أصناف النصارى، تحقيق وتقديم: خالد محمد عبده، مكتبة

النافذة، مصر، ط1: 2005م.

▪ طه أحمد، قانون الإيمان المسيحي: دراسة نقدية، أمتي للنشر الإلكتروني، 1435هـ- 2013م.

▪ عبد الفتاح أحمد الفاوي، المسيحية بين النقل والعقل، الطبعة الأولى: 1992.

▪ عبد المحسن عبد الرازي محمد، المعتقدات الدينية لدى الغرب، مركز الملك فيصل

للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1421هـ.

▪ عبيزة إدريس، مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها العربية لسعديا كؤون الفيومي،

منشورات دارالآمان، الرباط، الطبعة الأولى: 1431هـ - 2010م.

▪ الغزالي محمد بن محمد أبو حامد، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل (نسخة

إلكترونية) .

▪ كركور إبراهيم، تطور العقيدة المسيحية بين عيسى عليه السلام وبولس، مركز التنوير

الإسلامي، القاهرة، 1426هـ - 2006م .

▪ المدرس علي سري محمود، مصادر التوراة الحالية، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان

(الأردن) ط1: 1435هـ - 2014م.

▪ مرجان محمد مجدي، الله واحد أم ثالث؟، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط2: 2004م.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقديّة الإسلامية البشير أسعير
- المناظرة العجيبة: وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم، جمعها ونسّقها: محمد بن عبد العزيز الخضير، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1: 1420 هـ - 2000 م.
- الموسى سلطان موسى، أقوم قيلا، الطبعة العاشرة: 1436 هـ - 2015 م.
- وافي علي عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى: 1384 هـ - 1964 م.

المراجع المسيحية:

- أثاسيوس الرسولي، رسالة إلى الوثنيين، تعريب: القمص مرقص داود .
- أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، إشراف: جون هيك، تعريب: نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ط1: 1405 هـ - 1985 م.
- إشعياء ميخائيل، سحابة من الشهود: صياد الجليل بطرس الرسول، دار يوسف كمال للطباعة.
- أغوستينوس، مدينة الله، نقله إلى العربية: الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية: 2006،
- الأكوييني توما، الخلاصة اللاهوتية، ترجمه من اللاتينية إلى العربية: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، 1881 م ، ج1- ج2.
- إلياس فوزي، الكتاب المقدس والعلم الحديث، دار الثقافة، القاهرة .

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية..... البشير أسعير
- الأنطوني كيرلس، عصر المجامع، تنسيق وتعليق: دياكون د. ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، ط1: 2002م.
- بباوي جورج حبيب، المدخل إلإللاهوت الأرثوذكسي، موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، 2008 .
- البرموسي أغسطينوس، شرح سفر التكوين للقديس يوحنا ذهبي الفم، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1: يناير 1999م.
- بسيط أبو الخير عبد المسيح، تاريخ العقيدة المسيحية(الجزء الأول) من التكوين حتى نهاية مجمع نيقية سنة 325م، مطبعة بيت مدارس الأحد 2012.
- بسيط عبد المسيح أبو الخير، إعجاز النبوة والوحي في سفر دانيال، (نسخة إلكترونية).
- بطرس زكريا، تاريخ انشقاق الكنائس.(نسخة إلكترونية).
- بندلي كوستي ومجموعة من المؤلفين، مدخل إلى العقيدة المسيحية، منشورات النور، طبعة ثالثة .
- بندلي كوستي، السبل إلى الله، منشورات النور، طبعة ثانية.
- بنورة بسام، الكتاب المقدس: دراسة موجزة في معرفة ووحى وعصمة الكتاب المقدس، منشورات نداء الرجاء، شتوتغارت، ألمانيا، ط1: 2003م.
- بيشوى إبراهيم، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى: نوفمبر 2007م.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

■ بيشوى الأنبا، الثالث والتجسد والفداء، سلسلة تبسيط الإيمان، الجزء الأول.

■ بيشوى عبد المسيح، الإيمان المسيحي في حقائقه اللاهوتية، مكتبة المحبة، الزقازيق (مصر).

■ التعليم المسيحي الروماني، ترجمة: الخوري يوسف ضاهر البستاني، المطبعة العمومية

الكاثوليكية، بيروت، ج1- ج2 ج3- ج8- ج9.

■ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، طباعة الكنيسة الكلدانية في بريطانيا، لندن 2012 ،

الجزء الأول.

■ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، تعريب ونشر: شركة ماستر ميديا، القاهرة .

■ ثيسن هنري، محاضرات في علم اللاهوت النظامي، ترجمة: فريد فؤاد عبد الملك، دار

الثقافة، القاهرة، ط1: 1987م.

■ ثيوديسيوس آفا مينا، التوحيد والتثليث، موضوعات إيمانية، مطرانية الجيزة للأقباط

الأرثوذكس.

■ جوجر آن، دوجلاس إكس، كيسي لسكين، العلم وأصل الإنسان، ترجمة: مؤمن الحسن

وموسى إدريس، دار الكاتب للنشر والتوزيع، الإسماعيلية (مصر)، الطبعة الأولى: ديسمبر 2014.

■ حسيني جمال أبو فرحة، الكنيسة المارونية: الواقع والتاريخ، مركز الحضارة العربية،

القاهرة، الطبعة الأولى: 2004.

■ حنا حنا، دراسات توراتية، داررام للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثانية: 2006.

■ الخضري حنا جرجس، تاريخ الفكر المسيحي، دار الثقافة، القاهرة، 2001م، ج2- ج3.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

■ خوام جورج البولسي، أوريجانوس في المبادئ، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم (31) .

■ داوولي تيم، أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية، ترجمة: الأب يوسف توما .

■ دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، القاهرة .

■ درويش عادل، الكنيسة أسرارها وطقوسها، دار بلال ابن رباح، دار ابن حزم، القاهرة، ط1: 1433هـ -2012م.

■ درين جون. و، يسوع والأنجيل الأربعة، ترجمة: نكلس نسيم سلامة، دار الثقافة، القاهرة، ط1: 1999.

■ الدمشقي يوحنا، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربّه عن النص اليوناني: الأرشمندريت أديانوس شكور ق ب، المكتبة البولسية، بيروت، طبعة أولى: 1984.

■ ديمتريوس موريس ويصا، شفاعة القديسين، (نسخة إلكترونية) .

■ ديورانت وول، قصة الحضارة، تقديم: محي الدين صابر، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

■ رافي زكارايوس، من صنع الله؟، دار منهل الحياة، لبنان، الطبعة الأولى: 2011.

■ رستم أسد، آباء الكنيسة الرسوليون والمناضلون، منشورات النور.

■ سعيد حبيب، المدخل إلى الكتاب المقدس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

■ سمعان عوض، فلسفة الغفران في المسيحية، دار الإخوة للنشر، شبرا (مصر)، ج1.

■ سمعان عوض، كهنوت المسيح، دار الإخوة للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية: 2012.

■ سيداروس فاضل، الأنثروبولوجيا المسيحية، الإنسان على صورة الله كمثاله، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى: 2013.

■ شاكر عزت، أصعب الآيات في سفر التكوين، الكنيسة الإنجيلية بمدينة نصر، القاهرة.

■ شنودة الثالث، التجسد والمساواة مع المسيح والآب، الكلية الإكليريكية بالعباسية، القاهرة، ط3: أغسطس 2009.

■ شنودة الثالث، في الحوار اللاهوتي: اللاهوت المقارن، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، القاهرة، ط2: أبريل 1992، الجزء الأول.

■ عوض جورج إبراهيم، تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة، الطبعة الأولى: أغسطس 2012م.

■ فارس فايز، أضواء على الإصلاح الإنجيلي، دار الثقافة المسيحية، القاهرة .

■ فيليب فيكتور، الإعجاز العلمي في الكتاب المقدس، تقديم: الأنبا بنيامين (أسقف المنوفية، مصر)، السلسلة (1) .

■ قاموس الكتاب المقدس، تأليف: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين .

■ كاسبر فالتر، إله المسيحيين، تعريب: يوحنا منصور، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط1: 2006.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

▪ الكنيسة الجامعة الكاثوليكية، تأليف: أحد الكاثوليكين، طُبِعَ بأورشليم في دير الآباء
الفرنسيسكانيين سنة 1888.

▪ الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط1: 2001.

▪ كيرنز إيرل، المسيحية عبر العصور: تاريخ الكنيسة المسيحية، ترجمة: عاطف سامي برنابا، دار
نوبار للطباعة، القاهرة .

▪ لمعي داود، حياة أليشع النبي، كنيسة مارمرقس، مصر الجديدة، ط1: ديسمبر 2009.

▪ لمعي داود، دانيال الرجل المحبوب، كنيسة مارمرقس، مصر الجديدة، ط1: ديسمبر 2009.

▪ لمعي داود، موسى العظيم في الأنبياء، كنيسة مارمرقس، مصر الجديدة، ط1: مايو 2009.

▪ لوثر مارتن، أصول التعليم المسيحي "الكتاخي سمس الصغير"، ترجمة ونشر المركز اللوثيري
للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، بيروت، لبنان .

▪ لورنس يوحنا فان موسهيم، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة في ست كتب،
المطبعة الأمريكية، بيروت، 1875.

▪ لوريمرجون، تاريخ الكنيسة، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى: 1981م، ج1- ج3- ج4- ج5.

▪ ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير؟، ترجمة: حسان ميخائيل إسحاق.

▪ ماير ف. ب، حياة إيليا وسرقوته، ترجمة: القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة،
ط3: يونيو 1966.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
- ماير ف. ب، حياة يشوع وأرض الموعد، ترجمة: مرقص داود، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، القاهرة .
- مشرفي صمويل، المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1979.
- المعجزات في الإنجيل، مجموعة من الباحثين، نقله إلى العربية: الأب صبحي حموي اليسوعي، سلسلة دراسات في الكتاب المقدس (3) ، دار المشرق، بيروت، طبعة ثالثة: 1990م.
- مقار إلياس، إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، الطبعة الثانية: 2000.
- المقاري يوحنا، شرح سفر التكوين (سفر البدايات) ، دار مجلة مرقس، شبرا، القاهرة، ط2: 2014م.
- منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، القاهرة .
- منصور أنور يسي، آراء أساتذة لاهوت وقسوس وعلمانيين في أخطر القضايا المسيحية والرد عليها، مطبعة الخلاص، الإسكندرية .
- منصور يسي، عصمة الكتاب المقدس، مطبعة الإسكندرية، مصر، الطبعة الثانية: 1964.
- منيس عبد النور، موسى كليم الله، منشورات نداء الرجاء، شتوتغارت، ألمانيا، ط1: 1989م.
- مورا فنسان، سفر يونان، نقله عن الفرنسية: الخوري حليم ريشا، دار المشرق، بيروت، ط1: 1993.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

■ موريس ليون، التفسير الحديث للكتاب المقدس: العهد الجديد، سفر الرؤيا، نقله إلى العربية: شوقي غطاس، دار الثقافة، القاهرة، ط1: 1996.

■ موريسون كريسي، العلم يدعو للإيمان، منتديات دار الإيمان .

■ ميشال توماس اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية: محاضرات أُلقيت في كلية الشريعة الإسلامية بأنقرة (تركيا)، دار المشرق، بيروت، نقلها عن الإنجليزية: كميل حشيمة اليسوعي، الطبعة الثانية: 1995.

■ ميلرستيفن. م وروبرت ف. هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين حتى اليوم، ترجمة: وليم وهبة، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى: 2008.

■ مينا ميخائيل، علم اللاهوت، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، القاهرة، ط4: 1664ش – 1948م، ج1، ج3.

■ هارت جورج، المسيحية عقيدة الإيمان ومعرفة غنوصية تحيي، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1: 2011.

■ هاني يوساب، الشفاعة استحقاق لنا في المسيح يسوع، مراجعة وتقديم موسى رفائيل، منشورات كنيسة القديس الشهيد موريس والكارزة فيرينا، المنيا، مصر، ط1: 2016م.

■ هنري متى، التفسير الكامل للكتاب المقدس، العهد الجديد، مطبوعات إيجاز، القاهرة، الطبعة الأولى: 2002، الجزء الأول.

■ هودج كنت، المسيح فيكم: مدخل للعهد الجديد والحياة المسيحية، ترجمة: عاطف داود، مراجعة: عوض الله فيلبس، ديفيد رزق الله، كيرلس نبيه كيرلس، 2008م .

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

■ ويرتيموثي، الكنيسة الأرثوذكسية: إيمان وعقيدة، نقله إلى العربية: هاشم الحسيني مع فريق من حركة الشبيبة الأرثوذكسية، منشورات النور: 1982.

■ يتيم ميشيل والأرشمندريت أغناطيوس ديك، تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط4: 1999م.

■ يواكيم نمم، مريم العذراء (نسخة إلكترونية) .

■ يؤانس الأنبا، السماء، مطبعة الأوفست (العباسية) ، القاهرة، ط2: 1985م.

■ يؤانس الأنبا، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، مطبعة الأوفست (العباسية) ، القاهرة، ط3: 1987م.

■ يوستينيوس، النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: آمال فؤاد، دارباناريون، مصر، الطبعة الأولى: مايو 2012م.

■ يوسف خليل صموئيل، الفكر اللاهوتي في العهد القديم، دار الثقافة، القاهرة .

الرسائل والأطروحات الجامعية:

■ أحمد جابر محمود العمصي، آدم عليه السلام بين اليهودية والنصرانية والإسلام: دراسة مقارنة، (رسالة لنيل درجة الماجستير في العقيدة)، تحت إشراف الدكتور: شوقي بشير عبد المجيد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، 1415هـ -1994م.

- القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير
- بلسم صلاح الدين عمر أبو زيد، معجزات موسى عليه السلام في القرآن والتوراة: عرض ونقد، (رسالة الماجستير في العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة)، تحت إشراف الدكتور: محمود يوسف محمد الشوبكي، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 1436 هـ - 2015 م.
- عبد الحلیم أیت أمجوض، حوار الأديان: نشأته وأصوله وتطوره، (رسالة دكتوراه)، تحت إشراف: الدكتور أبو بكر العزاوي، نوقشت سنة 2010 م في جامعة الحسن الثاني، المحمدية، المغرب.
- عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم، الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة، تحت إشراف الدكتور: عوض الله جاد حجازي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1396 هـ - 1976 م.
- نعيمة إدريس، أزمة المسيحية بين النقد التاريخي والتطور العلمي، (رسالة دكتوراه) تحت إشراف: الدكتور إسماعيل زروخي، نوقشت بتاريخ: 3 يوليوز 2008 بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
- يوسف صلاح بكري محمد، الشفاعة في الإسلام بين المثبتين والمنكرين، (رسالة دكتوراه) تحت إشراف: الدكتور صالح محمد عثمان، نوقشت في موسم: 1427 هـ - 2007 م، بكلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

المقالات والدراسات:

■ بسام مدني، المسيحي الوحي الإلهي: بحث شامل في عقيدة شخصية يسوع المسيح، مطبوعات ساعة الإصلاح، الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل arabicbible. com، الولايات المتحدة الأمريكية.

■ تادرس يعقوب ملطي، تفسير وتأملات الآباء الأولين (سفر الخروج) ، عن موقع: الأقباط اليوم
<https://www.coptstoday.com/Interpretation-of-the-Holy-Bible/Exodus.php>

■ سليمان أحمد الضاهر، لاهوت يوحنا الدمشقي: دراسة تحليلية في كتاب "المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي"، القدس عاصمة الثقافة العربية لعام 2009.

■ صدام جاسم محمد، محمود فياض حمادي، أبو منصور الماتريدي ودوره في نشأة الماتريديّة، مجلة ديالي، العدد السادس والعشرون، 2007.

■ فالج الربيعي، أثر المعتزلة على الأدب العربي، مقال منشور في مجلة "رسالة التقريب"، العددان: 19 – 20، سنة 1419هـ.

■ محمد عمارة، بين العصمة والازدراء: الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس، نشر صحيفة المصريون (www. almesryoon. com) ، إعداد: موقع الإسلام والعالم (www. islamegy. com) .

المراجع الأجنبية:

- Contemporary Evangelical Thought : Basic Christian Doctrines, Edited by :
Carl F. H. Henry, Digital Publications, The electronic Bible
Society, Dallas, Texas, USA
- Mark Driscoll and Gerry Breshears, Doctrine : what Christians should believe,
Library of Congress Cataloging in Publication Data, USA, 2010
- Serene Jones and Paul Lakeland, Constructive Theology, a contemporary
approach to classical themes, Fortress Press, Minneapolis, USA
- VOLTAIRE, Dictionnaire philosophique : Art Antitrinitaires

المواقع الإلكترونية

www.achaari.ma/article.aspx?C=5639

[أوليفر_كرومول/https://www.marefa.org/](https://www.marefa.org/)

[الإكليروس/www.marefa.org/](http://www.marefa.org/)

[أبوكريفا/www.marefa.org/](http://www.marefa.org/)

www.daraleman.org/forum

[ما_المقصود_بالشيفرة_الوراثية/https://mawdoo3.com/](https://mawdoo3.com/)

<https://www.pdf-books.org/book/6313/>

www.lutherinarabic.org/nu2menwana3taref.htm

<http://www.abouna.org/content/>

<http://f.mangish.net/forum.php?action=view&id=3792#ixzz5ZwYzG0NW>

<http://fr-samaan-st-paul.yoo7.com/t53-topic>

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

[www. almaany.com](http://www.almaany.com)

[https: //st-takla. org/FAQ-Questions-VS-Answers/03-Questions-Related-to-Theology-and-Dogma__Al-Lahoot-Wal-3akeeda/001-Differences-between-Creeds. html](https://st-takla.org/FAQ-Questions-VS-Answers/03-Questions-Related-to-Theology-and-Dogma__Al-Lahoot-Wal-3akeeda/001-Differences-between-Creeds.html)

www.arabicbible.com

[https: //www. coptstoday. com/Interpretation-of-the-Holy-Bible/Exodus. php](https://www.coptstoday.com/Interpretation-of-the-Holy-Bible/Exodus.php)

www.almesryoon.com

www.islamegy.com

www.arabicbible.com

[https: //st-takla. org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/03_T/T_108. html](https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/03_T/T_108.html)

فهرس الآيات القرآنية

الآية القرآنية	السورة	رقم الآية	الصفحة
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ	البقرة	20	222
بَاتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْجَاهِلِينَ	البقرة	23	547
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ	البقرة	27	504
ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ	البقرة	28	272
إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً	البقرة	29	293
وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكِكَةِ	البقرة	30	299
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ	البقرة	33	300
وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ	البقرة	34	533 302
فَتَلَفَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ	البقرة	36	303
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً	البقرة	66 - 72	442
وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ	البقرة	101	427

238	162	البقرة	وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
214-278	163	البقرة	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
568	254	البقرة	مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
555	256	البقرة	يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۚ وَأَنْتَ أَصْحَابُ الْبَارِ
514	280	البقرة	وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ
530	283	البقرة	وَأِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ
541	15	آل عمران	لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
506	25	آل عمران	بَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ
611	33	آل عمران	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ
599	45	آل عمران	إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ
415	54	آل عمران	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَارْأَيْكَ إِلَىٰ
295	58	آل عمران	إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ

86	110	آل عمران	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
533	133	آل عمران	وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ
545- 510	170 - 169	آل عمران	وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ
102-216 270	190	آل عمران	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
296	1	النساء	يَأْتِيهَا النَّاسُ بِتُفُوءِ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
558- 548	14	النساء	وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نُدْخِلْهُ نَارًا
507	56 - 55	النساء	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِقَائِلَتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا
549	92	النساء	وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَبِعِزَّتِ اللَّهِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
555	144	النساء	إِنَّ الْمُتَلَمِّظِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ
556	145	النساء	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ
416	156	النساء	وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ

252-251	157	النساء	بَلْ رَّبَّعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ
106	165	النساء	أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ
239	170	النساء	إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ
549	11	المائدة	وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
106-234	66	المائدة	بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ
419 - 406	69	المائدة	وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ
3	84	المائدة	وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي
415	112	المائدة	وَإِذْ كَفَبْتُ بِنَجْوَىٰ إِسْرَءِيلَ عَنْكَ
391	113	المائدة	وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي
447	117 - 114	المائدة	إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
542	121	المائدة	قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ
277	1	الأنعام	إِلْحَمْدٌ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
290	3	الأنعام	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ

570	52	الأنعام	وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ
512	97	الأنعام	وَجَلِّلِ الْبَلَّ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا
284	98	الأنعام	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا
536	128	الأنعام	لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ
236	159	الأنعام	يَا تَيِّ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ
518	161	الأنعام	مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا
526	5	الأعراف	فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ
521	8	الأعراف	فَلَا نُفِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا
301	12	الأعراف	قَالَ بَاهِبْتُ مِنْهَا بَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا
302	21	الأعراف	فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا
302	21	الأعراف	أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ
303	22	الأعراف	فَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا
505	28	الأعراف	كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ

268	53	الأعراف	إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
501	56	الأعراف	وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الرِّيحَ نَشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ
429	106	الأعراف	بِأَلْفِي عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ
431	107	الأعراف	وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّارِ
430	116	الأعراف	وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلِيَّ عَصَاكَ
431	129	الأعراف	وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِّنَ الثَّمَرَاتِ
435-432	132	الأعراف	بِأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّبَّادَ وَالدَّمَ
433	133	الأعراف	وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَلْمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ
392	143	الأعراف	وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِفاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ
434	171	الأعراف	وَإِذْ تَتَفَنَّأُ الْجَبَلُ بِوَقْفِهِمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ
98	179	الأعراف	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ

296	189	الأعراف	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا رُوحَهَا
401	11	الأنفال	إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
402	13 – 12	الأنفال	إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ
545	112	التوبة	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ
512	5	يونس	لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ
294	14	يونس	ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ
398	15	يونس	فَلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْكَ نَفْسٍ
530	61	يونس	وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
443	98	يونس	بَلَوْلَا كَانَتْ فَرِيئَةً - اْمَنْتُ فَنَبَعَهَا اِيْمَانُهَا اِلَّا قَوْمُ يُونُسَ
265	7	هود	وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
518	18	هود	هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
414	54	هود	وَفِيلَ يَتَّارِضُ بِإِلْحَامِ مَاءٍ وَيَسْمَاءُ أَفْلَحِي وَغِيضَ الْمَاءِ

290	60	هود	هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
273	2	الرعد	اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا
508	36	الرعد	مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
529	41	الرعد	فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ
241	13	إبراهيم	أَيُّ اللَّهِ شَكٌّ بَاطِرٍ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
550	30 - 31	إبراهيم	وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْفَرَارِ
263	34 - 35	إبراهيم	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
280	35	إبراهيم	وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ
500	50	إبراهيم	يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
530	53	إبراهيم	إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
265	14 - 15	الحجر	وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ
275	19	الحجر	وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
290	26	الحجر	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ

295	29	الحجر	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَبَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحٍ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ
525-520	93 - 92	الحجر	فَوَرِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ
287	5	النحل	وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْعٌ
286	14	النحل	وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
284	16	النحل	وَعَلَّمَكُم بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
559	29	النحل	فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ
244	40	النحل	إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
391	68	النحل	وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا
453	1	الإسراء	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
304	70	الإسراء	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ
568-574	79	الإسراء	عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا
399-509	85	الإسراء	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
435	101	الإسراء	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

236	1	الكهف	إِلْحَمِدْ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ
550	29	الكهف	إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
525	47	الكهف	وَعَرِّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَبْرًا
521	100	الكهف	قَلَّا نَفِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا
535-542	102	الكهف	إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ
391	10	مريم	بَخْرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْجَى إِلَيْهِمْ
539	38	مريم	وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
524	96	مريم	وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ بَرْدًا
235-250	4	طه	الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
430	19 - 18	طه	قَالَ أَلَيْهَا يَلْمُوسِي بِأَلْفِهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى
431	21	طه	وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ
234	39	طه	وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي

430	68	طه	وَأَلْيَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَفَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَلْجٍ
569-570	106	طه	يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ
224	107	طه	يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا
302	118	طه	فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا
303	119	طه	ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ
228-241	22	الأنبياء	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَبَسَدَا
568	28	الأنبياء	وَلَا يَشْبَعُونَ إِلَّا لِمَسِ إِرْتَضَى
264-265	30	الأنبياء	أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا
277	32	الأنبياء	وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ
518-532	47	الأنبياء	وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
443-445	86	الأنبياء	وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغْلَصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
445	87	الأنبياء	فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ
501	100	الأنبياء	إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ

502	102 - 103	الأنبياء	لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَفِّيهِمُ الْمَلَكَةُ
505	103	الأنبياء	كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ
291	5	الحج	يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ
276	25	الحج	وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا
269	45	الحج	وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ تَعُدُّونَ مِمَّا
547	70	الحج	النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
289	12 - 14	المؤمنون	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ
505	16	المؤمنون	ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ
270	17	المؤمنون	وَلَقَدْ خَلَقْنَا بَوَاقِعَكُم سَبْعَ طَرَائِقَ
222	92	المؤمنون	مَا ابْتَحَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ
514-505	116	المؤمنون	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ
516	117	المؤمنون	فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ

561	7	النور	وَالْخَلِيسَةُ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ
561	11	النور	إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمَّ
562	19	النور	إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا
523	24	النور	يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
288	43	النور	وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ
537	15	الفرقان	فَلْ أَدِلكَ خَيْرُ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَيْهِ وَعِدَ الْمُتَّقُونَ
431	12	النمل	وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ
285	62	النمل	أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
502	89	النمل	فَبَقِعَ مَسَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَسَ فِي الْأَرْضِ
214-280	90	النمل	وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ
391	6	القصص	وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ
401	4 - 1	الروم	أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ

216-294	20 - 19	الروم	وَمِنْ - اَيْلِيْهِۦ اَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ اِذَا اَنْتُمْ بِشَرِّ تَنْتَشِرُوْنَ
264	26	الروم	وَهُوَ الَّذِيۦ يَبْدُؤُاَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُۥ وَهُوَ اَهْوَنُ عَلَيْهِ
535	7	لقمان	اِنَّ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ لَهُمْ جَنّٰتُ النَّعِيْمِ
88	16	لقمان	وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
558	17	لقمان	وَلَا تَصْلِعْزْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْاَرْضِ مَرَحًا
306	19	لقمان	اَلَمْ تَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ
530	27	لقمان	مَّا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْۢۤ اِلَّا كَنَفْسٍ وَّاحِدَةً
236	4	السجدة	يُدَبِّرُ الْاَمْرَ مِنَ السَّمٰوٰءِ اِلَى الْاَرْضِ
290	6	السجدة	وَبَدَأَ خَلْقَ الْاِنْسٰنِ مِن طِيْنٍ
536-533	17	السجدة	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا اُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةٍ اَعْيٰى
535	19	السجدة	اَمَّا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ فَلَهُمْ جَنّٰتُ الْمَآوٰى

520	8	الأحزاب	لَيْسَ لَ الصّٰدِقِيْنَ عَن صِدْقِهِمْ
506	9	فاطر	وَاللّٰهُ الَّذِيْٓ اَرْسَلَ الرِّيْحَ فَتَثِيْرُ سَحَابًا مِّسْفِنَةً اِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ
236-252	10	فاطر	اِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ يَرْبَعُهُ الصّٰلِحُ
294	11	فاطر	خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْقَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ اَزْوَاجًا
613	18	فاطر	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرٰى
278	27	فاطر	وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ اَلْوَانُهُا
555	36	فاطر	وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُفْضِيْ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوْا
280	37	يس	وَالشَّمْسُ تَجْرِيْ لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذٰلِكَ تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ
281	38	يس	وَالْقَمَرَ قَدَرْنٰهُ مَنَازِلَ حَتّٰى عَادَ كَالْعُرْجُوْنِ الْفَدِيْمِ
270	39	يس	وَكَلٌّ فِيْ فَلَكٍ يَسْبَحُوْنَ
523	64	يس	اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ اَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا اَيْدِيَهُمْ
506	77 - 79	يس	وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنۢ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ
506	80	يس	اَوْ لَيْسَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِقَدِيْرٍ

603	81	يس	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
290	11	الصفافات	إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّزِبٍ
520	24	الصفافات	وَفِيهِمْ مَنْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ
539	59 - 58	الصفافات	أَبَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى
444	139-142	الصفافات	وَإِنْ يُؤْنَسَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
445	144 - 143	الصفافات	فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِۦ
445	145	الصفافات	فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَفِيمٌ
445	146	الصفافات	وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّفْطِيلِ
535	50	ص	جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّقْبَتَّةٍ لَهُمُ الْآبَوَابُ
294	70	ص	إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ
234-254	74	ص	لَمَّا خَلَفْتُ بِيَدَيَّ

301	75	ص	قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَفْتَنِي مِنْ بَارٍ وَخَلَفْتَهُ مِنْ طِيٍّ
301	77 - 76	ص	فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
292	6	الزمر	يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ
237	7	الزمر	وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ
543	11	الزمر	إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ
415	39	الزمر	إِنَّ اللَّهَ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا
570	41	الزمر	فُلِ لِلَّهِ الشَّيْءُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
501	65	الزمر	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ
526-502	66 – 65	الزمر	ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يَنْظُرُونَ
528	40	غافر	وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
269	56	غافر	لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ
276	64	غافر	اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً

295	67	غافر	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلْفَةٍ
252-266	10	فصلت	ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
267	11 - 8	فصلت	قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ
107	14	فصلت	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً
523	20	فصلت	وَقَالُوا لِيَجْلُدِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا
215	52	فصلت	سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَقْبَابِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ
224-226-238	9	الشورى	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
392	48	الشورى	وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا
541	70 - 69	الزخرف	الَّذِينَ ءَامَنُوا بِقَايَتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ
539	53	الدخان	لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ
287	3	الجاثية	وَفِي خَلْفِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ - آيَتٌ لِّقَوْمٍ يُوفُونَ
541	16	محمد	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسٍ

568	20	محمد	بَاعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
560	6	الحجرات	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ بِاسِئْيسٌ يَنْبَأُ فِتْنًا فَتَبَيَّنُوا
88	9	الحجرات	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
305	13	الحجرات	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ أَتْفِيكُمْ ؕ اللَّهُ
505	15	ق	أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْآوَّلِ
217	20 - 21	الذاريات	وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ؕ أَقَلًا تَبْصُرُونَ
264	47	الذاريات	وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ
275	48	الذاريات	وَالْأَرْضَ بَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ
308	56	الذاريات	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
398	4	النجم	إِنَّهُ هُوَ الْوَحْدِيُّ يُوجِي
454	6 - 18	النجم	بَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ
536	14 - 15	النجم	عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ

308	30	النجم	لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
449	2 - 1	القمر	إِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ
107	14	القمر	تَجَرَّهٖ بِأَعْيُنِنَا
549	48	القمر	يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي الْبَارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ
530	50	القمر	وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ
290	12	الرحمن	خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ
301	13	الرحمن	وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ
234	25	الرحمن	وَيَبْفِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
539-527	36 - 29	الواقعة	مَسْكُوبٍ وَقَعَتْ كَثِيرَةٌ لَّا مَفْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
528	47 - 43	الواقعة	وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ
282	79 - 78	الواقعة	فَلَا أَفْسِسُ لِمَوَافِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَفَسَّمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمُ
215	3	الحديد	هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

237	24	الحديد	وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ
217	2	الحشر	بَاغْتَبِرُوا يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ الْأَبْصِرِ
270-274	12	الطلاق	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ
547	6	التحريم	يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
309	2	الملك	الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
549	5	الملك	وَلَقَدْ رَٰىنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا
559	11 – 10	القلم	وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلْفٍ مِّمَّ هَٰؤُلَاءِ مَشَاءَ بَنِيمٍ
523	32 – 18	الحاقة	بِأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أِفْرَاءُ وَكِتَابِي
533	22 – 21	الحاقة	فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ فُطُوفُهَا دَانِيَةٌ
550	17 - 15	المعارج	كَلَّا إِنَّهَا لَطِبَىٰ نَزَاعَةً لِّلشَّوْءِ تَدْعُوا مِنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّيْ

504	43	المعارج	يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً
270	15	نوح	أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَافاً
540	22 - 21	القيامة	وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ
542	5	الإنسان	إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً
236	23	الإنسان	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْفُرْقَانَ تَنْزِيلاً
530	31	الإنسان	يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً
278	27	المرسلات	وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَلِخْتِ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتاً
277	12 - 6	النبأ	أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا
515	26	النبأ	عَطَاءٌ حِسَاباً
277	31 - 27	النازعات	وَآنتُمْ أَشَدُّ خَلْفاً أَمِ السَّمَاءُ بَنِيهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْهَا
524	34-37	عبس	يَوْمَ يَهْرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَلْحَتِهِ وَبَنِيهِ
505	6	المطففين	يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

550-275	7	المطففين	كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَهٗ سَجِّينٌ
522-529	9 - 7	الانشقاق	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا
528	12 – 10	الانشقاق	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا
273	12	الطارق	وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ
538	16 - 8	الغاشية	وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ
214-278	20 – 17	الغاشية	أَبَلًا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ
518-515	26 – 25	الغاشية	إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ
236	24	الفجر	وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَبًّا صَبًّا
280	3 – 1	الشمس	وَالشَّمْسُ وَضَحِيهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَيَّهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّىهَا
304	4	التين	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
394	3 - 1	العلق	إِنِّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنِّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ
554	6	البينة	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي بَارِ جَهَنَّمَ

542	8 - 7	البيئة	إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَزْوَاجٌ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ
515-522	9 - 6	الزلزلة	يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَلُهُمْ
557	9 - 8	الزلزلة	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
522-549	6 - 4	الهمزة	كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ
222	4 - 1	الإخلاص	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ
560	5 - 1	الفلق	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَلَمِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث
79	إن السعيد من سَعِدَ في بطن أمه.
87	ليس لعين ترى الله يعصى فتطرف.
223	اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت
267	كان الله ولم يكن شيء غيره.
267	لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه.
270	أتاني النبي صلى الله عليه وسلم في ليلتي.
272	اللهم رب السموات السبع وما أظللن
272	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء.

273	بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام.
274	من ظلم قيد شبر طُوقه من سبع أرضين.
284	النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد.
287	هو الطهور ماؤه الحل ميتته.
292	إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين.
295	أنت آدم أبو الخلق.
297	خلق الله آدم على صورته.
392	من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية.
393	أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس.

393	إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي.
394	أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْيِ.
399	إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ.
399	كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ
400	لَا تَكْتَبُوا عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ.
406	يَا أَيُّهَا النَّاسُ انصَرَفُوا، فَقَدْ عَصَمَنِي رَبِّي.
418	مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ.
420	كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ.

436	ويقال للموت الكثير: طوفان،
436	أكثر جنود الله، لا أكله ولا أحرّمه.
437	إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها.
437	إن هذا الوجع -أو السقم- رجز.
437	إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب.
438	لما قال فرعون: "أمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل".
438	لما أغرق الله فرعون أشار بأصبعه.
439-438	غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة.
448	ما من أنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر.

449	انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فِرقتين.
451-450	إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفَرُ فَعَرَضْتَ كَيْدَ شَدِيدَةً.
500-499	ما بين النفختين أربعون.
500	يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ.
502	إِنكُمْ مَلَاقُوا اللَّهَ حِفَاةَ عِوَاءِ غُرْلًا.
503	كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقُرْنِ.
508	فِيهَا مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.
516	لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

516	إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ.
517	لَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
518	إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرِهِ.
519	مَا مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ.
522	إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمَ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
525	مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ.
528-544	عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمْرُؤًا مَعَهُ الْأُмَّةَ.
533	حُقِّقَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقِّقَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ.

533	أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت.
537	من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان.
539	يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح.
543	اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ.
544	وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقسط مُتصدق مُوَفَّق.
545	يخرج قوم من النار بعدما مَسَّهم منها سفع.
546	أرواحهم في جوف طير خضر.
546	من قُتِلَ مِنَّا صار إلى الجنة.

547	أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها.
548	ناركم هذه التي يُوقدُ ابن آدم.
551	هذا حَجَرُمِي به في النار منذ سبعين خريفًا.
555	آية المنافق ثلاث.
556	يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله.
558	العزُّ إزاري، والكبرياء ردائي.
558	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حَبَّة من خردل من كبر.
558	ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل، جواظ، مستكبر

559	لا يدخل الجنة قتّات.
560-559	يُعَذَّبَان، وما يُعَذَّبَان في كبيرة، وإنه لكبير.
560	لا تقاطعوا، ولا تدابروا
562	وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور.
567	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.
567	خُيِّرْتُ بين الشفاعة وبين أن تدخل نصف أمتي الجنة.
571	أنا أول شافع وأول مُشَقَّع.
572-571	يجمع الله المؤمنين يوم القيامة.
573	أُعْطِيتُ خمسًا لم يُعْطَها أحد قبلي.

576	إن الروح إذا قُبِضَ تبعه البصر.
577	لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة

فهرس الكتاب القدس

النص	السفر/ الإنجيل/ الرسالة	الإصحاح	الفقرة	الصفحة
فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ	التكوين	1	1	171-170
لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ	التكوين	1	3	173
فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَانَتْ الْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً.	التكوين	1	8 - 1	159
وَدَعَا اللَّهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةَ دَعَاها لَيْلًا.	التكوين	1	5	170
وَقَالَ اللَّهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ.	التكوين	1	13 – 9	176
وَقَالَ اللَّهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جِلْدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ.	التكوين	1	19 - 14	178
وَقَالَ اللَّهُ: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَافَاتِ ذَاتِ نَفْسٍ حَيَّةٍ.	التكوين	1	23 - 20	180
وَقَالَ اللَّهُ: «لِتُخْرِجِ الْأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ	التكوين	1	25 – 24	183
وَقَالَ اللَّهُ: «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا.	التكوين	1	28 - 26	188

172	2	1	التكوين	وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ.
195	28	1	التكوين	قال: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَاْمَلُوا الْأَرْضَ.
185	3 - 2	2	التكوين	وَفَرَّغَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ، فَاسْتَرَحَ.
196	7	2	التكوين	وَجَبَلَ الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الْأَرْضِ.
479	8	2	التكوين	وَعَرَسَ الرَّبُّ إِلَهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا.
479	14 - 9	2	التكوين	وَأَنْبَتَ الرَّبُّ إِلَهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ
201	23 - 21	2	التكوين	فَأَوْقَعَ الرَّبُّ إِلَهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ.
203	7 - 1	3	التكوين	وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أُحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ
204	6	3	التكوين	فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا
204	12	3	التكوين	قَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْطَتْنِي
200	20 - 19	3	التكوين	وَجَبَلَ الرَّبُّ إِلَهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ
209	7 - 5	6	التكوين	وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ.
465	1	15	التكوين	لَا تَخَفْ يَا أَبْرَامُ. أَنَا تُرْسُ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا.
323	36 - 30	19	التكوين	وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوعَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ،
355	22	32	التكوين	ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ

482	35	37	التكوين	إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَى ابْنِي نَائِحًا إِلَى الْهَوَايَةِ.
344	4 - 2	4	الخروج	فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصَا».
344	7 - 6	4	الخروج	ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَيْضًا: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُبَّكَ».
344	12 - 9	7	الخروج	إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلًا: هَاتِيَا عَجِيْبَةً.
345	18 - 14	7	الخروج	ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قَلْبُ فِرْعَوْنَ غَلِيظٌ. قَدْ أَبَى
210	13 - 12	12	الخروج	فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ.
346	22 - 20	13	الخروج	وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُوتٍ وَنَزَلُوا فِي إِثْنَامَ فِي طَرْفِ الْبَرِّيَّةِ.
349	20 - 15	14	الخروج	فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَا لَكَ تَصْرُخُ إِلَيَّ؟
350	29 - 21	14	الخروج	وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ،
351	31 - 30	14	الخروج	فَخَلَّصَ الرَّبُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِسْرَائِيلَ
347	4	16	الخروج	هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْرًا مِنَ السَّمَاءِ.
347	16 - 13	16	الخروج	فَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّ السَّلْوَى صَعِدَتْ وَغَطَّتِ الْمَحَلَّةَ
348	3	17	الخروج	وَعَطِشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ
348	6 - 5	17	الخروج	قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُرُقِّدَامَ الشَّعْبِ
133	20	2	الخروج	أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ

133	20	3	الخروج	لَا يَكُنْ لَهَا إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.
352	10 – 2	19	العدد	وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: «هَذِهِ فَرِيضَةُ
353	13 - 11	19	العدد	مَنْ مَسَّ مَيِّتًا مَيِّتَةً إِنْسَانٍ مَا، يَكُونُ نَجَسًا
133	4	6	التثنية	إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ.
335	32	12	التثنية	كُلُّ الْكَلَامِ الَّذِي أَوْصَيْكُمْ بِهِ احْرِصُوا لِتَعْمَلُوهُ.
351	9 - 1	21	التثنية	إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ
133	32	39	التثنية	أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلَهٌ مَعِي
355	1	3	يشوع	فَبَكَرَ يَشُوعُ فِي الْغَدِ وَارْتَحَلُوا مِنْ شَطِئِمَ.
355	5	3	يشوع	تَقَدَّسُوا لِأَنَّ الرَّبَّ يَعْمَلُ غَدًا فِي وَسْطِكُمْ عَجَائِبَ.
355	7	3	يشوع	الْيَوْمَ أَبْتَدِئُ أُعْظِمُكَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ.
355	16 – 14	3	يشوع	وَلَمَّا ارْتَحَلَ الشَّعْبُ مِنْ خِيَامِهِمْ لِكَيْ يَعْبرُوا الْأَرْضَ.
355	19 – 15	4	يشوع	وَكَلَّمَ الرَّبُّ يَشُوعَ قَائِلًا: «مُرِ الْكَهَنَةَ حَامِلِي تَابُوتِ
356	11 – 8	10	يشوع	لَا تَخَفُهُمْ، لِأَنِّي بِيَدِكَ قَدْ أَسْلَمْتُهُمْ.
357	14 - 12	10	يشوع	حِينَئِذٍ كَلَّمَ يَشُوعُ الرَّبَّ، يَوْمَ أَسْلَمَ الرَّبُّ الْأُمُورَ بَيْنَ
358	9 - 1	11	يشوع	فَلَمَّا سَمِعَ يَابِينُ مَلِكَ حَاصُورَ، أَرْسَلَ إِلَى يُوْبَابَ
168	10	2	صموئيل الأول	مُخَاصِمُو الرَّبِّ يَنْكَسِرُونَ، مِنَ السَّمَاءِ يُرْعَدُ

عَلَيْهِمْ.				
أَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَّالَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ.	صموئيل الثاني	11	5 - 3	323
وَمَعَهُ أَلْفُ رَجُلٍ مِنْ بَنِيَامِينَ،	صموئيل الثاني	17	19	355
هُوَ ذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لَا تَسْعُكَ.	الملوك الأول	8	27	166
وَقَالَ إِيْلِيَّا التَّشِيُّ مِنْ مُسْتَوِطِنِي جِلْعَادَ لِأَخَابَ:	الملوك الأول	17	1	361
وَكَانَ كَلَامُ الرَّبِّ لَهُ قَائِلًا: «انْطَلِقْ مِنْ هُنَا	الملوك الأول	17	4 - 2	362
وَكَانَ عِنْدَ إِصْعَادِ الرَّبِّ إِيْلِيَّا فِي الْعَاصِيفَةِ	الملوك الثاني	2	8 - 1	360
وَكَانَ عِنْدَ إِصْعَادِ الرَّبِّ إِيْلِيَّا فِي الْعَاصِيفَةِ إِلَى السَّمَاءِ	الملوك الثاني	2	1-11	363
وَكَانَ أَلِيشَعُ يَرَى وَهُوَ يَصْرُخُ: «يَا أَبِي، يَا أَبِي.	الملوك الثاني	2	15 - 12	364
وَقَالَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ لِأَلِيشَع: «هُوَ ذَا مَوْقِعَ الْمَدِينَةِ	الملوك الثاني	2	22 - 19	365
وَرَجَعَ أَلِيشَعُ إِلَى الْجِلْجَالِ. وَكَانَ جُوعٌ فِي الْأَرْضِ	الملوك الثاني	4	41 - 38	366
وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَعْلِ شَلِيشَةَ	الملوك الثاني	4	44 - 42	366
وَقَالَ بَنُو الْأَنْبِيَاءِ لِأَلِيشَع: «هُوَ ذَا الْمَوْضِعِ	الملوك الثاني	6	7 - 1	367

368	1-7	4	الملوك الثاني	وَصَرَخَتْ إِلَى أَلِيشَعَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَنْبِيَاءِ
371	8-37	4	الملوك الثاني	وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ عَبَرَ أَلِيشَعُ إِلَى شُونَمَ.
458	27 - 25	19	أيوب	أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ، وَالْآخِرَ عَلَى الْأَرْضِ
172	10	26	أيوب	رَسَمَ حَدًّا عَلَى وَجْهِ الْمَيِّتِ عِنْدَ اتِّصَالِ النُّورِ
168	28	38	أيوب	هَلْ لِلْمَطْرِ آبٌ؟ وَمَنْ وَلَدَ مَا جَلَ الطَّلِّ.
484	5	6	المزامير	لَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ. فِي الْهَائِوَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ.
483	17	9	المزامير	الْأَشْرَارُ يَرْجِعُونَ إِلَى الْهَائِوَةِ، كُلُّ الْأُمَمِ النَّاسِ
484	15	69	المزامير	وَلَا تُطْبِقِ الْهَائِوَةَ عَلَى فَاهَا
457	11 - 9	16	المزامير	أَيْضًا يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا.
482	10	16	المزامير	لَأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي الْهَائِوَةِ
484	5	18	المزامير	جِبَالُ الْهَائِوَةِ حَاقَتْ بِي
124-168	1	19	المزامير	السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ
482	1	28	مزمور	إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَصْرُخُ. يَا صَخْرَتِي
483	9	30	مزمور	مَا الْفَائِدَةُ مِنْ دَمِي إِذَا نَزَلْتُ إِلَى الْحُفْرَةِ؟
161	33	9	مزمور	لَأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ هُوَ أَمْرَ فَصَارَ.
465	28 – 27	73	مزمور	لَأَنَّهُ هُوَ ذَا الْبُعْدَاءِ عَنْكَ يَبِيدُونَ.

348	15	78	مزمور	شَقَّ صُخُورًا فِي الْبَرِّيَّةِ، وَسَقَاهُمْ كَأَنَّهُ مِنْ لُجَجٍ.
484	6	88	مزمور	وَضَعْتَنِي فِي الْجُبِّ الْأَسْفَلِ، فِي ظُلُمَاتٍ، فِي أَعْمَاقٍ.
484	48	89	مزمور	أَيُّ إِنْسَانٍ يَحْيَا وَلَا يَرَى الْمَوْتَ؟
483	4	103	مزمور	الَّذِي يَفْدِي مِنَ الْحُفْرَةِ حَيَاتِكَ.
166	16	115	مزمور	السَّمَاوَاتُ سَمَاوَاتُ لِلرَّبِّ
335	89	119	مزمور	إِلَى الْأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ.
133	3	145	مزمور	فَإِنَّكَ عَظِيمٌ وَصَانِعُ عَجَائِبَ، أَنْتَ اللَّهُ وَحْدَكَ
168	8	147	مزمور	الْكَاسِي السَّمَاوَاتِ سَحَابًا، الْمُهَيِّئِ لِلْأَرْضِ مَطَرًا.
160	5	148	مزمور	لِتُسَبِّحَ اسْمَ الرَّبِّ لِأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ
172	27	8	الأمثال	رَسَمَ دَائِرَةً عَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ
335	5	30	الأمثال	كُلُّ كَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ نَقِيَّةٌ
478	5	2	الجامعة	عَمِلْتُ لِنَفْسِي جَنَاتٍ وَفَرَادِيسَ.
207	15	3	الجامعة	مَا كَانَ فَمِنْ الْقَدَمِ هُوَ، وَمَا يَكُونُ فَمِنْ الْقَدَمِ
491	2	5	نشيد الإنشاد	أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَقِظٌ
483	14	5	إشعيا	لِذَلِكَ وَسَّعَتِ الْهَاوِيَةُ نَفْسَهَا، وَفَغَرَتْ فَاهَا بِلاَ حَدٍّ.
457	19	26	إشعيا	تَحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ. اسْتَيْقِظُوا

483	22	24	إشعيا	وَيُجْمَعُونَ جَمْعًا كَأَسَازَى فِي سِجْنٍ، وَيُغْلَقُ عَلَيْهِمْ
336	40	8	إشعيا	يَبِسَ الْعُشْبُ، ذَبُلَ الزَّهْرُ
171	22	40	إشعيا	الْجَالِسُ عَلَى كُرَّةِ الْأَرْضِ.
168	9-10	55	إشعيا	لَأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الْأَرْضِ
166	24	23	إرميا	أَمَّا أَمْلَأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَقُولُ الرَّبُّ.
472	7	30	إرميا	آه! لَأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ وَلَيْسَ مِثْلُهُ
455	17	11	حزقيال	إِنِّي أَجْمَعُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ
459	14 - 1	37	حزقيال	كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ.
374	16 – 8	1	دانيال	أَمَّا دَانِيَالُ فَجَعَلَ فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ لَا يَتَنَجَّسُ
376	6 - 1	2	دانيال	وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِ نَبُوخَذَنْصَرٍ،
377	23 – 16	2	دانيال	فَدَخَلَ دَانِيَالُ وَطَلَبَ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَهُ وَقْتًا
378	36 – 31	2	دانيال	أَنْتِ أَيْهَا الْمَلِكُ كُنْتَ تَنْظُرُ وَإِذَا بِيَمَثَالٍ عَظِيمٍ.
379	49 – 46	2	دانيال	حِينَئِذٍ خَرَّ نَبُوخَذَنْصَرٌ عَلَى وَجْهِهِ وَسَجَدَ لِدَانِيَالٍ.
380	3 – 1	4	دانيال	مِنْ نَبُوخَذَنْصَرِ الْمَلِكِ إِلَى كُلِّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ
381	18 – 9	4	دانيال	يَا بَلَطَشَاصَّرُ، كَبِيرُ الْمَجُوسِ،
375	22 – 19	6	دانيال	ثُمَّ قَامَ الْمَلِكُ بَاكِرًا عِنْدَ الْفَجْرِ وَذَهَبَ مُسْرِعًا

151	14 – 13	7	دانيال	كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ
163	24	9	دانيال	سَبْعُونَ أَسْبُوعًا قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ.
382	12 – 1	1	يونان	وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمْتَايَ
383	17 – 13	1	يونان	وَلَكِنَّ الرِّجَالَ جَذَفُوا لِيَرْجِعُوا السَّفِينَةَ
383	10 – 1	2	يونان	فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِ مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ.
152	23	1	متى	هُوَ ذَا الْعُذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا،
319	4	4	متى	لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ.
134	10 - 8	4	متى	ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جَدًّا
319-131	18 – 17	5	متى	لَا تَطْنُونَا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الْأَنْبِيَاءَ.
191	5	48	متى	فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ
149	6	9	متى	إِنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ
468	37 – 36	12	متى	وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَالَةٍ
485	42 – 41	13	متى	يُرْسِلُ ابْنُ الْإِنْسَانِ مَلَائِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ
333	17 – 16	16	متى	فَاجَابَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ
339	19 – 18	16	متى	أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي
463	32 - 31	22	متى	وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ قِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ

459	31 - 29	24	متى	وَلَوْ قَتَبْتَ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الْأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ.
472	30 - 14	25	متى	وَكَاثِمًا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ دَعَا عَبِيدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ.
469	31-34	25	متى	وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ
466	46 - 41	25	متى	ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي
481	29	26	متى	إِنِّي مِنَ الْآنَ لَا أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ
328	27	4	متى	قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَمْتُ دَمًا بَرِيئًا.
328	19	27	متى	إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارَّ، لِأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلُمٍ
328	24	27	متى	إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارِّ.
129-141- 156	19	28	متى	فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ
149	20	28	متى	وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ.
479	25 - 24	12	مرقص	أَلَيْسَ لِهَذَا تَضِلُّونَ، إِذْ لَا تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ
134	32	12	مرقص	لَأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ.
336	31	13	مرقص	السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ، وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ.
325	35	1	لوقا	الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ.
330	47 - 46	1	لوقا	تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ.

336	16	17	لوقا	وَلَكِنَّ زَوَالَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَيْسَرُ
463	24 - 22	16	لوقا	فَمَاتَ الْمُسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلَايِكَةُ.
491	26 – 23	16	لوقا	فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ
489	38 - 37	20	لوقا	الرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ.
478	43	23	لوقا	إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدَوْسِ
148-150	2 - 1	1	يوحنا	فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ
151	3	1	يوحنا	كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.
148	18	1	يوحنا	اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا ابْنُ الْوَحِيدِ
490	3	2	يوحنا	قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ: لَيْسَ لَهُمْ خَمْرًا.
491	4	2	يوحنا	مَالِي وَلَكَ يَا امْرَأَةً لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدَ.
491	5	2	يوحنا	مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ.
130-478	16	3	يوحنا	هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ.
187	5	17	يوحنا	أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الْآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ.
469	22	5	يوحنا	لَأَنَّ الْآبَ لَا يُدِينُ أَحَدًا
460	29 – 25	5	يوحنا	الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ،
149-469	27	5	يوحنا	(إِنَّ الْآبَ) أَعْطَاهُ سُلْطَانًا أَنْ يُدِينَ أَيْضًا

462	29 – 28	5	يوحنا	لَا تَتَعَجَّبُوا مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ
469	30	5	يوحنا	أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ
190	48	5	يوحنا	فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ
481	27	6	يوحنا	إِعْمَلُوا لَا لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ
148	46	6	يوحنا	لَيْسَ أَنْ أَحَدًا رَأَى الْآبَ إِلَّا الَّذِي مِنَ اللَّهِ
336	35	10	يوحنا	إِنْ قَالَ إِلَهٌ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ،
460	25	11	يوحنا	هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ.
130	14	9	يوحنا	الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ.
155	26	15	يوحنا	وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ
134	3	17	يوحنا	وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ
149	28	20	يوحنا	أَجَابَ ثُومَا وَقَالَ لَهُ (لِيَسُوعَ): رَبِّي وَإِلَهِي.
471	34 – 31	25	يوحنا	وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ
463	28 - 26	2	أعمال الرسل	لِذَلِكَ سُرِّقَلِي وَتَهَلَّلْ لِسَانِي
123	14	17	أعمال الرسل	لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلاَ شَاهِدٍ.
469	31	17	أعمال الرسل	لَأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمَعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ.
125	1	20	رسالة بولس	لَأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمُنْتَظَرَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ

			إلى أهل رومية	
469	16	2	رسالة بولس إلى أهل رومية	في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس.
134	30	3	الرسالة إلى رومية	لأن الله واحد.
205	15-12	5	رسالة بولس إلى أهل رومية	من أجل ذلك كائنًا بإنسانٍ واحدٍ دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت.
207	19	5	رسالة بولس إلى أهل رومية	لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة.
456	11	8	رسالة بولس إلى أهل رومية	وإذا كان روح الذي أقام يسوع من بين الأموات ساكنًا فيكم.
150-153	5	9	رسالة بولس إلى أهل رومية	ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد. آمين.
471	10	14	رسالة بولس إلى أهل رومية	وأما أنت، فلماذا تدين أخاك؟ أو أنت أيضاً، لماذا تزدري بأخيك؟
482	9	2	رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس	بل كما هو مكتوب: «ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان.
496	15 – 12	3	رسالة بولس الأولى إلى أهل	ولكن إن كان أحد يبني على هذا الأساس: ذهباً،

			كورنثوس	
471	10	5	رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس	لأنَّهُ لَابَدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهِرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِنَبَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ.
484	10 - 9	6	رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس	أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لَا يَرْتُونُ مَلَكُوتَ الله؟
327	21	5	رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس	لأنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لَأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بَرَّ اللَّهِ فِيهِ.
337	32	10	رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس	كُونُوا بِلاَ عَثْرَةٍ لِلْيَهُودِ وَلِلْيُونَانِيِّينَ وَلِكَنِيسَةِ اللَّهِ.
494	12	12	رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس	لأنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءُ كَثِيرَةٌ.
478	4	12	رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس	إِنَّهُ اخْتِطَفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ.
156	14	13	رسالة بولس الثانية إلى	نِعْمَةٌ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ

			أهل كورنثوس	
481	41	15	رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس	مَجْدُ الشَّمْسِ شَيْءٌ، وَمَجْدُ الْقَمَرِ آخَرُ، وَمَجْدُ النُّجُومِ آخَرُ.
207	16	2	رسالة بولس إلى أهل غلاطية	إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانٍ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.
134	20	3	رسالة بولس إلى أهل غلاطية	لكن الله واحد.
134	6	4	رسالة بولس إلى أفسس	إِلَهُ وَابٍ لِلْكَلِّ وَعَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ.
337	25	5	رسالة بولس إلى أهل أفسس	أَمُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا.
460	18 - 13	4	رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي	ثُمَّ لَا أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَنَّهَا إِخْوَةٌ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ.
491	1	2	رسالة بولس الرسول الأولى	فَاطْلُبْ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ، أَنْ تُقَامَ طَلِبَاتُ وَصَلَوَاتُ

			إلى تيموثاوس	
204	14	2	رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس	وَأَدَمُ لَمْ يُغَوِّ، لَكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي.
192	6	16	رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس	الَّذِي وَحَدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِئًا فِي نُورٍ لَا يُدْنَى مِنْهُ.
327	4 - 1	1	العبرانيين	اللَّهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْأَبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا.
133	3	4	العبرانيين	كُلُّ بَيْتٍ بَيْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا، وَلَكِنْ بَانِي الْكُلِّ هُوَ اللَّهُ.
325	15	4	العبرانيين	مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيئَةٍ.
325	26	7	العبرانيين	قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدْ انفَصَلَ عَنِ الْخَطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ.
469	23	12	العبرانيين	اللَّهُ دَيَّانُ الْجَمِيعِ
149	8	13	العبرانيين	يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ، أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ.
489	16	5	يعقوب	صَلُّوا بَعْضُكُمْ لِأَجْلِ بَعْضٍ.
336	25 - 23	1	رسالة بطرس الأولى	مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لَا مِنْ زَرْعٍ يَفْتَى، بَلْ مِمَّا لَا يَفْتَى،
206	21	2	رسالة بطرس	لأنَّكُمْ لِهَذَا دُعِيتُمْ، فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لِأَجْلِنَا،

			الأولى	
327	22	2	رسالة بطرس الأولى	الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً، وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ.
497	2 - 1	2	رسالة يوحنا الأولى	يَا أَوْلَادِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تُخْطِئُوا.
327	5	3	رسالة يوحنا الأولى	وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أَظْهَرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيئَةٌ.
130	5	7	رسالة يوحنا الأولى	فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ.
478	12 - 11	5	رسالة يوحنا الأولى	وَهَذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً.
149	20	5	رسالة يوحنا الأولى	وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللَّهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ.
133	8	1	رؤيا يوحنا اللاهوتي	أنا الألف والياء (البداية والنهاية) بهذا يقوله الرب الإله.
483	18	1	رؤيا يوحنا	وَلِي مَفَاتِيحُ السَّهَابِ وَالْمَوْتِ
478	7	2	رؤيا يوحنا اللاهوتي	مَنْ يَغْلِبْ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسْطِ فِرْدَوْسِ اللَّهِ.
464	9	6	رؤيا يوحنا	وَلَمَّا فَتَحَ الْخَتَمَ الْخَامِسَ، رَأَيْتُ تَحْتَ الْمَذْبَحِ نُفُوسَ

			اللاهوتي	
473	8 - 1	7	رؤيا يوحنا اللاهوتي	وَبَعْدَ هَذَا رَأَيْتُ أَرْبَعَةَ مَلَائِكَةٍ وَاقِفِينَ عَلَى أَرْبَعِ زَوَايَا الْأَرْضِ.

فهرس الأعلام والأماكن

العلم	رقم الصفحة
أثناسيوس	135
أريوس	142
أغناطيوس	58
أغوستينوس	124
الأكويني	121
أنسلم	122
باسيليوس	181
بلاجيوس	208
بوليكاريوس	58
ترتليان	141
تيرانس	50

ديكارت	121
زوينجلي	61
سابيلوس	139
سعيد ابن كلاب	95
غاليلو	162
كالفن	61
كروميل	128
كليمنضس الروماني	58
لوثر	61
الماتريدي	108
وايلز	595
ويكلف	69
يوحنا(بن زبدى)	28
يوحنا(الدمشقي)	600
يوستينيوس	144

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية البشير أسعير

المكان	رقم الصفحة
بطمس (الجزيرة)	28
ترشيش	384
حوريب	348
خليقيدونية	55
سين	346
فردوس	477
الفسطاط	551
كنيسة	47
اللد	334
المجامع المسكونية	55
المطهر	463

فهرس الفرق والطوائف والمذاهب

الصفحة	الطائفة / المذهب
615	أهل الكتاب
462	البراميث
63	التطهيرية
479	الصدوقيين
47	الكاثوليكية
63	المشيخية
63	المعمدانية
63	المنهجية
596	النصارى
592	الهلنستية
230	الواصلية

فهرس الموضوعات

1.....	مقدمة
14.....	فصل تمهيدي:
118.....	الفصل الأول: دراسة لنماذج من القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية
118.....	توطئة:
120.....	المبحث الأول: دراسة قضايا الألوهية عند المدارس المسيحية والمذاهب الإسلامية
120.....	المطلب الأول: قضايا الألوهية عند المدارس اللاهوتية المسيحية
212.....	المطلب الثاني: قضايا الألوهية عند المذاهب العقيدة الإسلامية
313.....	المبحث الثاني: قضايا النبوات عند المدارس المسيحية والمذاهب الإسلامية: دراسة وتحليل
314.....	المطلب الأول: قضايا النبوات عند المدارس المسيحية
390.....	المطلب الثاني: قضايا النبوات عند المذاهب الإسلامية
456.....	المبحث الثالث: قضايا السمعيات عند المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية: دراسة وتحليل
456.....	المطلب الأول: قضايا السمعيات عند المدارس المسيحية
499.....	المطلب الثاني: قضايا السمعيات عند المذاهب العقيدة الإسلامية
580.....	الفصل الثاني: دراسة مقارنة للقضايا الإيمانية بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقيدة الإسلامية
580.....	المبحث الأول: أوجه الاتفاق
589.....	المبحث الثاني: أوجه الافتراق
621.....	خاتمة
626.....	فهرس المصادر والمراجع
667.....	فهرس الآيات القرآنية

القضايا الإيمانية الكبرى بين المدارس اللاهوتية المسيحية والمذاهب العقدية الإسلامية البشير أسعير

691..... فهرس الأحاديث النبوية

700..... فهرس الكتاب المقدس

717..... فهرس الأعلام والأماكن

720..... فهرس الفرق والطوائف والمذاهب